

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A.J.B. LIBRARY

962
T128mA
C.1

كِتَابٌ

مناهج الالباب المصرية

في

مباهج الآداب العصرية

تأليف

أوحد زمانه * ونادرة عصره وأوانه

المجد في نفع وطنه بنشر المنافع

المرحوم الامير المعظم

رفاعة بك رافع

(ناظر قلم ترجمة واعضاء مجلس القومسيون)

﴿ طبعة ثانية ﴾

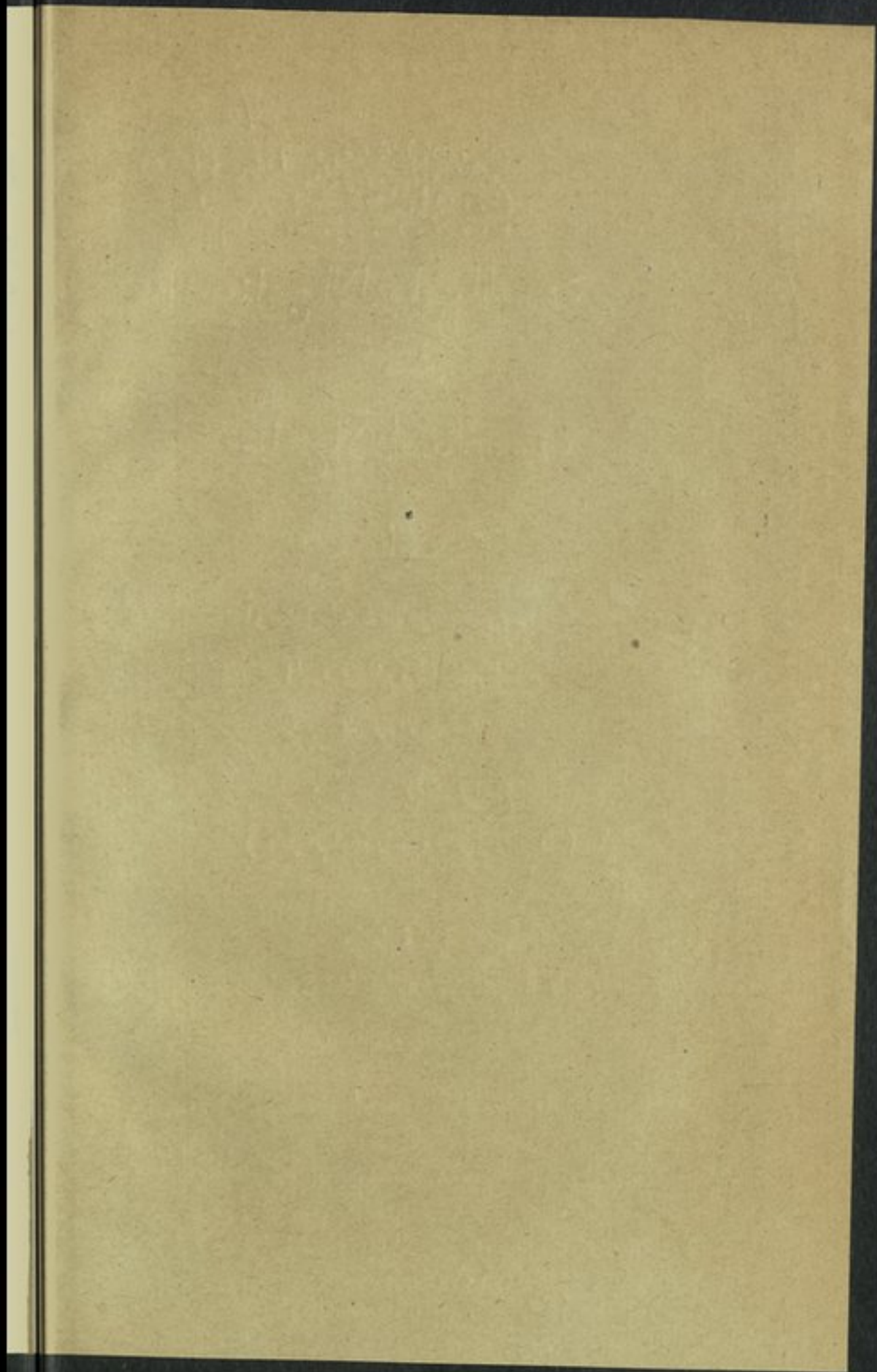
﴿ عنى بتصحيحها طبقا للنسخة المطبوعة بدار الطباعة الاميرية الكبرى ﴾

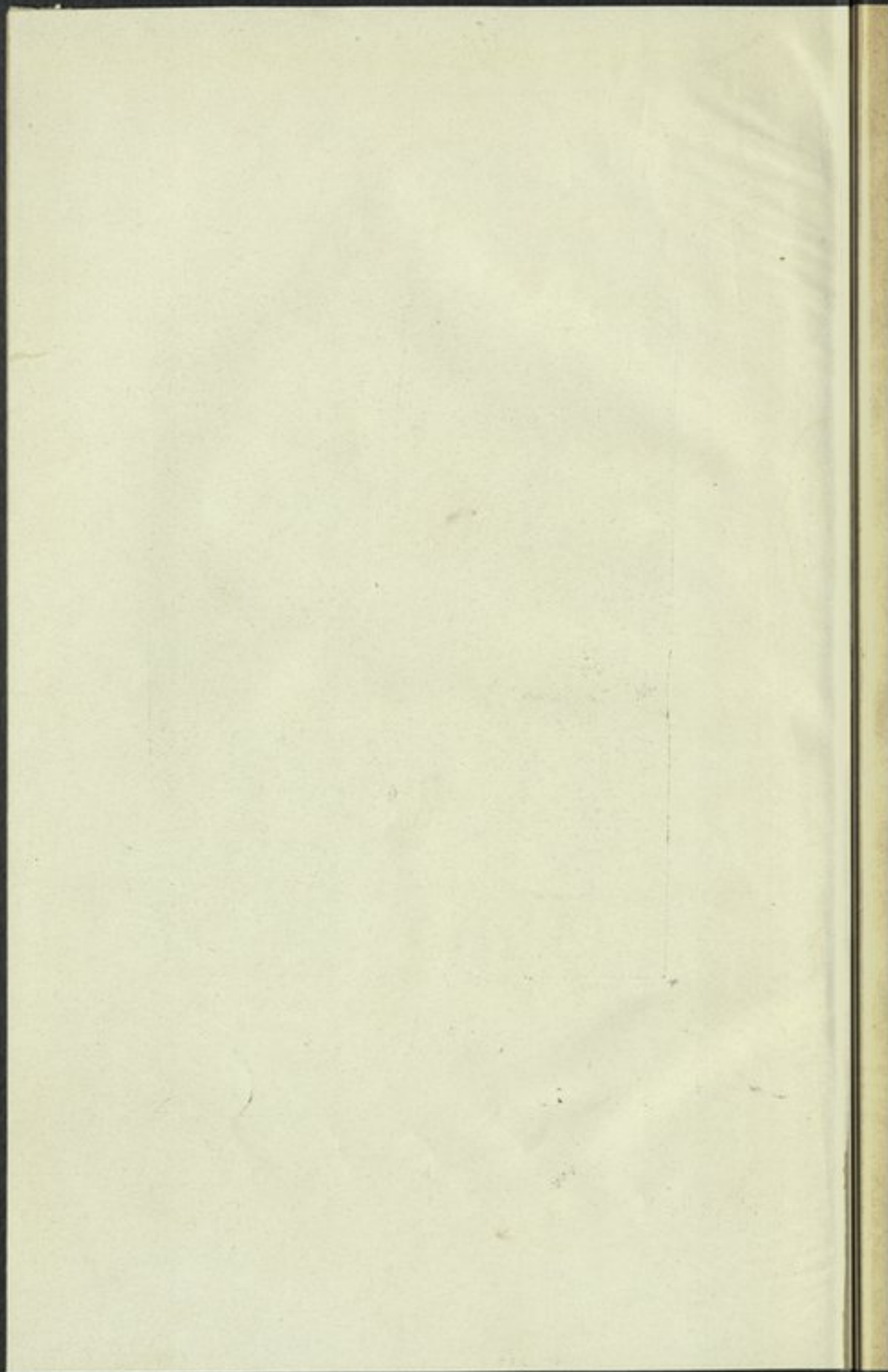
—*—

« حقوق الطبع محفوظة لحفيد المؤلف السيد محمد رفاعه »

﴿ مطبعة شركة الرغائب بشارع المنجلة بالقرب من الخزاوي بمصر ﴾

١٣٣٠ * ١٩١٢







صورة المؤلف

وتوفي سنة ١٢٩٠ هـ

ولد سنة ١٢١٦ هـ

كُتَاب

مناهج الالباب المصرية
في

مباهج الآداب العصرية

تأليف

أوحد زمانه * ونادرة عصره وأوانه

المجد في نفع وطنه بنشر المنافع

المرحوم الامير المعظم

رفاعة بك رافع

(ناظر قلم ترجمة واعضاء مجلس القومسيون)

﴿ طبعة ثانية ﴾

﴿ عني بتصحيحها طبقاً للنسخة المطبوعة بدار الطباعة الاميرية الكبرى ﴾

—*—

« حقوق الطبع محفوظة لحفيد المؤلف السيد محمد رفاعه »

﴿ مطبعة شركة الرغائب بشارع المنجلة بالقرب من الخزاوي بمصر ﴾

١٣٣٠ * ١٩١٢

ابن
الس
ابن
محمد
ابن
الس
بن
ج
جو
محمد
س
وال
وال
المع
الس
من
وأ

ترجمة المؤلف

تقلا من كتاب الخطط التوفيقية لسعادة علي باشا مبارك مع تصرف واختصار

هو الامير الجليل المرحوم السيد رفاة بك بن السيد رافع الطهطاوي
ابن السيد بدوي بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد رافع بن
السيد حريز بن السيد محمد شمس الدين بن السيد زين الدين بن السيد عبد الرحمن
ابن السيد أبي القاسم الصغير بن السيد شهاب الدين احمد بن السيد أبي عبد الله
محمد بن السيد يحيى بن السيد ابي بكر بن السيد يحيى بن السيد ابي القاسم الطهطاوي
ابن السيد عبد العزيز بن السيد يوسف بن السيد رافع بن السيد جندب بن
السيد محمد بن السيد سلطان بن السيد محمد بن السيد احمد بن السيد حجون
بن السيد احمد بن السيد محمد بن السيد جعفر بن السيد اسماعيل بن السيد
جعفر الزكي بن السيد محمد المأمون بن السيد علي الحارث بن السيد حسين
جود الملقب بالفارض بن السيد محمد الديباج بن السيد جعفر الصادق بن السيد
محمد الباقر بن السيد علي زين العابدين بن سيدنا ومولانا الامام الحسين بن
سيدتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ولدرجه الله سنة ١٢١٦ هجرية ونشأ في عز والده الى ان أخذت الالتزامات من العلماء
والاشراف فاضطر والده الى المهاجرة من طهطا الى بلد اقاربه بمنشأة النيدة
المعروفين بيت ابي قطنة وهناك حفظ اكثر القرآن الشريف ثم توفي والده
السيد بدوي رافع فرجع الى طهطا وهناك قام بتربيته أخواله وهم بيت علم
من الانصار الخزرجية فحفظ المتون وحضر بعض الكتب عليهم ففهمها ونحوها
وأغلب تربيته الازهرية كانت على العلامتين المفضالين الشيخ الفضالي والشيخ

الطار فتخرج عليهما في سائر العلوم العربية حتى صار أهلا للتدريس فدرس
في الازهر مدة عامين وكان له رحمه الله منزلة خاصة عند الشيخ العطار وكان
يشارك معه في الاطلاع على الكتب العربية التي لم تتداولها أيدي علماء الازهر
وقد اتفق ان المرحوم محمد علي باشا صاحب الديار المصرية بعث بجملة من ابناء
اكابر الحكومة المصرية وغيرهم لتعلم العلوم الاورباوية بمدينة باريس وطلب
من الشيخ العطار ان ينتخب لهم اماما من علماء الازهر فيه الاهلية واللياقة فاختر
تعيين صاحب الترجمة لتلك الوظيفة فتوجه مع تلك الازسالية الى باريس
وشرع حين ركوب الباخرة من الاسكندرية في تعلم مباني اللغة الفرنسية
بهمة عالية وعزيمة صادقة واتخذ له بعد وصوله الى باريس معلما خاصا على نفقته
وما لبث في هذه البلاد حتى عرفه أعظم العلماء وكبرأهم وكان للعالم الشهير
موسيو جومار عليه فضل التعهد بالارشاد والتعليم وقد ساعده مساعدات
جملة في هذه البلاد وكذلك حاله مع العالم الشهير البارون دساسي هذا وفي مدة
اقامته بباريز التي هي من سنة ١٢٤١ الى سنة ١٢٤٦ كان قد نبغ في العلوم والمعارف
الاجنبية وعلى الخصوص في فن الترجمة في سائر العلوم على اختلاف اصطلاحاتها
وأدمن على ادامة النظر واستعمال الفكر والحرص على التحصيل والاستفادة
وترجم في مدة اقامته جملة رسائل وكتب منها قلائد الفاخر في غريب عوائد
الاولائل والاواخر المطبوع بمطبعة بولاق وبعد انتهاء رحلته وحصول بغيته
استقدمه المرحوم محمد علي باشا الى مصر مع رفقته وعند وصوله اسكندرية
حظي بمقابلة المرحوم ابراهيم باشا وسأله عن بيت آبائه بطهطا وكان للمرحوم
ابراهيم باشا معرفة بهم ولهم به انتماء خاص فوعده بادامة الالتفات اليه وقد
أقطمه في مدته حديقة نادرة المثال في الخانقاه تبلغ مساحتها ٣٣ فداناً وتوجه

صاحب الترجمة من الاسكندرية الى القاهرة فتشرف بمقابلة لمرحوم محمد علي باشا
ورآى من ميله اليه ما حمله على الثقة بنجاح المبدأ والنهاية وصدر الامر العالى بتعيينه
مترجما في مدرسة طرا تحت رياسة ناظرها سكورابك الفرنساوى فترجم
كتبا عديدة وفي اثناء ذلك حصل وباء في القاهرة فسافر صاحب الترجمة الى
بلده طهطاشم رجع وقابل الجناب العالى بترجمة جزء ضخيم من جغرافية ملطبرون
فانعم عليه بمبالغ جزيلة من النقود ثم عرض للجناب العالى ان في امكانه ان يؤسس
مدرسة السن يمكن ان ينتفع بها الوطن ويستغنى بها عن الدخيل فاجابه الى ذلك ووجه
به الى مكاتب الاقليم لينتخب منها من البلاد ما يتم به المشروع فأسس المدرسة
وفي المدة المعينة امتحنت في اللغة الفرنسية وفي غيرها من العلوم المدرسية
فظهرت نجابة تلامذتها ثم تشكل بها قلم ترجمة وترقت الى المراتب السنية
وترجم فيه كثير من الكتب على اختلاف العلوم والفنون والمواضيع وكان
لهذه المدرسة مدرسة تجهيزية هي أيضا تحت رياسته وكان خوجاتها من
تلامذة مدرسة الالسن وأحيل عليه تفتيش مكاتب الاقليم عموما وتفتيش
مدارس الانجال وغيرهم وكان دأبه في مدرسة الالسن وفيما اختاره للتلامذة
من الكتب التي أراد ترجمتها منهم وفي تأليفاته وتراجمه خصوصا انه لا يقف
في اليوم والليل على وقت محدود فكان ربما عقد الدرس للتلامذة بعد العشاء
أو عند ثلث الليل الاخير ومكث نحو ثلاث أو أربع ساعات على قدميه في
درس اللغة أو فنون الادارة والشرائع الاسلامية والقوانين الاجنبية وكذلك
كان دأبه معهم في تدريس كتب فنون الادب العالية بحيث أصبح جميعهم في الانشاء
نظما ونثرا أطروفة مصرهم وتحفة عصرهم ومع ذلك كان هو بشخصه لا يفتر
عن الاشتغال بالترجمة أو التأليف وكانت مجامع الامتحانات لا تزهر إلا به

وقد قضي مدة حياته الى آخر مدة المرحوم سعيد باشا في سبيل التعليم ادارة
وعمله و تلامذته ثم من بعد تلك المدة واقتصاره على نظارة قلم الترجمة
وعضوية قومسيون المعارف في عهد حضرة الخديو اسماعيل باشا قام في كثير
من المدارس بهذه الخطه عينها

وله في المرحوم محمد علي باشا ونجله الاكبر ابراهيم باشا المدائح التي
سارت بها الركبان منها قصيدته اللامية التي مطلعها

ملا الكون بشرا عدله واعتداله وأغنى البرايا بره ونواله

وهي التي يقول فيها تلويحا ببلد المدوح

منازل منها اسكندر فاتح الوري اذالم يكن عم الامير نخاله

وقصيدته النونية التي قالها وهو في باريس ومطلعها

ناح الحمام على غصون البان فأباح شيمة مغرم ولهان

ومنها وقد كان قائما باعباء الحروب اذ ذاك تجل المدوح المشار اليه

في كفه سيفان سيف عناية والشهم ابراهيم سيف ثاني

ومنها يتذكر اولاده وعائلته

ابكي بعيني مهجتي لفراقهم وأود أن لا تشمر العينان

ثم الغيت المدرسة في مدة المرحوم عباس باشا الاول واستقر رأي

المجلس الخصوصي على انشاء مدرسة في السودان للاحتياج لها هناك فاختر

المترجم ناظر اعليها ولما وصل اليها أنشأ المدرسة ورتبها أحسن ترتيب وأدارها

احسن ادارة وكان ذلك أواخر عام ١٢٦٥ هجرية وقد ترجم هناك كتبا عديدة

منها كتاب تليماك المطبوع في الشام وانشأ قصيدته التي مطلعها

الا فادع الذي ترجو ونادي يجيبك وان تكن في أي ناد

ومنها بنو الآداب اخوان جميعا وأخذان بمختلف البلاد
وهي مطبوعة في هذا الكتاب ولم يزل مكبا على شغله الى أواخر عام
١٢٧٠ فعاد الى مصر بأمر المرحوم محمد سعيد باشا حين ولايته على مصر
وبعد رجوعه من السودان جعل عضوا ومترجما في مجلس المحافظة تحت رئاسة
المرحوم أدم باشا ثم جعل ناظر ثانيا للمدرسة الحربية التي كانت بالحوض
المرصود تحت نظارة سليمان باشا الفرنساوي وبعد قليل أمر بعمل قوانين
ونظامات لمدرسة مستقلة أريد انشاؤها وجعل مقرها بالقلعة تكون كافلة للعلوم
الادبية وافية بالفنون المدنية فبذل همه في ذلك وراعي في نظاماته ما يجلب
خواطر الاهالي الى تلك المدرسة ورتب لها من المعلمين كل من له به ثقة من
الكفاء المتدربين على تعليم العلوم وأدارها ادارة جيدة حتى ظهرت نجابة تلامذتها
وكان شديد الرغبة في الاطلاع على فنون التاريخ وله في السيرة
النبوية كتابه نهاية الایجاز في سيرة ساكن الحجاز أوله حمدا لمن
أسعد نبيه بأعلى درجات الشرف وأصعده الى أسمى مدارج العرف
انتقاه من صحيح كتب السير ورتبه ترتيبا بديعا لم يسبق بمثله ولما وصلت
نسخته الى سعادة علي باشا مبارك ناظر المعارف المصرية أمر بطبعه في روضة
المدارس تعجيلا للفائدة ثم طبع مستقلا بمطبعة المعارف العمومية
ولرغبته في نشر العلوم وسعة دائرتها استصدر أمرا من المرحوم
سعيد باشا بطبع جملة كتب عربية على طرف الحكومة منها تفسير الفخر
الرازي ومعاهد التنصيص وخزانة الادب والمقامات الحربية وغير ذلك من
الكتب التي كانت عديمة الوجود في ذلك الوقت وكان للمترجم رحمه الله
عناية كبيرة باقتناء الكتب فاشترى الكثير النادر منها حتى ان كتبه تبلغ

بما اشتراه اولاده نحو ٥٠٠ كتاب وفيها من الكتب الغريبة ما ليس في غيرها توفي رحمه الله تعالى عام نيف وتسعين ومائتين وألف بالمحرسة ودفن في بستان العلماء بقرافة المجاورين الكبرى وقد أعقب ابنين جليلين غير الاناث لازما الازهر مدة واقتبسا من معارف والدهما وكانا على غاية من المعارف والآداب ومحاسن الشيم وعلو الهمم وأحدهما وهو على باشا رفاعة كان قد تقلد وكالة نظارة المعارف المصرية وسنه اذ ذلك لم يتجاوز الثلاثين عاما وقد أكمل ما تركه والده من التاريخ على أسلوبه وارتقى الى رتبة والده علما وقدرنا واما ابنه الآخر وهو المرحوم بدوى بك رفاعة والد حضرة السيد محمد رفاعة محيي هذه الآثار فقد كان مقيما بمدينة طهطا في ملاحظة دائرتهم التي هناك مع إدامة النظر والمطالعة في الكتب العلمية على اختلاف مشاربها هذا ومن اراد الوقوف على ترجمة حياة المؤلف تفصيلا فعليه بمراجعة كتاب حلية الزمن بسيرة خادم الوطن لمؤلفه المرحوم السيد صالح بك مجدي والد سعادة محمد باشا مجدي مستشار محكمة الاستئناف وأحد تلامذة المترجم فقد ذكر كثير من أحواله وعدد تلامذته وقسمهم الى ثلاث طبقات كانوا اجمال العصر وغرة الدهر وبالله التوفيق

فهرست

﴿ كتاب مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب المصرية ﴾

| صحيفة | |
|-------|---|
| ٤ | مطلب سبب تأليف هذا الكتاب |
| ٥ | » العنوان والاتحاف |
| ٧ | مقدمة في ذكر هذا الوطن وما قاله في شأن تمدنه أرباب الفطن |
| ٧ | مطلب وصف مصر |
| ٧ | » نفع الدين في المملكة |
| ٨ | » اعانة المنافع العمومية على التمدن |
| ٨ | » المفاضلة بين الفلاحة والملاحة |
| ٩ | » حرية الذمة |
| ١٠ | » اختلاف الاغراض في المنافع العمومية |
| ١٠ | » الترغيب في حب الوطن |
| ١٦ | » بر مصر لبنيتها وغيرهم |
| ١٦ | » خير مصر وبركاتها |
| ١٩ | » اختلاف أسباب المواد وتشعب المكاسب |
| ٢٠ | » تقسيم أسباب المواد والمكاسب |
| ٢١ | » اختلاف أحوال المنافع العمومية |
| ٢٣ | (الباب الاول) في بيان المنافع العمومية من حيث هي وفي موادها الخ |
| ٢٣ | (الفصل الاول) فيما تطلق عليه المنافع الخ |
| ٢٣ | مطلب تعريف المنافع |
| ٢٩ | » المروءة |
| ٣١ | » حديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث |

صحيفة

صحيفة

٦٥
٦٦
٦٧
٦٨
٧٨
٨٠
٨٠
٨٣
٩٧
٩٨
٩٩
١
٢
٤
٩
٠
٠
٢
٦
٧

| | |
|----|--|
| ٣١ | مطلب الصدقة الجارية |
| ٣٤ | » نواذر البخلاء |
| ٣٦ | » ما قيل في البخلاء من الشعر |
| ٣٩ | » الرزق |
| ٣٩ | » طلب الدنيا لغرض |
| ٤٠ | » مآثر الصحابة في الصدقات |
| ٤٠ | » الصدقة التي تصادف محلها |
| ٤١ | » خيرات نور الدين الشهيد ومن اقتفى أثره |
| ٤٢ | » اقرار السلطان سليم خان المرتبات بمصر على حالها |
| ٤٣ | » تنظيم الصدقات الجارية بأسلوب جديد في أيام المرحوم محمد علي واقتفاء خلفه أثره |
| ٤٤ | » استحسان اعانة أهل اليسار لولي الامر على فعل الخير لتكثير المحال الخيرية |
| ٤٦ | » الدين |
| ٤٨ | » قانون الشحاذة |
| ٤٩ | » العلم النافع |
| ٥١ | » تعداد فضائل العلوم الشرعية وآلاتها |
| ٥٢ | » الحساب |
| ٥٣ | » تقسيم العلوم |
| ٥٤ | » فضل الكتابة |
| ٥٦ | » الاجتهاد في تحصيل العلم ومدحه |
| ٥٧ | » تقديم أوائل العلوم على أواخرها |
| ٥٨ | » وضوح العبارة وترك الرموز الخفية |
| ٦٢ | » الانتفاع بالذرية والتعضد بها |

| | |
|-----|---|
| ٦٥ | مطلب تربية الاولاد |
| ٦٦ | » بر الولد لو الله |
| ٦٧ | » ترتيب تعليم الاطفال |
| ٦٨ | » أطوار الصغير |
| ٧٨ | » استعداد كل انسان لفضيلة ما |
| ٨٠ | (الفصل الثاني) في العمل الذي هو القوة الاولى في براز المنافع الاهلية وفي تطبيقه على الارض الزراعية |
| ٨٠ | » منابع الثروة |
| ٨٣ | » الحرث والزرع |
| ٩٧ | » تفسير قوله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا الخ |
| ٩٨ | » تعميم أبناء الوطن في مكارم الاخلاق بدون تفرقة ولا نظر للاختلاف بالدين |
| ٩٩ | » تسوية الذمى بالمسلم في حرمة ظلمه |
| ١٠١ | » احتياج الزراعة لاكثر الصنائع وبالعكس |
| ١٠٢ | (الفصل الثالث) في تقسيم الاعمال الى منتجة للاموال وغير منتجة لها الخ |
| ١٠٤ | » الفرق بين العامل وانخادم |
| ١٠٩ | » وفاء الاجير اجرة عمله عقب توفيقه للعمل |
| ١١٠ | » تعديل العوائد على قدر الميسرة |
| ١١٠ | » التعيش من مرتبات الموظفين |
| ١١٢ | (الفصل الرابع) في مدح السعى والعمل وذم البطالة والكسل |
| ١١٦ | » اول من وضع الرد |
| ١١٧ | » اول من وضع الشطرنج |

صحيفة

| | |
|--|-----|
| مطلب وضع الطب | ١١٨ |
| » اول من وضع أصول النحو | ١١٩ |
| » اول من وضع العروض | ١١٩ |
| » مواظبة قدماء مصر على العمل ونفورهم من البطالة والكسل وتصويرهم شخص الكسل بصور مختلفة مستبشرة | ١٢١ |
| » تمثيل المشتغل والكسلان بصرار ونملة | ١٢٢ |
| » تقسيم المنافع العمومية وتعريفها بالمعنى العرفى الصناعى | ١٢٩ |
| (الباب الثانى) فى تقسيم المنافع العمومية الى ثلاث مراتب اصلية الخ | ١٢٩ |
| (الفصل الاول) فى تعريف المنافع العمومية بالمعنى العرفى الصناعى الخ | ١٢٩ |
| » تعريف الفضيلة | ١٣٠ |
| » بعض أركان الفضيلة | ١٣٠ |
| » اقسام الفضيلة | ١٣٠ |
| » منشأ تولد الغنى | ١٣٤ |
| » التجارة الخارجية | ١٣٤ |
| » اقسام حركات المنافع العمومية | ١٣٤ |
| » تقدم المنافع العمومية الآن بالنسبة لما سبق | ١٣٤ |
| (الفصل الثانى) فى حالة المنافع العمومية فى الازمان القديمة الخ | ١٣٥ |
| » حروب رومية مع قرطاجنة | ١٣٧ |
| » حرب رومية مع مقدونيا | ١٤٣ |
| » غزوة تبوك التى يقال لها غزوة العسرة | ١٤٣ |
| (الفصل الثالث) فى ان الاسفار والسياحات مما يعين على تقدم المنافع العمومية | |

صحيفة

- ١٤٧ مطلب تفسير سورة قريش على حسب الطاقة
- ١٤٩ » سياحة العرب مطلقا في الارض قديما
- ١٥٠ » ثبوت فضل العرب على غيرهم بالتواتر في أغلب الخصال الحميدة
- ١٥٠ » الكلام على مدينة سبا وما يتعلق بها
- ١٥٢ » استكشاف الحكومة المصرية محل مدينة سبا
- ١٥٣ » سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام في تجارته لتدريج رضى الله عنها وما حصل في ذلك من خوارق العادات
- ١٥٤ » الحكمة في رعى الانبياء للغنم قبل النبوة
- ١٥٤ » سفر موسى عليه السلام الى مدين
- ١٥٦ » اجتماع موسى بشعيب وما جرى بينهما
- ١٥٧ » تزوج موسى بابنة شعيب
- ١٥٨ » ثمرة الشفقة على خلق الله
- ١٥٩ (الفصل الرابع) في أن الصور بين وهم اهل سواحل بر الشام قدموا في سالف الازمان التجارة والعلوم البحرية على وجه نافع
- ١٦١ » ان اختراع العرب لبيت الابرة من المنافع العمومية المتأخرة التي لا يعرفها المتقدمون
- ١٦٢ » صناعة الساعات من المصنوعات النفيسة التي سبق بها العرب غيرهم
- ١٦٢ » اشتغال كتب الفقه الاسلامية على بعض المنافع العمومية
- ١٦٦ » ان الصور بين هم أول من استكشف الصباغة باللون الاحمر الارجواني
- ١٦٦ » في أن أول من نقل حروف الهجاء من الصور بين اليونان
- ١٦٧ » في أن الكتابة من الفضائل الاولى
- ١٦٨ » المفاخرة بين القلم والسيف

سل

الخ

الخ

الخ

دم

صحيفة

٨٣ (الباب الثالث) في تطبيق أقسام المنافع العمومية في الازمان
٨٤ الاولية على مصر النخ ١٧٠
٨٤

٨٥ (الفصل الاول) في تقدم مصر وغناها في عدة ازمان سابقة النخ ١٧٠

٨٥ مطلب استكشاف اعمدة مصرية بمعبد قديم في نابولي ١٧١

٨٧ » المعاصرة بين سلطنتي مصر والعراق في القديم ١٧٢

٨٨ » تأسيس مدينة بابل ومدينة نينوى ١٧٣

» تسلطن الملك نيناس وأخذه زمام المملكة من امه ١٧٦

» تسلطن سردانيال على العراق وانه احرق نفسه ونساءه ١٧٦

٨ » دخول اذربيجان والعراق تحت مملكة الفرس ١٧٦

٩ » ما تسبب عن تولية كيروش ملك العجم مملكة العراق ١٧٦

» ما كانت عليه مدينة منف في الزمن القديم ١٧٧

» دخول المأمون العباسي مصر ١٧٨

» أساس التمدن ١٧٨

» سياسة مصر في القديم ١٧٨

» توزيع اراضي مصر على طوائف ثلاثة ١٧٨

» السياسة العسكرية بمصر في القديم ١٧٨

» ترتيب مجالس القضاء في القديم ١٨٠

» المعاقبة على الذنوب عند قدماء المصريين ١٨٠

» الفحص عن وجه التعيش ١٨٠

(الفصل الثاني) في تأييد تقدم مصر وامتيازها بالمعارف في الزمن ١٨١

القديم النخ

١٨١ مطلب حسد اخوة يوسف لاختيمهم وما ترتب على ذلك

- ١٨٣ مطلب تدبير يوسف لفلال مصر وحفظ الحب في سنبله
- ١٨٤ » تعرف اخوة يوسف
- ١٨٤ » ذهاب البشير بقميص يوسف الى ابيه
- ١٨٥ » سبب نزول سورة يوسف عليه السلام
- ١٨٥ » استنباط علو درجة مصر من قصة يوسف
- ١٨٧ » كيفية عيد فرعون السنوى ودلالته على التمدن
- ١٨٨ (الفصل الثالث) في ان أعظم وسائل تقدم الوطن في المنافع
العمومية رخصة المعاملة مع أهالي الممالك
الاجنبية واعتبارهم في الوطن كالاھلية
- ١٨٨ مطلب مساعدة الملك ابا ميطيقيوش ملك مصر للتجارة داخلا وخارجا
- ١٨٩ » فتح الملك أماسيس ثغور مصر للاجانب واحسان مشواهم
لاسهام رعيته بالثروة والغنى
- ١٩٠ » نصيحة الملك أماسيس لملك جزيرة صيصام
- ١٩٠ » مساعده البخت للانسان وما قيل في البخت والحظ
- ١٩٣ » مناقب سولون الحكيم اليوناني وقوانينه
- ١٩٤ (الفصل الرابع) فيما ترتب على فتوح اسكندر الرومي للديار
المصرية من اتساع دائرة المنافع العمومية
الناتجة عن مقدمات الحزم والكياسة وشرطيات
اشكال العدل في التدبير والسياسة
- ١٩٥ مطلب سلوك اسكندر في البلاد المفتوحة له مسالكا يبين مسلك الفاتحين
- ١٩٦ » تمرير اسكندر للامم المختلفة والتأليف لسائر من نحت حكمه
من الملل
- ١٩٦ » نسب اسكندر وولاية ابيه وما رتبته ابوه في العسكرية

صحيفة

- ١٩٦ مطلب قصد فلبش حرب العجم وحمل أمم اليونان على المساعدة
» قتل فليش في عرس ابنته ١٩٦
» تربية ارسططاليس لاسكندر ١٩٧
» ثمره التاريخ للملوك ١٩٧
» توجه اسكندر لحرب بلاد آسيا باهبة يسيرة ١٩٩
» فتوح اسكندر لبلاد العجم وانطلاقه الى مصر عقب ذلك ١٩٩
» وفاة اسكندر في عنفوان شبابه بدون ان يعهد الى احد في السلطنة ٢٠
» ظهور نتائج فتوح اسكندر لمصر في عهد البطالسة ومن بعدهم ٢٠١
» مدفن اسكندر ومنازة اسكندرية الممدودة من عجائب الدنيا ٢٠١
» كتبخانه اسكندرية ٢٠٢
» تقديم الملاحة والاسفار البحرية في عهد بطليموس الاول ٢٠٢
» ذخائر خزائن مصر في ايام بطليموس الاول ٢٠٣
» جلب بطليموس اليهود الى اسكندرية وتأسيسه لهم حارة خصوصية ٢٠٣
» ضيق دائرة المنافع المصرية في الادوار الاخيرة ٢٠٥
» استيلاء السلطان سليم خان على مصر ٢٠٥
» تغلب فرنساوية على مصر ٢٠٥
» استخلاص المرحوم محمد على مصر من قبضة المماليك ٢٠٦
» (الباب الرابع) في التثبت بعود المنافع العمومية الى مصر حسب
الامكان في عهد محيي مصر جنتمکان وفيه فصول
٢٠٧ (الفصل الاول) في مناقب جنتمکان محمد الاسم على الثان
وانه نادرة عصره ومحبي ماثر مصره واعقابله بينه وبين
عدة من مشاهير ملوك الاعصر القرينية
» كون قاصد التغلب اما كالصائد او كالمثقل للترية وكسب الاجر ٢٠٩

صحيفة

- ٢٠٩ مطلب انما الاعمال بالنيات
- ٢١٣ » كون مقدونيا موطن اميرين جليلين اسكندر ومحمد علي
- ٢١٤ » فتوح السلطان سليمان
- ٢١٤ » الملك شريكان قرال اسبانيا والنيما
- ٢١٦ » بعث السلطان سليمان عمارة بحرية الى فرانسيا لنجدة ملكها
- ٢١٦ » سفر السلطان سليمان بجيشه من جهة البر الى اوربا وعوده منصورا
- ٢١٧ » اخذ خير الدين باشا لتونس من يد مولاي حسن من بني حفص ورجوعها اليهم ثم تمام اخذها ايام السلطان سليم
- ٢١٧ » ابلاغ عصر الوزير الرابع عشر اوربا بدرجة الكمال
- ٢١٩ » وزارة كولبرت على الملكية ووزارة تورين على العسكرية
- ٢١٩ » تجديد كولبرت المنافع العمومية وجلب خصائص المصنوعات الاجنبية ومحاسنها لوطنه
- ٢٢٠ » رثاء ولتير الشاعر لوزير الرابع عشر
- ٢٢١ » فيمن كان من السلاطين العثمانية في عصر لوزير الرابع عشر
- ٢٢٢ » مساعدة كبار الوزراء ارباب القرائح لملوكهم على التمكن
- ٢٢٣ (الفصل الثاني) في أن منافع مصر العمومية قد تمكنت كل التمكن من الذات المحمدية العلية وتسلطت على قلبه وأخذت بمجامع ليه
- ٢٢٣ » كون الفلاحة هي منبع ثروة مصر الختبقى وتحفظ حكام الملوك على شؤونها
- ٢٢٥ » رأى نابليون في تحسين اراضى مصر واستغلالها وتكثير اهلها
- ٢٢٥ » ما خطر في بال المرحوم محمد علي من الملاحظات السنة لاجيا.
- ما في مصر من الموات والتشبث باسباب الاحياء

صحيفة

- ٢٢٨ مطلب صرف هممة المرحوم محمد علي في مبدا امره لتنظيم العدة العسكرية
وايثاره لها على كثير من المنافع العمومية
- » ٢٢٨ عدم قياس النيل بغيره من الأنهار
- » ٢٢٩ انشاء ترعة المحمودية لتسهيل النقل
- » ٢٢٩ تفرغ المرحوم محمد علي للعمليات النافعة لثروة مصر عند الاوان
- » ٢٢٩ زعم بعض الحكماء أن أرض مصر حادثة من الطمي
- » ٢٣٠ الاتباه للمضار الثلاث النيلية التي يجب التحفظ منها
- » ٢٣٠ مضار البحر عند مصب النيل
- » ٢٣٠ مضار البحر المساح عند مصب النيل
- » ٢٣١ تكثير عدد المحصولات بجعل الارض رواتب
- » ٢٣١ ازالة الموانع الطبيعية الموجبة لتقليل أراضي الزراعة
- ٢٣٣ (الفصل الثالث) فيما دبره المرحوم محمد علي من أصول المنافع
العمومية الجسيمة والوصول بها الى الحصول
على التقدّمات العميمة في زمن يسير مما لو أنجزه
من الملوك جم خفير لعد من العمل الكثير
وحسن التدبير
- » ٢٣٤ مطلب ما يترتب على انتظام مصلحة الري
- » ٢٣٥ حالة الري في عهد حكومة المماليك
- » ٢٣٧ تسخير المولى تبارك وتعالى المرحوم محمد علي لاجياء عمارية
مصر
- » ٢٣٩ تصوير الاراضى للرشيد واستحسانه منها اقليم الاسيوطية
- » ٢٤٠ كمال مصلحة الري باتمام القناطر الخيرية
- » ٢٤٠ لزوم الرياحات للقناطر الخيرية والمديريات المنتفعة بها

- ٢٤٣ مطلب ارسالية المرحوم محمد على لاستكشاف منبع النيل
- ٢٤٣ « انشاء المدارس المصرية »
-
- ٢٤٩ (الفصل الرابع) في سفر جنتم كان محمد على الجليل الشان الى
جبال فازغلو ببلاد السودان لاستكشاف المعادن
بها والكشف عنها بحضوره واعمال الطرق
التجريبية
- ٢٤٩ مطلب امهات المعادن المستخرجة في هذا العهد
- ٢٥٠ « معادن الفضة في افريقه »
- ٢٥١ « مشابهة افريقه لامريقه وظن انها يستكشف منها معادن
النقدين بالبحث فيها »
- ٢٥١ ارسال المرحوم محمد على معدنجية بالسودان لاستكشاف المعادن
- ٢٥١ « نتيجة تجربة معادن فازغلو »
- ٢٥٢ « تجربة جهات سنجه وزنبو وتومانو »
- ٢٥٢ « تجربة معادن ابو غولجى »
- ٢٥٢ « عرض جبل سنجه »
- ٢٥٣ « هجوم اهل سنجه على العسكر »
- ٢٥٣ « تجربة وادى بولغيديه »
- ٢٥٤ « رجوع المعدنجية من تلك الجهات »
- ٢٥٥ « تصميم المرحوم محمد على على السفر الى بلاد السودان »
- ٢٥٦ « استصحاب المرحوم محمد على في سفره جمعا من ارباب الخبرة
في المعادن وغيرها »
- ٢٥٦ « دخول المرحوم محمد على الخرطوم وما حصل من الاستقبال به
وارساله المعدنجية الى عدة جهات واقامته بالخرطوم لاستقبال

الوافدين عليه

- ٢٥٧ مطلب سفر المرحوم محمد علي من انخرطوم الى جهة سنار
- ٢٥٧ » ارشاد المرحوم محمد علي أهل السودان الى وسائل الزراعة وغيرها
- ٢٥٧ » مسير المرحوم محمد علي الى اقليم فازغلو
- ٢٥٨ » وصول المرحوم محمد علي الى قرية فاموكو واستحسانه اياها
وأمره ببناء قصر فيها على اسمه
- ٢٥٨ » وصول المرحوم محمد علي الى فشنغارد
- ٢٥٨ » جمع المعدنجية وعمل تجربة عمومية
- ٢٦٠ » يأس المرحوم محمد علي من استخراج معادن الذهب بالسودان
في نفسه وعوده الى مصر
- ٢٦٠ » موت رئيس المعدنجية وافادته قبل موته ان تقرير الجمعية بعدم
ربح استخراج المعادن لا يعول عليه
- ٢٦١ » ان معادن الذهب بالسودان لا تنكر وان الزراعة تفلح فيها
ان اعتنى بها وان خيراتها كثيرة
- ٢٦٢ » استعداد اهالي السودان للمعارف والكمالات ووجود التعاون
عندهم علي طلب العلم
- ٢٦٥ » موعظة ملك السودان مروان بن محمد حين التجأ اليه
- ٢٦٥ » سفرى للسودان ونظمى قصيدة تشير الى احوال تلك البلاد
وعواندها وتخميس قصيدة برعيه هب منها نسيم الفرج
ببركة مدح خير البرية
- ٢٧٠ » تخميس القصيدة البرعية التي مطلعها خل الغرام لصب دمه دمه
- ٢٨١ » ان المرحوم محمد علي كان يجعل كسب المعالي دائماً نصب عينيه
وكان لا يحرم منها
- ٢٨٣ (الباب الخامس) في الآمال الحسنة والاعمال المستحسنة من

- الاصلاحات المصرية بمقتضى اصطلاحات الحال العصرية وفيه فصول
- ٢٨٢ (الفصل الاول) وكتب غلطا (الرابع) في ذكر تقدم مصر في هذا الوقت الحالى
- ٢٨٢ مطلب توسيع المزارع والمسالك
- ٢٨٥ (الفصل الثانى) في ذكر ملحوظات عمومية تتعلق بالديار المصرية
- أبداها بعض من ارض مصر من ارباب السياحة الخ
- ٢٨٥ مطلب عدم الوقوف على حقيقة مصر لارباب السياحة
- ٢٨٦ » رأى الفرنسيات وية حين تغلبهم على مصر فى عمارها
- ٢٨٦ » حالة اطيان مديرية البحيرة
- ٢٨٦ » حال اطيان مديرية روضة البحرين
- ٢٨٧ » ما يستثنى من دفع العوائد المالية ترغيبا لتكثير العمارية
- ٢٨٨ » اطيان مديرية الشرقية
- ٢٨٩ » اطيان مديرية الجيزة ومديرية القاويية
- ٢٨٩ » اطيان اقليم الفيوم
- ٢٨٩ » اطيان مديرية بنى سويف
- ٢٨٩ » اطيان الاطفيحية
- ٢٩٠ » اطيان مديرية المنيا
- ٢٩٠ » اطيان مديرية اسيوط وجرجا
- ٢٩٥ » صلاحية ارض الصعيد الاعلى لزراعة شجرة البن
- ٢٩١ » نتاج اغنام المسارينوس بأودية الفيوم
- ٢٩١ » تحسين جنس الخيول فى الفيوم والشرقية بتأميس اصطبلات
خصوصية
- ٢٩٣ » استعد ادابناء مصر بقراتهم الذكية لجميع المعارف والمنافع البشرية

صحيفة

- ٢٩٣ مطلب نحو بل مصر الى حالة مستحسنة في نحو عشرين سنة
- ٢٩٣ » حفظ قوى أهل مصر العقلية الى آخر عمرهم في الغالب
- ٢٩٥ (الفصل الثالث) (وكتب غلطا الرابع) في بيان بلوغ المنافع
العمومية بالديار المصرية درجة ارتقا. جلية في
عهد الحكومة الحالية الخ
- ٢٩٦ مطلب عدم ضرورة المروج المدبرة في مصر
- ٢٩٦ » زرع القطن وغرس شجرة التوت وتربية دود القز
- ٣٠٠ » بيان تسبيخ الارض المهيأة لزراعة القطن
- ٣٠١ » زمن بزر القطن
- ٣٠٢ » الاعتناء بشجرة القطن في أثناء انشائها ونموها
- ٣١١ » مساعدة مياه النيل على حسن التلون بالصباغة
- ٣١٢ » تحسين زراعة الأرز بالاقليم المصرية
- ٣١٢ » غرس قصب السكر في مديرية المنية
- ٣١٤ » اقدمية اتخاذ الصوف للصناعة واقدمية الفلاحة وبيان من اختراعها
من الامم
- ٣١٥ » تشريف ملك الصين للزراعة بحرثه بنفسه قدرا من الارض في
يوم مشهود
- ٣١٦ » الاعتناء بتربية المواشى لاسيما تربية الغنم
- ٣١٦ » الاعتناء بتربية الغنم البيض عند الرومانيين والنهبى عن ذبحها
- ٣١٧ » جلب ادوارد ملك الانكايتر من اسبانيا مقدارا جسيما من الغنم
البيض الى مملكته للتنمية
- ٣١٨ » ورود نوع مخصوص من غنم الهند الى بلاد الانكايتر لتحسين
الصناعة باصوافها وما نتج عن ذلك من البراعة

صحيفة

- ٣١٧ مطلب شراء مملكة فرنسا في الازمان السابقة الاصواف المغزولة باثمان
غالية قبل تجديد دواليب الخليج والغزل
- ٣١٩ » ابقاء الصوف بلا جز عدة سنوات وان التجربة افادت افادة
حسنه بعدم جزه كل سنة
- ٣١٩ » الجوخ الفرنساوى المسمى بالكزيمير
- ٣٢٠ » ورود قوافل افريقية الى مصر للتجارة
- ٣٢٢ » تمثل المال والعقل والسعد للاسكندر
- ٣٢٣ (الفصل الرابع) في اسعاد الحاكم للبلاد والعباد
- ٣٢٣ » تأسيس شورى النواب
- ٣٢٤ » تبصر وتصبر أهل مصر عند نفق المواشى بالوباء وذكر نادرة
تناسب ذلك في التعزية بثور أبيض
- ٣٢٥ » جواب التعزية
- ٣٢٦ » القوة المحصلة للغنى
- ٣٢٨ » ان صرف الهمة الى الصنائع في بلدة من البلاد يقطع عرق الفتن
والشروع فيها
- ٣٢٨ » ان الاختراعات الجديدة كان لها نظائر في الازمان القديمة
تقوم مقامها من بعض الوجوه
- ٣٢٩ » وجود البريد في عهد الاكسرة والقيصرة ومن بعدهم من
ملوك الاسلام
- ٣٣١ » ترتيب مراكز البريد من قلعة مصر الى ولايتها
- ٣٣٣ » حمام الرسائل وان منشأه بالموصل ونقل نور الدين الشهيد له
لترتبية في ممالكة
- ٣٣٤ » مراكز الحمام بالديار المصرية

صحيفة

- ٣٣٤ مطلب ما قيل في حمام البطانة من الادب نثرا وتظنا
- ٣٣٧ » مرا كز هجن الثلج في الممالك المصرية وسفن التاج بها
- ٣٣٧ » مواضع المناور بالممالك المصرية لمعرفة الاخبار
- ٣٣٨ » ترتيب المحرقات للمراعى والمخصبات التى يأتى من جهتها العدو
منعاً لا غارته على الممالك المصرية
- ٣٤٠ » مدح الفنى وانه صفة من صفاته صلى الله عليه وسلم
- ٣٤٢ » ما نتج من ثروة الحكومة المصرية واسعافها للاهالى بهذه
الوسيلة فى الاحوال الضرورية
- ٣٤٢ » ان مصر كوكب المشرق
- ٣٤٣ » السياسة واقسامها
- ٣٤٤ » مدح حب المعالى وعدم الاقتناع بالدون
- ٣٤٥ » ان زينة الاسماء الخمسة سادسها
- ٣٤٥ » ان مطبخ نظر مصر التمدن بالاعمال الربحية
- ٣٤٥ » ان تعاطى الاسباب لا ينافى التوكل ولا ينافر القضاء والقدر
- ٣٤٦ » الصورة المثمنة الشكل التى كانت عند اسكندر والمكتوب
على اضلاعها من المسائل السياسية الحكيمية
- ٣٤٨ (خاتمة) فيما يجب للوطن الشريف على ابنائه من الامور
المستحسنة الخ
- ٣٤٨ (الفصل الاول) فى ولاة الامور
- ٣٤٩ » احتياج الانتظام العمرانى الى قوتين قوة حاكمية وقوة محكومة
- ٣٤٩ » اركان الحكومة وقواها
- ٣٥٠ » علم تدبير المملكة
- ٣٥٠ » ان البوليقيقة هى العلم بالسياسة واحوال الناس

- ٣٥٠ مطلب استصابة تعليم ادارة الحكومة لابناء الاهالى فى صفر سنهم
- ٣٥١ » ان استخدام الانسان فى الحكومة يستدعى سبق معرفة باصول وظيفته
- ٣٥٢ » سبب كثرة الامور السياسية عن العموم وجعلها من اسرار الدولة فى الازمان السابقة
- ٣٥٢ » صدور الاوامر الخديوية بقيد ابناء وجوه الناس بوظيفة معاونين ليتصرفوا على الاحكام
- ٣٥٣ » اختصاص الملك بتمالى الاحكام وكياناتها وتفويضه جزئياتها وكلائه
- ٣٥٤ » خصائص الملوك فيما يجب لهم وعليهم
- ٣٥٤ » كون الذمة محكمة قضائية تثيب صاحبها وتعاقبه على الخير والشر
- ٣٥٥ » كون الراى العمومى يحمل ولاة الامور على العدل والاحسان
- ٣٥٦ » ان نفوذ ولاة الامور يعود على الرعية بالفوائد الجسيمة
- ٣٥٧ » وظائف المجالس
- ٣٥٧ » كون دأب المنصب الملوكى الصريح عن الجانى أو تخفيف العقوبة عنه
- ٣٥٨ » تعريف الحلم بالنسبة للملوك
- ٣٥٨ » كون صفح الملك عن الجانى يمحو العقوبة ولا يمحو الذنب
- ٣٥٩ » كون صفح الملك لا يكون فى حقوق العباد
- ٣٥٩ » فى ان عفو الملوك مطلوب لكونهم اولى بالتخلق بأخلاق الرحمن
- ٣٦٠ » الكلام على الرعية وما يفعله الملك لاصلاحهم
- ٣٦٠ » حقوق الرعية المسماة بالحقوق المدنية اى حقوق اهالى المملكة الواحدة بعضهم على بعض
- ٣٦١ » حقوق الدوائر البلدية التى هى فرع من المدنية
- ٣٦١ » سبق تكون الدوائر البلدية على تكون الحكومات والممالك
- ٣٦٢ » سبب تلقيب ربيب الناحية بشيخ البلد
- ٣٦٣ » تحكير الملتزمين فى اوربا قديما على الاراضى والفلاحين

صحيفة

- ٣٦٣ مطلب ما نتج في أوروبا من الحروب الصليبية لاخذ القدس الشريف وغيره
من بلاد الاسلام
- ٣٦٥ » كون الاحكام الاسلامية مقتضية تسوية جميع الناس في العدل والانصاف
- ٣٦٥ » ترتيب عمد الدوائر والمشورات البلدية
- ٣٦٦ » خصائص شيخ الدائرة البلدية
- ٣٦٦ » الترخيص لشيخ الناحية باجراء ما هو من خصائصه بدون
استئذان ممن هو فوقه من الحكام الا في أمور جسيمة
- ٣٦٧ » ما يجب ان يكون عليه شيخ البلد من المعلومات
- ٣٦٧ » كون الملك ينتخب للولايات المهمة من ارباب المعارف السياسية
من فيهم الكفاءة اللازمة والمعلومات الكافية
- ٣٦٩ » (الفضل الثاني) في طبقة العلماء والقضاة وأمناء الدين
- ٣٧٧ مطلب انه ينبغي للعلماء الشرعيين أن يتشبهوا أيضا بمعرفة المعارف
البشرية كالعلوم الحكيمية العملية
- ٣٧٦ » منصب القضاء وجلالة قدره
- ٣٧٦ » اجتماع منصب القضاء مع نقابة الاشراف في عائلة مؤلف
الكتاب ومن تولى من عائلته قضاء مصر وذكر نسبهم
- ٣٧٧ » تقليد القاضي عمر سراج الدين المنفلوطي الطهطاني قضاء مصر
ونسب جده أبي القاسم الطهطاني
- ٣٧٩ » تقليد القاضي محمد بن أبي بكر حسام الدين المنفلوطي الطهطاني قضاء مصر
- ٣٨٤ » الاشراف المنفرعة عن ذرية سيدي أبي القاسم بطهطا وان منهم
اشراف ابيار والقاسمية بالوجه البحري وغير ذلك
- ٣٧٥ » انشاء سيدي أبي القاسم المذكور في الطريقة الى الشيخ محمد الهالالي العرياني
واتناء اولاد أبي القاسم المذكور له في النسب من جهة الام
- ٣٨٥ » تجديد سعادة لطيف باشا ناظر البحر ية سابقا جامع سيدي ابي القاسم الطهطاني

صحيفة

- ٣٨٦ مطلب سبب تخصيص القضاء على مذهب أبي حنيفة النعمان بعد ان
كان تعدد القضاة بتعدد المذاهب الاربعة في سالف الازمان
- ٣٨٧ » اقتضاء الاحوال والمعاملات العصرية تنقيح الاقضية والاحكام
الشرعية بما يوافق مزاج العصر بدون شذوذ
- ٣٨٨ » صحة تقليد غير الاربعة للحاجة وافناء العلامة الصبان في شأن
ذلك مع بعض ملحوظات
- ٣٩٢ » حديث من لم يحمل هم المسلمين فليس منهم
- ٣٩٢ » انتخاب القضاة
- ٣٩٣ » آداب القاضى ووصاياه
- ٣٩٥ » آداب قاضى العسكر المستقل
- ٣٩٦ » التفتيش عن احوال القضاة من طرف ولى الامر كتنقيش غيرهم من الولاية
- ٣٩٨ » سعى علوية المغنى با بن اخته القاضى الخلنجى عند المأمون
- ٣٩٩ » عدم قبول وثى الوشاة وتجبهم
- ٤٠١ » رؤساء أهل الكتاب
- ٤٠١ » آداب بطريك القبط
- ٤٠٢ » آداب رئيس اليهود
- ٤٠٤ » امرة جبلة بن الایهم من قبل قيصر الروم على من معه من عرب
غسان لحرب عرب الاسلام بالشام
- ٥٠٥ » مخالطة أهل الكتاب وما شربهم
- ٤٠٦ » ان محض التعصب في الدين والا كراه عليه لا ينتج الا النفاق
وان الممدوح انما هو التعصب لاعلاء كلمة الله
- ٤٠٧ (الفصل الثالث) في طبقة الغزاة المجاهدين
- ٤٠٧ » كون تولى الملك للحرب العظيم بنفسه من شهامته
- ٤٠٨ » انه يجب على المحارب مساورة العلماء أولى التجارب

صحيفة

- ٤٠٨ مطالب تعريف الشجاعة ✓
- ٤١١ » كونه صلى الله عليه وسلم أشجع الناس قلبا
- ٤١٢ » الاعتراف من الجميع بشجاعة الصحابة
- ٤١٣ » من اشتهر بالشجاعة من الابطال
- ٤١٦ » من جمع بين فضيلتي الشجاعة والرأى
- ٤١٨ » مدح السيف وان القصد منه في بعض المواطن آلات الحرب
- ٤٢١ » وصية حكيم لتلميذه الامير على السرية
- ٤٢٥ » وصية بعض الملوك لناظر جيشه
- ٤٢٦ » كون امراء الجيوش هم نواب ولى الامر في الجهاد وفي عقد العقود والوفاء بالعهود
- ٤٢٨ » وفاء أبي عبيدة عامر بن الجراح بعهدة للروم عند فتح دمشق
- ٤٣٠ » ذم التجرد عن الشفقة والمرحمة بعد القتال في حق الاسرى
- ٤٣٢ » وفاء عمرو بن معدى كرب بالعهد
- ٤٣٣ (الفصل الرابع) في طبقة أهل الزراعة والتجارة والحرف والصنائع
- ٤٣٤ » العماثر الخيرية التي أجرتها والده الخديو ولى النعمة وما أجراه جناب خليل اغا المغفور في نعمائها من المدرسة والتكية المهمة
- ٤٣٥ » خيرات سعادة راتب باشا
- ٤٣٦ » تمام المرغوب وختام المطلوب لسكمال المنافع العمومية من تشكيل شركات مرعية
- ٤٣٧ » فك العهد وتأسيس الدوائر البلدية لراحة الرعية المصرية
- ٤٣٨ » ان تقسيم مصر الآن أنسق من تقسيماتها القديمة
- ٤٤١ » أصل الهوارنة وتوطنهم بالصعيد
- ٤٤١ » انه ليس كل مبتدع مذموم وان المبتدع النافع يقع موقع الاستحسان
- ٤٤٦ » تنمية في دور الطباعة

كتاب

مناهج الالباب المصرية

في

مباهج الآداب العصرية

تأليف

أوحد زمانه * ونادرة عصره وأوانه

المجد في نفع وطنه بنشر المنافع

المرحوم الامير المعظم

رفاعة بك رافع

(ناظر قلم ترجمة واعضاء مجلس القومسيون)

طبعة ثانية

عنى بتصحيحها طبقا للنسخة المطبوعة بدار الطباعة الاميرية الكبرى

« حقوق الطبع محفوظة لحفيد المؤلف السيد محمد رفاعه »

مطبعة شركة الرغائب بشارع المنجلة بالقرب من الحزاوى بمصر

١٣٣٠ * ١٩١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حديث الخير وخير الحديث حمدا لله القديم وأتم صلاته وأعم سلامه
على نبيه الكريم ذى الخلق العظيم المرسل بدينه القويم والهادى الى صراطه
المستقيم وعلى آله منابع الحكم ومنافع الأئم وأصحابه الهادين وخلفائه الراشدين
ثم الدعاء بلوغ أشرف الدرجات العلية للحضرة العزيزة الاسماعيلية أدام الله
لتجديد هذا العصر علاها وخذ على جيد مصر حلاها (أما بعد) فكل
عاشق لجمال العمران وناشق لشذا عبير هذا الزمان يتهلل سرورا ويمتلئ
قلبه جبورا حيث يرى بعين المحبة أنه قد عاد لمصر عزها القديم وبهوها
الفخيم ومجدها المؤثل وسعدها الاول وانها لا زالت مجدة السير على غاية
من السرعة لتحظى بالخط الوافر من نمو المجادة وسمو المنعة وتستحوذ على
ضخامة الشأن ونخامة الرفعة وتصير أبهى قطر من افطار المعمورة وأزهى بقعة
وليس هذا التقدم العجيب والسبق في ميدانه الرحيب الا من عهد المرحوم
محمد على وورثائه من بعده فكل منهم أبدى في مصر من المحسنات بقدر طاقته
وجهدده وعلى حسن نيته وخلوص قصده وفي هذه الحالة الراهنة ظهرت
بمادة العمران ظهورا جليا وصار في معلاها مسمى اسمعيل بصفاء النية عليا
وحظيت بما تحب وتشتهى وفازت من ثمر التمدين ونية الصفاء بلثم مقبله الشهي
ومن يكن أصله قد طاب منبته فماله غير احراز الملا ثمره

فقد تعزز الوطن المحروس والبلد المسأوس بالعلوم والمعارف والمنافع
واللطائف جملة وتفصيلا وتأسيسا وتأصيلا وصارت فيه قواعد التمدين على
أساس مكين وتمكن وجودها من وصف البقاء أتم تمكين فله من أحيائها
آثار المكرمات وبنيها أسوار العهود وبين أسرار المبهيات بالهمة العلية
والنخوة العلوية حتى اختلفت معالم العلوم وآداب اليراعة بعوامل التنون وعمليات
الصناعة واكتسبت براءة التجارة كمال البراعة وتجرى العدل استقامت
الامور واعتدلت مصالح الجمهور ونمت بركة المنافع العمومية بالامنية وسمت
حركة المعاملة وبلغت درجة الأهمية واحرزت مصر بين الممالك المتمدينة أسنى الرتب
وصارت في البلاد المشرقية أهني الاقطار المنزهة عن شوائب الريب فعاد الى
بحرها العذب درره وجواهره وترنم من روعنها فوق الأيك طائرده ووفد
عليها من جميع المسالك كل سالك ومن رفيع المسالك كل أمير ومالك وورد
اليها كل صاحب صناعة يؤديها وبضاعة يبيدها وقصدها كل سياح متفرج
ومتنزه متبرج ومشرقي ومغربي وأعجمي وعربي وامتزج أهلها بهم امتزاج
الماء بالراح والاجساد بالارواح وقوى جأش الجميع حسن سياسة الحكومة
المصرية وشمولها بعين العدل الحقيقي المساوي بين الرعية وغير الرعية مع ما
في طباع أهل مصر من الوفاء للأقارب وخلص النية والصفاء للأجانب
والتواضع والتعجب مع أهل المشارق والمغارب كما قيل

لا تعجبوا من أهل مصر ان وفوا بوعودهم ما في الوفا منهم جفنا

وإني لهم في كل عام نياهم فتعلموا من نيلهم ذلك الوفا

وحسن سياسة حكومتها في هذه الأزمان الأخيرة قد قوت استمدادها

فيما يكون لزيادة العمارة عمدة وذخيرة فقد اختلطت معاشره الأعراب

في الأطراف والاكناف بكل عشيرة واقتبس الأهالي لوطنهم من مستحسن
الصنائع والفنون مالا يحصى كثرة في مدة يسيرة وهذا أدل دليل وأجل برهان
على أنها قد عاد لها الزمان وعدلها بقسطاس تعديل الاماني والامان وصح ما قيل
فيها من موافقها

ديار مصر هي الدنيا وساكنها هم الأنام فقابلها بتفضيل
يامن يباهي ببغداد ودجلتها مصر مقدمة والشرح للنيل
فمن ذا الذي يجحد الآن تقدمها في التمدنية ولا يشهد بترقيها في القيام
بحقوق الوطنية ومراعاتها لما تقتضيه علائق المودة مع أهالي الممالك الاجنبية
فإنها وسيلة عظيمة لانقياد المنافع العمومية الأبية وكل حسنة أخلاق اهل الوطن
مع الاجانب وجذبهم بمغناطيس الألفة من كل جانب يحسن ايضا من الاغراب
أن يحسنوا اخلاقهم ويحفظوا ارفاقهم ورفاههم

لاتعاد الناس في أوطانهم قلما يرعى غريب الوطن
واذا ما شئت عيشا بينهم خالق الناس بخلق حسن

ولما كان من الواجب على كل عضو من اعضاء الوطن أن يعين الجمعية بقدر
الاستطاعة ويبدل ما عنده من رأس مال البضاعة المنفعة وطنه العمومية وينصح
لبلاده ببث ما في وسعهم من المعلومات بذلت جهدي وجدت بما عندي وجلت
في مضمار المحسنات وقلت انما الاعمال بالنيات علما بأن من خدم وطنه برهة
من الزمن عطف عليه بتنسيق أحواله الوطن ومن المعلوم ان طرائق خدمه
عديدة وكلها سديدة مفيدة وادناها يرجع الى تحريض من يعي *

مطلب
سبب تأليف هذا
الكتاب

إذا لم تحارب يا جبان فشيء *
أني سمعت مع الصياح مناديا يامن يعين على الغنى المعوانا

ولاشك ان الوطن كالجسد يصلحه ازالة المعضو الغير النافع كما ان الشجرة
 تثمر بتقليم الفصن اليابس وابقاء الثمر اليافع فلهدا بذلت المجهود لبيان الغرض
 والمقصود بتصنيف نخبة جليلة وترصيف نخفة جميلة في المنافع العمومية التي
 بها للوطن توسيع دائرة التمدنية اقتطفها من ثمار الكتب العربية اليانعة
 واجتديتها من مؤلفات فرنساوية النافعة مع ماسنح بالبال واقبل على الخاطر
 أحسن اقبال وعززتها بالآيات اليبينات والاحاديث الصحيحة والدلائل المبيينات
 وضمنتها الجمل الغفير من امثال الحكماء وآداب البلغاء وكلام الشعراء من كل
 ماترتاح اليه الافهام وتنزاح به عن الذهن الاوهام وتأييده السعادة وتأييد
 به السيادة وبالجملة فقد أودعتها ما يكون لاهل الوطن ذخرا ويعقبه النجاح
 دنيا واخرى وسميتها مناهج الالباب المصرية في مباحج الآداب العصرية
 متحفا بها حضرة ولي عهد هذا الوطن الشريف وحامي حمي مصر المنيف
 الوزير الاعظم والمشير الانخم الجامع لأسباب الفضائل والحكم والرافع لجمعية
 المعارف تحت لواء أبيه أعلى علم من هو بالمجد الاثيل جدير وحقيق حضرة
 محمد باشا توفيق لازال في ظل والده ممتعا بطريف العز وتالده

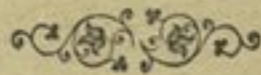
مطلب
 العنوان
 والاتحاف

وإذا الصنيعة صادفت أهلا لها دلت على توفيق مصطنع اليد

فقد بدت من جنابه العالی دلائل حب الاوطان باصطناع التطول
 لجمعية العرفان حيث حلی جيديها بعقود المنة وجعل حصين حماه لها وقاية
 وجنة فلذلك شكر حسن صنيعة الوطن وأطلق حسان مدحه على محمد
 الفضائل لسانه بالثناء الحسن

اطلق لسانك بالثناء على الذي أولاك حسن رغائب وغرائب
 واشكره مشكر الروض حياه الحيا كما تقوم له ببعض الواجب

وكم له حفظه الله على الوطن من صلوات موصولات وعموائد متواصلات
 تقول بلسان حالها معربة عما أسدته اليد البيضاء من جزيل نوالها
 كم من يد بيضاء قد أسديتها تثني اليك عنان كل ودا
 شكر الاله صنائعا أوليتها سلكت مع الارواح في الاجساد
 ورتبت هذا الكتاب على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة حسني بحسنها
 الدعاء مستجاب وعلى الله القبول وهو لبابوغ الأمل مسئول ما



مقدمته

﴿ في ذكر هذا الوطن وما قاله في شأن تمدينه أرباب الفطن ﴾

قد تحقق في مصر اسمها بالمعنى المتعارف أكثر من غيرها لمصير الناس إليها واجتماعهم فيها لمنافعهم ومكاسبهم وما ذاك الا الحسن موقعها العجيب الذي أسرع في اتساع دائرة تقدمها في التأنس الانساني وال عمران واحرازها أعلى درجة التمدن من قديم الزمان وعلى مر العصور وكر الدهور انصقلت في مرآة جوهرها صور أخلاق الخلائق وتهذبت طباعهم على التدريب وتشبثوا بثمرات العلوم والمعارف ووقفوا على الحقائق وبمخالطة غيرهم من الأمم ذاقوا حلاوة الأخذ والعطاء وكثرة العلائق وكما تمدنوا بصنائع العمران تدينوا بما اتخذوه من الأديان وكان يعرف خواصهم وحكامؤهم في الباطن بوحدة الملك الديان ورق الرياض اذا نظرت دفار مشحونة بأدلة التوحيد

« مطلب »
وصف مصر

فتحقق فيهم من الاحقاب القديمة الواسطتان المقومتان اذ ذاك لكمال التمدن والعمران (احدهما) تهذيب الاخلاق بالآداب الدينية والفضائل الانسانية التي هي لسلك الانسان في نفسه ومع غيره مادة تحفظية تصونه عن الأدناس وتطهره من الأرجاس لان الدين يصرف النفوس عن شهواتها ويعطف القلوب على ارادتها حتى يصير قاهرا للسرائر زاجرا للضمائر رقيبا على النفوس في خلواتها نصوحا لها في جلواتها فبهذا المعنى كان الدين أقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها وهو زمام للانسان لانه ملاك العدل والاحسان فالدين الصحيح هو الذي عليه مدار العمل في التعديل والتجريح

« مطلب »
نفع الدين
في الملكة

فحقيق على العاقل ان يكون به متمسكا ومحافظا عليه ومتنسكا فأدب الشريعة
 ما أدى الفرض وأدب السياسة ما عمر الارض وكلاهما يرجع الى العدل الذي
 به سلامة السلطان وعمارة البلدان لان من ترك الفرض فقد ظلم نفسه ومن
 خرب الارض فقد ظلم غيره وأظلم بالاساءة أمسه

(والواسطة الثانية) هي المنافع العمومية التي تعود بالثروة والغنى وتحسين

الحال وتنعيم البال على عموم الجمعية وتبعدها عن الحالة الاولى الطبيعية فان
 نور التمدن الجامع لهاتين الواسلتين تذوق به العباد طم السعادة وبعد تمدنا
 عموميا وأما اذا كان في البلد تقدمات جزئية في أشياء خصوصية كالبراعة
 في الفلاحة فلا يعد هذا التمدن الا محليا ولذلك نرى كثيرا من الممالك والامصار
 امتاز اهلها بمزايا خصوصية وبرعوا فيها بحيث لا تصل الى اصطناعها الممالك
 المتمدنة ومع ذلك فلا تعد في باب التمدن مثل غيرها متمكنة وأيضا الفنون
 الموجبة لتقدم التمدن مختلفة قوة وضعفا فيه ففن الملاحة مثلا أقوى في انتاج
 التمدن من الفلاحة ونقعه أعم منها في توسيع دائرة العمران عند عارفيه وقد
 اقتضت الحكمة الالهية ان الله تعالى لم يجمع منافع الدنيا في ارض بل فرقا
 وأحوج بعضها الى بعض فلا تكتسب الا بالاسفار وجوب مفاوز البراري
 والبحار فالسافر يجمع العجائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب فالمملكة
 التي سخر الله لها الجمع بين صنعتي الملاحة والفلاحة كالديار المصرية لقابلية
 انتظامها محرزة لوسائل التمدن على وجه اكمل بشرط زوال الموانع والعوائق
 التي لا تخلو منها مملكة في ادراك مرامها كما أشار الى ذلك نابليون الاول
 ملك فرنسا بقوله ان فرنسا تسارع دائما في اسباب التمدن وتحصل منه على
 الكثير الا أن دولة الانكليز تعوقها عن تميم بعض اغراضها ولولا ذلك

« مطلق »
 اعانة المنافع
 العمومية على
 التمدن

« مطلق »
 المناضلة بين
 الفلاحة والملاحة

لتقدمت كل التقدم في حيازة جواهر المنافع وأعراضها انتهى فقد لا يستوفي
كيفه الجوهر القائم بنفسه ولكل شيء آفة من جنسه

ويفهم مما قلناه ان للتقدم أصليين (معنوي) وهو التقدم في الاخلاق
والعوائد والآداب يعني التقدم في الدين والشريعة وبهذا القسم قوام الملة المتمدنة

التي تسمى باسم دينها وجنسها لتمييزها عن غيرها فمن اراد أن يقطع عن ملة تدينها
بدينها أو يعارضها في حفظ ملة المتخفورة الذمة شرعا فهو في الحقيقة معترض

« مطلب »
حرية الذمة

على مولاه فيما قضاه لها وأولاه حيث قضت حكمته الالهية لها بالاتصاف
بهذا الدين فمن ذا الذي يجترى ان يمانده ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة

وحسبنا في هذا المعنى قول السكران أما وقد اتسع نطاق الاسلام فكل
امرئ وما يختار فبهذا كانت رخصة التمسك بالاديان المختلفة جارية عند كافة

الملل ولو خالف دين المملكة المقيمة بها بشرط أن لا يعود منها على نظام
المملكة أدنى خلل كما هو مقرر في حقوق الدول والملل وما أحسن قول بعض

الظرفاء

يقولون نصرانية ام خالد فقلت ذروها كل نفس ودينها

فان تك نصرانية ام خالد فان لها وجها جميلا يزيناها

ولا عيب فيها غير زرقة عينها كذلك عتاق الطير زرق عيونها

وعلى ذكر زرق العيون يحسن ذكر قول الشاعر مع ما فيه من التورية

لك يا أزرق اللواحظ مرأي قري أضحي على الوجه يزهي

يا لها من سوائف وخدود ليس تحت الزرقاء أحسن منها

(والقسم الثاني) تمدن مادي وهو التقدم في المنافع العمومية كالزراعة

والتجارة والصناعة ويختلف قوة وضعفا باختلاف البلاد ومداره على ممارسة

العمل وصناعة اليد وهو لازم لتقدم العمران ومع لزومه فان أرباب الاخلاق
والاداب يخشون صولة تقدم أهل الفنون والصنائع ويخافون ارتفاع مراتبهم
بقوة مكاسبهم في المنافع وأهل الفلسفة والعلوم الحكيمة النفيسة يعتقدون ان
الصنائع من المهن والامور الخسيسة وأرباب الاقتصاد في الاموال والادارة
يبالغون في توسيع دائرة المنافع ووسائل العمارة ويتغالون بتكثيرها في دوائرهم
لجباية فوائدهم منها وتيسيرها وباشرون جمع متفرقها ونظم منشورها وبيحثون
عن نشيد كل شاردة وتقييد كل آبدة لان مصلحتهم تقتضيها وحاكم اغراضهم
يرتضيها

« مطلب »
اختلاق
الاغراض في
المنافع العمومية

وارادة التمدن للوطن لا تنشأ الا عن حبه من أهل الفطن كما رغب فيه
الشارع في الحديث حب الوطن من الايمان قال أمير المؤمنين ع ربن الخطاب
رضي الله عنه عمر الله البلاد بحب الاوطان وقال علي كرم الله وجهه سعادة
المرء أن يكون رزقه في بلده وقال بعض الحكماء لولا حب الوطن لماعمرت
البلاد الغير المخصبة وقال الاصمعي دخلت البادية فنزات على بعض الاعراب
فقلت له أفدني فقال اذا أردت ان تعرف وفاء الرجل وحسن عهده ومكارم
أخلاقه وطهارة مولده فانظر الى حنينه لاوطانه وشوقه الى اخوانه قال
الشاعر

« مطلب »
الترغيب في
حب الوطن

وحبب أوطان الرجال اليهم
ما أرب قضاها الشباب هنالك
اذا ذكرت أوطانهم ذكرت لهم
عهد الصبا فيها فحنوا لذلك
ولى موطن آليت اني أعزّه
وان لا أري غيري له الدهر مالكا

(وقال آخر)

بلد صحبت به الشيبية والصبا
وابست ثوب العيش وهو جديد

فإذا تمثل في الضمير رأيتنه وعليه أغصان الشباب تميد
(وقال آخر)

إذا أنا لا أشتاق أرض عشيرتي فليس مكاني في النهى بمكين
من العقل أن أشتاق أول منزل غنيت بحفض في ذراه وامين
وروض رعاه بالأصائل ناظري وغصن نناه بالعداة يميني
وأنى لا أنسى اليهود إذا أتت بنات الهوي دون الخليط ودوني
إذا أنا لم أروع اليهود على النوي فليست بأمون ولا بأمين

والمراد بينات الهوي بنات الدهر أي حوادته فلوطن محبوب والمنشأ
مألوف حتى لغير المتمدن بل يقال ان البادي الجبلي يتعلق بجبال أوطانه
ويعلق بأذيال باديته ولا يعاق الحاضر بمدينته وحاضرتة بحيث لا يتقبل
الجانب من باديته الا للالتجاع في القلوات ويستسهل خرط القتاد ويرى عزه
في الصحارى التي ألف طبعه سكني خيامها وتريض عتله عليها واعتاد كما يدل
لذلك ما حكي عن ميسون بنت بحدل أنها لما اتصلت بمعاوية رضي الله عنه
ونقلها من البدو الى الشام كانت تكثر الحنين على ناسها وانتدكر بمسقط
رأسها فسمعها ذات يوم وهي تنشد

ليبت تخفق الأرواح فيه أحب الي من قصر منيف
واكل كسيرة من كسر بتي أحب الي من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فجع أحب الي من تقدر الدفوف
وابس عباءة وتقدر عيني أحب الي من لبس الشفوف
وكاب ينبع الطراق حولي أحب الي من قيط ألوف
وبكر يتبع الاظعان صعوب أحب الي من بغل زفوف

وخرق من بني غمي نحيف أحب الى من علاج عفيف
 فلما سمع معاوية الايات قل ما رضيت ابنة بحدل حتي جعلتني علاجاً من
 علاج العجم فالعربي كثير التعلق بباديته فلا يتمدح الا بها كما قال بعضهم
 هذا أبو الصقر فردا في محاسنه من نسل شيبان بين الضال والسلم
 والضال والسلم من أشجار البوادي ذوات الشوك فأشار الشاعر بذلك
 الي ما يتمدح به العرب من سكني البادية لان العز عندهم مفقود في الحضر
 فكان العظيم منهم بين الضال والسلم أشهر من نار على علم أو أنه من البعد
 عن الهضم والضم شمس أو قمر بلا غيم بخلاف المتمدن فإنه يكثر النقل
 ولكن في الحقيقة تنقله ثمرة من ثمرات التمدن مرتفعة تعود على الوطن
 بالمنفعة ولا نظر الي من حصل له ذل وهوان فرغب بذلك عن الاوطان
 كما قال الشريف الرضي

مالي لا أرغب عن بلدة يكثر فيها الدهر حسادي

ما الرزق في السكرخ مقيما ولا طوق الولا في جيد بغداد

وقال بعض امرء الحرمين

قوض خيامك عن أرض تهان بها وجانب الذل ان الذل مجتلب

وارحل اذا كانت الاوطان منقصة فالمدل الرطب في اوطانه حطب

فقد يندم الوطن من واحد ويمدح من آخر بحسب حال المتوطن فقد

مدح الشريف المرتضي بابل وتشوق اليها بقوله

الا يا نسيم الريح من أرض بابل تحمل الي أهل الخيام سلامي

واني لاهوى أن اكون بأرضهم على اني منها استفدت مقامي

وقد كنت كالعقد المنظم منهم فيها أناذا سلكا بغير نظام

أبات أرجي أن يلم خيالهم
وكيف يزور الطيف دون منامي
فلا برق الا خلب بعد بينهم
ولا عارض الا بياض جهام
وخالف ذلك شرف الدين البيهقي حيث قال

أبابل لا واديك بالبر مغم
لدى ولا ناديك بالرحب أهل
لئن ضقت عني فالبلاد فسيحة
وحسبك عارا انى عنك راحل
وان كنت بالسحر الحرام مدلة
فعندى من السحر الحلال دلائل
قواف تعير الأعين النجل حسنها
فكل مكان خيمت فيه بابل
وقال آخر يخاطب أحد الملوك

ان تكرموني فاني غرس دولتكم
فما بقيت فطواع ومدعان
وان اهنتم فارض الله واسعة
لا الناس أنتم ولا الدنيا خراسان
وقال آخر في حق مصر

لم لا أدين كبارهم
وصغارهم تيهها وكبرا
ما النيل من ماء الحيا
ة ولا جميع الارض مصرا
فهذا قول المغلوب وكلام مهجور الوطن لا المحبوب وأحسن من ذلك
قول من تغرب وأصيب في الغربة بداء حب وطنه وتجرب
وبلدة قد رمتي بكل داء عنادا
ولو رجعت لاهلي كانت بلادى بلادا

ويكفي حب الوطن ان كرامة الاجلاء منه مقرونة بكرامة قتل الانسان
نفسه في قوله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من
دياركم ما فعلوه (مما يحكي) أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه مر ليلا في
للدينة فسمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها أم هل سبيل الى نصر بن حجاج
 أى الى وصله لانه كان حسن الصورة وهو من بنى سليم فدعاه عمر فرآه أحسن
 الناس وجها وله شعر حسن خلق شعره فكان أحسن الناس بلا شعر فقال له أمير
 المؤمنين لا تساكنى فى بلدى فتشفع نصر اليه ان لا يخرج من المدينة فلم يقبل عمر
 رضى الله عنه فلما ودعه نصر قال له يا أمير المؤمنين سميتى قتل نفسى فقال عمر كيف
 ذلك فقال قال الله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم ان يقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم
 ما فعلوه فقرن هذا بهذا فقال ما أبعدت يا نصر لكن أقول ما قال شعيب ان
 أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله وقد أضعت لك يا نصر عطاءك
 ليكون ذلك عوضا لك ومن أحسن ما قيل فى حب الاوطان قول الصقلي

ذكرت صقاية والاسى يهيج للنفس تذكارها

فان كنت أخرجت من جنة فانى أحدث أخبارها

ولولا ماوحة ماء البكا حسبت دموعى أنهارها

وصقاية جزيرة بايطاليا المسماة الآن سيسيليا كانت فى يد الاسلام من

طويلا ويناسب هذا قول من قال

مثل فؤادك ما استطعت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل فى الارض يألفه الفتى وحينئذ أبدا لا اول منزل

وما أحسن قول بعضهم

على لربع العمارية وقفه ليلى على الشوق والدمع كاتب

ولى مذهب حب الديار لأهلها والناس فيما يعشقون مذاهب

(وقل آخر)

وقائلة ماذا وبفك ههنا بيرية يعوى من العصر ذبيها

فقلت لها قلى الملامة وانصفي هوي كل نفس حيث حل حبيبها
 وحسب المؤمن بحب الوطن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
 خرج من مكة علامتيه واستقبل الكعبة وقال والله لا أعلم انك أحب بلد
 الله الى وانك أحب أرض الله الى الله تعالى عز وجل وانك خير بقعة على وجه
 الارض واحبها الى الله تعالى ولولا ان أهلك أخرجوني منك لما خرجت
 وبالجملة فحب الاوطان على عظم الحسب وكرم الادب أبهى عنوان وهو
 فضيلة جليلة لا يؤدي حق الوفاء بها الا من حاز الشمايل النبيلة ولا تبين عليها
 الا الهمم العلية والعزائم الملوكية التي تقلد أعناق الامة حلى المنة والنعمة فتبعثهم
 على التشبث بالاطوان والتعلق باذيال الاخوان والخلان لاسيما اذا كان الموطن
 منبت العز والسعادة والفخار والمجادة كديار مصر فهي أعز الاوطان لبنيها
 ومستحقة ابرها منهم بالسعى لبوغ أمانيتها بتحسين الاخلاق والآداب من
 جهتين عظيمتين (الاولى) انها ام لساكفيتها وبروالدين واجب عقلا وشرعا
 على كل انسان (الثانية) انها ودود باره بهم مشورة للخيرات منتجة للمبرات
 فبرها يعود على ابناءها ثمرته وترجع اليهم فائدته ويحسن الصنيع بتضاعف
 الفوائد العوائد اضعافا مضاعفة وكلما تحسنت جهات البر من أهاليها حسنت
 أيضا الثمرات لطالبيها فاذا كانت لا تحرم من ثمرات مصر الا جانب فبالأحري
 ان تمتع بها الاقارب في الأثر من أعيته المكاسب فعليه بمصر وعليه بالجانب
 الغربي منها (ويروي) ايضا قسمت البركة عشرة أجزاء تسعة في مصر وجزء
 في الامصار كلها ولا يزال في مصر بركة ما في الارضين كلها وقيل في تفسير
 قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها ان
 المراد بمشارق الارض ومغاربها أرض مصر وقال عليه الصلاة والسلام مصر

خزائن الارض والجيزة غيضة من غياض الجنة ذكر هذا الحديث صاحب
 المفاخرة بين مصر والشام (قال) بعض من انتصب لتفضيل دمشق لكونها
 وطنه على مصر عرفنا طيب الديار المصرية ورقة هوائها ولاكن نحن لانجفوا
 الوطن حيث حبه من الايمان ومع هذا فلا ننكر ان مصر اقليم عظيم الشأن
 وان مغلبها كثير وان ماءها نعيم وان ساكنها ملك او امير وان الذهب فيها
 لا يوزن بالمناقل ولكن بالقناطير وان دمشق يصلح ان تكون بستانا لمصر
 ولا شك ان احسن ما في البلاد البستان وهل دمشق الا لمصر مثل الجنان
 وقال عبدالله بن عمر اهل مصر اكرم الاعاجم كلها واسمهم يداو افضلهم
 عنصرا واقربهم رحما بالعرب عامة وبقرش خاصة يشير بهذا الى هاجرام اسماعيل
 عليه السلام فانها من قرية ام دينار او قرية ام دينين وكلاهما بمصر او يقال انها من
 بلدة بقرب الفرما والى مارية ام ابراهيم فانها من قرية بصعيدها من اقليم الجيزة
 (وقد روى) عن ابي ذر انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم
 ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة وحرما
 فاذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبننة فاخرجوا منها قال فربربيعة وعبدالرحمن
 ابني شرحبيل يتنازعان في موضع لبننة فخرج منها (ويروي) عن عمر امير المؤمنين
 رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل سيفتح
 عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم منكم صهرا وذمة (وقال)
 عبدالله بن عباس رضى الله عنهما دعانوح عليه الصلاة والسلام لولده وولدولده
 مصريم الذى به سميت مصر مصر ا فقال اللهم انه قد اجاب دعوتي فبارك فيه
 وفي ذريته واسكنه الارض الطيبة المباركة التي هي ام الدنيا وما احسن قول

« مطلب »
 بر مصر لبنيتها
 وغيرهم

« مطلب »
 خير مصر
 وبركانها

جميع الارض فيها طيب عيش ولذات وروضات أنيقه
وهذا كله في غير مصر مجازية وفي مصر حقيقه

فلهذا يقال ان مصر هي اختيار نوح عليه السلام لولده وكذلك صارت
اختيار الحكماء لانفسهم واختيار عمرو بن العاص لنفسه واختيار مروان بن
الحكم لابنه عبد العزيز وهكذا فكيف لا وهي بلد العلم والحكمة من قديم
الدهر وحديثه ومنها خرج العلماء والحكماء الذين عمروا ممالك الدنيا بتدبيرهم
وحكمتهم وفنونهم وصنائعهم ولم تزل الى الان يسير اليها طلبة العلم وأصحاب
الفهم من سائر الاقطار لتحصيل درجة السكالم وكفاها فخرا أنها تسمى
خزائن الارض كما حكاها الله تعالى عن يوسف عليه السلام في قوله لملك مصر
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم ولذلك قال بعضهم ان مصر خزائن
الارض كلها وسلطانها سلطان الارض كلها يعني ان يوسف لما تمكن من
ارض مصر يتبوا منها حيث يشاء كان بسططانه فيها سلطان جميع الارض كلها
لحاجتهم اليه والى ما تحت يديه حتى في أيام الخلفاء كانت مثرية بالمآثر
والمسكارم تغني الوافد عليها والقادم كما قال بعض الشعراء

قدمت مصر فأولتني خلاتها من المسكارم ما أربي على الامل
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن تمامها انها جاءت ولم أسل

ومما يدل ايضا على انها كانت بمكانة من التمدن في قديم الازمان قوله
تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام انه قال ربنا انك آتيت فرعون وملاه
زينة وأموالا في الحياة الدنيا وكذا قوله تعالى مخبرا عن فرعون انه قال أليس
لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون قال بعض المفسرين
لم يكن في الارض ملك أعظم من ملك مصر وكان جميع الارضين يحتاجون

الي مصر وأما الأنهار فكانت قناطر وجسورا بتقدير وتديير حتى ان الماء
يجري من تحت منازلها وأفينتها فيحبسونه كيف شاؤوا انتهى وهذا عين
التمدن اذ لا يكون ذلك الا يتقدم الصنائع والفنون ويؤيده بقايا الآثار
المشاهدة التي لا كان مثلها في غير مصر ولا يكون مع ما أمحى منها بشهادة
قوله تعالى ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وقد قنع
المأمون بهذه الآية حين استصغر مصر في عينه وذهل عن حقيقة الدراية
والرواية فأدرك بها من الحكمة الغاية

وبالجملة فهي فرضة الدنيا يحمل خيرها الى ما سواها فيحمل منها من طريق
بحر القلزم الى الحرمين واليمن والهند والصين والسند وبلاد افريقية ومن جهة
بحر الروم الى بلاد الروم والقسطنطينية والافرنج وسواحل الشام والثغور الى
حدود العراق والى صقلية وكريد وبلاد المغرب ومن جهة الصعيد الى بلاد
الغرب والنوبة والسودان والحبشة والحجاز واليمن ولا سيما الآن بوصول
البحرين الابيض والاحمر واتصال افريقية بآسيا على وجه أظهر فهذا يقرب
النقل منها واليها من سائر الاقطار المعمورة والمنظور انها تصير بمنافع جميع
ممالك الدنيا مغمورة وتكثر مخالطتها مع جميع الامم فلا غرو أن يأتي لها زمان
يصير فيه تمدنها راسخ القدم فان لطالع التمدن دورا مخصوصا من أدوار
الجمعيات التأسيسية عند حضور الاوان تسطع أنواره على سائر الافاق والبلدان
وما البدر الا واحد غير أنه يغيب ويأتي بالضياء المجدد
فلا تحسب الاقمار خلقا كثيرة فجمعتها من نير متردد
فكل مملكة تأخذ حظها الاوفر من نير التمدن مدة قرون وأزمان بحمية
أهلها ومغالاتهم في حب الاوطان فقد شبه بعضهم حب الاوطان الحميمية

والغيرة عليها بحرارة جديدة محلية متمكنة من الابدان الاهلية متى حلت
 ببدن الانسان غلبت على الحرارة الغريزية فذلك اذا ظهرت الحمية الوطنية
 في ابناء الديار المصرية وولمت بمنافع التمدنية فلا جرم ان تذكر نارها وتقلب
 على القوة الاولية فيحصل لهذا الوطن من التمدن الحقيقي المعنوي والمادي
 كمال الالوية فبقدر زناد السكد والسكدح والنهض بالحركة والنقلة والاقدام
 على ركوب الاخطار نال الاوطان بلوغ الاوطار

دع الموبنا وانتصب وانتشب واكدح فنفس المرء كداحه
 وكن عن الراحة في معزل فالصفع موجود مع الراحة
 (وقال آخر)

تنقل فلذات الحوى في التنقل ورد كل صاف لا تقف عند منهل
 فما دامت المنافع متفرقة في الجهات فلتنكس الهمم في تحصيلها من جهاتها
 قضاياا موجهات فلا بد لكل انسان وكل مملكة من الحصول على المادة
 الكافية لبلوغ الوطر لا سيما التي لا يعري منها بشر قال تعالى وما جعلناهم
 جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين فاذا انعدمت المادة التي هي قوام
 النفس لم تدم الحياة ولم تستقم الدنيا لاهلها فاذا تعذر على الانسان شيء من
 معاش الدنيا لحقه الوهن والاختلال في دنياه بقدر ما تعذر من المادة عليه
 لان الشيء القائم بغيره يكمل بكماله ويختل باختلاله ولما كانت المواد مطلوبة
 لحاجة الكافة اليها وجب الحصول عليها من جهاتها ثم ان اسباب المواد مختلفة
 وجهات المكاسب متشعبة وانما كانت كذلك ليكون اختلاف اسبابها علة
 الاختلاف بها وتشعب جهاتها توسعة لطلابها كي لا يجتمعوا على سبب واحد
 فلا يلتزمون أو يشتركون في جهة واحدة فلا يكتفون وقد هداهم الله سبحانه

« مطالب »
 اختلاف اسباب
 المواد وتشعب
 المكاسب

وتعالى بعقولهم وأرشدهم اليها بطباعهم حتي لا يتكفوا ائلافهم في المعاش
 المختلفة فيعجزوا ولا يمانو تقدير موادهم بالكاسب المتشعبة فيختلوا حكمة من
 الله سبحانه اطلع بها على عواقب الامور قال تعالى ربنا الذي اعطي كل شيء
 خلقه ثم هدي قيل في تفسيره اعطي كل شيء ما يصلحه ثم هدا له وقيل اعطي
 كل شيء صورته ثم هدا له لميشته وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
 أي معاشهم متى يزرعون ومتى يفرسون وقال تعالى وقدر فيها أفواتها في
 أربعة أيام سواء للسائلين أي قدر في كل بلدة منها ما لم يقدره في الاخرى
 ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد الى بلد

ثم ان الله تعالى جعل للناس مع ما هداهم اليه من مكاسبهم وأرشدهم اليه من
 معاشهم ديناً يكون لهم حكماً وجعل لهم شرعاً يكون عليهم قيماً ليصلوا الى مرادهم
 بتقديره ويطلبوا أسباب مكاسبهم بتدبيره حتي لا ينفردوا بآرادتهم فيتغالبا ولا
 تستولى عليهم أهواؤهم فيتقاطعوا قال تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت
 السموات والارض ومن فيهن ثم انه جات عظمته جعل توصلهم الى منافعهم
 من وجهين مادة وكسب اما المادة فهي حادثة عن اقتناء أصول نامية بذواتها وهي
 شيآن نبت نام وحيوان متناسل قال تعالى وانه هو أغني وأقني أي أغني خلقه بالمال
 وجعل لهم قنية وهي أصول الاموال وأما الكسب فيكون بالافعال الموصلة الى
 الكفاية والتصرف المؤدى الى الحاجة من وجهين أحدهما تقلب في تجارة
 والثاني تصرف في صناعة وهذا ان الوجهان هما فرع لوجهي المادة السابقين
 فصارت أسباب المواد المألوفة وجهات الكاسب المعروفة أربعة أوجه نماء
 زراعة ونتاج حيوان وريح تجارة وكسب صناعة وكذلك حكى الحسن بن رجا
 عن الخليفة الماءون انه كان يقول معاش الناس على أربعة أقسام زراعة

مطلب
 تقسم أسباب
 الاراد والمكاسب

« مطلب »
اختلاف احوال
المنافع
العمومية

وصناعة وتجارة وامارة فمن خرج عنها كان كلا علينا ولكن سيأتي لنا ان
الامارة هي قطب رحي المنافع العمومية

ثم ان احوال المنافع العمومية تختلف بتنقل الأحوال وتغير العادات ولا
يمكن استيعاب طرق تحسينها وأدوات تمكينها وانما يجتهد كل انسان في الحصول
على ما بلغه من الوسع في صنائع زمانه وما استحسن عرفا من محسنات عصره
وأونه ولولا تغير الاحوال والعادات لكان المتقدم كفى المتأخر تكافها وانما حظ
التأخر ان يعاني نشد الشارد مع حفظه وجمع المتفرق بلحظه ثم يعرض ما تقدم
على حكم زمانه وعادات وقته وأوانه فيثبت ما كان موافقا وينفي ما كان شاقا
ثم يستمد خاطره في استنباط الزوائد واستخراج الفوائد واختراع ما به السهولة
وابتداع ما يبلغ رب البصائر ما موله

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها اذا لم يكن للمبصرين بصائر

وهل ينفع الخطي غير مثقف وتظهر الابالصقال الجواهر

فتى اسعف الانسان بشيء اخترعه حظي بفضله بشرط ان يكون ما لوفيا
لوقت وعرف أهله فان لاهل كل وقت عادة تؤلف ومنافع تعرف تقع من
النفوس بموقع المحبة والرغبة لوضوح مسلكها وسهولة ما أخذها والا كان
ضائعا مستهجنا والياتان به تعسف والالزام به تكاف فان العادة حقيقة
بقول القائل

شيء به فتن الوري غير الذي يدعى الجمال ولست أدري ما هو

فان مستحسن العرف والعادة لا يوجبه عقل أو شرع بدليل اختلاف ذلك
باختلاف البلاد كالتجمل والزينة فان لاهل المشرق زيا ما لوفيا ولاهل المغرب زيا
معروفا غيره وكذلك يختلف العرف باختلاف اجناس الطوائف فان للاجناد زيا

مألوفا يخالف مألوف العلماء والتجار وأصله ان يكون للناس على اختلافهم سمة
 يتميزون بها فان عدل واحد عن عرف بلده وجنسه بدون مندوحة عد ذلك
 منه حقا فكل يتبع القيافة الخاصة به ولزوم العرف المعهود واعتبار الحد المحدود
 أدل على الحق وامنع من الذم وربما توهم البعض أن التزبي بزى البلاد الاجنبية
 المشهورة بالتمدن هو من المروءة الكاملة والسيرة الفاضلة فبادر بالامتياز بها
 عن الاكثرين بدون موجب مع ان قيافة بلده لا تنص عنها شيئا وانما قصد
 بذلك الخروج من قيافة وطنه التي استرذلها الا جانب وخفي عليهم تعدى طورهم
 وتجاوز قدرهم وقبح بين أهل الوطن ذكركم

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
 فالتمدن ليس في زينة الملابس بعرف مجهول متخيل استحسنه لا سيما
 اذا كان لا يمكن لمن تزيه به احسانه

وما الحلى الا زينة لنقيصة يتم من حسن اذا الحسن قصر
 وأما اذا كان الجمال موفرا كحسبك لم يحتاج الى ان يزورا

فحاجة الوطن الى المنفعة الحقيقية أشد من حاجته الى تقليد العرف الذي
 هو منفعة ظاهرية ولما كانت الديار المصرية فائقة في المآثر جاهلية واسلاما
 ولها أسبقية التمدن قديما وحديثا والآن تنافس الممالك الاخرى في الفنون
 والصنائع وسائر أنواع المنافع لها الآن أن تزاخم في ميادين صحيح الفخار
 وتصون درجة السلف التامة الاعتبار حتي يصح أن نقول

نشيد كما شادوا ونبني كما بنوا لنا شرف ماض وآخر غابر
 فلهذا وجب علينا أن نسرده في صحائف هذا الكتاب ما يبدو لنا من
 أحوال المنافع الملائمة لزاج الوقت والحال مما عساه أن يستفيد منه الاهالي

الفوائد الجملة من أسباب الرفاهية والنعمة كما قال النابلسي
 لم أزل في الحب يا أملي أمزج التوحيد بالفضل
 وتكفي الأدلة الاقناعية في افاضة أهمية المنافع العمومية وليكون للجميع
 في وسائلها ومقاصدها كمال الملامية
 كل له غرض يسعى ليدركه والحر يجعل ادراكه العلاء غرضاً
 فلأن تعطر ملك مصر بشذا نسام منافع الممالك الاجنبية فصار كما قيل
 كأن تجارا تحمل الطيب عرسوا به ثم فضوا ثم كل ختام
 أي فضوا ختام المسك فتعطرت الارجا فهو لرجاء بلوغ الدرجة الكمالية
 أقرب حصولاً وأرجح

الباب الاول

﴿ في بيان المنافع العمومية من حيث هي وفي موادها ومنفعاتها وما يتعلق بها وفيه فصول ﴾
 تعريف المنافع
 العمومية

الفصل الاول

﴿ فيما تفاق عليه المنافع وبيان موادها الاصلية وانها دالة على التمدن وال عمران ﴾

المنافع جمع منفعة وهي في اللغة ضد المضره ومنه قوله

إذا أنت لم تنفع فضر فانما يرجي النقي كما يضر وينفع

وتد تطلق على الدواء كقوله

هم الناس فالزم ان عرفت طريقهم فقيمهم لضر العالمين منافع

وتطلق على المنفعة الشرعية فتكون عبارة عن جمع ما شرع من أنواع

البر للتعاون عليه كالقرض والعارية والهبة والصدقة والوقف وما أشبه ذلك مما يقتضى الألفة واتفاق الآراء في تدبير المعاش والمعاد وتطلق في عرف تدبير المنزل على ما يفعل لمصلحة تخص بلدة أو مدينة أو مملكة لراحة أهلها وتنظيم أحوالهم من كل ما يعود عليهم بفائدة لها وقع في المملكة وبها يترقى الوطن وتشارك في ثمرتها أربابه فهذا تقييد بالعمومية فهمي بالمعنى العرفي تخص السياسة حيث انه قد لا تقتضي الاوضاع الشرعية المتأدب بها في المملكة عين المنفعة السياسية الا بتأويلات للتطبيق على الشريعة ومع ذلك فهمي المنفعة في السياسة الشرعية على طريق اكتساب المال من غير مهانة ولا عسف وانفاقه في المصارف الحميدة والعاقبة الجميلة الذكر ومبنى المنفعة أيضا على صرف الهمة الى ازالة المكروه عن الناس بقدر ما تسعه القدرة البشرية من اسعافهم واعاتهم وسيأتي في الفصل الاول من الباب الثاني تعريفها في اصطلاح الادارة الاوربية وانها مجمع الفضائل وقد ذكرنا في المقدمة انقسام أسباب المعاش الى أربعة أقسام وهي زراعة وصناعة وتجارة ونتاج الحيوانات ونقول ان هذه المنافع اذا وجدت في مملكة دامت متى روعي فيها العدل والانصاف فتكون مقابلة للاستثمار والتمول وتحصيل النقود والمتاع والعقارات وجميع الاملاك الاحتياطية فبواسطة اكتساب الاهالي هذه المكاسب يصح لهم الانفاق المنزلي مع السعة والثروة وبفضولهم والهم يؤدون حقوق المملكة القائمة بحفظهم وصيانتهم مما يوجب ثروتها واقتدارها وينفقون في سبيل الله ما شاء ان ينفقوا رحمة بذوى الحاجات فهذا يتم النظام المنزلي والنظام المدني وقوام كل من النظامين على الاقتصاد في الانفاق وترك الحرص والطمع والاسراف والتبذير عملا بقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أي لا تمسك عن الانفاق بحيث تضيق

على نفسك وأهلك في وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات أي لا تجعل يدك
 في انقباضها كالمعاولة الممنوعة من الانبساط ثم قال ولا تبسطها كل البسط
 أي ولا توسع في الانفاق توسعا مفرطا بحيث لا يبقى في يدك شيء ثم قال
 تعالى فتقعد ملوما محسورا أي تلوم نفسك وأصحابك يلو موناك على تضييع المال
 بالسكاية ومعنى محسورا مقطوعا عن الاتفاق يعني عاجزا متحيرا وقد ذكر
 الحكماء ان لكل خلق طرفين أحدهما الافراط وثانيهما التفريط وهما
 مذمومان فالجمل مثلا افراط في الامساك وهو مذموم والتبذير تفريط
 في الانفاق وهو مذموم أيضا والوسط ممدوح وهو العدل في الانفاق وهكذا
 كل فضيلة لها طرفان ووسط والوسط عبارة عن الانصاف في الفضيلة وهو
 الممدوح منها ولكن ربما يقطع في الوهم فضيلة أحد الطرفين لعدم الوقوف
 على الحقيقة بترك معاشره أرباب الفضائل فهذا ينبغي تعيين محل تعلم الفضائل
 حتى لا تشبهه باضدادها وبيان ذلك ان الانسان من بين جميع الحيوان لا يكتفي
 بنفسه في تكميل ذاته ولا بدله من معاونة قوم كثيرى العدد حتى تتم حياته
 طيبة ويجري أمره على السداد ولهذا قال الحكماء ان الانسان مدني بالطبع
 أي هو محتاج الى مدينة فيها خلق كثير تتم له السعادة الانسانية فكل انسان
 بالطبع وبالضرورة محتاج الى غيره فهولذلك مضطر الى مصافاة الناس ومعاشرتهم
 العشرة الجميلة ويحبهم المحبة الصادقة لانهم يكملون ذاته ويتمون انسانيته وهو
 أيضا يفعل بهم مثل ذلك فاذا كان ذلك كذلك بالطبع وبالضرورة فكيف
 يؤثر العاقل العارف بنفسه التفرد والتخلي وتعاطي ما يري الفضيلة في غيره فاذن
 القوم الذين رأوا الفضيلة في الزهد وترك مخالطة الناس وتفردوا عنهم اما بملازمة
 المغارات في الجبال واما ببناء الصوامع في المفاوز واما بالسياحة في البلدان

للدروشة لا يحصل لهم شيء من الفضائل الانسانية المدنية المعهودة التي عددناها
 وذلك ان من لم يخالط الناس ويساكنهم في المدن لا تظهر فيه هذه الفضائل
 من العفة والنجدة والسخاء والعدالة بل تصير قوامهم وملكاتهم التي ركبت فيهم
 بالنسبة للخيرات المدنية والمنافع العمومية عاطلة لانها لا تتوجه الى خير ولا
 الى شر بالنسبة للعموم فاذا تعطلت ولم تظهر أفعالها الخاصة بها صاروا بالنسبة
 لقصور صفاتهم عليهم وعدم عودها بالمنفعة على غيرهم بمنزلة الجمادات أو الموتي
 من الناس ولذلك يظنون ويظن بهم أنهم اعفاء وليسوا باعفاء فهم كما قال الشاعر
 يقول أبو سعيد منذر آني عفيفا منذ عام ما شربت
 على يد أي شيخ تبت قل لي فقلت على يد الافلاس تبت
 وتقول العامة من العفة ان لا تجد وكذلك في سائر الفضائل أعني انه اذا
 لم يظهر منهم اضداد هذه التي هي شرور ظن بهم الناس أنهم أفاضل وليست
 الفضائل اعداما بل هي افعال وأعمال تظهر عند مشاركة الناس ومساكنتهم وفي
 المعاملات وضروب الاجتماعات ونحن انما نعلم ونعلم الفضائل الانسانية التي
 نساكن بها الناس ونخالطهم لنصل منها وبها الى سعادات أخر اذا صرنا الى
 حال أخرى وتلك الحال غير موجودة لنا الآن فالسخاء فرع عن وجود مال
 بيد الانسان استفاد بالمخالطة حسن صرفه في الخير فاذا أحسن صرفه بالوجه
 الاوسط كان حازر الفضيلة السخاء وعلى كل حال فمن جوامع الكلام قول بعض
 الحكماء لا خير في السرف كما لا سرف في الخير فمن يطلب زيادة المال ويلتمس
 الكثرة في اسباب المكسب ليصرف مكاسبه في وجوه الخير ويتقرب بها في
 جهات البر ويصنع بها المعروف جدير بالحمد اذا توفى مطالب التبعات ومكاسب
 الشبهات لان المال آلة المكارم وعون على الدين وموآب للاخوان ومن

فقدته من أبناء الدنيا قلت الرغبة فيه وكثرت الرهبة منه ومن لم يكن منهم
بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به وما أحسن ما قاله مع التورية الامام
العارف بقية السلف الطاهر أبو الفضل بن وفي

وخل سمته صفعاً بمال فقال توازعه وه يا صحابي

إذا الحمل الثقيل توازعه أ كف القوم هان على الرقاب

ومثله في التورية ما كتبه ابن أبي حجلة الى الخواجه شهاب الدين الذهبي

وقد مطلقه بحمالة ذهب من قوله

قد منعمت صرف الدنانير عني ولسم في الوري هبات كثيرة

وأنا شاعر وفي شرع نظمي صرفها واجب لاجل الضرورة

قال مجاهد الخير في القرآن كله المال فقوله تعالى وانه لحب الخير لشديد

يعني المال وأحببت حب الخير عن ذكر ربي يعني المال وقوله تعالى فكتابهم

ان علمتم فيهم خيرا يعني مالا وقال تعالى عن شعيب اني أراكم بخير أي بمال

وغنى وانما سمي الله المال في القرآن خيرا اذا كان في الخير مصروفا لان ما أدى

الى الخير فهو في نفسه خير (وقد روى) عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحساب أهل الدنيا هذا المال (وقال) عبد

الرحمن بن عوف يا حبذا المال أصون به عرضي وأرضي به ربي (وقال) ابن

عباس الدرايم والدنانير خواتم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب وحيث

قصدت بها قضيت حاجتك « قيل لبعضهم لم تحب الدنانير وهي تدني من النار

قال هي وان أدنت منها فقد صانت عنها (وقال) بعض الحكماء من الملوكة من

أصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض ومر رجل من أرباب الاموال

بعض العلماء فتجرك له وأكرمه وأدناه فقيل له بعد ذلك أكانت لك اليه

حاجة فقال لا ولكن رأيت ذا المال مهيبا فبهته ويقال الدراهم مرام
 لانها تدوي كل جرح ويطيب بها كل صلح وقال أحيحة بن الجلاح
 رزقت لبا ولم أرزق مروءته وما المروءة الا كثرة المال
 اذا أردت مواساة تقاعد بني عمما ينوه باسمي رقة الخصال
 (وقال بعضهم)

ومن يطلب المال المنع بالقنا يعيش ما جدا أو تخترمه الخوارم
 وقال آخر

كفي حزنا اني أروح وأغتدى ومالي من مال أصون به عرضي
 وأكثر ما ألقى الصديق بمرحبا وذلك لا يكفي الصديق ولا يرضي
 وأما ذم جمع المال فهو محمول على من يقتني الاموال ليدخرها ويكف
 عن صرفها في وجوه الخيرات حيث ان ذلك يستدعي سوء ظنه بخالقه مع ان
 في حسن الظن بالله راحة القلوب مصداق ذلك والذين يكنزون الذهب
 والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم
 ثم ان مشروعية التعاون على المنافع العمومية يدل عليها كثير من الآيات
 والاحاديث النبوية فمن ذلك قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
 على الاثم والعدوان وقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون أي ان من
 أنفق كان من جملة الابرار الذين قال تعالى فيهم ان الابرار اني نعيم على الابرار
 ينظرون الآية والبر ايضا أكثر اعمال الخير فهو صفة جامعة ومعنى الآية عليه
 لن تصفوا بهذه الصفة وهي استجماع اعمال الخير حتى تنفقوا مما تحبون فتفوزوا
 بفضيلة البر فافضل طاعات الانسان انفاق ما يحبه فكان السلف اذا أحبوا شيئا
 جعلوا لله تعالى (روي) انه لما نزلت هذه الآية قال أبو داود يارسول الله لي حائط

أى بستان بالمدينة وهو أحب أموالى الى أفأصدق به فقال عليه السلام بخ
 بخ ذلك مال راجح واني أرى ان تجعلها في الاقربين فقال أبو طلحة أفعل
 يا رسول الله فتمسها في أقاربه ويروى انه جعلها بين حسان بن ثابت وأبي
 بن كعب رضى الله عنهما (وروى) ان زيد بن حارثة رضى الله عنه جاء عند
 نزول هذه الاية بفرس له كان يحبه وجعله في سبيل الله فحمل عليه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أسامة فوجد زيد في نفسه فقال عليه السلام ان الله
 قد قبلها * واشترى ابن عمر جارية اعجبته فأعتقها فقيل له أعتقتها ولم تصب
 منها فقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والانفاق هنا يشمل الزكاة
 وغيرها من كل شيء أنفقه الانسان من ماله يتبني به وجه الله تعالى حتى التمرة
 وقوله مما تحبون فيه اشارة الى ان انفاق الكل لا يجوز كما قال تعالى والذين
 اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فهدا أدب الله تعالى وقال
 عليه الصلاة والسلام ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال الشاعر

عليك باوساط الامور فانها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

ويقال ثلاثة من حقائق الايمان الاقتصاد في الانفاق والانصاف من

مطلب
 المروءة

نفسك والابتداء بالسلام وضابط الاقتصاد في الانفاق ان ما دبره العقل
 وناله الفضل فهو الاقتصاد الجميل الحسن فالعقل السليم لا يميل الى الفرط ولا

الى الشطط بل يتبع الوسط الذي هو خير الامور

ومن شواهد فضيلة البر ودلائل الكرم والانفاق المروءة التي هي حلية

النفوس وزينة الهمم وهي مجارة النفس على أفضل أحوالها (روى) عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم

ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته

وحرمت غيبته (وسئل) بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والمروءة فقال
العقل يأمرك بالأ نفع والمروءة تأمرك بالأرفع ولا ينقاد للمروءة مع ثقل تكافها
الا من سهلت عليه المشاق رغبة في المحمدة وهانت عايه الملاذ حذرا من المذمة
ولذلك قيل سيد القوم أشقاهم أي أكثرهم مشقة قال المتنبي

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال

وقال

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام
والداعي الى استسهال الصعب في التمسك بالمروءة شيثان علو الهمة
وشرف النفس فأما علو الهمة فانه باعث على التقدم وداع الى التخصص أنفة
من خمول الضعة واستكبارا المهانة النقص وفي الحديث الشريف ان الله تعالى
يحب معالي الامور ويكره سفسافها وأما شرف النفس فبه يكون قبول التأديب
وتقويم التهذيب فاذا شرفت النفس كانت للآداب طالبة وفي الفضائل رغبة فاذا
تجرد شرف النفس عن علو الهمة كان الفضل به عاطلا حتي قيل ان شرف النفس مع
صغر الهمة أولى من علو الهمة مع دناءة النفس لان من غلبت عليه همته مع دناءة
نفسه كان متعديا الى طلب مالا يستحقه ومتخطيا الى التماس مالا يستوجبه ومن
شرفت نفسه مع صغر همته فهو تارك لما يستحقه ومقصر عما يجب له والفرق
بين الامرين ظاهر وان كان لكل واحد منهما من الذم نصيب قال الشاعر
ان المروءة ليس يدركها امرؤ ورث المكارم عن أب فأضاعها
أمرته نفس بالدناءة والخنسا ونهته عن سبل العلا فأطاعها
فاذا أصاب من المكارم خلة يئني الكريم بها المكارم باعها
قال أنوشروان الكامل المروءة من حصن دينه ووصل رحمه وأكرم

أخروانه (وقال) بعض الحكماء كامل المروءة من أحب المكارم واجتنب
 المحارم فالبر الحقيقي المذكور في قوله تعالى إن تناولوا البر حتى تنفقوا مما يحبون
 حليف للمروءة الكاملة ويطلق هذه الآية الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم
 إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو
 ولد صالح يدعو له رواه الإمام مسلم رضي الله عنه بلفظ إذا مات المسلم بدل
 ابن آدم فقد حث الحديث النبوي على ثلاث فضائل جامعة شاملة لأساس
 الدنيا والدين في حق صاحب العمل تديم عمله وتجعله باقيا كأن صاحب العمل
 حي بعمله مأجور دائما فهذه الفضائل مخلدة للذكر مؤبدة للاجر وبضدها
 تتميز الأشياء فإن من لا صدقة له في حياته ولا علم ولا ذرية فعمله مقطوع
 من أصله فهو ميت الأحياء حيث عدم الفضائل الثلاثة

«مطلب»
 حديث إذا مات
 ابن آدم انقطع
 عمله إلا من
 ثلاث

فالفضيلة الأولى الصدقة الجارية خصها بعض العلماء بالوقف وجعلها من
 أدلة تشريعها وقال بعدم دخول الوصية في معنى الصدقة وبعدم دخول صدقة
 التطوع والقربة دالة على العموم لا سيما إذا كان الحديث في معرض فضائل
 الأعمال فالعبرة بعموم لفظه فالسداد على أن تكون الصدقة جارية مستمرة
 باقية مخلدة لا ينقطع نفعها ولا يمتنع من الدر ضرعها كخفر الآبار في أي محل
 من المحال حيث يصير النفع بها رصدت على جهة أم لم ترصد وغرس الأشجار
 التي يتظلل بها وأجراء الأنهار وتسليك الطرق وجميع الأفعال الخيرية الدائمة
 فالصدقة الجارية بهذا المعنى جامعة لاكثر أركان المنافع العمومية والأوقاف
 داخلة فيها مما يرصد للمساجد والمدارس ونحو ذلك مما يبتغي به الواقف
 وجه الله تعالى حتى يكون من المنافع العمومية والباقيات الصالحات والأعمال
 الحسنات فإن كثيرا من أرباب اليسار يحرصون على بناء المساجد والمدارس

«مطلب»
 الصدقة الجارية

ويحبسون عليها الدور والخنانات والحوانيت وغيرها ويكتبون أسماءهم عليها
 ليتخذ ذكراً ويذكر في صحف أهل الخير خیرهم فاذا كان هذا البناء وما يرصد
 عليه من وجه حلال طيب كان من مصداق الحديث يعني من الصدقات الجارية
 النفع والثواب والا بأن كان بوجه الاغتصاب أو كان لمجرد الفخر كان راصده
 مجرداً عن الاجر مجازي بالعقاب فلو كان صاحبه رد المال على أربابه لكان
 أولى وكذلك من تظاهر بصرف ماله على الفقراء ممن يرسل الى نظار الجوامع
 والمساجد أشياء جسيمة لا تصل الى أربابها المحتاجين اليها بل أخذها من لا
 يستحقها ويظن مرسلها ان صدقته صادفت محلاً فقد تساهل في صدقته اذ قد
 تعدت مصارفها الحقيقية فأولى من هذه الصدقات الظاهرية صرف الاموال
 في منفعة عمومية حقيقية يكون فيها الغبطة والمنفعة للفقراء والمساكين بحيث
 تعود عليهم مستمرة لا منقطعة

ومن جملة الصدقات ما يكون للنفس فيه خبيثة وهي حب المدح والاعطاء
 والرياء والسمعة يقال فلان يعطى كصدقة المتصدقين في المحافل لتقصد الشكر
 وافشاء المعروف ومن الناس من يكثر من الملاحى والافراح بدون لزوم
 وينفق في ذلك النفقات الجسيمة وهو يعلم كثرة الفقراء في قريته والجباع
 من جيرته وأهل بلده بل ومن أرحامه فلو أنفق عليهم ما صرفه في محض
 اللهو واللعب لفاز ولو استفتى العقل في ذلك لافتاه بالنجاز ولسكن قد فاته
 كمال السباق الى الفضائل في ميدان السابقين وما درى ان أداء الواجب
 خصوصاً في اطعام الفقراء للمستحقين خير من نوافل النوافل بيقين ودون
 من لا يعرف وجوه المصارف الحقيقية وأبواب المنافع العمومية من يجمع المال
 ويخل باخراجه ولا يتصدق به ولا يقرضه لمحتاجه فيجهد النفس في البخل

المهلك ويرى ان الامساك خير من الانفاق وأولى فلا ينتفع بشواب الآخرة
ولا بمنفعة الأولى فهذا قابض بيده على أسباب الحرص والامل ولا شك ان
الحرص من سبل المتالف وآفة من آفات الحرمان واطالة الامل من اساءة
العمل وذلك لما فيه من التسويف وقيل الامل مذموم الا من العلماء فلولا
أولهم لما صنفوا وأيضا لا يخلو الامل من سر لطيف لانه لولا الامل ماتهنأ
أحد يعيش ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا فالمدموم
منه الاسترسال فيه وعليه يحمل حديث أنس رفته أربعة من الشقاوة جمود
العين وقسوة القاب وطول الامل والحرص على الدنيا أخرجه البزار (قال)
بعض الحكماء الرزق مقسوم والحريص محروم والحسود مغموم والبخیل
مذموم وقال الشاعر

لا تحسذن أبا حرص على سعة وانظر اليه بعين الماقت القالي
ان الحريص لمشغول بشقوته عن السرور بما يحوى من المال
وكان المؤمن يعجبه قول أبي العتاهية
تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال
وقبله نبي نفسي الى من الليالي تصرفهن حالا بعد حال
فإلى لست مشغولا بنفسي ومالى لا أخاف الموت مالى
لقد أيقنت انى غير باق وإكفى أرانى لا أبالى
تعالى الله يا سلم بن عمرو الخ

وبعده

هب الدنيا تساق اليك عفوا أليس مصير ذاك الى الزوال
فما ترجو بشيء ليس يبق وتلنى ما تغيره الليالى

قال فلما بلغ سلم الخاسر قول أبي العتاهية قال

ما أقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقا أضحي وأمسي بيمته المسجد
ان رفض الدنيا فما باله يكثر المال ويسترفد
يخاف أن تنفذ أرزاقه والرزق عند الله لا ينفد
الرزق مقسوم على من ترى يسعى له الابيض والاسود

فقد بين ذلك البيت وهو تعالى الله ياسلم بن عمرو الخ نديجة الحرص
وعاقبة البخل فشطره الاول من التهويل المبكت وشطره الاخير من جوامع
الكلام المسكت

« مطلب »
نوادير البخل

وقد تفتن الأدياء وأرباب النوادر في حكاية وقايع لبخلاء اما واقية أو
اختراعية فلندكر جملة منها لترويج النفوس فنقول مما يحكي انه قيل لبعض البخلاء
ما الفرج بعد الشدة فقال أن يخلف على الضيف فيمتذر بالصوم قيل ان رجلا
من البخلاء حضر بخضم الى حاكم فقال يا حاكم المسامين اشتريت البارحة رأسا
فأكلت لحمه وتركت عظمه على بابي لا تجمل به فجاء جاري هذا فنقله الى بابي
وتخاصما فسمعه الحاكم وهو يقول له ويحك انت تقعد يوما على باب داري ويوما
تقعد في ظل جداري ويوما تقول كيف راح فلان فهل بلغك اني على مطلب
قيل وكان العماد الحلبي يقول ليس الشجاع عندي عمرو بن معدي كرب ولا
عنزة العبسي ولا خالد بن الوليد انما الشجاع الذي يري طعامه يؤكل بحضرتة
وهو صابر ويقال ان العماد الحلبي المذكور اشترى مملوكا تركيا فحضر اليه يوم
سبت بدمشق المحروسة فقال له أريد أن أتفرج مع المالك فاعطني شيئا فأعطاه
فلسا فرماه فغضب العماد وقال ويحك ترمي الفلاس وهو النقطة التي في وسط

الدينار فقال له المملوك وكيف ذلك فقال لا ترى في يدك فلسا حتى تصرف
 درهما ولا ترى في يدك درهما حتى تصرف دينارا وهذا الفلوس الذي رميت به
 يقضى حاجة ساعة وحاجة يوم وحاجة أسبوع وحاجة شهر وحاجة عام وحاجة
 الدهر كله فقال له مملوكه وكيف ذلك فقال اما حاجة ساعة فقمعة عميد أو كوز
 فتاع واما حاجة يوم فباقة بقل أو زيت للسراج واما حاجة أسبوع فقطن للقناديل
 واما حاجة شهر فكبريت واما حاجة عام فإلح واما حاجة الدهر فوئد يدق
 في الحائط ليعلق عليه الثياب (قال) عبدالعظيم بن أبي الاصبع نزلت من قلعة
 الرها يوما وصحبنى اثنان من اصحاب الملك المظفر شهاب الدين لقصد السلام
 على العماد الحلبي بالمدرسة وكان وكيل بيت المال بالرها من قبل الملك العادل قال
 فلما اجتمعنا به طلبنا الغداء منه فقال نحن بصريون نتخرج على جاري عادتنا ولكن
 ما احيف عليكم لاني صاحب البيت انا وحدي من عندي ثلاثة أشياء وأتم الثلاثة
 من عنديكم شيء واحد أنا من عندي الغلام الذي يشتري الحاجة والبيت للجلوس
 والسفرة التي يؤكل عليها وأتم الثلاثة من عنديكم الفضة التي يشتري بها الحاجة فقلت
 له يا عماد ما اشبه هذه المخارجة بمخارجة بعض الخلفاء مع نديم له اجتمع به في يوم
 نوروز وعزما على الشرب فقال له نديمه من عندك شيء ومن عندي شيء وقدمت
 المقام وقال اسمع مني شعرا اذكر فيه ما يكون من عندي وما يكون من عندك وأنشد

| | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| مني ومنك غدا يوم نسريه | في صبيحة اليوم ان اليوم نوروز |
| البيت منك ومني الكنس اكسه | والرش مني ومنك الماء والكوز |
| واللحم منك ومني النار تطبخه | والاكل مني ومنك الخبز محبوز |
| والراح منك وريحان وفاكهة | والشرب مني اذا دارت قواقيز (١) |

(١) قوله قواقيز جمع فازوزة وهي مشربة أو قدح أو الصغير من التوارير اه مؤلفه

هذي مخارجة ماسن سنهها في مثل ذالليوم بهرام وفيروز
 وأما قوله نحن بصريون تتخرج على جاري عادتنا فإشارة الى بخل أهل
 البصرة كما تقيده واقعة النضر بن شميل النحوي فانه لما ضاقت معيشته بالبصرة
 خرج يريد خراسان فشيعة من أهلها نحو من ثلاثة آلاف رجل ما فيهم الا
 محدث أو نحوي أو عروضي أو اخباري أو لغوي فلما صار بالمر بد قال يا أهل
 البصرة يعز على فراقكم والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلى ما فارقتم فلم
 يكن فيهم من يتكاف له بذلك وهذه الواقعة تشبه واقعة القاضي عبدالوهاب
 البغدادي المالكي فانه لما نبت به بغداد خرج منها طالبا مصر فشيعة من
 اكبرها وفضلائها جماعة موفورة فقتال لهم لما ودعهم لو وجدت بين ظهرانيكم
 كل غداة وعشية رغبين ما فارقت بغداد ومن شعره فيها

بغداد دار لاهل المال طيبة وللمغاليس دار الضنك والضيق
 أقيمت فيها مضاعا بين ساكنها كأنني مصحف في بيت زنديق

« مطلب »
 ما قيل في
 البخلاء من الشعر

وقيل حلف بعض البخلاء على صديق له فاحضر له خبزا وجبنا وقال
 لا تستقل هذا الجبن فان رطله بثلاثة دراهم فقال ضيفه أنا أجمل الرطل بدرهم
 ونصف قال وكيف ذلك قال آكل لقمة بجبن ولقمة بغير جبن (وقيل) شوي
 لبعض البخلاء دجاجة وقدمت اليه فوجد نخذها قد عدم فنادى في داره
 من ذا الذي تعاطي فعقر والله لا خبزت في هذا التنور خبزا مدة شهر فقال له
 غلامه وكان ذكيا ياسيدي أهلكنا بما فعل السفهاء منا فقال ويحك أما قرأت
 قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (وقيل) سمع
 بعض البخلاء قارئاً يقرأ قوله تعالى الذين يخولون ويأمرون الناس بالبخل فقال
 هنا هم الله (قيل) كان أبو دلف سخيا بالمال بخيلا بالطعام سئل رجل كان

يا كل معه كيف كان طعامه فقال كان على مائدته رغيفان قيل كيف كانت صحانه
قال كأنها خرطت من الخردل قيل فكيف بين اللون واللون قال فترة نبي قيل
فمن كان يا كل معه فقال الكرام الكاتبون وأنشد فيه

أبو دلف يضيع ألف ألف ويضرب بالحسام على الرغيف
أبو دلف لمطبخه قنطار ولكن دونه ضرب السيوف
والقنطار رائحة القدر وما قيل من الأشعار في البخلاء

ثقلت على الرئيس أبي على وكنت على قرينته خفيفا
ومالي عنده والله ذنب سوي أنى كسرت له رغيفا

غيره

رأيت الشيخ أعرض حين جئت وكاد يموت لما أن دخلت
فقلت علام تجزع من لقائي لك البشرى فاني قد أكلت

غيره

ويعجن للضيف في مسعط دقيق الشعير ولا ينخل
ويستقبل الضيف من فرسخ أيا ضيف قل لي متى ترحل

وقال آخر

أتيت عمرا سجرا فقال اني صائم
فقلت اني قاعد فقال اني قائم
فقلت آتاك غدا فقال صومي دائم

وقال الشيخ شمس الدين المزين

مسلماني أضافنا لبنا ماله ثمن
بيض الله وجهه كلما جاء بالبن

وقال الحمدوني

رأيت أبا زرارة قال يوما
 حلال الله من أهل ومال
 لبئن فارقت باب الدار شبرا
 لأنتصفرن منك بكل حق
 فقال له الغلام فان أتاني
 فقال لبئن أتني في البيت هر
 اذا حضر الطعام فلا حقوق
 فما في الارض أقبح من خوان
 لحاجبه وقد حضر الطعام
 على وكل ما يجري حرام
 وعندى منه عرق أو عظام
 وأملاً منك سيفي والسلام
 أبوك وليس لي فيه مرام
 على خبزي أضارب أو أضام
 على لوالدي ولا ذمام
 عليه الخبز يحضره زحام

وقال ابن بسام

أما الرغيف على الخدوا
 ما ان يحس ولا يمس ولا يذاق ولا يشم

وقال الحمدوني

أبو نوح دخلت عليه يوما
 وجاء بلحم لا شيء سمين
 فكان كمن سقي الظآن آلا
 وكنت كمن تغدى في المنام
 فمداني برائحة الطعام
 وقدمه على طبق الكلام

فالمسك عن الانفاق حرصا على الدنيا وخشية من الاملاق ضعيف
 الايمان قليل الوثوق بالرزق الذي ضمنه لعباده الملك الرزاق حيث قال نحن
 قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا مع ان الرزق يتيسر بالصدقات وفعل
 الخيرات فهي من جملة أسبابه فقد قال عليه الصلاة والسلام استنزلوا الرزق
 بالصدقة وقال جعفر بن محمد اني لا أملك فأناجز الله بالصدقة فأربح (وقيل)

لعلي رضى الله عنه كيف يحاسب الله العباد على كثرتهم قال كما قسم فيهم أرزاقهم
وقال الامام مالك سمعت أهل مكة يقولون ما من أهل بيت فيهم اسم محمد
الا رزقوا ورزق خيرا وقال بعض الحكماء ليس كل طالب للدنيا مذموم وما بل
المذموم من طلبها لنفسه فمن طلب الدنيا للدنيا كان مذموماً ومن طلب الدنيا
لاصلاح معاشه ومعاده كان ممدوحاً

وعلى هذا تحمل أحوال الصحابة رضى الله عنهم فكل ما دخلوا فيه من
أسباب الدنيا فهم بذلك الى الله متقربون وفي رضاه متسببون لا يقصدون
بذلك زخرف الدنيا وزينتها ولا ذوق حلاوتها ولذتها ولذلك وصفهم الحق
سبحانه وتعالى بقوله محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم
تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وما ظنك بقوم اختارهم الله
تعالى لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ولما واجهه خطابه في تنزيهه فما أحد من
المؤمنين الى يوم القيامة الا والصحابة في عنقه ممن لا تحصى وأياد لا تستقصى
لانهم هم الذين حملوا الينا عنه صلى الله عليه وسلم الحكم والاحكام وبيدوا
الحلال والحرام وفهموا الخالص والعام وفتحوا الاقاليم والبلاد وقهروا أهل
الشرك والعناد وقال صلى الله عليه وسلم فيهم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم
اهتديتم وقد وصفهم الله تعالى بأوصاف الى أن قال يبتغون فضلاً من الله ورضواناً
فدل ذلك على أن ما ابتغوه من الدنيا لم يقصدوا به الا وجه الله الكريم وقال
سبحانه وتعالى في آية أخرى في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه
يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
فلم ينف عنهم الاسباب ولا التجارة ولا البيع ولا الشراء فلا يخرجهم عن
المدحة غنائم اذا قاموا بحقوق مولاهم

« مطالب »
الرزق

« مطالب »
طالب الدنيا
لغرض

قال عبد الله بن عتبة كان عثمان رضى الله عنه يوم قتل مائة ألف وخمسون
دينار وألف ألف درهم وترك ألف فرس وألف مملوك وخلف من ضياعه
بئر أريس وخيبر ووادي القرى ما قيمته مائتا ألف دينار وبلغ مال الزبير بن
العوام خمسين ألف دينار وترك ألف فرس وألف مملوك وغني عبد الرحمن
بن عوف أشهر من أن يذكر وكانت الدنيا في اكفهم لا في قلوبهم صبروا
عنها حين فقدت وشكروا الله تعالى حين وجدت ابتلاه الله سبحانه وتعالى
بالفاقة في أول أمرهم حتى تكلمت أنوارهم وتطهرت أسرارهم فبذلها لهم
حينئذ لانهم لو أعطوها قبل ذلك فلعلها كانت تأخذ بمجامع قلوبهم فلما أعطوها
بعد التمكن والرسوخ في اليقين تصرفوا فيها تصرف الخازن الأمين وامتثلوا
فيها قول رب العالمين وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فكانت الدنيا في
أيدي الصحابة لا في قلوبهم

ويكفيك في ذلك خروج عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن نصف
ماله وخروج أبي بكر عن ماله كله وخروج عبد الرحمن بن عوف رضى الله
عنه عن سبعمائة بعير ووقورة الاحمال وتجهيز عثمان بن عفان رضى الله عنه
جيش العسرة الى غير ذلك من أفعالهم فتضمنت الآية التزكية لظواهرهم
وسرائرهم ولا شك أن الصحابة الأكرمين والسلف الصالح صاروا قدوة
لغيرهم فهذا المعنى سنوا سننا فكان لهم أجرها وأجر من عمل بها الى يوم
القيامة ولا شك أنها من الصدقات الجارية وداخلة أيضا في العلم الذي ينتفع
به الآتي في الفضيله الثانية وأما ما صنعه الخلفاء من الصدقات فهو أكثر من
أن يحصر ولو لم يكن الا ما فعلته أم جعفر زبيدة بنت جعفر زوجة الرشيد
من الخيرات لكان كافيا في الدلالة على همة الخلفاء في فعل المعروف فقصتها

« مطلب »
ما ر الصحابة
في الصدقات

« مطلب »
الصدقة التي
تصادف عملها

في حجتها وما اعتمدته في طريقها مشهورة أو ليس أنها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار وأنها أسالت الماء عشرة أميال بحط الجمال ونحت الصخر حتي غلغلته من الخل الى الحرم وعملت عقبة البستان فقال لها وكيلها يلزمك نفقة كثيرة فقالت اعملها ولو كانت ضربة فاس بدينار

ثم ان قبل الصدقة يكون في البلاد المتمدنة للمحتاج اليها من الفقراء العاجزين والمتقاعدین والارامل وأهل الضرورات من أهل الديار أو من غريب الاقطار ومن المعلوم أن دين الاسلام الذي شرع لسعادة الامة هو وسيلة التمدن العظمى فأول ما فتح الله سبحانه وتعالى مصر في عهد أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أول من رتب وأرصد من بيت مال المسلمين على الخيرات والعلماء والمجاهدين وأولادهم وعيالهم وأهل الضرورات ما لزم من الارصادات وما زالت هذه الارصادات الشرعية مستمرة في جميع الدول والقرون والله في شريعته أسرار لا يعقلها الا العالمون وتبع أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه على زيادة هذه الارصادات واجراء حقوقها من جاء بعده من الخلفاء والسلاطين فكانت سنة حسنة متبعة الى وقت تولية السلطان نور الدين الشهيد فأحدث هذا السلطان مرتبات وعلوفات وأنشأ أوقافا كثيرة من بيت المال على جهات خير من مساجد ومارستانات أعانت المستحقين على وصول حقهم اليهم من بيت المال بسهولة فقبل للسلطان نور الدين الشهيد ان في بيت المال مرتبات كثيرة مصروفة للفقراء والضعفاء والقراء فلو استعنت بها في الجهاد ومنعتها عن هؤلاء وصرفها للاجناد لكان أمثل فغضب رحمه الله تعالى وقال اني لارجوا لنصر بأولئك القوم قال صلى الله عليه وسلم وهل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم كيف أقطع خيرات

« مطاب »
خيرات نور الدين
الشهيد ومن
اقننى أمره

قوم يقاتلون عني وأنا نائم على فراشي وأصرفها الى قوم لا يقاتلون عني الا
 اذارأوني بسهام قد تخطى وتصيب وهوؤلاء لهم نصيب في بيت المال كيف
 أقطعه عنهم ولا أصرفه لهم ثم تبعه على ذلك السلطان صلاح الدين يوسف
 فأرصد كثيرا من بيت المال للمستحقين والارامل وأرباب الانساب من
 البكرية والعمرية وغيرهم وتبعه الملك الكامل من بني أيوب فانه لما ملك مصر
 أرسل وزيره ليكشف له على أموال مصر وخراجها فأرسل الوزير يخبره
 في رقعة ان المرتبات من بيت المال للعلماء والفقراء في كل سنة مائتان وسبعون
 ألف دينار وانه يحصل بذلك خلل في الخزائن السلطانية ونقص من الاموال
 فكتب الملك الكامل تحت ذلك بخطه الفاقة مرة المذاق والمال مال الله
 الرحيم الرزاق والخلق عيال الله وهو الواحد اخلاق ما عندكم ينفد وما عند
 الله باق أجرُوا الناس على عوائدهم في الاستحقاق فانا لا نحب أن ينسب الينا
 المنع والى غيرنا الاطلاق والاثار الحسنة من مكارم الاخلاق واليكم هذا
 الحديث يساق وقال صلى الله عليه وسلم من تسبب في قطع رزق أخيه المسلم
 قطع الله رزقه

مطلب
 اقرار السلطان
 سليم خان
 المرتبات بمصر
 على حالها

فلما تولى السلطان الظاهر برقوق الديار المصرية أراد أن يبطل المرتبات
 والعلوفات التي احدثها ملوك الاكراد قبله من بيت المال وعقد لذلك مجلسا
 حافلا وقال ان اصول هذه المرتبات قد أخذت من بيت المال بالحيلة وقد
 استغرقت نصف أموال بيت المال وأراد ابطال ذلك فأقنعه علماء عصره ومنهم
 شيخ الشيوخ اكل الدين شارح الهداية مفتي السادة الحنفية وعلامة عصره
 الشيخ البلقيني شيخ السادة الشافعية وغيرهما من العلماء وقالوا جمع ما أرصد
 وقرر على مستحق بيت المال ومصاريفه فلا سبيل لولي الامر على نقضه وانقضى

المجلس على ذلك وتمد أفتى بذلك أيضا سلطان العلماء العز بن عبدالسلام وغيره
 من العلماء الاعلام ولم تزل الملوك العادلون يقتفون أثر من قبلهم في ذلك ويسلكون
 في ترتيب الخيرات واجراء الصدقات الجارية أقوم المسالك الى أن تولى الملك
 المظفر السلطان سليم خان ونظم مصر في سلك دولة بني عثمان فأبقى جميع ما
 بمصر من العرفات والرتبات على ما كان عليه ولما وشى اليه بعض أمرائه
 بأن تلك العرفات قد استغرقت كثيرا من الاموال وطلب منه رفعها لاقتضاء
 الاحوال قبله بالنع والطرد وردد عليه أشنع الرد وقل تلك صدقات من قبلنا
 فلا يجب ان يكون قطعها من قبلنا ولما تولى بعده ولده السلطان سليمان خان
 تغمده الله بالرحمة والرضوان سمي اليه بعض أهل الحدثن وذكروا له ان هذه
 الرتبات الآيلة للاولاد والعيال والخريجات لم تضاف من الشرع محلا وانها
 باطلة فراء وأصلا فأرسل خطا شريفا بابطال ذلك فراجع علماء عصره وزمانه
 ورجوا عظيم عطفه واحسانه وذكروا له ان مراتب وأرصده على تلك الخيرات
 وعلى الارامل وعيال المقاتلة وأولادهم والعلماء لا سبيل الي تقضه شرعا لصدوره
 عن نواب السلطنة مع موافقته للمصالح الشرعية وذكروا له احسان والده على
 الاقطار المصرية فأبقى ما كان على ما كان وزاد من لطفه فوق ذلك الاحسان
 وأصدر فرمانه الشريف وخطه الهمايوني المنيف بابقاء الرتبات على ما هي عليه
 اغتناما للثواب واحرازا للدعوات الصالحات التي ليس دونها حجاب

« مطلق »
 تنظيم الصدقات
 الجارية بأسلوب
 جديد في أيام
 المرحوم محمد علي
 واقتناء خلقه أثره

ولم تزل هذه الارزاق على مستحقيها دائرة وبها عيون العواجز والارامل
 وأهل العلم والقرآن قارة الى ان حصلت الثقلبات والفتن وتصاريف الدهر
 بالمحن وتغلب الفرنساوية على الديار المصرية بعد عسف وجور دولة المماليك
 وسوء تدبيرهم في الرعية ثم أزيحت اشكال هذه البلية وانتج الانتاج الصحيح

نظم مقدمات القضية باستيلاء المرحوم محمد علي على المملكة اليوسفية فكان
من أعظم الاعوان والانصار لمصر في رفع التكاليف الشاقة ودفع متاعب
الاصار فقصد اعادة فضيلة مصر على سائر الامصار مما لم يسبق لها مثله في
سائر الاعصار وقد وجد في ارساد هذه المرتبات شذوذا في أساليب
الترتيب فرد ترتيبها الي نظام جيد عجيب وزاد في هذه الخيرات أضعافا مضاعفة
وأجري ما درج عليه ملوك الاسلام من الطرائق الشرعية والمتعارفة وما أسسه
من صنائع الخير والبركات يكاد أن يكون خصوصية جعلها الله له من أعظم
الكرامات واقتدي به في ذلك خلفه الصالح فجددوا الفعل الخير في مصر صالح
المصالح وفي مشهور الحكم أسعد الملوك ملك له وزير اذا نسي ذكره واذا
ذكر أعانه ونسأل الله تعالى ان يديم العز والنصر لمن يريد الخير العميم لمصر
ومما ينبغي اعانة ولي الامر على مضاعفة المحال الخيرية من أرباب جماعات
الأغنياء واهل الميسرة لتكثير وسائل البر والتقوى كتكثير المارستانات
التي ترصد على المرضى والزمنى العاجزين عن المعالجة في بيوتهم وكترتيب مارستانات
ترصد على الاطفال الذين يلتقطونهم من الطرق والايام وعلى الشيوخ المتقدمين
في السن والعميان والبله والمجانين وأرباب العاهات العاجزين وكالمحال الخيرية
والشركات السلمية اي المتعلقة بالبيع والشراء على سبيل السلم لتسهيل الاخذ
والعطاء وقطع دابر الربا ولاغاثة المهوفين من القرض بربا الفضل ولاعانة
المعسرين والمفلسين من التجار المتعطلين عن الاشغال لحصول حادثة جبرية أوجبت
السكساد وسوء الحال وبالجملة فارصاد التكايا والمدارس والرباطات والشركات
المباحة شرعا وكل ما فيه مصلحة هي مشروعات خيرية لا يستطيع ان تقوم بها
الدولة وحدها أو انسان مخصوص وحده ويد الله مع الجماعة فلا بد في ابراز هذه

« ما »
استحسان اعانة
اهل اليسار لولي
الامر على فعل
الخير الكثير
اهل الخيرية

المصالح الخيرية من جمعية أغنياء ترصد عليها الارصادات وترتب لها الرواتب
اللازمة الدائمة الاستغلال فهذه صدقات جارية من جهة شركات تعاونية يقتسمون
أجرها ويحرزون شكرها لجمعيات فعل الخير بالاشتراك قليلة في بلادنا بخلاف
التصدقات الشخصية والارصادات الالهية يرصدها الواحد في الغالب كالسبيل
والصهرنج والمكتب فان هذا يتجدد بمصر كثير اولا يتأسس له ما به يكون الدوام
والاستمرار ومن العجيب انه يسهل على النفوس احداث الجديد ويصعب
عليها اصلاح القديم المحتاج للاصلاح والتعمير ومع ذلك فالمصر لا يستغنى عن
الخيرات العمومية التي تفتضيها الاوقات والاحوال كارصاد مكاتب لتعليم البنات
لا سيما مكاتب لتعليم فاقات البصر منهن ويتمنى أن من يفوز بارصاد هذه المكاتب
للنساء يكون من الخواتين الغنيات اللاتي يوقفن في العادة أوقافا عظيمة دون
ما ذكر في الأهمية ومن الثابت ان زبيدة زوجة الرشيدى فعالت كثير من الخيرات
وكان لها مائة جارية يحفظن القرآن ولكل واحدة ورد عشر القرآن وكان يسمع
في قصرها كدوى النحل من قراءة القرآن مع ما أحدثته من الخيرات العديدة
وحسبها العين الجارية بالحجاز المسماة عين زبيدة فليت جميع الخواتين والهوانم
يقتدين بها في احياء المآثر واسداء المكارم

وكذلك عطاء الامراء فانهم أولى بالارصادات العظيمة التي تليق بمقامهم
فياليهم يقتدون في ذلك بحضرة الامير راتب باشا الشهير ناظر عموم
الاقواف سابقا حيث بنى رواقا واسعا متصلا بالجامع الازهر موقفا على طلبة
العلم من الحنفية وعلى مدرسى هذا المذهب وأجزل فيه من الخيرات الوفية
لتكثير اهل المذهب فرواقه الآن بالازهر علم منيف وطرار مذهب بل
عمت خيرات الباشا المشار اليه للتواصله حتى اقتضت احياء مذهب السادة

الحنابلة فقد رتب لرواقهم جرايات للشيخ والطابة وحضر وامن الشام لاحياء
 هذا المذهب وكان المشار اليه للخير العظيم سببه فهذا هو فعيل الخير المبني
 علي الاخلاص في البر والاحسان من أمير خطير هو خلاصة اشرف معد
 وعدنان فما أحسن هذا الصنيع من الامير صاحب المقام الرفيع الذي وضع
 الندى في موضعه وما أوضع الحريص المضيع لماله لشرهه وطعمه

وما ينظم في سلك التعاون علي البر والتقوي ومراعاة وجه الله الكريم
 في التمسك بالسبب الأقوى ما صنعه حضرة خليل اغا باش أغاوات حضرة
 ذات الدولة والعصمة والدة الجناب الخديوى ولي النعمة حيث انشأ بجانب
 المشهد الحسيني مدرسة لعدد كثير من الايتام المنقطعين وأوقف عليها ما يقوم
 باجراء عوائدها وتبرع لها بما لم يسبقه به أحد من المتبرعين فخص رأس
 مال جسيم لدوام هذه المدرسة ونشر علومها وأسس أصولا مستحسنة لحسن
 ادارتها وتنظيمها وانشأ أيضا تكية للأغوات المديعي الاكتساب ولم يسبق
 في ذلك وخصه الله بالهام هذا الصواب وهذا مما يخلد ذكره ويضاعف ثوابه
 وأجره وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزيد في العمر الا البر ولا يرد القدر
 الا الدعاء

وهذا كله اتفاق ممدوح وعلامة القبول عليه تلوح بخلاف اتفاق من
 يحمل نفسه ولو في الضيق فوق ما تطيق فيعلوه الدين الذي لا يعرف له جهة
 وفاء فيدخل نفسه في ربة الضيق ويعدم الحميم والصديق فتسوء أخلاقه ولا
 ينفعه تصدقه وانفاقه قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت ان قتلت
 في سبيل الله مقبلا غير مدبر أيكفر الله عنى خطاياي قال نعم الا الدين بذلك
 اخبرني جبريل وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال صاحب الدين محبوب عن

« مطلب »
 الدين

الجنة بدينه * طلب رجل حكيم من رجل أن يدينه ديناً فلم يفعل فقَالَ
الحمد لله لم يكن من منعك إلا أن وجهي أحمر من الحياء مرة واحدة ولو
أعطيتني لم يصفر وجهي من مطابقتك مرة بل ألف مرة قال تعالى وعسى أن
تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعلى لسان العامة لاهم الأهم الدين ولا وجع إلا
وجع العين وهذا كله محمول على الدين الذي ينفق في غير الرشد أو يترتب
عليه المظل وعدم الوفاء والالما كان القرض مشروعاً (وقال) جعفر بن
محمد المستدين تاجر الله في أرضه * وقال عمر بن عبد العزيز الدين وقبر
طالما حمله الكرام (وقال) عمرو بن العاص من أكثر صديقه أكثر دينه وقال
بعضهم الدين رق فلينظر أحدكم أين يضع رقه وكان ابن الزبير رضي الله عنه
ينشد

الليت النهار يعوّد ليلاً فان الصبح يأتي بالهموم
حوارج ما نطق لها قضاء ولا دفعا وروعات الغريم
وذلك لأن الدين هم بالليل وذل بالنهار فالعجب كل العجب ممن يتطوع
بالخير ويتصدق بأموال الناس ويخلط العمل الصالح بالسيء ويظن أنه من الفعل
الحسن مع أنه بعزل عن الحزم والاستقامة معتمداً على قضاء دينه الذي استدانه
بدون باعث شرعي ولا مقتضى سياسي ومعوّلاً على سوف وعسى وأمل فهذا
هو المديان الذي يتراكم عليه الدين ودين الدين لا إلى نهاية ولا إلى أجل بل
ربما لا ينتهي وإن انقضى الأجل فصدقة من هو بهذه المثابة قل إن تقع موقع
الإصابة فليست موضع الصدقة الجارية المذكورة في حديث إذا مات ابن آدم
انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية الحديث وإنما موضوعها أرباب الغني
واليسار أفراداً واجتماعاً انفصلاً واشتراكاً ومن المعلوم أن مكارم الأخلاق

ممدوحة عند جميع الدول والممال لاعانة المحتاجين لالاهل البطالة والكسل
ولهذا لما تغلبت الفرنساوية على الديار المصرية لمحو أن بها كثيرا من
الكسالى القادرين على الاشغال الذين يؤثرون السؤال على الاعمال ويلجئون
في الطلب فحق حاكمهم من ذلك ونشرقا نونا مشتملا على خمسة بنود
البند الاول جميع الناس الذين يسألون الناس في الطريق ويطلبون الحسنة
منهم يصير القبض عليهم وحضورهم امام ضابط مصر ثم يتوجهون الى سجن
القلعة ما لم يكونوا من اصحاب العاهات كالعميان والمرجان والعاجزين
عن الاشغال

«مطلب»
قانون الشحاذاة

البند الثاني كل ملة من الاسلام والنصارى من أروام وقبط وشوام
ومن اليهود أيضا تعمل من الآن فصاعدا حانوتا لقبول كافة العميان والمرجان
والشحاذين العاجزين عن الشغل يكون معدا لهم
البند الثالث كل رئيس ملة يلزم بلوازم حانوته وكافة مصاريف الحانوت
من نفقة الاكل والشرب وخلافه تقرر على اعلى الملة المذكورة
البند الرابع في مدة تدبير الحوانيت وترتيبها يأمر كل كبير ملة بجمع
كافة فقراء ملته ويرضيهم ويعطيهم لوازم الاكل والشرب والسكنى الى حد
انتهاء تدبير الحوانيت المذكورة واستكمالها

البند الخامس يجب على كبير كل ملة أن يتصرف في أمر تدبير الحانوت
لملته ويأخذ الامر اللازم لذلك من شيخ البلد ويسمى في اتمامه فهذه التدابير
في حد ذاتها خيرية ولكن الحكومة المصرية الحالية قد كفت أهل الحاجة
والمسكنة مؤنة السؤال ورتبت للجميع في جامع طيلون اسبتالية جسيمة منقسمة
الى بلوكات للفقراء والمساكين وأرباب العاهات من نساء ورجال وكبار

وأطفال يتحقق بها جاري الصدقات الوطية حيث نافست قديم المرتبات القلاوونية
فمثل هذه من الصدقات الجارية المذكورة في حديث اذا مات ابن آدم
انقطع عمله الا من ثلاث الحديث

والفضيلة الثانية تؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم أو علم ينتفع به أي علم
علمه الانسان لغيره فصار نافعاً والعلم النافع مرادف للحكمة المفسرة به فهو
ما يوصل الى الصفات العلية والمناقب السنية ويثمر الثمرات الدنيوية والأخروية
ويدعو الى المكرمة وينهى عن القبيح وهو المراد بقوله تعالى ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً حيث فسر العلماء الحكمة بتفسير كثيرة
ترجع الى العلم النافع والافعال الحسنة الصائبة فالعلم بهذا المعنى يشمل العلوم
النظرية والعملية يعني معرفة الحقائق والاقدام عليها بالعلم فجميع العلوم النافعة
عقلية وتقليدية ونظرية وعملية داخلة بهذا المعنى تحت قوله صلى الله عليه وسلم
أو علم ينتفع به

ثم ان العلم أشرف ما رغب فيه الرغب وأفضل ما طاب به وجد فيه الطالب
وأنتفع ما اكتسبه واقتناء الكاسب

إذا رمت تسمو لنيل العلاء وقدرك بالله عبال وغال
فبالعلم فاسم لها محرزا فما مثله لطلاب المعالي
لان شرفه يتم على صاحبه وفضله يتمي عند طالبه قال تعالى هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون فمنع من المساواة بين العالم والجاهل لما خص به
العالم من فضيلة العلم وأنشد الرشيد عن المهدي

يا نفس خوضي بحار العلم أو غوصي فالناس ما بين معوم ومخمص
لا شيء في هذه الدنيا يحاط به الا احاطة منقوص بمنقوص

وقال علي كرم الله وجهه قيمة كل امرئ ما يحسن فقيل في هذا المعنى

لا يكون العلي مثل النبي لا ولا ذو الذكاء مثل النبي

قيمة المرء قدر ما يحسن المرء قضاء من الامام علي

واعلم ان كل العلوم شريفة ولكل علم منها فضيلة والاحاطة بجميعها
امر محال (قيل) لبعض الحكماء من يعرف كل العلوم فقال كل الناس وحسبك
قوله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا قال بعض الحكماء التعمق في العلم
كالسباح في البحر ليس يرى أرضا ولا يعرف طولها ولا عرضا

قل للذين قضوا في العلم عمرهم ثم اطمانوا وظنوا أنهم فرغوا

العلم أعظم مما تزعمون فيكم قد بالغ الناس في هذا وما بلغوا

واذا لم يكن الى معرفة جميع العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام الى
معرفة أهمها والعناية بأولها وأفضلها ذأولى العلوم وأفضل العلوم الشرعية التي
بمعرفة جميع الناس يرشدون وبجهلها يضلون ولا يهتدون فهي كما قال صلى
الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال صلى الله عليه وسلم خيار
أمتي علمؤها وخير علمائها فقهاؤها وروى عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال التفتة في الدين حق على كل مسلم الا فتعلوا وعلموا وتفقهوا ولا تموتوا
جهالا انتهى

وريمبال بعض التهاونين بالدين الى العلوم العقلية ورأى أنها أحق بالفضيلة
وأولى بالتقدمة استثقلا لما تضمنه الدين من التكليف واستصعابا لما جاء
به الشرع الشريف من العبد والتوقيف ولكن قل ان ترى ذلك فيمن سلمت
فطنته وصحت رويته لان العقل يمنع من ان يكون الناس هملا او سدى
يعتمدون على آرائهم المختلفة وينقادون لأهوائهم المتشعبة لما تؤل اليه أمورهم

من الاختلاف والتنازع وتفضى اليه احوالهم من التباين والتقاطع فلم يستغنوا
 عن شريعة يألفون اليها ويتفقون عليها * ونقل القطب الشراني عن شيخه
 سيدى على الخواص انه قل أحب لآخواننا من طلبية العلم ان لا يتحكموا
 على علم الله القديم بظاهر أدلتهم واقاويلهم وان لا يعطلوا أنفسهم من العمل
 ويقولون حتى نفرغ من التعلم ثم نعمل وان لا يستغرفوا عمرهم في زوائد العلوم
 التي لا يحتاج اليها الا في النادر وان لا يتركوا عمل الحرفة التي يكون بها اقوام
 معاشهم خوفا عليهم ان يأكلوا بدينهم وعلمهم أو يتعرضوا لصدقات الناس
 وأوساخهم فان الاكل بذلك يطمس أفهامهم بخلاف أكل الحلال فان له
 مدخلا في فهم دقائق العلوم ولذلك فاق النووي أقرانه مع قصر عمره وصار
 ترجيح المذهب راجعا اليه لانه كان لا يأكل الا من الحلال أنتهى (وقال)
 بعضهم ارزاق الفقهاء من صدقة أموال الظلمة مكذرة بشروط الواقفين
 منغصة بمن النظار من باشرها أكلها صدقة ومن لم يباشرها أكلها حراما
 وباجلثة فان الاكل من صدقات الناس وولائمهم يقسى القلب ويسد الفهم وهو
 ضد الورع فالعلماء للشريعة هم الزمام وبانتظام احوالهم يكمل الانتظام فاذا
 تكسبوا من الحلال بصنعة استغنوا عن الشبهة المتوسطة بين الحرام والحلال
 واكتفوا شر السؤال كما قيل

ان حزت علما فاتخذ حرفة تصون ماء الوجه لا يبذل
 ولا تهنه أن يرى سائلا فشان أهل العلم أن يسئلوا

ويتعلق بالشريعة الفراء عدة علوم بين الشافعي رضى الله تعالى عنه فضيلة
 كل علم منها فقال من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه نبيل مقداره
 ومن كتب الحديث قويت حجته ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم

«مطلب»
 تعداد فضائل
 العلوم الشرعية
 وآلاتها

العربية رق طبعه انتهى فقد جمع في ذلك العلوم الشرعية النقية وأدواتها وهي علوم العربية والرياضية التي عبر عنها بالحساب (قال) بعضهم وأما العلوم العقلية فترجع الى أربعة علوم فعلم له أصل وفرع وعلم له أصل ولا فرع له وعلم له فرع ولا أصل له وعلم لا أصل له ولا فرع له فاما الذي له أصل وفرع فهو الحساب والعلوم الرياضية ليس بين أحد من الخلق فيها اختلاف

فالحساب مستنبط من حروف المعجم وهو في حد ذاته أصل من أصول العلوم النافعة لانه كما قال ابن حجاج به يعلم عدد الصلوات والزكوات والصيام والشهور والسنين وتحدث السنون من الشهور والشهور من الجمعات والجمعات من الايام والايام من الساعات والساعات من الدرج والدرج من الدقائق والدقائق من الشعائر والشعائر من الانفاس وتنتهي قسمة الانفاس الى أجزاء لا يعلمها الا الله تعالى ومنشأ هذه الازمنة من دوران الفلك ويستدل على ذلك بسير الكواكب والشمس والقمر فتنشأ بين ذلك كله الازمنة والاقوات التي يستدل بها على معالم الدين من اوقات الصلوات والصيام والحج وحين الزكاة ومدد عدد النساء ومحل الآجال ويقيد ذلك كله بالحساب والعدد حتى لا يشذ شيء مما يحتاج علمه بالتاريخ المصطلح عليه وقد عدد الله تعالى نعمه علينا بذلك في قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقد أخذت العرب حسابهم من أبجد فوجدوه ينتهي من واحد الى ألف لا زيادة ولا نقصان اولها الالف الذي هو واحد وآخرها الغين الذي هو ألف ولكن تعبدت الامة المحمدية برؤية الهلال عند الصوم وعند الافطار لا بالحساب الذي يقوله الحساب والمنجمون من ان الهلال لم يظهر لانه كان في حجاب

« مطالب »
الحساب

الشمس أو في السرار مما لم نتعبد به بل أحانا الشرع على الرؤية التي يستوى فيها
 الناس فقال صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاقدروا
 له أى اكلوا عدة شعبان فهذه منافع الحساب في العبادات والعادات ومنافعه في
 المعاملات والعقليات وفي كل شيء لا تحصى ولا تحصر فهو أصل له فروع
 كثيرة * والعلم الذي له أصل ولا فرع له فهو علم النجوم فالنجوم لها حقيقة
 وأثر ظاهري في العالم كالفصول والاقوات ونحو ذلك ولا يتفرع عنها شيء
 وأما العلم الذي له فرع ولا أصل له فالطب فانه مبني على التجارب الى
 يوم القيامة يعنى أن أصله من نفسه فهو يتجدد بفروعه التجريدية وهذا لا يمنع
 من كونه يتسم الى عدة أقسام اتسمت أيضا فروعها بالتجارب حتى صارت
 علومها وتعددت موضوعاتها بالنسبة لأجزاء بدن الانسان على تعددها
 فالموضوع الكلى للطب المبحوث عنه فيه هو بدن الانسان صحة واعتلالا
 ثم تعدد الموضوع كطب العين والاذن والانف وهكذا وكالتشريح وتشخيص
 الامراض وكل هذا هو عين التجربة التي هي دائما آخذة في التجدد الى ما
 شاء الله * وأما العلم الذي لا أصل له ولا فرع فهو العلوم السوفسطائية
 والمغالطات والجدليات التي هي عبارة عن الفاسنة الفاسدة الهادمة لاصول
 الاديان والفلسفة الصحيحة المرادفة للحكمة وأما العلوم الشرعية فهي وآلاتها
 أول العلم النافع

« مطلب »
 تقسيم العلوم

وقد اعتنى العلماء بالتنايف فيها لاسيما العلوم الثمانية وهي علم التفسير
 ويلحق به علم القراءات والتجويد ثم علم الحديث دراية ورواية ثم علم الفقه
 ثم علم أصول الدين ثم علم النحو ومنه الصرف ثم علم المعاني والبيان ويلحق
 بهما البديع والعروض ثم علم التتميم وكل هذه علوم نافعة ثم يليها الفنون

والصناعات وهي أيضا علوم وعمليات من درجات أخرى متفاوتة لا تتم العلوم الشرعية الا بها وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب فان الفنون والصنائع عليها مدار انتظام الممالك وتحسين الحالة المعاشية للأمم والا حاد فهي من فروض الكفايات أو ليس ان من الفنون صناعة الخط الذي له فضل وشرف ومنفعة لا يجهلها من عرف وبه تقيد العلوم وتثبت وتررع في الصدور فتثبت وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المحكم اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقال عليه الصلاة والسلام قيدو العلم بالكتابة وما لم يكن عند اكثر العرب كتابة في الجاهلية وكانت اذ ذلك امة أمية جعل لما الشعر عوضا فادركت به مراما وغرضا أقيم عن الكتابة مقامها فابتدت بمحفوظ الشعر كلامها وعرفت به انسابها وأيامها فكان أول من أدخل في بلاد العرب الكتابة العربية هو سيدنا اسماعيل فاخص بهذه الفضيلة الاولية وأول من أدخل الكتاب العربي أرض الحجاز هو حرب ابن أمية أو سفيان بن أمية فتشبهوا بالحقيقة وساعدتهم على المجاز يعني فازوا بالصناعتين واتسعت تجارتهم بالبضاعتين وقس على منفعة الخط في البلاد المنظمة غيره من الفنون والصناعات التي اكسبت جميع البلاد المجد والمظمة مما يفيد المال الصالح للرجل الصالح فانه لا تصلح التفعال الا بالاموال من الحلال والاموال لا تكون الا بالكسب من وجه من وجوه الصنائع المعاشية لتعين على المعادية فلا أحسن ممن يكسب المال من حله وبصرفه في محله ويكف به وجهه عن الناس فالفنون التي هي وسائل ذلك ليس عنها مندوحة وهي في الشرع ممدوحة فلا مانع من دخولها تحت قوله صلى الله عليه وسلم أو علم ينتفع به أي نفعا متصلا دائم الثواب فالحديث الشريف

لغة

د طالب
فضل الكتابة

في
فان
لا
و
ولا
خ
وا
ت
ب
الك
و
الد
ما
من
ش
ال
ان

في قوله أو علم ينتفع به شامل لتعليم المعارف النافعة سواء كانت علوماً أو
 فنوناً أو صناعات أو آلات فانها لا تخلو عن مدارك علمية وشامل أيضاً
 لاجتهاد المجتهدين ووضع الواضعين وتدوين المدونين والتصنيف والتدريس
 وغير ذلك فالعمدة على العمل الذي ينشأ عنه معلومات نافعة لأهل الملة والوطن
 وللناس أجمعين ويدل على ذلك ما ورد في رواية أخسرى اذا مات ابن آدم
 ختم على عمله الا عشر فذكر هذه الثلاثة وزاد غرس النخل وورثة المصحف
 والرباط في الثغر وحفر البئر واجراء النهر وبناء بيت للغريب وبناء مسجد لله
 تعالى وتعليم القرآن فهذا يفيد أن الصدقة الجارية يدخل فيها جميع ما ذكر كما
 بيناه اولاً وتعليم القرآن وورثة المصحف يدخلان في العلم المنتفع به وان
 الثلاثة المذكورة ليست حاصرة فلا مانع ان يقاس على التعليم كتابة الكتب
 وطبعها ممن يأمر بذلك او يباشره او يعين عليه أو من يدل عليه حيث كان
 الدال على الخير كفاعله

فكل من سن سنة حسنة دائمة النفع فهي داخلة في العلم النافع يدل على ذلك
 ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام في قوله من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر
 من عمل بها الى يوم القيامة فالؤمن الفارس غرساً حسياً أو معنوية يحصد ثمره
 ثمراً حلواً حسياً أو معنوية ففرسه لا يثمر شوكا مادام ملازم الاخلاص فقاصد
 النفع العمومي يشاب ثواب الخواص فحصر الامام السيوطي للمستثنيات من
 انقطاع العمل فيما هو مذكور في النظم الآتي وهو

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| اذا مات ابن آدم جاء يجرى | عليه الاجر عدد ثلاث عشر |
| عادم بثها ودعاء نجرى | وغرس النخل والصدقات تجرى |
| وبيت للغريب بناه ياوى | اليه أو بناء محل ذكر |

ورأته مصحف ورباط ثغر وحفر البر أو اجراء نهر
وتعليم لقرآن كريم شهيد في القتال لاجل بر
كذا من سنن صالحه ليقضى نخذها من احاديث بشعر
والكل في الحقيقة ترجع الى الثلاث وتزيد بالنظر لفروعها التي لا تحصر

فالعدد لا مفهوم له

وما أحسن قول الزمخشري وقول من خمسة آياته

«مطلب»
الاجتهاد في
تحصيل العلم
ومدحه

قطع الجهول زمانه بتنزل ان الجهول عن الكمال بمنزل
انا لا اميل الى كلام العذل سهري لتقريح العلوم أذلى
من وصل غاية وطيب عناق

ان كنت جئت لدى العدا بتيصه فهي الكمال وذلك عن خصيصه
طلي لغاليه بسذل رخيصه وتمايلي طربا لحل عوصه
في الذهن أبلغ من مدامه ساقى

سم الجماله زال من ترياقتها وهي العلوم بمقتضي اشراقها
حررتها بالطرس باستحقاقها وصرير أقلابي على أوراقها
أشهى من الدوكاء والعشاق

فنهض لتحصيل العلوم ووفها حقا بأشرف حالة وأعفها
ان كفت عن السوى بأكفها وألذ من نقر القيان لدفها
نقرى لألقى الرمل عن اوراقى

تلو على اوج المعالي همتي في نيل مقصودي وقرب أحبتى
وانا الذي عزمى كسيف مصات يامن يبالغ بالاماني رتبتي
كم بين مستعل وآخر راقى

أصبحت موصوف العلامنوعته لا أختشى من جانب تفويته
يا قاصرا فينا يحاول صيته أأبليت سهران الدجى بتبئته
نوما وتبني بعد ذلك لحاقى

فمن هذا ينتج ان صاحب العلم أو الفن أو الصناعة ينبغي دائما ان يجتهد
في تكميل قواعد علمه أو فنه او صناعته أصولا وفروعا اجتهادا واستنباطا
ويرغب الي الله تعالى في العون على ذلك فاذا تمت فضيلته وكملت اهليته فعليه
ايضا ان يشتغل بالتصنيف والجمع والتأليف ليطلع جميع الناس على حقائق الفنون
ورقائق العلوم ودقائق الصنائع وعليه ان يجيد البيان حسب الامكان
وكل ما يعم نفعه وتكون الحاجة اليه أولى يقدمه على غيره ويعتني بما لم
يسبق اليه

« مطلب »
تقديم أوائل
العلوم على
اواخرها

ويقدم المبادي على المقاصد لان للعلوم أوائل تؤدي الى أواخرها ومداخل
تفضي الى حقائقها فلا يطلب الآخر قبل الاول ولا الحقيقة قبل المدخل لان البناء على
غير أساس لا يثبت والثمر في غير غرس لا يجنى ولا يثبت فلا تحمل طالب
المنفعة الاسباب الفاسدة والدواعي الواهية على ان يتبع أغراض نفسه المختصة
بنوع من العلم فيدعوه الغرض الى قصد ذلك النوع ويعدل عن مقدماته كرجل
يؤثر القضاء أو يتصدى للحكم فيتمصد من علم الفقه أدب القاضي وما يتعلق به من
الدعاوى والبيانات أو يجب ان يختص بوظيفة الشهود فيتعلم كتاب الشهادات
لئلا يصير موسوما بجهل ما يعانى فاذا أدرك ذلك ظن انه قد حاز من العلم جمهوره
وادرک منه مطويه ومنشوره ولم يرماقى الاغامضا طلبه وعو يضا استخراجه
فلو نصح نفسه لعلم ان ما ترك أهم مما أدرك لان بعض العلوم مرتبطة ببعض والكل
باب منها تعلق بما قبله فلا تقوم الا و آخر الا بأوائلها وقد يصح قيام الاوائل بانفسها

فيصير طلب الأواخر بترك الأوائل تركا للأواخر والأوائل جميعا ومثل ذلك
الفنون والصنائع

وقد يقصد الانسان بطلب العلم التكسب او التجميل فينهض من العلم بتعلم ما
يشتهر به من مسائل الجدل وطريق النظر ويطعطي علم ما اختلف فيه دون ما اتفق عليه
لينظر على الخلاف وهو لا يعرف الوفاق ويجادل الخصوم وهو يجهل مذهبه
مخصوص فكثر ما تجد من هذه الطبقة عدا وقد تحققتوا بالعلم بتحقيق
المتكافين واشتهروا به اشتهار المتحزبين فاذا أخذوا في مناظرة الخصوم ظهر
كلامهم واذا سئلوا عن واضح مذهبهم ضلت أفهامهم حتى أنهم ليخبطون
في الجواب خبط عشواء فلا يظهر لهم صواب ولا يتقرر لهم جواب ثم لا
يروون ذلك بقصا حيث نمقوا في المجالس كلاما موصوفا ولفقوا
في المحافل احتجاجا مألوفا وقد جهلوا من المذهب ما يعرفه المبتدئ
فهذه طرائق من يقول اعرفوني وهو غير عروف ولا معروف وقد
قال زهير

ومها تكن عند امرى من خليفة وان خالها تخفى على الناس تعلم
وبالجملة فالتواضع من طلبه العلم أكثرهم علما كما ان المكان المنخفض
أكثر البقاع ماء وينبغي لطالب العلم ان يخرج دائما في عباراته من الرمز
الخفي الى اللفظ الجلي فان الرمز لا يليق بالعلم المعنوي ولا الكلام اللغوي
وانما يختص غالبا باحد شيئين اما بمذهب شنيع يخفيه معتقده ويجعل الرمز
به سببا لتظلم النفوس اليه واحتمال التأويل فيه سببا لدفع التهمة عنه كالتنجيد
والطلاسم واما بما يدعى أربابه انه علم معوز وان ادراكه بعيد معجز
كالصنعة التي وضعها أربابها اسماء لعلم الكيمياء ورمزا بأوصافه ليوهما

« مطلب »
وضوح العبارة
وترك الرموز
الخفية

الشح به والأسف عليه خديبة للمقول الواعية والآراء الفاسدة وقد
قال الشاعر

منعت شيئاً فأكثر الولوع به أحب شيء إلى الإنسان ما منعا
فالمتشبهون بمثل هذه الأمور لا ينتفع بهم فلا يدخل في هذه
الفضيلة المذكورة في قوله أو علم ينتفع به

(الفضيلة الثالثة) المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم أو ولد
صالح يدعو له إشارة منه صلى الله عليه وسلم إلى أن الإنسان مخلوق لحكمة
الهيبة وهي تعمير الدنيا وتتمام انتظامها وهذه الحكمة انما تتم بتكثير النوع
البشرى واستمرار نسله وهذا انما يكون بالتوالد والتناسل وان كل انسان
اجتهد في تحصيل مال أو علم أو جاه يجب طبعا امتيازه به في حياته دون
غيره وان لا يتوارثه عنه الانسل بعده ليكون حيا حياة معنوية دائم النسل
باقى الذكر والا لسكان الانسان لا يجتهد الا بقدر عيشته الضرورية فأمل
انتقال الوراثة إلى النسل والولد أكد في النوع البشرى تكثير العمل فقد
يكون مدار الاعمال المعاشية والمعادية على الآمال التولدية فأشار الحديث
الشريف إلى معنى لطيف وهو الحث على التناسل والتوالد وتأهيل النسل
لدرجة الرشد وبلوغ غرض الوراثة النافعة وينبغي للولد ان يهتم بشأن الصبي
في شبابه ليعلم ما ينبغي تعلمه حفظا في حال صغره لينكشف له معناه في حال
كبره فأبتدأوه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق وذلك مما
يحصل في الصبي من غير برهان فقد من الله عز وجل على قلب الانسان
بالحفظ وشرح له صدره في أول نشأة الايمان من غير حجة وبرهان
وانما تحصل التقوية والاثبات في الصبي والعامى بعد ذلك حتى يرسخ الايمان

ولا ينزل ولا يست التقيوية والاثبات في الصبي ان يعلمه واية صنعة الجدل
والكلام بل يشغله بتلاوة اقرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشغل
مع ذلك بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه
من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الحديث وفوائده وبما
يسطع عليه من انوار العبادة ووظائفها وبما يسرى اليه من مشاهدة الصالحين
ومجالستهم وسياهم وهيئاتهم في الخضوع لله تعالى وهذه هي التربية الحسنى
حتى ينمو في الصبي بذر الايمان ويقوى فيه شجرة راسخة طيبة أصلها ثابت
وفرعها في السماء فيظهر اعتقاده في الثبات كالطود الشامخ ثم ينوطه بالصناعة
التي عميل اليها نفسه ويستحسنها ظنه وحدثه ومع ذلك فلا يتأخر مع أداء
صنعتة عن تلاوة القرآن (قال) صلى الله عليه وسلم ان القلوب تصدأ كما
يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها قال قراءة القرآن (وقال) صلى
الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا أوتى أفضل مما أوتى فقد
استصغر ما عظم الله * وعن مالك بن انس رضي الله عنه انه كان اذا دخل
رمضان نفر من مذاكرة الحديث ومجالسة اهل العلم وأقبل على القراءة في
المصحف (وكان) ابو حنيفة والشعبي يمتحنان في رمضان سبتين ختمة وقال
صلى الله عليه وسلم قرآن فيه خبر من قبلكم ونبا من بعدكم وحكم ما بينكم *
قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن مات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ
آيات الله هزوا وتقييد الولد بالصالح مع زيادة قوله يدعو له اشارة منه
صلى الله عليه وسلم الى حق الولد على الوالد وهي تربيته تربية حسنة وتوصيله
الى درجة الصلاح والاستقامة والى حق الوالد على الولد وهي الدعاء لوالده
لان فرض الكلام لقاء الولد بعد موت والده المفهوم من قوله اذا مات

معه الولد
ع الولد

ابن آدم الخ والمراد بالولد ما يعم الذكر والأنثى كما ان المراد بالدعاء له عموم
اعمال ولده الصالحة فان الوالد ينتفع باعمال ولده الصالحة لانه السبب في
وجوده وصلاحه وارشاده الى الهدى ومن جملة الاعمال التي تصدر عن
الولد الصالح وينتفع بها والده دعاؤه له فقد ورد ان الانسان ينعم في الآخرة
بنعيم عظيم فيقول من أين هذا النعيم فاني لم أعمل في الدنيا عملا يوجب لي
ذلك فيقال هذا من دعاء ولدك الصالح لك وبالجملة فالولد الصالح من الباقيات
الصالحات لان أعماله الصالحة ينتفع بها والمراد ايضا بالولد ما يعم ولد الولد
ذكورا واناثا أسباطا وحفدة فانهم لا صولهم كالأجنحة وهم اصول يصلون
بهم الأكر ويده بهم تطول وهم العدة عند الشدة (قيل) لمحمد بن
الحنفية كيف كان على رضي الله عنه يقحمك في المارق اي المتألف ويولجك
في المضائق دون الحسن والحسين فقال لانهما كانا عينيه وكنت يديه وكان
يقى يديه عينيه * ورأى على رضي الله عنه الحسن يتسرع الى الحرب
فقال املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فاني أنفس بهذين على الموت لثلاث
يتقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فاني أنفس بهذين
أي بالحسن والحسين أي أخشى ان يتقطع بموتهما النسل النبوي (وكان)
يقال لعمر بن الوليد بن عبد الملك فحل بني مروان وقد كان يركب معه
سنتون رجلا لصلبه * وقد كان لماوية امرأة لؤى بن غالب اولاد منه
فقاتلته يوما اي بذيك أحب اليك قال الذي لا يرد بسط يده بخل ولا
يلوى لسانه عجز بالراء المهملة اي لسكنة ولا يلون طبيعته سفه وهو احد
ولدك بارك الله لي ولك فيه يعني كعب بن لؤى احد اجداده صلى الله
عليه وسلم

« مطلب »
الانفتاح بالذرة
والتمضد بها

ودخل عبد الملك بن مروان على معاوية ومعه بنوه فلما جلسوا على الكراسي
وأخذوا مجالسهم اغتاط معاوية ثم قال كانك أردت مكاثرتي ببنيك يا ابن
مروان وما وجدت مثلي ومثلك الا كما قال الشاعر

تفاخرني بكثرةها قريظ وقبلي والد الحجل الصقور
فقال عبد الملك يا أمير المؤمنين انما هم ولدك ويدك وعضدك وقد علمت
انما خفت عليهم من العين وليدوا عائدن (قل) بعضهم للمهلب ما النبيل أي
الشرف قال ان يخرج الرجل من منزله وحده ويعود في جماعة وكان المهلب
كثير البنين ومن الشجاعة والسخاء بمكانة فقيل له انك اتلقى نفسك في المهالك
قال ان لم آت الموت مسترسلا أتاني مستعجلا ثم انشد

تأخرت أستبق الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن اتقدما
ومر بقوم من ربيعة في مجلس لهم فقال رجل من القوم هذا سيد
الأزد قيمته خمسمائة درهم فسمعه المهلب فأرسل اليه بخمسمائة درهم وقال دونك
يا ابن أخي قيمة عمك ولو كنت زدت فيها لزدتك وقال بعضهم في المهلب وبنيه
بعدده

برك الله حيث براك بحرا وفجر منك انهارا غزارا
بنوك السابقون الى المعالي اذا ما أعظم الناس الخطارا
والخطار فعال من خاطر يعني سابق وراعن وبمعنى الخطر وهو المراد
وهذان البيتان لكعب بن معدان الاشقري الازدي يقال ان خليفة
المنصور حسد آل المهلب على المدح بهما وكذلك بعده المؤمن قال للشعراء
ألا قلت في كما قال كعب في المهلب وولده وانشدتم هذين البيتين السابقين
وقد ينتج من العنصر الطيب فروع تزيد طيبا على طيبه ومن غير الطيب

فروع تكون سببا في ذكره وتوصيل الثواب له فكان يقال بنو أمية دن خل
أخرج الله منه زق عسل يعني عمر بن عبد العزيز فهو الولد الصالح المستوفى
للفرد الاكل النسبي من الحديث (ويحكى) أن الخليفة المنصور قال له رجل
من الهاشميين اعتل أبي رحمه الله ومات في وقت كذا رحمه الله فقال الربيع
وزير المنصور كم تترحم على أبيك بين يدي أمير المؤمنين وكيف ذلك فقال
له الهاشمي لا أومك فانك لم تعرف حلاوة الآباء فضحك المنصور ورجل
الربيع لانه لم يسكن له أب يعرف على ما قيل والذي في التواريخ أنه ابن يونس
ابن أبي فروة مولى الحرث الحفار مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه كان حاجبا
للمنصور ثم صار وزيره وكان يميل اليه ويعتمد عليه فقال له يوما ياربيع سل
حاجتك فقال حاجتي أن تحب الفضل ابني فقال له ويحك ان المحبة تقع باسباب
فقال له قد أمكنك الله من ايتاع سببها قل وما ذلك قال تفضل عليه فانك
اذا فعلت ذلك أحبك واذا أحبك أحببتك قال قد والله حبيته الى قبل ايتاع
السبب ولكن كيف اخترت له المحبة دون كل شيء قال لانك اذا أحببتك
كبر عندك صغير احسانه وصغر عندك كبير اساءته وكانت ذنوبه كذنوب
الصبيان وحاجته اليك حاجة الشفيع العريان يشير بذلك الى قول
الفرزدق

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا
فقد سمى الربيع في تقديم ولده الفضل عند الخليفة وأدى ما يجب للواله
على الوالد

وبالجملة فقد قال صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة وقال بعضهم
الولد ريحانة الى سبع ووزير الى سبع أخرى وبهذا ذلك اما محمد بن قيس واما عدوهم

وبشر الامام عمر الفاروق رضى الله عنه بولد فقال ريحانة اسمها برهة من الزمان
وعما قليل اما ولد بار واما عسو ضار وأنشد بعضهم

هذا الزمان الذى كنا نحاذره فى قول كعب وفى قول ابن مسعود

ان دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

(وقال) الفضيل ربح الولد من الجنة ومزايا الاولاد دنيا وأخرى لاتعد

ولا تحصى فانه قد يعود من الولد على رحمه ولو كان الرحم حاملا أنواع

الرعاية فقد روى كعب بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال استوصوا بالقبط خيرا فان لهم ذمة ورحما يعنى أن هاجر أم اسماعيل

كانت قبطية ومارية أم سيدنا ابراهيم كانت كذلك وقال صلى الله عليه وسلم

لوعاش ابراهيم لو وضعت الجزية عن كل قبطى ولحرمة الولد والوالد وارتباط

العلاقة المتينة بينهما بما تقتضيه الحقوق أقسم الله بهما فى قوله تعالى لا أقسم

بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان فى كبد المراد

بالبلد مكة المشرفة التى جعلها الله حرما آمنا وجعل مسجدها قبلة لاهل المشرق

والمغرب والمراد بالوالد ابراهيم واسماعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم لان

ابراهيم باني مكة واسماعيل ومحمد عليهما السلام سكانها وقيل المراد بالوالد فى

الآية ابراهيم وما ولد جميع ولد ابراهيم من العرب والعجم فانهم مكان البقاع

الفاضلة من أرض الشام وبيت المقدس وأرض العرب ومنهم الروم لانهم ولد عيص

من أسحق فقد عمرت البقاع الفاضلة من نسل ابراهيم عليه السلام وآخر

الأنبياء وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من أولاده فلذلك قرن

اسمه باسمه فى الصلوات بالصيغة الابراهيمية التى هي أيضا عظيمة الفضيلة

فى جميع الاوقات وكان صلى الله عليه وسلم يعلى بها فيذكر بها جده

فقد دخل صلى الله عليه وسلم في ضمن حديثه الشريف من قوله أو ولد صالح يدعو له

«مطلب»
تربية الأولاد

ثم ان توصيل الولد الى الرتبة المطلوبة والدرجة المرغوبة تتوقف على حسن التربية والتهذيب والتعليم والتأديب ولا يخفى ان الله سبحانه وتعالى شرف الانسان بمضغتين صغيرتين وهما قلبه ولسانه وخصه بصفتين عظيمتين وهما همته واحسانه وما عدا ذلك من محض المال او الجمال فانما هو حظ الاذنياء من النساء والرجال فلا يرتفع المرء حتى يرفعه اكبراه وأصغراه فالجنان قابل واللسان قائل والهمة حاملة والاحسان فضيلة عاملة والجنان عارف مستقر واللسان معترف مقر والهمة حركة منتشرة والاحسان بركة مبشرة فان الجنان ينشئ واللسان يفشى وكلاهما يساعد الهمة والاحسان والعزم والاتقان ولذلك كان المرء بأصغريه ومعلوم ان الولد الصغير مستعد بأصغريه الى استكمال اكبريه فيحتاج الى التربية التي هي صفة المرابي الذي يقيمه الولي لتأديب الصبي فيما يقصد منه فيجب على الولي أن يتأمل في حال الصبي وما هو مستعد له من الاعمال ومنهيه له منها فيعلم أنه مخلوق له لحديث اعمالوا فكل ميسر لما خلق له فلا يحمله على غيره فانه ان حمّله على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه عادة فيفوته ما هو منهيه له فاذا رآه حسن الفهم صحيح الادراك جيد الحفظ واعيا فهذا من علامة قبوله للعلوم والفنون وتهيه لها فليبتشها في لوح قلبه مادام خاليا فلها تمسك من القلب وتستقر فيه وتزكو معه وان رآه بخلاف ذلك من كل وجه علم انه لم يخلق لذلك فان رأي عينه طامحة الى صنعة من الصنائع مستعدا لها قابلا عليها وهي صناعة مباحة نافعة لأهل وطنه فليمكنه منها وهذا كله بعد تعليمه المعارف الابتدائية التي يشترك فيها كل فرد من افراد

الإستعداد

الصلاح

الجمعية التأسيسية وهي الكتابة والقراءة وما يحتاج اليه في دينه من العقائد
 وغيرها وأصول الحساب ونحو ذلك من السباحة والعموم والقروسية وأسبابها
 من ركوب الخيل والرمى واللعب بالرمح والسيف وأشباه ذلك من آلات
 الحرب ليتمرن على وسائل الدفع عن وطنه والمحاماة عنه فان هذه الاشياء من
 المنافع العمومية التي ينبغي تمرين الاطفال في زمن الشبوبة عليها هذا بالنسبة
 للذكور وأما بالنسبة للبنات فان ولي البنت يعلمها ما يليق بها من القراءة وأور
 الدين وكل ما يليق بالنساء من خياطة وتطريز وان اقتضى حال البلاد تعليم
 النساء الكتابة وبعض مبادئ المعارف النافعة في ادارة المنازل فلا بأس بتعليم
 الحساب وما أشبهه لهن ويشترك الصبيان والبنات في تعليم الاخلاق والآداب
 وحسن السلوك

فبهذا كله يتيسر للجميع كسب الفوائد الجسيمة المنتجة للاستقامة النامية
 وغنى النفس بما اكتسبه العقل من العلوم والمعارف وممارسته الأيدي من
 الصنائع واللطائف التي هي أمن من الفقر الذي استعاذ منه صلى الله عليه وسلم
 في قوله اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل
 واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال وفي
 رواية أخرى من الفقر والعيلة (وقال) صلى الله عليه وسلم كسب اليد أمان
 من الفقر وقال أيضا ان الله يحب العبد المحترف ويكره الصحيح الفارغ
 وفي عوارف المعارف روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ان الله
 تعالى ليصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله
 ولا يزالون في حفظ الله مادام فيهم انتهى وفي ذلك قيل

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ويعيدهم عند الفساد اذا فسد

مطلب
 بر الولد لوالده

يعظم في الدنيا لفضل صلاحه ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد
فهذا هو الصلاح الموروث للسلسل المقصود من قوله في الحديث أيضا
أو ولد صالح يدعو له فالرجل إذا علم ولده ما فيه صلاحه واستقامته اجتنب ثواب
ثمرة عمله دنيا وأخرى أما ثواب الآخرة فأمره ظاهر وأما ثمرة عمله في الدنيا
فهي البر والطاعة وهما حق كبير على الولد لو والده قال الخليفة المأمون لم أر احدا
أبر من الفضل بن يحيى وهو في سجن الرشيد لأبيه بلغ من بره أنه كان ابوه
لا يتوضأ لا بماء مسخن فمنعهم السجن من الوقود في ليلة باردة فلما أخذ يحيى
مضجعه قام الفضل الى قفم فأدناه الى المصباح فلم يزل قائما وهو في يده حتى
أصبح فشعر السجن بذلك فغيب المصباح فتأبطه الى الصباح (قال) على رضى
الله عنه لو علم الله شيئا من العقوق أدنى من أف حرمة فليعمل العاق ما شاء أن
يعمل فان يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء فلن يدخل النار

ومن البر ان لا ينتمى الولد الى غير ابيه قال صلى الله عليه وسلم ملعون
ملعون من اتقى الى غير ابيه او ادعى غير مواليه ومن البر ايضا ان لا
يكون سببا لسب ابيه لحديث ابى هريرة رضى الله عنه لا تمشين امام ابيك
ولا تجلس قبله ولا تدعه باسمه ولا تستسب له اى لا تعرضه للسب ونجسه
اليه بان تسب ابا غيرك فيسب اباك مجازاة لك وقد جاء مفسرا في الحديث
الآخر ان من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قيل وكيف يسب
والديه قال يسب الرجل فيسب اباه وأمه (وقال) ابن عمر رضى الله عنه
أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان والدي يأخذ مالى وأنا
كاره فقال أما علمت انك ومالك لا بيك ومن حق الاولاد اعظام الأصغر
للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر قال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة

على صغيرهم بحق الوالد على ولده

وقد ذكر في كتاب الحسبة في الكلام على مؤدبي الاطفال انه لا يجوز لهم تعليم الاطفال في المساجد لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأمره بتنزيه المساجد عن الصبيان والمجانين لانهم لا يتحرزون من تسويد حيطان المساجد بل يتخذون للتعليم حوايت في الدروب واطراف الاسواق قل وينبغي للمؤدب ان لا يعلم الصبي القصار من سور القرآن الا بعد حذقه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل وتأليف طبعه اليها ثم يؤلف طبعه على القرآن وحفظه ثم يعرفه عقائد الدين ثم أصول الحساب وما يستحسنه من المراسلات والاشعار ثم يأمر الصبيان بتجويد الخط على المثال والشق ويكافئهم بالحفظ. على ظهر الغيب ومن كان عمره سبع سنين أمره بالصلاة وفي الجماعة وهذا لا يناق قوله صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدنا صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم واقامة حدودكم وسل سيوفكم واتخذوا على ابوابها المظاهر وجرورها في الجمع لان النبي صلى الله عليه وسلم قال مروا اولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر فالمنع محمول على ما دون السبع التي هي سن التمييز

قال صاحب الاخلاق عند ذكر تأديب الأحداث والصبيان خاصة ان اول قوة تظهر في الانسان اول ما يكون هي القوة التي يشتاق بها الى الغذاء الذي هو سبب كونه حيا فيتحرك بالطبع الى اللبن ويلتمسه من الثدي الذي هو معدنه من غير تعاليم ولا توقيف وتحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالصوت الذي هو مادته ودائمه الذي يدل به على اللذة والاذى ثم تزايد فيه هذه القوة ويتشوق بها أبدا الى الازدياد والتصرف بها في أنواع الشهوات ثم تحدث له قوة

مطلب
اطوار الصغير

سنة
دلالة
عزالي

على التحرك نحوها بالآلات التي تخلق له ثم يحدث له الشوق الى الافعال التي
تحصل له هذه ثم تحدث له من الحواس قوة على تخيل الامور ويرسم في قوته
اخيالية مثالات فيتشوق اليها ثم تظهر فيه قوة الغضب التي يشاق بها الى دفع
ما يؤذيه ومقاومة ما يمنعه من منافعه فان أطلق بنفسه أن ينتقم من مؤذياته
انتقم منها والا التمس معونة غيره وانتصر بوالديه بالتصويت والبكاء ثم
يحدث له الشوق الى تمييز الافعال الانسانية خاصة أولا أولا حتى يصير الى كماله
في هذا التمييز فيسمى حينئذ عاقلا وهذه القوى كثيرة وبعضها ضروري في
وجود الأخرى الى ان ينتهي الى الغاية الأخيرة وهي التي لا تراد لعلة أخرى
وهي الخير المطلق الذي يتشوقه الانسان من حيث هو انسان

وأول ما يحدث فيه من هذه القوة الحياء وهو الخوف من ظهور شيء قبيح
منه ولذلك قلنا ان أول ما ينبغي ان يتفرس في الصبي ويستدل به على عقله الحياء
فانه يدل على أنه قد أحس بالقبيح ومع احساسه به هو يحذره ويتجنبه ويخاف
ان يظهر فيه أو منه فاذا نظرت الى الصبي فوجدته مستحيا مطرفا بطرفه الى
الأرض غير وقاح الوجه ولا محذقا اليك فهو أول داييل نجابته والشاهد ذلك
على أن نفسه قد احست بالجميل والقبيح وان حياءه هو انحصار نفسه خوفا من
قبيح يظهر منه وهذا ليس شيء أكثر من ايثار الجميل والهرب من القبيح
بالتمييز والعقل

وهذه النفس مستعدة للتأديب صالحة للعناية لا تحب ان تهمل ولا تترك
ومخالطة الاضداد الذين يفسدون بالمنازلة والمداخلة من كان بهذه الحال من
الاستعداد لقبول الفضيلة فان نفس الصبي ساذجة لم تمتش بعد بصورة ولا لها
رأى وعزيمة تميلها من شيء الى شيء فاذا نقش بصورة وقبلها نشأ عليها واعتادها

عقل الصبي

٢٣

فالأولى بمثل هذه النفس أن تنبه ابدا على حب الكرامة ولا سيما ما يحصل
 له منها بالدين دون المال من سننه ووظائفه ثم يمدح الاخيار عنده ويمدح
 هو في نفسه اذا ظهر شيء حسن منه ويخوف بالمذمة على أدنى قبيح يظهر
 منه ويؤاخذ بالاستهانة بالمال كالمشارب والملابس الفاخرة ويزين عنده
 صلف النفس والترفع عن الحرص في المطاعم خاصة وفي اللذات عامة ويحجب
 اليه ايثار غيره على نفسه بالغذاء والاقصار على الشيء المعتدل والاقتصاد في
 التماسها وان أولى الناس بالملابس الملونة النساء اللواتي تزين للرجال ثم العبيد
 والحوال وأن الأحسن بأهل النبل والشرف من اللباس البياض وما أشبهه حتى
 اذا تربي على ذلك وسمعه قلما يقرب منه ويكرر عليه ذلك ولا يترك ومخالطة
 من يسمع منه ضد ما ذكرته لاسيما من أترابه ومن كان في مثل سنه ممن يعاشره
 ويلعبه وذلك ان الصبي في ابتداء نشئه كثيرا ما يكون قبيح الافعال جدا فانه
 يكون كذوبا يخبر ويحكى بما لم يسمعه ولم يره ويكون حسودا سرورا قائما ما لحوحا
 ذا فضول ومحك وكيد أضرب شيء بنفسه وبكل امر يلابسه ثم لا يزال به
 التأديب والسن والتجارب حتى ينتقل في أحوال بعد أحوال فلذلك ينبغي
 ان يؤاخذ مادام طفلا بما ذكرناه ونذكره ثم يطالب بحفظ محاسن الاخبار
 والاشعار التي تجرى مجرى ما تعود به بالادب حتى يتأكد عنده بروايتها
 وحفظها والمذاكرة بها جميع ما قدمنا ذكره ويحذر من النظر في الاشعار
 السخيفة وما فيها من ذكر العشق واهله وما يوهمه اصحابها انه ضرب من
 الظرف ورقة الطبع فان هذا الباب مفسدة للأحداث جدا ثم يمدح بكل ما
 يظهر منه من خلق جميل وفعل حسن ويكره عليه فان خالف سب في بعض
 الاوقات ما ذكرته فالأولى ان لا يوبخ عليه ولا يكشف بانه أقدم عليه بل

يتعافل عنه تعافل من لا يخطر بباله انه قد تجار على مثله ولا هم به لا سيما
 ان ستره الصبي واجتهد في ان يخفي ما فعله على الناس فان عاد فليؤمخ عليه
 سرا وليعظم عنده ما أتاه ويحذر من معاودته فانك ان عودته التوبيع
 والمكاشفة حملته على الوقاحة وحرصته على معاودة ما كان استتبعه وهان
 عليه سماع الملامة في ركوب القبائح من اللذات التي تدعو اليها نفسه وهذه
 اللذات كثيرة جدا

والذي ينبغي ان نبدأ به في تقويمها أدب المطاعم فيهم أولا انها انما تراد
 للصحة لا للذة فان الأغذية كلها انما خلقت وأعدت لنا لتصح بها ابداننا
 وتسير مادة حياتنا فهي تجري مجرى الأدوية يداوي بها الجوع والألم
 الحادث منه فكما ان الدواء لا يراد للذة ولا يستكثر منه للشهوة كذلك
 الأطعمة لا ينبغي ان يتناول منها الا ما يحفظ صحة البدن ويدفع ألم الجوع
 ويمنع من المرض فيحتر عنده قدر الطعام الذي يستعظمه أهل الشره ويقبح
 عنده صورة من شره اليه ونال منه فوق حاجة بدنه أو ما لا يوافقها
 حتى يقتصر على لون واحد ولا يرغب في الألوان الكبيرة واذا جلس مع غيره
 لا يبادر الى الطعام ولا يمد يده قبل غيره ولا يديم النظر الى ألوانه ولا يحرق
 اليه شديدا ويقتصر على ما يليه ولا يسرع في الاكل ولا يوالى بين اللقم
 بسرعة ولا يعظم اللقمة ولا يتلها حتى يجيد مضغها ولا يتبع نظره موقع الأيدي
 من الطعام ويعود أن يؤثر غير بما يليه ان كان أفضل ما عنده ثم يضبط
 شهوته حتى يقتصر على ادنى الطعام وادونه واياكل الخبز القفار الذي
 لا أدم معه في بعض الاوقات وهذه الآداب وان كانت جميلة
 بالفقراء فهي بالأغنياء أجل وينبغي ان يستوفي غذاءه بالعشى فانه ان استوفاه

النهار كسل واحتاج الى النوم وتبذل فيه مع ذلك وان منع اللحم في أكثر أوقاته كان نافعا له في الحركة واليقظ وقلة البلادة وبشئ على النشاط والخفة فأما الحلو أو الفواكه فينبغي ان يمنع منها البتة ان أمكن والافليتناول أقل ما يمكن فأنها تستحيل في بدنه فيكثر انحلالها وتعوده أيضا الشره ومحبة الاستكثار من المأكول ويعود أن لا يشرب في خلال طعامه الماء فاما النبيذ وأصناف الاشربة المسكرة فإياه وإياها فأنها تضره في بدنه وفي نفسه وتحمله على سرعة الغضب والنهور والاقدام على القبائح وعلى القحة فيها وسائر الخلال المذمومة ولا ينبغي ان يحضر مجلس أهل النبيذ بل مجلس الأدباء والفضلاء فاما مجلس غيرهم فلا لئلا يسمع الكلام القبيح والسخافات التي تجري فيه وينبغي ان لا يأكل حتى يفرغ من وظائف الادب التي يتعلمها ويتعب تعباً كافياً وينبغي ان يمنع من كل فعل يستره ويخفيه فإنه ليس يخفى شيئاً الا وهو يظن أو يعلم أنه قبيح

ويمنع من النوم الكثير فإنه يقبحه ويعاظم ذهنه ويميت خواطره وهذا بالليل فاما النهار فلا ينبغي أن يتعوده ويمنع أيضا من الفراش الوطيء أي اللين وجميع أنواع الترفع والرخاوة حتى يصلب بدنه ويتعود الخشونة ولا يعود الملبس الرقيقة والمداراة في الصيف ولا الفراء والنيران في الشتاء ويعود المشي والحركة والركوب والرياضة حتى لا يتعود اضدادها ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع في مشيه ولا يرخى يديه بل يضمهما الى صدره ولا يربى شعره ولا يزين بملبس النساء ولا يلبس خاتما الا وقت حاجته اليه ولا يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه ولا بشيء من مآكله وملابسه وما يجري مجراه بل تواضع لكل أحد ويكرم كل من يعاشره ولا يتوصل بشرف ان كان له

وسلطان من أهله ان اتفق الى غضب من هو دونه او استهداء من لا يمكنه
 من يردده من هواه او تطاول عليه كمن اتفق له ان كان خاله وزيرا أو عمه
 سلطانا فيطرق به الى هضيمة أقرانه وثلم اخوانه واستباحة أموال جيرانه
 ومعارفه وينبغي أن يعود ان لا يتبرق في مجاسه ولا يتخط ولا يتمايب بحضرة
 غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب تحت ذقنه بساعده ولا يعمد
 رأسه بيده فان هذا دليل الكمال وانه قد بلغ به التعم أن لا يحمل رأسه حتى
 يستعين بيده ويعود ان لا يكذب ولا يحلف ألبته لا صادقا ولا كاذبا فان
 هذا قبيح بالرجال مع الحاجة اليه في بعض الأوقات فلما الصبي فلا حاجة به
 الى لئيم

ويعود أيضا الصمت وقلة الكلام ولا يتكلم الا جوابا فاذا حضر من
 هو أكبر منه اشتغل بالاستماع منه والصمت له ويمنع من خيث الكلام
 وهجينه ومن السب واللعن واللغو من الكلام ويعود حسن الكلام وطرايفه
 وجميل اللقاء وكرمه ولا يرخص له أن يستمع لاضدادها من غيره ويعود
 خدمة نفسه ومعلمه وكل من كان أكبر منه

وأحوج الصبيان الى هذا الادب اولاد الاغنياء والمترفين وينبغي اذا
 ضربه المعلم أن لا يصرخ ولا يستشفع بأحد فان هذا فعل الممايك ومن هو
 خوار ضعيف ولا يعير أحدا لا بالقبيح ولا بالسبيء من الادب ويعود ان لا
 وحش الصبيان بل يبرهم ويكافئهم على الجميل بأكثر منه لئلا يتعود الريخ
 على الصبيان وعلى الصديق ويبغض اليه الفضة والذهب ويحذر منهما أكثر
 من تحذير السباع والحيات والعقارب والافاعي فان حب الفضة والذهب للصبي
 آفته أكثر من آفة السموم

وينبغي ان يؤذن له في بعض الاوقات ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه
 من تعب الادب ولا يكون في لعبه ألم ولا تعب شديد ويعود طاعة والديه
 ومعلميه ومؤدبيه وأن ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم ويهابهم
 وهذه الآداب النافعة للصبيان هي لاكبار من الناس أيضا نافعة ولكنها
 للأحداث أنفع لأنها تعودهم محبة الفضائل وينشؤون عليها فلا يشغل عليهم تجنب
 الرذائل ويسهل عليهم بعد ذلك جميع ما رسمه الحكمة وتحده الشريعة والسنة
 ويعتادون ضبط النفس عما تدعوهم اليه من اللذات القبيحة وتكفهم عن
 الانهماك في شيء منها والفكر الكثير فيها وتسوقهم الى مرتبة الفلسفة العالية
 أي الحكمة النافعة وترقيهم الى معالي الامور من التقرب الى الله عز وجل
 ومشابهة الملائكة في التنزه عن الشهوات مع حسن الحالة في الدنيا وطيب
 العيش وجميل الأحدثوة وقلة الأعداء وكثرة المداح والراغبين في مودته من
 الفضلاء خاصة فاذا تجاوز هذه الرتبة وبلغ أيامه الى ان يفهم أغراض الناس
 وعواقب الامور فهم ان الغرض الاخير من هذه الاشياء التي يقصدها الناس
 ويحرصون عليها من الثروة واقتناء الضياع والعبيد والخيل والفرش وأشياء
 ذلك إنما هو ترقية البدن وحفظ صحته وان يبقى على اعتداله مدة ما وان
 لا يقع في الامراض وان لا تفجأه المنية وان يتهنى بنعمة الله عليه ويستعد لدار
 البقاء والحياة السرمدية وان اللذات كلها بالحقيقة هي خلاص من آلام النصب
 وراحات من التعب فاذا عرف ذلك وتحققه ثم تعود به بالسيرة الدائمة عود
 الرياضات التي تحرك الحرارة الفريزية وتحفظ الصحة وتبقي الكسل وتطرد
 البلادة وتبعث النشاط وتزكي النفس
 فمن كان ممولا مترفا كانت هذه الاشياء التي رسمناها أصعب عليه

لكثرة من تحنف به وتقويه ولموافقة طبيعة الانسان في أول ما ينشأ هذه اللذات واجماع جمهور الناس على ما أمكنهم منها وطلب ما تعذر عليهم بفاية جهدهم فاما الفقراء فالامر عليهم سهل بل هم قريبون الى الفضائل قادرون عليها متمكنون من نيلها والاصابة منها وحال المتوسطين من الناس متوسطة بين هاتين الحالتين

وقد كان ملوك الفرس الفضلاء لا يربون أولادهم بين حشمهم وخواصهم خوفا عليهم من الأحوال التي ذكرناها وكانوا ينفذونهم مع ثقاتهم الى النواحي البعيدة منهم ومن سماع ما حذرنا منه وكان يتولى تربيتهم أهل الجفاء وخشونة العيش ومن لا يعرف التمتع ولا الترفه وأخبارهم في ذلك مشهورة وكثير من رؤساء الديلم يتولون أولادهم عند ما ينشؤون الى غير بلادهم ليتعودوا بها هذه الاخلاق ويبعدوا عن الترفه وعادات أهل البلدان الرديئة

واذ قد عرفت هذه الطريق المحمودة في تأديب الأحداث فقد عرفت اضدادها أعني أن من نشأ على خلاف هذا المذهب والتأديب لم يرج فلاحه ولا ينبغي أن يشتغل بصلاحه وتقويمه فانه قد صار بمنزلة الوحش الذي لا يطمع في رياضته فان نفسه العاقلة تصير خادمة لنفسه البهيمية ولنفسه الغضبية فهي منهمكة في مطالبها من النزوات وكما أنه لا سبيل الى رياضة سباع البهائم الوحشية التي لا تقبل التأديب كذلك لا سبيل الى رياضة من نشأ على هذه الطريقة واعتادها وأمعن قليلا في السنن اللهم الا أن يكون في جميع أحواله عالما بقبح سيرته ذاما لها عابا على نفسه عازما على الافلاع والانابة فان مثل هذا الانسان من يرجى له النزوع عن أخلاقه بالتدريج والرجوع الى الطريقة المثلى بالتوبة وبمصاحبة الاخيار وأهل الحكمة وبالاكباب على التفلسف والعلوم النافعة

وقد كنت نظمت في كتاب تعريب الامثال في تأديب الاطفال منظومة

لطيفة تحسن بمنوال التعريب نسجها فيحسن هنا بمناسبة للمقام ادراجها

الحمد لله وصل رب على النبي وآله والصحب

وبعد فالتأديب للابناء

من اجل ذا نظمت للتأنيبه

في نحو ساعتين والمولى على

في بر والديك بالغ تغنم

وان ترم سرور أم او أب

من رام عند الناس طرا ان يجب

وان يكون طيب السريرة

من رام بين العالم ارتفاعه

هل ذل عند الناس عبد يقنع

ان رمت ان تشوق الأ ولادا

فعده بالأتخاف يوم العيد

يعاقب الجاني بما جناه

والظلم لا يتركه المولى سدى

من رام ان يكتسب اللطافة

فانها من شعب الايمان

وشر أوصاف الفتي هو الغضب

فيا له من خصلة ذميمة

وقوة الرأس مع العناد

قصدى أغان جل ربى وعلا

لا سيما في العيد أو في الموسم

يوما فكسب العلم خير مكسب

فلا تزم حسن السلوك والأدب

مهذب الاخلاق زاكي السيرة

فيلزم العفة والتقائه

او عز سيد لديهم يطمع

وان ترى من نجاك اجتهادا

وقدم الوعد على الوعيد

وذاك في ذياه أو عقباه

ما آل كل ظالم الى الردى

عليه طول الدهر بالنظافة

تطلب في الثياب والأبدان

يفضى الى ارتكاب ما لا يرتكب

في تركها مصلحة جسيمة

من أفصح الخصال في الاولاد

والامتثال صفة جليلة
مما يعد من صفات الذم
سرا حقيرا او جليلا بل يجب
يطالع المولى على ما عمله
قفز بفعل صالح الأعمال
من يعص والديه ضل وندم
وضاع سعيه وخاب أمله
وعفة الشريف عند الفقر
خير فضيلة عليها يحمد
والولد الصالح عند الاهل
يمتاز عن أقرانه في المكتب
فضل البنات الشغل والتطريز
في سائر الأحوال الاحتشام
الرفق بالفقير والضعيف
وخوف رب العرش والمراقبه
من رام نظمه بسلك السعدا
يجب مثل ما له لغيره
يحسن حفظ اللوح للصغير
يرسخ في الذهن وليس يمحي
الكبر ناشيء عن الحماقه
ينفض كل الناس رب الكبر

لاود ليس مثلها وسيلة
كتم الصغير عن أب أو أم
ابداؤه وعنهما لا يحتجب
بعلمه لكنه قد يمهله
تحز صلاح الحال والمآل
وساء حاله وللرشد عدم
ما لم يتب فلا يضيع عمله
وصبره لعسره مع شكر
يعقبها اليسر ويبقى السوداء
يجب بل يكرم عند الكل
تشمه بركة المؤدب
ومن حوت علما به تفوز
من جنسهن والحيا يرام
من حسن أخلاق الفتي الشريف
أمن من الشر وسوء العاقبه
فليسعد الناس ليقى مسعدا
يعطى أخاه جانبا من خيره
على مرار بل وللكبير
جربه بانهتسيم واقبل نصحا
وما لعاقل عليه طاقه
وبالرفيع والوضيع يزري

تستحسن الطباع وصف الادب وأحسن الآداب آداب النبي
وما سوى اخلاقه فباطل ومن تحلى بسواها عاطل
ولا يليق من غلام الطاعة خروج رأيه عن الجماعة
ففي اجتماع الحكمة السلامه بها يتم الفتي مرامه
والحمد لله وصلى الله على النبي وكل من والاه

« مطالب »
استعداد كل
انسان لفضيلة ما

وينبغي أن يعلم أن كل انسان معد نحو فضيلة ما فهو اليها أقرب وبالوصول
اليها أخرى ولا أجل ذلك يجب على مدبر المدن أن يسوق كل انسان نحو سعادته
التي تخصه ثم يقسم عنايته بالناس ونظره اليهم الى قسمين أحدهما في تسديد
الناس وتقويمهم بالعلوم الفكرية والآخر في تسديدهم نحو الصناعات والاعمال
الحسية فكل من هاتين الفضيلتين عليه مدار العمل وخلاصته العمل الذي
لا ينقطع ثوابه المشار اليه بحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث
الحديث

الطلب
الطلب الموعود
الفضيلة
الموعود

فتلخص من هذا الحديث النبوي أن الانسان يخلد عماله بمد انقضاء حياته بالعلم
النافع للامة والصدقة الجارية التي تؤبد شرفه ونبله والولد الصالح الذي يؤبد
نسله فاذا كثرت افراد هؤلاء الناس الجامعين لهذه الفضائل المستكمين للمآثر
الجميلة والشاغل انتظم بهم التمدن والعمران وحسنت احوال الأهالي والبلدان
لا سيما وان ابن آدم في الحديث هو الانسان فهو يعم أشخاص الملوك والسوقة
واكثر الملوك جامع للاتصاف باستجماع هذه المزايا ثم يليهم الوزراء والامراء
والكبراء والقضاة ووجوه التجار ووجوه أهل الفلاحة والصناعة فكل على
قدر مرتبته وبحسب ميسرته يسارع في تقويم أود مملكته وتقديم منافع
بلدته لكسب القوة المالية واحراز الرتبة العلية وهذا كله انما يتم بتمام السعي

بالنفس والمال وقد قيل في الحكم والأمثال من العجائب عبد بطل ويطلب
 منازل الأبطال فيير الناس من صنع الخير وانتفع بمعروفه قال الشاعر
 لا تقطن يد المروف عن احد مادمت تقدر فالايام تارات
 واشكر فضيلة صنع الله اذ جمعت اليك لالك عند الناس حاجات
 وقال امرؤ القيس

ولو ان ما أسعى لادنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
 وليكنما أسعى لمجد مؤئل وقد يدرك المجد المؤئل امثالي
 وقال ايضا

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن انا لاحقان بقيصرا
 فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فنقبرا
 ومن الكلام الهاشمي قول عبد المطاب

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة ولو تسبت أسلناها على الأسل
 لا ينزل المجد الا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل
 وقال آخر

ينفوس البحر من طلب الآلى ومن طلب العلا سهر الليالي
 تروم العز ثم تنام ليلا لقد أتعبت نفسك في الوبال
 ومن رام العلامن غير كد أضاع العمر في طلب المحال
 فمدار تأسيس قوة الملة والدولة ونفع الاوطان وعمار البلدان على العمل الآلى
 في الفصل الآلى

الفصل الثاني

(في العمل الذي هو القوة الأولية في إبراز المنافع الالهية وفي تطابقه على الارض الزراعية)

« مطلب »
مناجاة التوبة

قد سبق أن منابع الثروة ترجع الى أربعة اشياء وهي الزراعة والصناعة والتجارة وتربية الحيوانات واما الامارة فهي القوة المدبرة لهذه المنابع ويمكن ادخال تربية الحيوانات في الزراعة فتكون أصول المكاسب ثلاثة وأفضل هذه الاشياء الزراعة لانها أطيب الجميع حيث هي الى التوكل أقرب والله يحب المتوكلين (قال) النووي انما كانت الزراعة أفضل من غيرها لان نفعها يتعدى الى غير الزراع من الطيور والبهائم وكثير من الحيوانات وما كان متعديا فهو أفضل من اللازم في غالب الاوقات وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يفرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعاً فياً كل منه انسان أو دابة أو طير الا كانت له صدقة يوم القيامة.

فمن فضائل الزرع ان الله سبحانه وتعالى كرر في كثير من الآيات ما أنعم به في اخراج الزرع والنبات ووصف نفسه بأنه هو الذي أخرجه للحاجات فقال تعالى وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به اى بالماء نبات كل شيء فأخرجنا منه يعني من الماء خضرا يعني اخضر نخرج منه حبا متراكما يعني سنابل البر والشعير والأرز والذرة وسائر الحبوب يركب بعضه بعضا وقال تعالى وهو الذي أنشأ جنات معروشات وهو ما انبسط على الارض وانتشر كالعنب والقرع وهو شجرة الدباء والبطيخ وغيرها وغير معروشات ما قام على ساق وبسق كالنخل والزرع وسائر الاشجار ثم قال والنحل والزرع مختلفا اكله اى ثمره وطعمه الحامض

والمر والحلو متدانيات يقرب بعضها من بعض في الجوار تختلف بالتفاضل
وجنات أي بساتين من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان الآية
والصنوان النخلات يجمعهن أصل واحد ويتشعب منه الرأس فيكون نخلا
وقال سبحانه ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل
الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وقال تعالى أولم يروا أنانسوق الماء
الى الارض الجرذ وهي التي لا نبات فيها فنخرج به زرعاً الآية وقال عز وجل
وآية لهم الارض الميتة احييناها وأخرجنا منها حبا الآية وقال تعالى والارض
وضعها للأنام فيها فاكهة الى قوله والحب يعني جميع الحبوب من حنطة وشعير
وغيرها ذوالعصف يعني البذر أول ما يبدو وقال تعالى ومثلهم في الانجيل كزرع
اخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع الآية فقوله
تعالى ومثلهم يعني محمداً صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وقوله
في الانجيل كزرع اخرج شطأه يعني فراخه يقال أشطأ الزرع اذا أفرخ فأزره
أي قواه من الموازرة بمعنى المعاونة أو من الايزار وهي الاعانة فاستغلظ فاستوى
على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق يعجب الزراع بكشافته وقوته وغلظه
وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوباً في بدء الاسلام ثم كثروا
واستحكموا فترقى أمرهم بحيث أعجب الناس وقال تعالى أفرايتم ما تحرثون
أنتم تررعونه أم نحن الزارعون فحسب أرباب الزراعة نخراً ان الله تعالى
وصف نفسه بهذا الوصف في قوله أم نحن الزارعون وهو مثل قوله تعالى
خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ومعنى
الزارعون المنتبتون وسيأتي بعض الكلام على هذه الآية فالافعال في
الحقيقة كلها لله سبحانه وتعالى قال تعالى والسماء بينناها بأيدي وانا لموسعون

والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون
 فقد امتن الله سبحانه وتعالى على عباده ببناء السماء أي خلقها وتمهيد الارض
 وخلقها زوجين من كل شيء لان السماء يأتي من جهتها المطر النازل من
 السحاب ولان فيها تقدير الارزاق كلها ولولاه لما حصل في الارض حبة
 قوت وجمع بين السماء والارض في الامتنان لان السماء مسكن الارواح
 والارض موضع الاعمال والمراد بالايدي القوة ولكون المخلوقات المتعيشة بالارض
 هي التي تعمرها قال ومن كل شيء خلقنا زوجين والمراد بالزوجين ما يشمل
 الزوجين الحقيقيين والمتشاكلين والضدين ونحو ذلك وقوله تعالى في جانب السماء
 وانا لموسعون أي أوسعناها بحيث صارت الارض وما يحيط بها من الماء
 والهواء بالنسبة الى السماء وسعتها كحلقه في فلاة والبناء الواسع الفضاء
 العجيب فان القبة الواسعة لا يقدر عليها البناءون لانهم يحتاجون الى اقامة
 آلة يصح بها استدارتها ويثبت بها تماسك اجزائها الى ان يتصل بعضها الى
 بعض فقوله وانا لموسعون يرجع الى تمام القدرة بالنسبة اليه تعالى ومنه لا
 يكلف الله نفسا الا وسعها أي ما تقدر عليه وقوله تعالى فنعم الماهدون يعني
 الفارشون لها بعد خلق السماء ومع ذكر الامتنان على عباده فقيه افادة
 الوجدانية في الذات والصفات والافعال الحقيقية وفيه تعليم لعباده ان
 يتشبثوا باستثمار ما خلق لاجلهم واكتساب فوائده كما أرشد موسى عليه
 السلام حين استسقى لقومه بقوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت
 منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم فبضربه عليه السلام الحجر
 بعصاه استخرج الماء الذي به حياة النفوس من الصخرة الصماء فالرزق انما
 يكون عادة بالعمل في الارض لكن بفعل الله سبحانه وتعالى ولذلك قال

تعالى أفرأيتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون فأشار بذلك الى
 خالق الرزق الذي به بقاء المخلوقات ثم ذكر الماء الذي به الانبات ومنه
 المشروب ثم ذكر ما به اصلاح الماكول وهو النار فقال تعالى أفرأيتم النار
 التي تورون أي تقدحونها أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون فامتن
 سبحانه وتعالى بثلاثة أمور وهي الماكول والمشروب والمصلح للماكول
 فذكر من الماكول الحب لانه الاصل ومن المشروب الماء لانه الاصل ومن
 المصلحات النار لان بها اصلاح اكثر الأغذية وأعمها ودخل في كل واحد
 منها ما هو دونه

«مطلب»
 الحرث والزرع

ثم ان الحرث هو أوائل الزرع ومقدماته من برش الارض وردها
 وتخليدها وخدمتها والقاء البذر فيها وسقي المبدور واما الزرع فهو آخر
 الحرث من خروج النبات واستغلاظه واستوائه على الساق فهو بهذا المعنى
 ليس فعلا للحرث الذي لا ينسب اليه الا المبادى فان ايجاد الحب في
 السنبلة ليس بفعل الناس وانما فعلهم هو القاء البذر والسقى ولكن لما كان
 الحرث متصلا بالزرع وكان الحرث أوائل الزرع والزرع أواخر الحرث جاز
 اطلاق احدهما على الآخر ولهذا قال تعالى أعجب الكفار أي الزراع نباته
 أي الحراث وقال تعالى أفرأيتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون
 بمعنى المنبتون وقوله صلى الله عليه وسلم الزرع للزارع بمعنى آخر وفيه فائدة
 أخرى وهي ان الزرع لا يكون الا لمن أتى بالامر المتأخر وهو القاء
 البذر أي من له البذر على مذهب أبي حنيفة رحمه الله فقوله للزارع أظهر
 لانه بمجرد الالتقاء في الارض يجعل الزرع للملقى سواء كان مالكا أو غاصبا
 وهذا يفيد لفظ الزراع لانه لو قال الزرع للحرث لأفاد أنه لا بد من الابتداء

بعامل الزرع وتقليب الارض وتسويتها والقاء البذر فيها مع ان المقصود
الاخير أى من له البذر

فعلم من هذا أن الله سبحانه وتعالى قد من على عباده بالارض الزراعية
والسقي وخلق بقية العناصر النافعة لانباتها وانما يحتاجون الى الاعمال
الحرائية وغيرها فجعل سبحانه وتعالى فيهم القدرة على ذلك وخلق أفعالهم
المستعدة لذلك فأعدم للاشغال وبعث همهم صوب الافعال فلأمور المعاشية
في الظاهر جهتان جهة فاعلية وجهة انفعالية اى محلية والاول هو الاشغال
والثانى هو الاراضى الزراعية

ثم اختلف هل منبع الغنى والثروة وأساس الخير والرزق هو الارض
وانما الشغل مجرد آلة وواسطة لا قيمة له الا بتطبيقه على الفلاحة أو ان الشغل
هو أساس الغنى والسعادة ومنبع الاموال المستفادة وأنه هو الاصل الأولى
للملة والامة يعنى ان الناس يكتسبون سعادتهم باستخراج ما يحتاجون اليه
لمنفعتهم من الارض أو لراحة المعيشة فالفضل للعمل وأما فضل الارض فهو
ثانوى تبعى وهذا هو الذى يعتمده أهل الفلاحة ويستدلون على ذلك بأنه
لا يمكن ايجاد الخصب في الارض الا بدوام الشغل واستمرار العمل
والابقيت مجدبة اذا انقطع الشغل عنها فان الشغل يعطي قيمة لجميع الاشياء
التي ليست متقومة بدونه كالأشياء المباعة التي لا تباع ولا تشرى مما لو خليت
ونفسها لا تساوي شياء مثلا الماء والهواء أصلان لمنافع حياة الانسان
ولا يدخلان في الثروة والسعادة ولا في الملكية المسعدة لان هذين العنصرين
اقتضت الحكمة الالهية الاكثار منهما في جميع المحال وايح لكل انسان
التمتع بهما فهما في حد ذاتهما على العموم ليسا من الاملاك المتقومة وان عظمت

فأدتها ولا يزيد في منفعتها النسبية الا العمل ولشغل يعني أن جلبها اذا
احتاج للعمل كان له قيمة بقدر العمل فقط لان الظمان اذا احتاج الى من
يجاب له الماء في اناء كان الماء المحلوب لسد خلة العطش مقوما عند جلبه اليه
دون قيمته في النهر فان كوز الماء قد يعطى لمن يطلبه مجانا بدون مقابل وقد
يعطى ثمن على قدر العمل وقد يبلغ عند الضرورة والاحتياج ثمنا جسيما كما
وقع في غزوة فرنساوية بمصر أن أحد رؤساء العسكر فرنساوية دفع في
كوز الماء مائة فرنك يعني أربع مائة قرش واذا كان الانسان في بيته واحتاج
الى استنشاق الهواء فالعمل الذي يكون به فتح المنافذ كالبواب والطاقت
والشبابيك تجعل له قيمة لم تكن له قبل ذلك وكذلك عند الضرورة كالهواء
للمسجون فانه يتغالى في تحصيله بدفعه للسجان قدرا جسيما فما يصرفه الانسان
لتحصيل المباح من الماء والهواء انما هو قيمة العمل وأجرة الخدمة وفي
مقابلة الامر والنهي والسلب والايجاب بحسب منافع هذه الاشياء ومضارها
فهذا هو الذي يعد ملكا للانسان وثروة له باستحوازه على الماء والهواء
وفيه ترويح للعقارات المشتملة على منافع هذين العنصرين ومثلها النار والكلا
المباح لقوله عليه الصلاة والسلام الناس شركاء في ثلاثة الماء والكلا والنار
فلا يجوز لاحد تحجرها ولا للامام اقطاعها

فالمدار على العمل في الرواج اذ به يستحوذ الانسان على منافع الحيوانات
وصناعاتها الالهامية فيؤلفها هذه المنافع لينتفع بها أهل وطنه ويؤنس المتوحش
منها لئلا فيتملك الانسان صناعة النحل وصناعة دود القز بتربيتها وبجودة
العمل يتوصل الانسان الى اغتنام العون بحركة الهواء والماء وبصلابة الاجسام
ولينها وتتصعب الأبخرة وبالسيارات وبكل ما فيه قوة معنوية واسرار

منتشرة في اجزائه الكونية وخواص مجريية ليست من دائرة تصرف القوه
 البشرية وانما حدثت للانسان من جودة الصناعة وتقدم المهارة والبراعة
 ومعرفة الانتفاع بتلك القوى الطبيعية التي بثها في الكون الحكمة الالهية فلمولى
 سبحانه وتعالى خلق لنا هذه الاسرار والخواص وخلق فينا العقل لنقدر على
 الاستعانة بها لتكميل ضعفنا والاستفادة منها فيما نحتاج اليه فان الآلات
 والدواليب البخارية مثلا والسفن المنشورة الشراع في البحار العظيمة نستفيد
 منها القوائد الجملة لقوة العمل الذي يعسر ان يكون مشله بالأيدي منتجا
 مقدار انتاجه بالآلات

وفي الحقيقة جميع هذه الاعمال لا يتمكن الانسان من الانتفاع بها حق
 الانتفاع الا بوجود الارض المخصبة او القابلة للخصوبة بالصناعة التي هي
 محل العمل

ولن تصادف مرعي ممرعا ابدا الا وجدت به آثار منتجع
 فالارض المخصبة فضلها انما هو وجود خاصية الخصب الذي هو قبول
 الانتاج والاثمار وهذه الخاصية بالنسبة لذات الارض غير محسوسة بل
 هي عبارة عن الاستعداد والقبول لاستخراج المحصولات منها بالعمل فهي
 في اول امرها وقبل اصلاحها تحتاج كغيرها من الاشياء الطبيعية الى قوة
 ارادة واختيار صادرة عن عقل وتميز ممن يريد أن يتأهدها بالعمل ويصلحها
 فلملكة المتسعة الاراضي القابلة للزراعة اتساعا بليغا يزيد عن حاجتها
 ليس فيها حق الملكية مشروعا ولا منتظما وایس لها اراد ولا محصول
 ينتج من القدر الزائد عن حاجة أهاليها لقلتهم فالقدر الزائد من الاراضي
 ضائع بالنسبة الى المملكة هباء منثورا ولكون طريقها وعرا بقي اقليمها فقرا

كم من رياض لا انيس بها تركت لان طريقها وعمر
ومع ذلك لو استيقظ أهلها من الغفلة لأدوا لوطنهم مفروض العمران ونقله
لا تكونن للامور هيوبا فالى خيبة يصير الهيوب

فلنفرض أن اقلما مشتملا على قوم يعمرونه كبلاد السلوك والدنكة من
الافطار السودانية التابعة لهذه الحكومة المصرية به ارض زراعية يعنى قابلة
للزراعة لخصوبتها وان مقدار أهله مليون من الأ نفس وان أراضيه الواسعة
المخصصة تكفى لتعيش عشرة ملايين من الاهالي ففى هذه الحالة كل واحد من
سكانه يشتغل بحراثة مقدار من الارض بقدر غذائه لا غير وليس له من
الاشغال غير ذلك فأحد الاهالى بهذا الاقليم مقتصرون على منافعهم
الشخصية الغذائية فلا يتفكر بعضهم وهو القوة الحاكمة ان يطلب من البعض
الآخر وهو القوة المحكومية شيئا فى مقابلة المحصولات الغذائية بوصف
الخراج ولا يرضى أحد منهم على فرض ان يطلب منه ذلك ان يدفع شيئا بهذا
الرسم ولا يرسم آخر كاستماضات تجارية أو تبرعات ثوابية واذا دفع شيئا لآخر
فانما يكون فى مقابلة الاعمال فقط اذا كان الحارث يشتغل على ذمة آخر بأجرة
عمله فلم يكن الحارث مكلفا الا بالشغل على ذمة الزارع الذى وفر من زراعة
عدة سنوات ماضية شيئا من المحصولات يعطيه للحارث بقدر تقاوى أرضه
وقدر ما يتعيش به الى أوان المحصول الجديد

فيسرة الزارع أى صاحب الزرع واقتداره على البذر والاجرة ثروة
له فمهي منبع الايراد بعد الشغل والشغل وهو العمل منبع الايراد قبل تحصيل
البذر واجرة الحارث وهذا يتبع أن منبع السعادة الأولى هو العمل والسكد
ومزاولة الخدمة ومع ان ككد العمل مصدر السعادة الاصلى فهو أيضا يعين

صاحب الميسرة على تكثير ميسرته بقوة العمل ومضاعفة الهمة حسب الطاقة
أزيد مما تساعد خصوبة الارض عليه يعني لو زرنا أرضا خصبة وميزنا ما
يمكن ان ينسب من ايرادها للعمل وما ينسب للخصوبة منه وفرزنا كلا على
حدته وجدنا محصول العمل أقوى من محصول الخصوبة

ودليل ذلك ان الامة المتقدمة في ممارسة الاعمال والحركات السكدية
ذات الكمالات العملية المستكملة للادوات الكاملة والآلات الفاضلة
والحركة الدائمة قد ارتفعت الى أعلى درجات السعادة والغنى بحركات أعمالها
مخلاف غيرها من الامم ذات الاراضي الخصبة الواسعة الفاترة الحركة فان
أهاليها لم يخرجوا من دائرة الفاقة والاحتياج فاذا قابلت بين أغلب أقاليم
أوروبا وأفريقية ظهر لك حقيقة ذلك

فمن هذا يظهر ان اساس الغنى مبني على كثرة الاشغال والاعمال فهي
مصادر وموارد للاموال ومنابع لاسعد الاقبال ومع ذلك فليس تعويد النفس
على النشاط سهلا فان الانسان من أصل الفطرة مركزوز في طبعه كراهة
التكليف بالعمل والتباعد منه حسب الامكان مع احتياجه اليه لحفظ نفسه
وبقاء جنسه بالتناسل الذي من لوازمه كثرة العمل وذلك انما يكون بالتشويق
للزواج الذي به ينمو النوع البشري في البلاد الخصبة فتبعث الوجدانيات
صاحب العيلة علي ان يستعمل حركة قواه لحاجته وتحصيل لوازمه فيغلب
التطبع علي الطبع ويحمل الانسان على الشغل رغما عن أنه فهذا التطبع الذي
هو طبع ثان للانسان طارى وعارض عليه يزول بانتهاء قضاء الاوطار فيعود
للانسان طبعه الاول من حب الدعة والراحة والانهماك على البطالة ولا يخرج
من ذلك الا اذا تولد عنده احتياج جديد فيعمل بقدر قضاء الوطر ثم يعود

الى الدعة والبطالة وهلم جرا وهذه الحالة في البلاد الخشنية هي حالة طبيعية
 قريبة من الحالة الفطرية التي هي حالة النوع البشري في اول امره
 فالانسان في هذه الحالة من حيث انه فرد من افراد الهيئة الاجتماعية
 لم يكن قوي الميل لتمدن الهيئة الاجتماعية يعني ان كل فرد من افرادها
 يكون بهذه المناسبة لا انتفاع للجمعية بعمله فجميع اعضاء الجمعية الخشنية
 تلتذ نفوسهم بالراحة والدعة لا سيما اهل الاقاليم التي لا تستدعي احتياجاتهم
 بها كبير عمل ولا عظيم شغل فبطالة اعضائها كأنها رأس مالهم وراحتهم
 يعدونها من أعظم احوالهم وكذلك بعض اهالي المدن الغنية المثرية ذات
 الايراد المتلذذة بحسن المطعم والمسكن والزينة والرفاهية فانهم يصرفون
 النظر عن التلذذ بالشغل ويميلون للراحة والتلذذ بالبطالة والاستراحة ويهربون
 بالسرعة من التمتع بالرفاهية اذا اضطروا ان يشتغلوا بأنفسهم لا بخدمهم فلا
 يعملون الاعمال الشاقة في اراضيهم التي لا تقوم بهم الا بكثرة العمل
 فيتركون ملاذم اذا اقتضى الحال ان يكدوا أنفسهم بعمل هين ولو كان
 جزء من ألف جزء من المتاعب التي يتعبها العملة فيفتوتون هذه اللذات
 الجسيمة اثارا للدعة والراحة عليها لما قلناه من ان محبة الراحة فطرية مألوفة
 للنفوس على الاطلاق متمدنة أو غير متمدنة يعني ان اهل الممالك المتمدنة
 لو كلف مترقوم واهالي رفاهيتهم العمل اليسير وكان لولاه لفاتهم التمتع
 بها فانهم يؤثرون الراحة على الشغل ولذلك تقول العامة الراحة والكسل
 أحلى مذاقا من العسل وقد نظم هذا المعنى بعض الشعراء فقال

ان البطالة والكسل أحلى مذاقا من عسل
 ان لم تجربها فسل من كان قبلي في الكسل

فمن هنا ينتج ان كل امة بمجموع شغلها لمنجز يساوي مجموع احتياجاتها البشرية
 فاذا فرضنا في القضية المتقدمة ان اقليم الشالوك والدنكة بالسودان اقليم فلاحية
 وان مقدار أهله مليون ومساحة ارضه عشرة ملايين من الفدادين وان
 الشخص الواحد يكفيه في غذائه فدان واحد فتكون ارض هذا الاقليم كافية
 لغذاء عشرة ملايين من الانفس فهي زائدة تسعة ملايين عن حاجة أهلبها
 الموجودين بها فكل انسان من الاهالي يشغل بقدر ما يلزم لحاجته فالعمل
 الزراعي لا يكون من الجميع الا بقدر المؤونة اللازمة للجميع دون الزيادة عليها
 وفي هذه الحالة يكون عمل كل انسان اقل من طاقته وجهده ودون قواه
 الطبيعية بحيث يكون له من البطالة نصيب عظيم وايضا لا يزرعون في هذه
 الحالة من اقليمهم الا المزارع الخصبية التي تكون سهلة الحراثة قريبة السقي بدون
 ان يكون فيها كبير مشقة على الحارث فتلك الامة التي فرضنا انصافها بتلك
 الصفات تفنع بالفلاحة اليسيرة وتكتفي بقدر القوت الضروري لملازمة الكسل
 وحب الراحة للطبع البشري فكل فرد من افراد هذا الاقليم مستعد لان
 يصرف ثلاثة ارباع زمنه في التمتع بلذة البطالة والراحة بدون ان يعود عليه
 ضرر في احتياجاته الاولية واقواته المعاشية فلا يضره ضياع الأوقات
 والغالب أيضا ان الاهالي الذين هم بهذه المثابة لا يكادون يخرجون عن
 هذه الحالة ما لم تنب على طبائهم واحوالهم حالة أخرى تعادل قوة الاحتياجات
 الاولية كالتناسل والتوالد او تشوقهم الحكومة الى ذلك أو تجبرهم عليه فان
 الكثرة تستجلب الحاجة فهذا يزيد عددهم ويغمر في قليل من السنين ويصير
 ضعفين فيتضاعف مقدار زراعتهم بذلك فيكون للمليونين من الأتس مليونان
 من الفدادين وفي مدة مساوية لما ذكر يكون عدد الاهالي أربعة ملايين

وهكذا الى ان يبلغ مقدار الاهالي عشرة ملايين بقدر ما تكفيه من الغذاء
فحس الامة احساسات قوية بصعوبة تحصيل غذائها لكثرة اهلها فلا
تكاد تحصل منه على الكفاية فكل شخص من الاهالي نقص له شيء من
غذائه اضطر على ان يصرف جميع زمنه وجميع قواه في تحصيل الغذاء والمؤونة
ففي هذه الحالة يتجدد لاهالي هذا الاقليم صفة نشاط أخرى فيكون مقدار
الشغل عندهم والعمل الكافي لهم صرف ما يستطيعونه من الكد والاجتهاد
والقوة والنشاط ولا تزال تزايد عندهم القوة النشاطية والانتفاع بالاراضي
الزراعية ايا ما كانت خصوبتها

رق الى صغير الامر حتى يرقبك الصغير الى الكبير

وهذه الحالة حالة تقدم للبيئة الاجتماعية محتاج اليها جميع أعضاء الجمعية
في أثناء تقدم الاهالي بهذه المثابة يتجدد عندهم حق من الحقوق المدنية وهو
مبدأ حق التملك للاراضي وحوزها بوضع اليد عليها باحياء مواتها فن هذا
الوقت يصير للارض قيمة في حد ذاتها زائدة عن قيمة العمل فالشاغل
لارض يختص بها بدون ان يستولى عليها بالعمل بالتملك وفي هذه الحالة
تضطر الاهالي الى الاستيلاء على جميع الاراضي القليلة المحصول التي كانت قبل
ذلك عديمة الرغبة فيها فيصير صرف الهمة في اصلاحها بالحرثة ثم لا تكتفي
الاهالي بذلك بل ربما تدعو الضرورات الى اصلاح الاراضي العقيمة
المجدبة وتقويم أودها بالحرث والخدمة واحياء مواتها بل كل من استولى على
ارض بهذه الحالة أجهد نفسه في اصلاحها لاستحصاله منها على البذر
والتقاوي واجرة العمل والتسوية مدة احيائها وجبر الخسارة التي خسرها

فحينئذ كل فرد من افراد الجمعية محترف بحرفة الفلاحة والعمل فيها مضطر لان يؤجر نفسه للحرث والفرس ليتعيش بحرفته ويدخل عند مالك الارض بوصف أجير عامل ويكف نفسه ان يصرف جميع أوقاته في خدمة الارض بدون راحة الا بقدر المسافات الضرورية لأكله وشربه ونومه وعبادته ونحو ذلك فهذا تزداد نتائج الزراعة وتتمو يوما فيوما بكثرة العمل فالعامل الذي كان يعمل في الزمن الاول مقدارا يسيرا ويقضى أوقاته في البطالة يضطر الى ان يعمل في الزمن بعينه مقادير جسيمة ويستحصل على كثير من المحصولات بقدر زيادة القوة البشرية وذلك ان كلاً من العملة واصحاب الاملاك يجتهد في البحث عن الوسائل والوسائط المقربة للعمل المسهلة له المقللة لأوقاته

فكن باحثا عما عناك فانما دعيت أخاء عقل لتبحث بالعقل

ويصير الاجتهاد في ذلك بحيث ما يعمله العامل في يوم يمكنه ان يعمل اضعافه في اليوم الواحد ثلاث مرات او اربعا لان العامل قد تجرد في هذه الحالة عن البطالة وتفرغ للعمل وتمرن عليه بالمداومة فكلما مارسه تجددت عنده معرفة تامة يجيد بها عمله وبتزايد الدرجات في الكمال تحسن الزراعة وتكامل البراعة فيها فيحسن العامل العمل ويتفنن فيه ويقسمه الى اقسام ويعرف الاوقات والفصول والساعات وما يخص انواع الزراعة وما يقويها من المصلحات فتعلو قيمة العامل بالتجربة والجودة وكذلك يقف على معرفة خصائص ما يستعمل به من الالات العنصرية المسهلة لصنعتة كالهواء والماء والبخار فتكون هذه الاشياء المسهلة عنده أدوات عمل كأنها عوامل بدون أجره وانما يحسن استعمالها ارباب المهارة والصناعة فاذا توفرت

عند المزارعين هذه الوسائط المتكاملة النافعة حسنت بها نتائج الاعمال اليومية وعظمت بها ثمرات الاشغال

فبهذه الطرق والوسائل ينطبع في مرآة عقول الامة المتعيشة من الفلاحة صورة حركات الاشغال التقدمية ويتعودون على المبادرة بنشاط الاعمال الفلاحية فلا تزال تتجدد المنافع العمومية بالتدريج وتأخذ في الزيادة بدون نهاية وبهذه المنافع الاهلية تكثر أموال الرعية وسعادتها التعيشية

ثم ان المقتطف لثمار هذه التحسينات الزراعية المجتني لفوائد هذه الاصلاحات الفلاحية الناجمة في الغالب عن العمل واستعمال القوى الآلية والمحتكر لمحصولاتها الايرادية انما هو طائفة الملاك فهم من دون أهل الحرفة الزراعية متمتعون بأعظم مزية فأرباب الاراضي والمزارع هم المغمضون لنتائجها العمومية والمتحصلون على فوائدها حتى لا يكاد يكون لغيرهم شيء من محصولاتها له وقع فلا يعطون للاهالي الا بقدر الخدمة والعمل وعلى حسب ما تسمح به نفوسهم في مقابلة المشقة يعني ان الملاك في العادة تمتع بالتحصل من العمل ولا تدفع في نظير العمل الجسيم الا القدر اليسير الذي لا يكفي العمل فما يصل الى العمال في نظير عملهم في المزارع اوالى أصحاب الآلات في نظير اصداغهم لها هو شيء قليل بالنسبة للمقدار الجسيم المائد الى الملاك فان المالك يستوفي لنفسه اكثر محصول الارض فانه بعد تصفية حساب مصاريف الزراعة وجميع كلفها يأخذ محصولها بتمامه بوصف ايراد للارض وعلف للمواشي وأجرة للآلات ولا يعطى لأرباب الاعمال والاشغال منها الا قدرا يسيرا ولا ينظر الى كون بعض هؤلاء العمال هو الذي حسن الزراعة بشغله واخترع لها طرائق منتجة واستكشف استكشافات عظيمة بتسمية

الزراعة وتكثير أشغالها فان حق التملك ووضع اليد على المزارع سوغ للملاك ولواضي الأيدي ان يتصرفوا في عمليات املاكهم التصرف التام وان يعطوا للعمال بقدر ما يظنون انه من لياقتهم ويعتقد المالكون أنهم أرباب استحقاق عظيم بسبب التملك وانهم هم الاولي بالسعادة والنفي مما يتحصل من عمليات الزراعة وأن من عدايم من أهل المملكة لا يستحق من محصول الارض شيأ الا في مقابلة خدمته ومنفعته المسأور باجرائها في حق أرضهم فيرتب على هذا ان كل من يريد من الاهالي ان يتعيش من الخدمة التي هي العمل يصير مضطرا لان يخدم بالقدر الذي يتيسر له أخذه من الملاك بحسب رضائهم ولو كان هذا القدر يسيرا جدا لا يساوي العمل لاسيما اذا وجد بالجهة كثير من الشغاليين فانهم يتنافسون في الأجرة ويتنافسون في ذلك لمصلحة صاحب الارض مع ان الارض انما تحسن محصولاتها بالعمل فلا يمكن أن يكون ذلك التحسن والزيادة والخصب الا بالعمليات الفلاحية الصادرة من هؤلاء الأجرية الذين تناقصت أجرتهم وكما أن أرباب الاملاك يحتكرون جميع الاعمال الزراعية من طائفة الفلاحة كذلك يحتكرون ثمرات جميع الصنائع لان الصنائع كلها تسعى وتمهض في الاشغال والعمليات التي تستدعيها حاجة الفلاحة كالحدادة والنجارة وجميع صنائع أهل الحرف المتعلقة بأموال الفلاحة

فينتج من هذا كله أن زيدا من الناس اذا لم تساعده المقادير على ان يصير مالكا لقطعة أرض لا يزال يقاسم مالك الارض فيما يتحصل من الثروة الزراعية ولكن تمتعه ناقص جدا فانه لا ياخذ من المحصول الزراعي الا القدر الذي يسمح به المالك في مقابلة خدمته وفنه وصناعته وثمان الأدوات

والآلات والدواب المهندمة للزراعة فإذا كان مالك الأرض سخيا كريما
مبسوط اليد كافاً المكافأة التامة ووسع على من ينتفع بفضله فقد جرت العادة
أن الفلاح لا يكافأ على قدر خدمته وحرأته لقاعدة مشهورة ان من
يزرع يحصد يعني ان المحصول للمالك وقد قال صلى الله عليه وسلم الزرع للزارع
مع ان المعنى فيه ان الزرع لمن بزر والثمرة له وعليه أجرة مثل الأرض
لا أن العامل يأخذ أجرة قليلة على عمله في خبر الصحيحين انه صلى الله
عليه وسلم عامل اهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر او زرع أى أعطاهم
النصف في نظير عملهم وفي رواية دفع الى يهود خيبر نخلها وأرضها والمراد
بعملهم مساقاتهم ومزارعتهم فالواقع منه صلى الله عليه وسلم مزارعة تابعة
للمساقاة والزرع المذكور في الحديث كان شعيراً كما استظهره بعضهم ومثل
الزرع المذكور غيره كملوخية وبامية وخوخ ومشمش فتصح المزارعة على
ذلك تبعاً للمساقاة والبذر فيها من المالك بخلاف ما اذا كان البذر من
العامل فهي مخابرة وهي المسماة أيضاً بالمشاطرة التي تقع في مثل الغنم
والخوخ فيدفع للمالك الأرض للعامل ويزرعها العامل ببذر من عنده وكذا
القمح بل وقوع المخابرة الآن مع انها غير جائزة موجودة بمصر اكثر من
المزارعة فحديث الزرع للزارع لا يدل على شيء من جواز استحواذ المالك
على المحصولات وعدم مكافأة العامل ولا يستند في غبن الأجير الى ان
المالك دفع رأس ماله في مصرف الزراعة والتزم الأتفاق عليها فهو الأحق
بالاستحواذ على المحصولات الجسيمة وانه الاولى بربح امواله العظيمة فهو
الاصل في التربيح وان عملية الفلاح انما هي فرعية انتجها وحسنها رأس
المال فان هذه التعليقات محض مغالطة اذ فرض الكلام في العامل جراً لعمل

منتج لولاه لما ربحت الارض ربها عظيما فموا كسة المالك له في تقليل أجرته
 محض اجحاف به ووصف استملاك الاراضي والصراف على الزراعة من رأس مال
 المالك لا يقتضى كونه يستوعب جل المحصولات ويجحف بالأجير نظرا الى
 ازدهام أهل الفلاحة وتقيصهم للاجر وسومهم على بعضهم بالزيادات
 التقيصية وهذا لا يثر محبة الاجير للمالك (من زرع الشوك لا يحصده عبا)
 فان هذا فيه ايداء بعضهم لبعض وهو ممنوع شرعا كما يدل عليه ما رواه ابو
 هريرة رضى الله عنه فقد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا
 ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا
 يحقده التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر
 أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه مسلم
 وفي رواية ولا يسم على سومه ولا يخطب على خطبته وحيث كان هذا
 الحديث كثير الفوائد عظيم العوائد مشيرا الى حل المبادي والمقاصد حاويا
 لكثير من الاحكام والآداب اشارة وصراحة لا سيما انه ينطبق انطباقا
 كليا على اعمال الفلاحة بينا معناه بطريق الاختصار فقوله صلى الله عليه
 وسلم لا تحاسدوا أي لا يحسد بعضكم بعضا أي لا يتنى زوال نعمة غيره
 لان الحسد حرام لقبحه عند الشرعيين وغيرهم قال الشاعر

وأظلم أهل الأرض من كان حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب

وليس من الحسد تمنى الانسان مثل ما للغير لنفسه فان هذا هو
 الغبطة المدوحة وقوله صلى الله عليه وسلم ولا تناجشوا أي لا ينجش بعضكم
 على بعض بان يزيد في المبيع ليخدع غيره وهو أيضا محرم اجماعا لانه غش

« مطلب »
تفسير قوله صلى
الله عليه وسلم لا
محاسدوا ولا
تناجشوا الخ

وخداع وهما محرمان لحديث من غشنا فليس منا وفي رواية من بخش
فليس منا ومعناه لا يعامل احدكم صاحبه بالغش والمكر والخديعة فيدخل
في قوله ولا تناجشوا جميع انواع المعاملات بالغش ونحوه كتدليس العيوب
وكنمها وخلط الجيد بالردى قال الشاعر

ليس دنيا الابدن وليس الدين الا مكارم الاخلاق
انما المكر والخديعة في الناس هما من خصال اهل النفاق

ومن المعلوم ان الحسد والغش يتولد عنهما التباغض اذ يكونان من
اسبابه فذلك قال صلى الله عليه وسلم ولا تباغضوا اى لا يبغض بعضكم
بعضا اى لا يتعاطى اسباب البغض ايا ما كانت كالمواكسة السابقة
للمذكورة بل ينبغي للناس ان يسعوا بما فيه ائتلاف القلوب بتعاطي اسبابه
فقد امتن الله سبحانه وتعالى على عباده اذ ألف بين قلوبهم فقال واذكروا
نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وقال
تعالى لو انفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف
بينهم فالانسان مكلف بتعاطي اسباب الالفة والمحبة واجتناب اسباب
العداوة والبغضة ثم قال صلى الله عليه وسلم ولا تداروا اى لا يدبر بعضكم
عن بعض اى لا يعرض بعضكم عما يجب للبعض الاخر عليه من الحقوق
كالاعانة والنصر والتخاطب والتألف وعدم الهجر فى الكلام الا لعذر
شرعى كحوتهم وقصد تأديب ثم قال صلى الله عليه وسلم ولا يبيع بعضكم
على بيع بعض بان يقول بائع لمشتري سلعة فى زمن الخيار افسخ هذا البيع
وانا ابيعتك مثلها بأرخص من ثمنها او يقول انا ابيعتك أجود منها بثمنها ومثله
الشراء على الشراء بان يقول مرید الشراء للبائع فى زمن الخيار افسخه

وأنا أشتريه منك بأغلى فإن هذا كله من باب الضرر ومثله السوم على
 السوم والخطبة في الزواج على خطبة الغير ومثل ذلك كل ما كان في معناه
 مما ينفر القلوب وينورث البغضاء وأغلب أهل الفلاحة والصناعة والتجارة
 لا يتحرزون عن ذلك لاسيما بعد استقرار البيع والايجار والتراضي عليه
 ويتعاملون في جواز القدوم على ذلك بالغبن وبعض العلماء لا يجوز القدوم عليه
 ولو كان مغبونا وبالجملة لا يجوز الزيادة في ثمن البيع والسوم ولا على الايجار
 بعد الاستقرار بل تحرم وتجوز الزيادة قبل الاستقرار

ثم حث صلى الله عليه على حسن المعاشرة والملاطفة والتعاون في الخير
 بقوله وكونوا عباد الله اخوانا يعني يا عباد الله كلكم خلق الله قد أخرجكم من
 العدم لحكمة انتظام العالم وتكثير منافعه فاكثبوا ما تصيرون به اخوانا في
 المودة وقد أمركم بما تقدم ذكره وأتم عبيده فحكمكم أن تطيعوه وتعاظوا أسباب
 ما تصيرون به اخوانا للتعاقد على اقامة دينه واظهار شعائره وانتظام ملكه
 وهذا انما يكون بائتلاف القلوب وتواطىء الكلمة كما يفيد قوله تعالى
 هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم الآية ثم ان أخوة
 العبودية التي هي التساوي في الانسانية عامة في حقوق أهل المملكة بعضهم
 على بعض التي هي حقوق العباد وهناك حقوق العبودية الخاصة التي هي
 الاخوة الاسلامية وهي اكتساب ما يصير به المسلمون اخوانا على الاطلاق
 من اداء حقوق بعضهم على بعض كرد السلام وابتدائه وتعليم الاحكام
 الشرعية ونحو ذلك من شعب الايمان فهذه هي التي أشار لها صلى الله عليه
 وسلم بقوله المسلم اخو المسلم يعني أخوة دينية لانها يجمعها دين واحد وهي
 أعظم من الاخوة الحقيقية وقد قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة وفي

« مطلب »
 نعيم ابناء الوطن
 في مكارم
 الاخلاق بدون
 تفرقة ولا نظر
 للاختلاف في
 الدين

الصحيحين مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد اذا
 اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر وروى أبو داود المؤمن
 أخو المؤمن يكف عنه ضيقته ويحوطه من ورأته ورواية الترمذي ان
 أحدكم مرآة أخيه فان رأى به أذى فليمطه عنه أي يبعده عنه ولا مانع أن
 يعمم في مكارم الاخلاق لجميع ما يجب على المؤمن لآخيه المؤمن منها يجب
 على أعضاء الوطن في حقوق بعضهم على بعض لما بينهم من الأخوة الوطنية فضلا
 عن الاخوة الدينية فيجب ادبالمن يجمعهم وطن واحدالتعاون على تحسين الوطن
 وتكميل نظامه فيما يخص شرف الوطن واعظامه وغناؤه وثروته لان الغنى انما
 يحصل من انتظام المعاملات وتحصيل المنافع العمومية وهي تكون بين اهل
 الوطن على السوية لا تتفاعدهم جميعا بمزية النخوة الوطنية فتى ارتفع من بين
 الجميع التظالم والتخاذل وكذب بعضهم على بعض والاحتقار ثبتت لهم المكارم
 والمآثر ودخلت فيما بينهم السعادة بكسب شعائرها ومآثرها فلذلك بين عليه
 الصلاة والسلام قوله المسلم أخو المسلم بقوله لا يظلمه أى لا يدخل عليه ضررا
 في نحو نفسه اودينه او عرضه أو ماله لان ذلك قطيعة محرمة تنافي الأخوة

قال الامام ابن حجر في شرحه على الاربعين النووية بل الظلم حرام حتى
 للذمي فالمسلم أولى انتهى وهذا يؤيد ما قلناه من ان اخوة الوطن لها حقوق
 لاسيما وانها يمكن ان تؤخذ من حقوق الجوار مما للجار على جاره خصوصا
 من يقول بأن أهل الحلة الواحدة كلهم جيران وقوله صلى الله عليه وسلم
 ولا يخذله اي لا يترك نصرته الشريعة لاسيما مع الاحتياج والاضطرار اليها
 وقوله ولا يكذبه أى لا يخبره بامر على خلاف الواقع لانه غش وخيانة قال
 تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقد اجمع جميع الملل

« مطلب »
 تسوية الذمي
 بالمسلم في حرمة
 ظلمه

على قبحة وتحريمه الا لمصلحة قوية ضرورية ولا يحقره أي لا يستصغر شأنه
ويضع قدره ولا يفدرعه منه ولا يتقص امانته باستخائنه

وبالجملة فيعامل اخاه بمضمون حديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه
ما يحب لنفسه فالاحتقار ناشئ عن الكبر وهو مذموم لان المتكبر ينظر لنفسه
بمعين الكمال ولنيره بعين النقص فيحتقره ولا يراه أهلا لان يقوم بحقوقه
قال ابن حجر وتخصيص ذلك بالمسلم لمزيد حرمة لا للاختصاص به من كل
وجه لان الذي يشاركه في حرمة ظلمه وخذلانه بدفع نحو عدوه عنه
والكذب عليه واحتقاره الامن حيث مغايرة الدين ثم قال صلى الله عليه
وسلم التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات يعني ان التقوى هي اجتناب
عذاب الله تعالى بفعل للمأورات وترك المحظورات في القلب الذي في الصدر
قال تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب وفي هذا اشارة
الى ان العبرة بالقلوب كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام الا وان في الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب
فهو العارف بالشرائع والطرائق والحقائق واذا استقام القلب استقامت الجوارح
لا سيما اللسان فانه ينكف اذاه عن كل انسان وهنالك يستقيم الايمان فعلى
الانسان ان يتمسك بالتقوى التي هي السبب الأقوى ويقف عند حد كلام
النبوّة ليتصف بالمروءة والفتوة فلا يظلم احدا ولا يحقره ولا يكذبه ولا يخذله
فقد قال صلى الله عليه وسلم انزلوا الناس منازلهم وقال ليس منا من لم يرحم
صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا ثم قال صلى الله عليه وسلم بحسب امرء من
الشر ان يحقر اخاه المسلم يعني يكفي الانسان في ان تكون اخلاقه موصوفة
بالشر وان يكون سيء المعاش والمعاد احتقار أخيه المسلم واحتقار من له

تحرمة من الناس لان الله عز وجل لم يحقر الانسان اذا احسن تقويم خلقه
 وسخر ما في السموات والارض كله لاجله فاحتقاره احتقار لما عظمه الله
 عز وجل وكرهه قال تعالى ولقد كرنا بني آدم فاذرناؤه من أعظم الذنوب
 والجرائم ثم قال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله
 وعرضه يعني انه يحرم على المسلم سفك دم اخيه وسلب ماله وهتك عرضه
 وأدلة تحريم هذه الثلاثة شهيرة من الكتاب والسنة واجماع الامة وهي
 أصول قوام صورة الانسان لان الدم به حياة الانسان ومادة الحياة هي
 المائل وبالعرض الذي هو الحسب قوام الصورة المعنوية وما سوى هذه
 الأصول الثلاثة متفرع عنها وراجع اليها فهذا الحديث يحث جميع الناس
 على مكارم الاخلاق وعلى التعاون في التعيش والمعاملة واكثر الناس معاملة
 هم أهل الزراعة فان أرباب الأملاك والاراضي يحتاجون الى التعاون في
 زراعة أرضهم بأكثر الصنائع وقد قال صلى الله عليه وسلم استعينوا على
 كل صنعة بصالحى أهلها وكذلك أهالى الصناعات يحتاجون لأرباب الاملاك
 الارضية للتعيش من محصول أراضيهم فيجب عليهم جميعا المناصحة لبعضهم
 وتقوى الله في صنعتهم ثم ان العمل الذى عليه مدار الفلاحة كما ان الفلاحة
 عليها مدار غيرها من الصنائع يتقسم الى قسمين منتج وغير منتج وهذا هو
 موضوع الفصل الثالث من هذا الباب

«مطلب»
 احتياج الزراعة
 لاكثر الصنائع
 وبالعكس

الفصل الثالث

(في تقسيم الأعمال الى منتجة للاموال وغير منتجة لها اي استنلاية وغير استنلاية)

من المعلوم ان العمل والشغل مترادفان على معنى واحد عند اهل الصناعة والعامل والشغال كذلك فما يقال في العمل والشغل يتصف به العامل والشغال ومن المحقق ان الافعال كلها لله سبحانه وتعالى وانما احوج عباده الى تحصيل اسباب الحاجة المتكاثرة ليظهر للخلق انه اراد استجلابها بوجه حلال وجعل الانسان اكثر اصناف الحيوانات احتياجا وجعل دونه في الاحتياج سائر اصناف الحيوانات حيث اقتضت الحكمة الالهية ان تكون غنية باصوافها وأوبارها واشعارها عن اللباس والدثار وغنية بالارض والأوكار عن ان تتخذ بنيانا واشرك الجميع في مادة الاحتياج الى الغذاء لئلا يشتركو مع الالهية فاذا ادعى بعضهم الربوبية لنفسه كفرعون أو لغيره كان احتياجه الى تكرار الغذاء شاهدا على كذبه كما قال الله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل أي مضوا فهو يمضي مثلهم وليس باله كما زعموا وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أي كغيرهما من الحيوانات المشتركة معهما في ذلك ومن كان كذلك لا يكون آلهما لاحتياجه الى الطعام والى خروج ما نشأ عنه من الفضلات فالفعل والتدبير انما هو لله سبحانه وتعالى في تحصيل ما يحتاج اليه الآدمي وغيره من الغذاء والادم والقواكه والأشربة كما قال الله تعالى انا صبينا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا أي بالنبات فانبتنا فيها حبا أي كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا أي تبنا للعلف وزيتونا ونخلا وحدائق أي بساتين غلبا أي عظاما لكثرة أشجارها

وفاكهة اى ثمارا طيبة غير ما تقدم وأبا اى مرعى للدواب أو يابس الفواكه
 متاعا لكم ولا نعامكم اى الابل والبقر والغنم فان الانواع المذكورة بعضها
 طعام وبعضها غلف وابتدأ تعالى بالمن بانبات الحب لانه أنفع المنبت ولان
 الانسان اذا تأمل في انبات الحبة الصغيرة استدل بذلك على عظيم قدرة الله تعالى
 لان الحبة ولو صغيرة جدا اذا دفنت فى الارض وحصل لها نداوة انتفخت
 ثم لا تنشق مع عموم الانتفاخ لها الا من أعلاها وأسفلها فيخرج من الأعلى
 الجزء الصاعد الممتد وهو الساق ثم يتشعب منها أغصان كثيرة الى الجانبين
 ثم يطلع الزهر غالبا ثم منه تصلح الثمرة وهي مشتملة على أجزاء غليظة
 كالقشر ولطيفة كالباب وفيه الدهن وأما الجزء الغائص من أسفل الحبة
 فيتفرع منه عروق تغوص فى الارض الشديدة الصلابة مع غاية لطفها
 ويوصل الله بها الأغذية من الطين الى الجزء الصاعد والاغصان ويوزعها الله
 فى كل جزء من أجزاء الاغصان فاذا تفكر الانسان فى هذا وأمثاله
 ذهبت غفلته وحدث للقلب خشية كما يحدث الله عند الماء النماء للزرع
 وعلم ان الفعل لله حقيقة وغيره مجازا

وقد قسم أرباب الادارات والتدابير العمل الى قسمين لا ثالث لهما
 منتج للمال وغير منتج له لان العمل لا يخلو اما ان تزيد قيمة مورده بالربح
 فهو المنتج واما أن لا تنشأ عنه ثمرة تبيع مالي تنسب اليه فهو غير المنتج
 وهذا يرجع الى الاستغلال وعدمه بالعمل وكما يقال للعمل منتج أو غير
 منتج يقال للمامل كذلك فالعمال صنفان مكتسبة ومرزقة ويقال للعمل أيضا
 خدمة سواء كان جليلا أو حقيرا فهذا المعنى يقال لمطلق العمل خدمة
 وانما العرف يخص الخادم بالمعنى المشهور المتعارف والقرينة بحسب المحال

تدل على المعنى المراد ثم ان العامل في اوسية او دائرة العامل صناعية او
 زراعية تزيد بعمله قيمة البضائع المصنوعة التي هي مورد عمله فله مدخل
 عظيم في تربيح صاحب الملك فمذا العامل منتج للكسب والاستغلال
 بخلاف عمل الخادم عند السيد فانه ليس فيه في حد ذاته للسيد ربح ولا
 مكسب مالي ومن المعلوم ان كلا من العامل والخادم يتعيش من محل
 العمل او محل الخدمة لانا اذا نظرنا للحقيقة ونفس الامر نجد ان العامل
 المستأجر يأخذ من صاحب المصنع اجرة مقدمة على العمل ومع ذلك
 لا يتكلف على صاحب المصنع شيئاً فان اجرته في الغالب تنض من الربح
 الزائد المتسبب عن عمله فهو يأخذ من ثمرة كده وعرق جبينه بخلاف
 ما يأخذه الخادم من سيده من الجامكية في مقابلة خدمته فليس مأخوذاً
 من مورد مالي صادر عن عمل الخادم والدليل على ذلك ان آحاد الناس من
 ارباب الفلاحة او الصناعة قد يربح من عمل عماله وآثار مهارتهم شيئاً يصير به
 رئيس جماعته فلاحية او عريف فرقة صناعية فيتشغله كثيراً من العملة
 والشغالين في دائرة شغله ينمو ماله ويزيد عناده وتكمل سعادته وكلما كثرت اتباعه
 في هذا الخصوص كثرت ثروته وان السيد قد يكثر من الخدم والحشم
 فيكون ذلك سبباً لتناقص ماله وانحطاط قدره وما ذلك الا ان الأول جميع
 من عنده من العمال يعملون عملاً منتجاً مربحاً بخلاف الثاني فان عمل خدمه
 وحشمه غير منتج للمال ومع ذلك فسيد الخدام يحكمهم بقدر استحقاقهم
 ونشاط خدمتهم وتأدية ما هو مطلوب منهم فهم آخذون لا معطون بخلاف
 عمال الأشغال الصناعية فأجرتهم تقدر على قدر مورد العمل والمتحصل منه
 من الأرباح والفوائد هذا اذا كان بالمياومة واذا كان بالمقاوله والالتزام

« مطلب »
 (الفرق بين
 العامل والخادم)

والتعهد فان رئيس الصناعة يعطي المهرات الجسيمة لتراكمه الأجزاء والمواد
 بتقدير معلوم للعمال في نظير الأجرة فاذا تخصصت على الزمن ربما تفرق عن
 المياومة بكثير فيرجح المالك ربها عظيما ويخسر العامل لانه معط نوعا للكثير
 وأخذ للقليل وجميع هذه المصنوعات والمشغولات توضع في مخازنها الى
 وقت رواجها فتباع ويحصل منها مقادير جسيمة بحيث تكفي لتشغيل
 مشغولات قدر التشغيلات الأولية التي بيعت مشغولاتها عند رواجها يعني
 ان صاحب المال ربح جودة وسائل التشغيل وأدواته فقد توفر رأس ماله
 وما اكتسبه من عمل العمال وهلم جرا الى غير نهاية بخلاف خدمة الخادم
 لسيدته فلا تثر له ثمرة باقية وليس لها مورد ولا محصول ولا بضاعة تباع
 ولا تشرى بل خدمات الخادم اعراض تنقضى بالفراغ من عملها بدون
 بقاء أثر ولا قيمة فلا تعطي بعد انقضائها ربها يكفي صرفه لمدة أخرى
 بقدرها عند العود لمثلها ولو كانت لزومية وعليها مدار العمل في الجمعية يعني
 في المملكة المتمدنة

نخدمة المقلدين للمناصب العالية والوظائف السامية في أي دولة من الدول
 وكذلك خدمة الخدم المعتادين لسادتهم في أي بلد كان لا تنتج ربها ماليا ولا
 قيمة مثرية للمخدوم محسوسة يعني لا تنتج بنفسها استغلال الاموال لمن هي
 منسوبة له وهذا لا يقدر في حقها شيئا لان خدمة أرباب المناصب في الممالك
 عليها مدار العمل والارشاد بالتدبير والسعي في الاصلاح فانتاجها الحقيقي
 انتاج بالواسطة فهو انتاج الانتاج لا انتاج بالفعل والمباشرة وكلامنا في
 انتاج رؤس الاموال والسرمايات دون الانتاج الارشادي والا اذا نظرنا
 الى انتاج الادارة ومعونة الحكومات وجدنا صحة ما سلف نقله عن الخليفة

المأمون من قوله ان اسباب المكاسب أربعة وعقد منها الأمانة وقال ان
 ماء ذلك فهو كل علينا والسكل بفتح الكاف الحبل وقد قلنا ان مرجع
 استحصال الاموال لا يكون الا من الزراعة والصناعة والتجارة فهي محل
 الأرباح والإيراد واما غيرها فهو محل للمصارف لأننا بينا ان غير المنتج
 من الاعمال هو ما لا يبقى بعد انقضائه شيء من ثمرات العمل يروج ويكفي
 لعمل آخر فوظائف جميع الحكام الملكية وضباط العسكرية البرية والبحرية
 وجميع الجنود كذلك وان كان عليها مدار حركة الانتاج بل هي القوة الباعثة
 له في الوقائع وتقس الامر الا انها لا تسمى في عرف المنافع العمومية
 بالمنتجة للاموال بنفسها وبعملها وان كانت لهم مرتبات سنوية جسيمة
 في نظير ما مورياتهم فهذه المرتبات عائدة اليهم من أموال غيرهم ولو ان
 خدمتهم للحكومات في غاية الشرف والمنفعة ومن أشد اللزوم للاهالي
 فلا نتيج ربحا يروج منه مقدار للمستقبل يساوي الصرف على خدمتهم
 سنة يعني لا تربح خدمتهم للحكومة مالا ناضا يعطى لهم في السنة المقبلة
 فهذا المعنى يقال انهم غير منتجين يعني هم جهة مصرف لاجهة ايراد أي
 ليسوا جهة أرباح ويلحق بالمناصب الميرية المناصب القضائية والدينية والعمومية
 كعمال الاوقاف ونحوها فان الموظفين بهذه المناصب المفخمة غير منتجين
 بالمعنى السابق يعني مناصبهم لا تجلب أرباحا ولا مكاسب ومثل هؤلاء اهل
 الآداب كالشعراء والمنشئين ومن ذلك أرباب فنون الطرب والملاهي
 والمصارعين كاهل الموسيقى والمغنين والمنشدين وما أشبه ذلك فجميع هذه
 الأعمال ليس لها قيمة مائة وكسب وتربيح كالاشغال المنتجة لذلك اذ لا
 ينتج شيئا يباع ويتحصل منه لسنة أخرى مصاريف العمل الذي يعطى ربحا

وهلم جرا فان اشغالهم جديما واعمالهم أعراض تنتهي عقب فراغها لراغبتها
 فلعجب اللاعب وانشاد المنشد وانغام المغني وتوقيع المويسيقى ضروره على
 حسب المقامات كلها أعراض تنتهي بانتهاء عملها لطلابها وليست مربحة واما
 عمل آلاتها وكتبتها وتأليفها فهو منتج أموالا واما هي في حد ذاتها فلحقة
 بغير المنتج فجميع أرباب الاعمال غير المنتجة وأرباب البطالة الذين لا عمل
 لهم كلهم على حد سوى في كون مصارفهم صادرة عن محصولات الارض
 السنوية وعن عمليات الاهالي الصناعية فنفتقهم على غيرهم مع شرف البعض
 كشرف الولاة والقضاة وآمناء الأديان والانتفاع بخدمة البعض الآخر
 كارباب الطرب والملاهي وما اشبههم ثم ان المحصول الزراعي أو الصناعي
 ولو بلغ ما بلغ في العظم والكثرة فهو محدود ومتناه ومقدر بالحساب فاذا
 أخذنا حساب السنة الماضية وعرفنا منه مقدار المنصرف في استحقاقات
 ومرتببات غير المنتجين من الاشخاص قل عددهم أو أكثر وكذلك مرتبهم
 وجعلنا الباقي على ذمة مصارف الأشخاص المنتجين فهذا القدر الباقي قليلا
 كان أو كثيرا يكون هو محصول السنة المقبلة لانه هو الذي يباع ويصير
 دخوله في التشغيل للتربيح ومن هذا يتبين ان المتحصل من المزارع في
 السنة هو نتيجة العمل المنتج يعني اراد المزارع في السنة بعد استئزال اجرة
 الارض أي ما عليها من المال وما يتبع ذلك من التقاوى وعلف المواشي
 واجرة المهاد الآلية وغير ذلك فالصافي بعد هذا هو الربح وهو الذي
 يحصل منه تشغيل السنة المقبلة ومنه تدفع اجرة الاجير المنتج ويقاس على
 ذلك دائرة الصناعة كالفبريقة فان أغلب محصولها في العادة هو في مقابلة
 راس المال والباقي يعد ارباحا بعد تنزيل المصارف فمن هذه الأرباح التي

هي ثمرة العمل المنتج تدفع اجرة ذلك العمل

وهذه الارباح أيضا معدة لتكوين الايراد الذي يخرج منه أرزاق
 الاشخاص المنتجين وغير المنتجين يعني جميع أهالي البلدة مكتسبة
 ومرزقة فمدار مؤنة الاهالي جميعهم على الاعمال المنتجة يعني موارد الاموال
 فكل انسان أخرج من ماله شيئا وجعله رأس مال في زراعة أو تجارة
 فلا يكون غرضه منه الا تريح هذا المال فلا يصرف منه الا للعمال المنتجين
 الذين ينض هذا المال بعملهم فاذا صرف رأس المال على العمل أنتج مما صرفه
 جزأ بوصف الربح يعود على المال في نظير أجرتهم فربح الشغالة انما هو
 ناتج من عين عملهم لا من رأس مال المالك فاذا أراد المالك ان يستخدم
 خدما لعمل غير منتج وجعل لهم مرتبا فصرف هذا المرتب خارج من أصل
 ماله فيدخل في الحساب ضمن المال المبقي لنفقته فليس ما ينفق على الخدم من
 ربح عملهم كارباب العمل المنتجين فأرباب الاعمال غير المنتجة وأرباب
 البطالة يتعيشون جميعا من ايراد واحد له موردان الاول محصول الربح
 السنوي الوارد لصاحبه في مقابلة مال أرضه أو ربح ماله والثاني المال
 الذي يخص العامل في نظير عمله بقصد التعيش به الذي هو عبارة عن رأس
 مال العمل

فاذا وصل هذا القدر من رئيس الدائرة الصناعية او الزراعية الى العامل فانه
 يتعيش منه لنفسه فاذا زاد عن مؤنته فلامانع ان يتعيش منه ناس آخر منتجون
 او غير منتجين كما اذا كان العمال ارباب أهمية في العمل ولهم أهمية وشرف
 ورياسة في صنائعهم فان مرتباتهم من دوائر العمل تكون جسيمة
 فبمقتضى الاحوال المسعدة لهم يستخدمون من الخدم والحشم من يليق

بهم تقاييد الكبار أرباب الاملاك واغنياء اتجار فيتعيش في جانبهم اناس كما
تعيشوا في جانب غيرهم فقد عادت منهم المنفعة على غيرهم كما عادت عليهم من
منفعة اعمالهم في خدمة غيرهم وهؤلاء الاشخاص اصحاب النعمة الجديدة
قد تعود المنافع منهم على اناس آخر كارباب حرف الافراح والاراح والمستحقين
للاعانات فيتعيش منهم طوائف كثيرة من ارباب الاعمال غير المنتجة وكذلك
هؤلاء العملة المنتجون تنتفع منهم الحكومة بدفع الدوائد التي هي في الغالب
ي تحصل منها جزء عظيم يساعد على احتياجات الحكومة لصيانة البلاد والعباد
ومع ان ارباب الدولة متقلدون باشراف الاعمال الملكية وهم اصحاب الامر
والنهي والنفوذ فعمليتهم كما قلنا ولو انها مهمة وأولية غير مالية لا يباع منفوعها
ولا يشري وانما هو قطب رحى عموم الانتاج

وقد اسلفنا ان العمال المنتجين يأخذون عملهم من جزء الارباح المعتبر رأس
مال بتعيشهم وان العمال غير المنتجين يأخذون مرتباتهم من الارباح الزائدة
عن العمليات التشغيلية ونقول هنا ان هذه الارباح التي يتعيش منها صاحب
المال والعمال غير المنتجين لا يمسا أحد منهم الا بعد جعلها في حركة
التديرات التامة لانتاجها وتربيحها يعني انها لا بد من ترويحها وتشغيلها على
الطريقة السابقة في السنين السابقة لتكون مضمونة فبهذا ينبغي ان تكون أجرة
العامل مستحصلا عليها بالتمام في مقابلة عمله وان يكون استحقاقها بجمعها بعد
العمل ولا يتصرف في ادنى شيء منها بعمل غير منتج حتى لا تضع هباء منثورا
فاذا صرف حينئذ منها شيئا لا يكون الا يسيرا لمقتضيات الاحوال الضرورية
بل ينبغي ان لا يصرف الا مادبره ووفره من ازمة سابقة لاسيما ان كان مادبره
له اراد وتربح فانه يكفي لمصارفه وطريقة الوفر عند ارباب الأعمال

« مطلب »
وفاء الأجير
أجرة عمله عقب
توفيقه للعمل

والصناعات المنتجة سهلة جدا لما اوظبتهم غالبا على ذلك ولذلك تجدد في تعاديل
فردة الرؤس والعوائد ان عوائد كل واحد منهم بقدر ميسرته و على حسب
كميات وفره واقتصاده

« مطلب »
تعديل العوائد
على قدر الميسرة

ومن هنا كله يفهم أن محصولات الاراضي وأرباح رؤس الاموال
موردان اصليان يتعيش منهما ارباب الاعمال غير المنتجة وان الوفرة والتدبير
يليق ويتأني كل منهما لاهل الفلاحة والتجارة وان طائفة الزراعين والتجار
يمكنهم على حد سواء تعيش العمال المنتجين وغير المنتجين بل تعيش غير
المنتجين من ربح اهل الزراعة والصناعة اكثر لجسامة ما يعود على الحكومة
منهم وهو ايضا احق وأولى لعموم منفعة وتنقله من أيادي اهل الحكومة
الى حاجة أناس كثيرين فان مرتبات الامير مثلا يتعيش منها غالبا أناس
كثيرون من العلماء والصلحاء والفقراء والخدم والحشم وفاقا لقوله صلى الله
عليه وسلم ما عظمت نعمة الله على عبد الا عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم
يتحمل تلك المؤنة فقد عرض تلك النعمة للزوال وقال صلى الله عليه وسلم ان
لله أقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرم فيها ما بذلوها فاذا منعوها نزعها
منهم وحوها الى غيرهم ومن الامراء جم غفير يتعلق الناس بأذيالهم ويتعيش
من فضول اموالهم كثير من ارباب البطالة والفراغ اكثر ممن يتعيش من
ارباب الفلاحة لان ارباب الفلاحة لا يتعيش منهم غالبا الا العمال ارباب
الصناعة المنتجة ومع ان العادة تقضى بان أغنياء التجار يستعملون رؤس
أموالهم ليعيش منها أناس كثيرون من ارباب الاعمال الشاقة كالاسفار
ونحوها فهم في ذلك كارباب الزراعة يبحثون عن الربح والفائدة الا ان
ارباحهم يتعيش منها عادة كثير من الخدم والحشم وأرباب الحرف

« مطلب »
التعش من
مرتبات الموظفين

غير المنتجة فهم من هذا الوجه كالامراء يعيش في جانبهم خلق كثير بدون
 تربيح للمصرف من أرباحهم فقد حازوا فضيلتي الفلاحين والامراء
 وهذا كله اذا اعتبرنا أن الامراء واصحاب المناصب الملكية وغيرها
 لا يتشبهون بالزراعة والتجارة والا فأكثرهم في البلاد الزراعية أو التجارية
 بأسوة كبار الاهالي فلهم الدوائر العظيمة الراجحة والاملاك الاستغلالية فهم
 بهذا المعنى داخلون في عصابة أهل الفلاحة والتجارة ومتعيش في دوائهم
 كثير من الناس يعني من العمال المنتجين وغير المنتجين وأيضا ما يرد لهؤلاء
 من المراتب المنصرفة من طرف الاعمال المنتجة يصرفون أكثر منه على
 الوظائف غير المنتجة في نظير عوائد أملاكهم فيرد اليهم من الخزائن
 المملوكية مقادير مالية على قدر استعدادهم وأهمية مناصبهم ويصدر منهم
 أيضا الى تلك الخزائن مبالغ كبيرة أو قليلة على قدر أراضيهم وما عليها من
 العوائد

وبالجملة فالكلام على الاتاج وعدمه ومصادر الأموال ومواردها انما
 هو بالنظر للحثثيات فقد يجتمع في الامير مثلا أن يكون أيضا له زيادة عن
 مزية امارته مزية الزراعة والتجارة لرأس مال يراده فيكون جامعا للمنافع
 العمومية ويكون منتجا من جهة وغير منتج من أخرى والله يرزق من يشاء
 بغير حساب

ثم ان الاعمال بنوعها منتجة وغير منتجة ممدوحة مطلقا لما فيها من
 السعي كما ان البطالة مذمومة عند جميع الامم شرعا وعقلا فلنذكر ما قيل في
 مدح العمل وذم البطالة في الفصل الرابع من هذا الباب

الفصل الرابع

(في مدح السعي والعمل وذم البطالة والكسل)

قد اسلفنا ان الاعمال هي اسباب السعادة والثروة ومنبع الاموال
والغنى فالارض الزراعية انما هي مورد للاعمال مساعد وان الارض المخصصة
بدون العمل لا تنتج شيأ والارض المجردة بكثرة العمل تخصب وتنتج
النتائج الجمية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أفضل العمل أدومه وان قل وفي
التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق وقد كان الانبياء والسلف الصالح
يعيشون من كسب أيديهم ويحترفون فقد قال الله تعالى في حق داود عليه
السلام وعلمناه صنعة لبوس لكم أي عمل الدروع من الحديد فقد علمه الله
تعالى صنعة الحديد فصار يحكم منها الدروع فاستعان بها على أمره واشتغل
صلى الله عليه وسلم قبل النبوة بالتجارة بالشام للسيدة خديجة رضي الله عنها
وبعد النبوة كانت حرفته صلى الله عليه وسلم الجهاد فقد قال صلى الله عليه وسلم
جعل رزقي تحت ظل رمحي وقال ان الله يحب العبد المحترف ويبغض الصحيح
الفارغ وقال صلى الله عليه وسلم من بات كالا في طلب الحلال أصبح مغفورا
له والكمال في طلب الحلال الذي يتعب نفسه في العمل لكسبه وقال عمر رضي
الله عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فتد علم ان
السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال رضي الله عنه اني لأرى الرجل فيعجبني
فاقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عيني

وكان ابراهيم بن ادم على ورعه يسعي ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ
البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويؤدى الفرائض بالنهار ويصلي النوافل

بالليل وكان أغلب الملوك والسلاطين على قدم الأنبياء والاصفياء يتخذون لهم
صنائع يكتبون بها وينفقون منها توخيا للانفاق من الحلال وتنزها عن
الاخذ من بيت المال وقال سعيد بن المسيب رحمه الله لا خير فيمن لا
يجمع المال من حله يخرج منه حقه ويصون به عرضه قال الشاعر
ولا تجمع الأموال إلا لبذها كما لا يساق الدر إلى النحر
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله عز وجل ويزدكم قوة أي
مالا إلى مالكم فلا يجد إلا بالمال والآمال متعلقه بالأموال قال الشاعر
كل النداء إذا ناديت يخذلني الأنداء إذا ناديت يا مالي
والمال أصل السودد والرياسة اذبه تستجمع أسبابها وقد انقاد الناس قديما
وحدثا للغنى لأن القلوب لا تستمال إلا بالمال قال ابن المعتز
إذا كنت ذا ثروة من غنى فأنت المسود في العالم
وحسبك من نسب صورة تخبر أنك من آدم
ولما وصل المعز بن تميم بن سعد بن منصور العبدي إلى الديار المصرية
بعد ما وصل غلامه القائد جوهر وملك مصر واختط القاهرة وكان العبديون
ينتسبون إلى فاطمة رضي الله تعالى عنها خرج الناس إلى لقائه واجتمع به الأشراف
فقال له من بينهم محمد بن عبد الله بن طباطبا العلوي إلى من ينتسب مولانا فقال
لهم سنعقد لكم مجلسا ونسرد لكم نسبنا فلما استقر في قصره جمع الناس في مجلس
عام وثر عليهم الدنانير والدرهم حتى عمهم وقال هذا حسبي ثم سل نصف سيفه
وقال وهذا نسبي فقالوا جميعا سمعنا واطعنا

إذا كنت في حاجة مرسلا وأنت بها هائم مفرم
فأرسل حكيمًا ولا توصه وذلك الحكيم هو الدرهم

وقال آخر

ذاكرته عهد الوصال فتال لي كم ذا تطيل من الكلام المؤلم
 لما رأى الدنيار أنشد قائلاً اين المفر من القضاء المبرم
 وقيل درهمك وسيفك فازرع بهذا فيمن شكرك واحصد بهما
 فيمن كفرك قال الشاعر

لم أر شيئاً صادقاً نفعه للمرء كالدرهم والسيف
 يقضي له الدرهم حاجاته والسيف يحميه من الحيف

وقال آخر

ذريني للغنى أسمى فاني رأيت الناس شرهم الفقير
 وأهونهم وأحقهم عليهم وان أمسى له حسب وخير
 يباعده الخليل وتزدريه حليته وينهره الصغير
 ومن بلغ الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
 قليل ذنبه والذنب جم ولكن الغنى رب غفير

قيل لميمون بن مهران ان فينا اقواما يقولون نجلس في بيوتنا وتأينف
 أرزاقنا فقال هؤلاء حتى ان كان لهم يقين مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن
 فليفعلوا

لقد هاج الفراغ عليك شغلا واسباب البلاء من الفراغ
 وسئل الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ما تقول في رجل قعد في بيته
 أو مسجده وقال لا أعلم شيئاً حتى يأتيني رزقي قال هذا رجل جهل العلم
 أما سمعت قوله صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي يعني الغنائم
 رزوح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تقضي

وقيل غبار العمل خير من زعفران البطالة قال الشاعر

قصر الناس بي ولو كنت ذاما ل جلبت الجميع بالمال حولي
ولقالوا أنت الكريم علينا وتخطوا الى هواي وميل
ولسكت المعروف كيلا مليئا يعجز الناس أن يكيلوا ككيلى
وقال غيره

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة ان الجلوس مع العيال قبيح
فالل مال فيه مجلة ومهابة والفقر فيه مذلة وفضوح

(غيره)

فلم أر بعد الدين خيرا من الغنى ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر
ولم أر زين المال الا امتهانه ومنفده في أوجه الحمد والأجر
وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه اذا خرج في تجارته أخذ بضائع
الضعفاء قریش فيبيعها لهم ويشترى ولا يكلفهم شيئا

ليس التقي بمتقى لاهله حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يبغى ويكسب أهله ويطيب من لفظ الحديث كلامه
وحسب ترك العمل ذما أن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من الكسل
(وقال) على رضى الله عنه خلق التواني والكسل فزوجهما فتتبع من بينهما
الفاقة (وقال) رضى الله عنه الحركة ولود والسكون عاقر ولا ينشأ عن البطالة
الا المفسدة فعلى المرء أن يشغل النفس التي هي عين فارغة بما يصاحبه والا
شغلته بما يفسده ولذلك قيل الحركة بركة والتواني هلكة وكاب طائف خير من
أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتاف ومن شمر طالبا جاء الى بيته جالبا قال الشاعر
اذا هبت رياحك فاغتمها فان لكل خافقة سكون

إذا درت نياتك فاحتابها فأتدري الفصيل إن يكون
 إذا ملكت بدالك فلا تقصر فإن الدهر عادة يخون
 وبالجملة فالأمل مغايب العمل وخير الأمل انتظار الحمد والشكر
 وحب الفخار ودوام الذكر ولولا ذلك لما كان اجتهاد ولا استنباط ولا
 كسب ارتفاع غب انحطاط ولا اختراع مخترع ولا ابتداء مبتدع فهل
 يحسن بالعاقل أن يعمل فكره إلا فيما يخلد ذكره

نافث على الخيرات أهل العلا فأنما الدنيا أحاديث
 فقد تولع العقلاء على اختلافهم بامعان الانظار واعمال الافكار في امور
 يظهر للعامة أنها حقيرة وهي عند أذكيا الخاصة خطيرة

إذا لم يكن إلا الأسنه مركبا فلا رأى للمضطر الأركوبها
 فن اخترع حكمة بدكائه وفكره كانت سببا لبقاء ذكره ومن هذا
 القبيل أزد شير بن بابك وهو أول ملوك الفرس الأخيرة فانه أول من
 وضع الرد وضربها مثلا للقضاء والقدر وأن الانسان ليس له تصرف في
 نفسه لا يملك لها ضرا ولا نفعا بل هو مصرف على حكم القضاء والقدر
 معرض للنفع والضرر ووضعها على مثال الدنيا وأهلها ورتب الرقعة اثني
 عشر بيتا بعدد شهور السنة وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام كل شهر
 والدرج التي تكون لكل برج وجعلها مثلا للحظ الذي يناله العاجز بما يجري
 له الفلك والحرماني الذي يتلى به الحازم بما جرى به عليه الفلك وتوصل الى
 ايصال تلك العقول بفضين أنزلتها منزلة الليل والنهار وجعل لكل فص ستة
 أوجه كجهات الانسان فوق وأسفل ووراء وأمام ويمين وشمال يشير الى
 ان الانسان لا يعلم من أين يأتيه الخير ولا الشر وأشار في قلبها الى تقلب

« مطلب »
 اول من
 وضع الرد

القدر بالانسان فيكون مشروفا ثم يصير شريفا ويكون فقيرا ثم يصير غنيا
وبالعكس الى مالا نهاية له من التقلبات

الناس مثل زمانهم حذو المثال على مثاله
ورجال دهرك مثل دهرك في تقبله وحاله

« مطاب »
اول من وضع
الشطرنج

ولما افتخر الفرس بوضع النرد وكان ملك الهند يومئذ بلاهيث وضع له
الحكيم المسمى صصمة الشطرنج وجعلها مثلا على ان لا قدر وان الانسان
قادر بسعيه واجتهاده أن يبلغ المراتب العلية فان هو أهملها أصاره الخمول الى
الحضيض ومما جعله دليلا على ذلك ان اليراق ينال بحركته وسعيه منزلة
الفرزان في الرياسة وجعلها مصورة تماثيل على صورة الناطق والصامت وجعلها
درجات ومراتب ومثل الشاه بالمدير الرئيس وكذلك ما يليها من القطع وبين
لاهل فارس ما خفي عنهم من مكائد الحروب وكيفية ظفر الغالب وبخذلان
المغلوب فظهر للملك مكنون سرها فقال له اقترح ما تشتهي فقال اشتهي ان
تضع حبة بر في البيت الاول واثنين في البيت الثاني ولا تزال تضعها الى
آخر البيوت وما بلغ تعطيني اياه فاستخف الملك عقابه واستقل طلبه وقال
كنت اظن رجاحة عقلك وانك تطلب شيئا نفيسا فقال ايها الملك انك لما صرفتني
الى التمني لم يخطر ببالي غير ذلك ولا سبيل الى الرجوع عنه فانعم له الملك بما
سأل وامر الحساب أن يحسبو ذلك فلم يجدوا ما يفي للحكيم بمراده وقد احصى
ما طلبه فوجدوه الوف مكررا تسكريرا جسيما لا تفي به اشوان الملك فاخترع
الشطرنج حكمة جليلة تخلدت في جميع البلدان وقامت على شدة ذكاء مبتدعها البرهان
وأجل من هذا المستخرج للشطرنج من استخراج فن الطب ودونه وهو
الحكيم اسقايينوس بباء موحدة تحتية بعد اللام خلافا لمن جعله بالنون وهو

« مطلب »
وضع الطب

من اهل اليونان وبعضهم يقول ان المستخرج للطب اهل مصر وان المستخرج له هرمس المستخرج لسائر الصنائع وقيل المستخرج له المصريون غير هرمس بالهام من الله تعالى لجماعة ثم ازداد الأمر في ذلك بكثرة التجارب وقوى وصار علما واسعا واحتج القائلون بذلك بان امرأة كانت بنصر وكانت شديدة الحزن والهم مبتلاة بالغيظ والنكد ومع ذلك كانت ضعيفة المعدة وصدرها مملوء أخلاطا رديئة وكان حيضها محتبسا فاتفق انها اكلت عشبا مرارا كثيرة بشهوة نهالة فذهب عنها جميع ما كان بها ورجعت الى صحتها وجميع من كان به شيء مثل ما كان بها واستعمله بريء به فاستعمل الناس التجربة على سائر الاشياء فالذي جمع هذه التجربات ودونها بمصر هو الواضع له سواء كان هرمس أو غيره ولا مانع ان يكون هذا العلم مما تعدد واضعه بلاد الدنيا حيث ان التجربة قد تعددت فيه وان أقوى التجارب واكثرها تجارب اسقليينوس وتلقاها عنه الحكماء الذين جاؤا بعده في الزمن فعدوا أيضا من الواضعين له

وقال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى خلق صناعة الطب والهمها الناس واحتج أهل هكذا القول بأنه لا يمكن في مثل هذا العلم الجليل أن يدركه عقل الانسان فالواضع الله الذي خلق الداء والدواء وهذا القول ايضا يرجع الى الوحي والالهام وينبغي ان يكون الطب النبوي من ذلك باتفاق لمصداق آية وما ينطق عن الهوى وبالجملة فوضع الطب عظيم وتدوينه جسيم وفضل التأليف فيه عظيم ولا يستكشف شيئا من منافعه الا ذولب سليم

ومن فروع الفرع الذي حفظ اطفال النوع البشري من الآفات والمهلك وهو فن تلقيح الجدرى بالمسادة البقرية حيث انتشر في المسالك والممالك وفضل استكشافه لحكماء الافرنجة المتأخرين وان كان معلوما قبل ذلك لبعض قري

« مطلب »
اول من وضع
اصول النحو

مصر وقرى السودان وعند الهنديين ولهم فيه طريقة يعملونها بالخيط
والابرة بتلوين الخيط في بثرات اثناء البقرة وينرزونها بين الجلد واللحم
من كتفي الطفل ويبقى الخيط في الاكتاف وهي من أعظم الالطاف

« مطلب »
اول من وضع
العروض

فالوضع الاولي في سائر العلوم هو تصور قواعد أولية ابتكارية لا تزال
تأخذ في الزيادة والاستكمال ويتفرع منها فروع تتسع على مدى الايام والليال
فيكون للعلم بهذا المعنى عدة من الواضعين وجملة من الافاضل الموسعين
كالامام علي رضي الله تعالى عنه فانه قيد الالسنه بعلم النحو حيث أملى على ابي
الاسود الدثلي اقسام الكلام وقال له تبهه وزد فيه ما وقع لك مما يلام
المقام لتمحوا بذلك من اللحن ما خالط اللسان العربي مما كاد يفسده من
رطانة الاعجم فوضع أبو الاسود الدثلي قواعد النحو التي فهمها له ثم جاء
بعد أبي الاسود سيديويه فوضع كتابه الذي كل من جاء بعده منه يعترف
وبتقدمه عليه يعترف واذا أطلق في عرف النحاة لفظ الكتاب فاليه ينصرف
ووضع الخليل بن أحمد علم العروض وجعل له ميزانا للشعر وصاغ له من
التفاعيل أجزاء ثمانية صيرها لوزنه كالثاقيل وهاهي أنوار تلك العلوم
النافعة على جميع آفاق الدنيا ساطعة وهي ثمرات الأعمال الصادرة عن
الابدال

ومن الحكم من طلب جلب ومن جال نال ومن جسر أيسر ومن
هاب خاب فقد فاز بالدر غائصه وحاز للصيد قانصه والجراءة من اسباب
الظفر وغلبة الاقران والشجاع يعرف بالاقدام ولو على الضرغام وبضده
الجبان والمتواني الكسلان لاسيما الشاب القليل الخيلة والملازم للحيلة
والمقتنع بالرزيلة والراضي بالحشف وسوء الكيلة فمن دام كسله خاب امله

ويقال الخيبة نتيجة مقدمتين الكسل والنمشل وثمره شجرتين الضجر والملل
 ويقال ان الحرمان شعاره الكسل ودثاره التسوييف والعلل قال بعضهم
 لا تصحب الكسلان في حالاته كم صالح بفساد آخر يفسد
 عدوى البليد الى الجليد سريعة والجر يوضع في الرماد فيخمد

وقال بعضهم في الرد على من قال الكسل أحلى من العسل

ليس البطالة والكسل يا جاليلين لك العسل

فاعمل فان الله قد حث المطيع على العمل

وفي كتب الادارة آخر طبقات الرعية طبقة البطالة الغوغاء وهم
 مما ينبغي أن لا يرحمهم الملك لانهم يفلون الطعام ويضيعون الطرق
 لاسيما ان كانوا من الفسقة فهم أظلم الناس يا كلون رزق الله ولا يعملون
 لله فلا يصلحون للدنيا ولا للآخرة وكل أحد سواهم يعمل لنفسه وهم لا ينظرون
 لأنفسهم ولا يعملون لدنياهم ولا عقباهم فمثل هؤلاء يسوغ للملك ان يخرجهم
 من البلد ان رأى المصلحة في ذلك أو يجعلهم مستعدين لناثبة او حادثة يعملون
 فيها بخلاف طبقة العمال المحترفين فعلى الملك ان يشوقهم بالعطايا وشمول
 النظر والمساحة حتي يتسابقوا الى الحرف البلدية كما انه ينبغي للملك ان يتلطف
 باصحاب العاهات كالعريان والمجنومين فان منادى الشرع يقول اذا رأيتم
 اهل البلايا فاسئلوا الله العافية فيجري عليهم قدر كفايتهم ويعين لهم موضعا
 على طرف البلدة لمصلحة الجميع

وقدماء المصريين من الأزمان الخالية والقرون البالية يعانون الأعمال
 العجيبة ويجتهدون في انجاز الاشغال الغريبة كالاهرام والمسلات العظيمة
 والتصاوير والتماثيل العجيبة الجسيمة فهذا كانوا ينفرون من الفتور والكسل

« مطلب »
مواظبة قدماء
مصر على العمل
ونفوره من
البطالة والكسل
وتصويرهم
شخص الكسل
بصور مختلفة
مستشعة

كمال النفور وبشخصون الكسل ويجعلونه على صورة بشعة توضع في
الميادين العامة لتكون عبرة لاهل المرور والعبور فيصورون الكسلان
بهيئة شخص مقع اقامة الكلاب عليه هيئة الحزن والا كتاب مطأطا الرأس
الى الارض، مجمع اليدين بعضها مع بعض وبجانبه قضبان مكسورة تفيد هجره
للاشغال ونفوره وتارة يصورونه على صورة امرأة مطلوقة الساعدين شعثناء
غيراء ذات أطمار رثة مسطوحة على الارض متوسدة أحد ذراعيها ويبد
الزراع الآخر منكاب مملوء من الرمل ومقلوب تستدل به على ماضى من
النهار من الساعات والدقائق ولها عند المصريين رسم آخر فيما غير من الزمان
وهى رسم الكسل على هيئة امرأة عليها علامة البطء والتوان كأنها تروم أن
تبتخر في سيرها الممقوت وتجر ثوبا من نسيج العنكبوت متكئة على أريكة
المجاعة والخمصة تمضي جميع أوقاتها في الدعة والاستراحة المقتنصة في عنفوان
شبابها واخضرار وغض عود اهابها لا تميل الى حركة ولا تعطف على بركة
وفي زمن الكهولة والهرم ترقد على فراش العدم والندم يشيرون بذلك الى
ان الكسلان لعجزه دائما حزين اذا لم يفعل شيئا لمعاشه ويزيد
حزنه وأسفه اذا احتاج الى تحصيل شيء لم يقدر على تحصيله ويقال
مزرعة الكسلان كثيرة الشوك والسعدان تزدحم عليها الحشائش
الطفيلية والأعشاب الفضولية فلا تحصل له منها ما يفي بالقوت
فيستطو على جيرانه ليكون كلا عليهم أو يتصف بوصف لص ممقوت
قال بعضهم

يانفس ذوقى لذة العمل وواظبى العدل والاحسان في مهل
فكل ذى عمل بالخير مغتبط وفي بلاء وشؤم كل ذى كسل

وقال آخر

دعى نفسي التكاثر والتواني والا فالبي ثوب الهوان
فلم أر للكسالى الماظ يجنى ثماراً غير حرمان الأمانى

وقيل

وكم حياء وكم عجز وكم ندم جم تولد للانسان من كسل
وما أطف ما قيل فى الاثارة لمن يؤثر الغناء الممدود على النفي

للقصور

قال لي اللاحى أما حان أن تترك لوما متعبا قلت حان
قال فهل قلبك حان على من بت مشغوفاً به قلت حان
قال فحبيبك فى قتل من به - واه حان قوسه قلت حان
قال فقل لى ما الذى تشهى حان غناء أو غنى قلت حان

مع ما فيه من محسنات الجناس التام والمراجعة فصفة الكسل مثلية
خيثة بل هي أم الخباثت فهي تحمل صاحبها على عدم اعمال الفكر والبدن
وبعض الفضلاء يدرى أرباب الرياسات الباطلة والمراتب العاطلة التي
يشتريها أهلها ليصلوا بها الى درجات العظمة والكبرياء ليستروا بها كسلهم
حتى لا يتبين للناس انهم أرباب بطالة والأفاضل يعدون ذلك من النذالة
والسفالة فان فضل الكسلان يدفن معه بدون أن تعود منه على نفسه أو غيره
أدنى منفعة

وقد أشار الى الشغل والبطالة الحكيم لفتنينه الفرنساوى فى حكاية على

لسان العجاوات جعلها مكالمة بين الصرار والنملة وترجمها بعض الافندية

فقال

و مطلب
عقل المشتغل
والكسلان
بصرار ونملة

حكاية موضوعها صرار
 وكان قضي الصيف في الغناء
 وحين جاء زمن الثلوج
 شاهد بيته بلا مؤنة
 وقال للنملة انت جارتى
 هل تصنعين معي المعروفا
 وتقرضينى صدوا غله
 فان أتى الصيف فقبل الصبح
 قالت له النملة وهي تجري
 ماذا فعلت في حصيد قدمضى
 قالت وما ادخرت فيه للشتا
 كنت أغنى للحمير القمص
 واعلم بان السمي في الذخير
 والدرهم الابيض وهو في يدى
 اودى به الجوع والاضطرار
 وما سعى في ذخرة الشتاء
 ومنع القوم من الخروج
 فراح يوما يطلب المعونة
 مالى سواك في قضاء حاجتى
 لاذقت من دهر الردى صروفا
 وطبقا ومثردا وحله
 أردھا عليك غير الربح
 عذرك يا مسكين مثل عذري
 قال لما كان زمان وانقضى
 قال لها مستهزئا منكنا
 قالت له يا صاحبي الازار قص
 يسعد كل خلة وحيره
 ينفعنى لدى النهار الاسود

ومع ميل طماع عامة الناس الى التكاثر والفتور فقد تجبر الاحوال
 والافات المصرية على حركة العمل حتى تصير طبيعية وينتج عنها تقدم الجمعيات
 فمن هذا لا تياس ملة الملل ولا دولة من الدول من ان تأخذ حظها من براعة
 العمل لاسيما اذا كان لها فيه سابقة نصيب وافر كديار مصر التي سبقت جميع
 الامم بالمآثر الغربية وكباقي الدول الاسلامية التي جددت فيما سلف انواع
 المعارف البشرية والمنافع العمومية والتقدمات المدنية ومن آثارها استنارت ارجاء
 جميع ممالك الدنيا ثم تنقلت من اياها الى غيرها وتكاملت الزايات في ذلك الغير

حتى اراد الله سبحانه وتعالى ان انوار المعارف الفرعية انشرت في هذا العصر
 على آفاق اصولها باجتهاد المجتهدين واهتداء المهتمين واقتداء المقتدين والحصول
 على ما عجز عنه سائر السلف المتقدمين كما يفصح عن ذلك ماسطره بعض
 أهل الانشا حيث بين اسباب ذلك فيما طرز ووشى اذ قال "ان عصرنا هذا
 نشاهد فيه للناس بالتدرج آثارا عجيبة وهذا دليل على ان التأثيرات الطبيعية
 في قبضة التصرفات الانسانية لان الطبيعة هي الحاكمة للانسان بل المذلة اليه
 ومن هذا يظهر ان هذا العصر مبدأ للتقدمات التي تكون في المستقبل فاستعمال
 القوة البخارية برا وبحرا سهلت الأسفار والسياحات وفوائد سرعة المخبرات
 التلغرافية غنية عن البيان اذ بتلك القوة كان الانسان قادرا على تيجيز اشغاله
 الخاصة به والاستحصال على اجتماع الافكار ومبادلة المحصولات وذلك
 كرأس مال يترقى شيئا فشيئا ويم اطراف الدنيا حتى انه في مدة يسيرة تلتئم
 الجمعيات البشرية وتزول الاختلافات الكاية ويسلك بعض الناس مع بعض
 بكمال الوفاق على وفق ما يقتضيه الاخوة الموافق للعقل والحكمة المرضي
 لرب العزة وتأخذ في العمران الاراضي الخالية وتصير معادن للخيرات
 ومنابع للثروات وقد بلغنا ان السياح الانكايزي (سير سامويل بيكر)
 الشهير بالسياحة في القطعة الافريقية عين مأمورا للكشف على اقطارها
 المجهولة والوقوف على حالها ومعينته من يلزم ليتوجهوا من طريق
 النيل ويرشدوا من فيها بالارشادات اللازمة ثم المقرب للمسافات في هذا
 الاوان ثلاث الاول قنال السويس المشرف على التمام الفاصل بين قطعتي
 آسيا وافريقية فانهما بذلك تتصلان وتسهل تجارتها وتجارة اوربا بعد ما كان
 يتجشم في ذلك الطواف من رأس العشم فبفتح القنال تنقص مسافة البحر

الابيض نحو الثلثين ولقرب قطعة آسيامنه عن غيرها من الممالك الاورباوية
 تزيد حصتها في الفوائد عما سواها لاريب اذ انها احدثت طريق حديد الى
 اوربا كان بابا عظيما للتجارة وثروة الخزينة ووقع ذلك عند العالم الموقع فيلزم
 المبادرة الى انشاء ذلك على الوجه المساعد لنا فان منفعة هذ تزيد عن العادة
 ويجتمع منها رأس مال وتتسارع الناس في الاستحصال على الرخصة من الحكومة
 فحينئذ لا ينبغي التأخر عن هذا وانما اللازم التأمينات الكافية لاجل منافع
 سكان المملكة والاسراع بمباشرة العمل

الثاني قنال (هو ندوراس وهو فتح برزخ بناما) للتوسط بين قطعتي
 امريكا الجنوبية والشمالية الذي أصله شق صغير شكلت لفتحه قومبانية كبيرة
 فانه بواسطته تصير قطعتا امريكا الجنوبية والشمالية جزيرتين عظيمتين
 وتزول المشقة عن اصحاب السفن من بعد ما كانوا يسافرون من البحر المحيط
 الغربي المسمى بالاطلسي الى الصين وليابونا والجزائر الاقياوسية مع مكابدة
 اخطار الرياح العاصفة وطول المسافة مارين من رأس هورن المشحون جميعه
 بالشعاب وذلك لاضطراهم فاذا لاتحققهم الا آن تلك المشاق بواسطة ذلك
 القنال وتكون مسافهم على النصف في بحر معتدل ساكن الهواء على خط
 الاستواء

الثالث سكة الحديد الجسيمة التي حان منها التمام بشمال قطعة امريكا
 البالغة الآن مسافة امتدادها ثلاثة آلاف وثمانية وثلاثة وعشرين ميلا
 وهي في ارض سهلة تامة المنفعة مبتدأة من نيورق اكبر مدن امريكا الى
 مدينة (سان نيسقو) بايالة قاليفورينة الشهيرة بمادن الذهب وكان قد رخص
 لقومبانيتين في انشائها (لنقولن) رئيس جمهورية امريكا المتوفي حين

محاربتها الداخلية سنة ١٨٦٢ ميلادية وضرب لها ميعاد أربع عشرة سنة فجذتا كل الجذ فيها حتى اكتمتاها قبل تمام نصف المدة ومن بعد ذلك تقطع مسافة صحارى جهة امريكا الشمالية في ستة ايام ولا يجهل محل فيها ولا تعطل جهة من الزراعة وسائر الفوائد وقد أنشأت هاتان القومبايتان نحو ألفى عربية كالدور مشتملة على بيوت واسرة من الحديد ولوقندات وكتبخانات وهى فى حال مرورها السريع يتدارك فيها من الطريق ظروف أوراق الحوادث التفرقية المعلقة على الأعمدة الخشب وتطبع فى المطابع اللاتى فيها وتشر على الركاب وبهذا يكونون كأنهم فى مدن الممالك العظيمة فى الدنيا القديمة وبما ذكر هانت أمور الاسفار وتقاربت المسافات بين جميع الجهات وتواصلت الجمعيات وزالت الوحشات واطلع الناس على ما لم يظلموا عليه ووصلوا الى ما لم يصلوا من قبل اليه فكان لا مانع من تواصل أمم البرية ومن تسمية هذا العصر عصر المدنية انتهى ما قاله فكل هذا أعان ويعين على تقدم وسائل المنافع العمومية الآتى تقسيمها فى الباب الثانى مع غاية البيان وعلى ذكر الواورات قلت هذه الايات

| | |
|----------------------|---------------------|
| العقل فى الوابور حار | بنى الجواب فلا يحير |
| فاذا أردت الاختبار | علما به فاسأل خير |
| فلك بأوج اللج دار | ومن الحضيض له مدير |
| يجرى على عجل كبار | فى رسم شكل مستدير |
| هو من عطارد لا يغار | فكأنه الفلك الاسير |
| قداورث الشمس اصفرار | لما علا منه الصغير |
| قمر منازل البحار | نجم السماء له سمير |

| | |
|-----------------------|------------------------|
| في كفه الجوزا سوار | بهر الثريا اذ تشير |
| والمشترى حاز اليسار | فندا بزهرته أسير |
| ملك له الوحي اثمار | ابدا باجنحة يطير |
| وبراق أسرى في القفار | يطوى الفيافي اذ يسير |
| ملك على الانهار سار | وعلى البحار له سرير |
| بالعز اكسبها الصغار | مع انه جرم صغير |
| قد نال من كسرى اعتبار | لبخار عنبره عبير |
| خاقان هند خوف عار | ما هاله لذب السعير |
| بركان نار حيث نار | فورا وصار له هدير |
| او سأمح يهوى السفار | لمصالح الدنيا سفير |
| او عاشق سلب القرار | أو يحسد الطرف القرير |
| في الحب قد خلع العذار | ودموع مقاته غدير |
| صب وفي الاحشاء نار | شوقا الى القمر المنير |
| أو شاطر طلب الفرار | للامن من أمر خطير |
| أو باز صيد قد أغار | مغرى على الظبي الغرير |
| أو ظبي قاع ذو نفار | يعدو اذا عم النفير |
| البرق سرعته استعار | والورق منه تستعير |
| ويري الرياح بالاحتقار | فهبوبها معه حقير |
| طرف تسايه الدرار | ليلا فتخجل في المسير |
| ليل يطوى والنهار | وبه ازدهى الزمن الاخير |
| ما الفعل ينسب للبخار | بل صنع خلاق قدير |

بقتال مصر له منار
 وبصيت اسماعيل طار
 وبعده لما أنار
 هذا عزيز ذو وقار
 وطويل باع في العمار
 للعدل قد شد الأزار
 عش يا عزيز اخا انتصار
 بالمجد كم شدت الجدار
 كأثر فسكأس الانس دار
 بسمو بأنفاس الامير
 في الكون بالجوود المطير
 في الأفق كالعلم الشهير
 ولمظهر العليا ظهير
 يمتاز بالعمل الكثير
 توفيقه نعم الوزير
 ولمصر دم أقوى نصير
 ولأنت بالعليا جدير
 رب الخورنق والسدير

« مطلب »
تقسيم المنافع
العمومية وتعريفها
بالمعنى المرقي
الصناعي

الباب الثاني

في تقسيم المنافع العمومية الى ثلاث مراتب اعلمية وهي
حركات الزراعة والتجارة والصناعة وفيه فصول

الفصل الاول

في تعريف المنافع العمومية بالمعنى العرفي الصناعي
ومنه يفهم الانقسام الى ما ذكر

اعلم ان ما عبرنا عنه هنا بالمنافع العمومية يقال له في اللغة الفرنسية
أندوستريا يعني التقدم في البراعة والمهارة ويعرف بأنه فن به يستولى
الانسان على المادة الاولية التي خلقها الله تعالى لاجله مما لا يمكن ان ينتفع
بها على صورتها الاولية فيجهزها بهيئات جديدة يستدعيها الانتفاع وتدعو
اليها الحاجة كتشغيل الصوف والقطن للباس الانسان وكبيعهما فهذا المعنى
يقابل الاوندستريا وتكون عبارة عن تقديم التجارة والصناعة فيقال الملك
الفلاحي يشوق الزراعة والاوندستريا أى التجارة والصناعة يعني يسمى في
تقديم المنافع العمومية وتطلق بمعنى آخر أعم من الاول فتعرف بأنها فن
الاعمال والحركات المساعدة على تكثير الغنى والثروة وتحصيل السعادة
البشرية فتم التشغيلات الثلاثة الزراعية والتجارية والصناعية وتقديمها
فتكون مجمع فضائل المنافع العمومية وكثرة التصرف والتوسيع في دائرتها
ثم ان براعة المنافع العمومية بالمعنى العام متولدة من كون الانسان له اختيار

وميل الى ما فيه نفعه والى قضاء وطره والى تحصيل حوائجه المعاشية وانه
محل لهذه الفضائل

وقد سبق في الفصل الاول من الباب الاول بعض ما يتعلق بالفضيلة
ونقول هنا ان الفضيلة صفة نفسية متمكنة في نفس الانسان ينشأ عنها
العمل الصالح ويدعمها ارياح النفس اليها فبها تصل النفس الى أعلى درجات
الكمال وتستعد الى الحصول على نيل المحمودة فهذا تكون أيضا مستعدة
لفعل الخير العام للجميع فحركة الفضيلة بهذا المعنى ليست حركة اختيار فليس
صاحب الفضيلة من ينهمك بجميع حواسه على بذل كل همته في المنفعة
الاهلية لان وجود مثل هذا الانسان في الدنيا مستحيل وانما الفاضل هو
من يكون هواه مائلا بحسب الامكان الى المنافع العمومية واستحسانه لذلك
فهذا يكون أقرب من درجة الكمال بقدر ما يلزم ان ينجنب بالفضيلة عن
المثالب وارتكاب الدنيايا

« مطلب »
تعريف الفضيلة

ومن اركان الفضيلة الشجاعة وفوة الجسم والعقل وهذه الصفات مهمة
جداً في الفضيلة فهي الوسائل التي تلزم لحفظ الانسان وتحسين حاله
لان الشجاع يدفع الضيم عن نفسه ويدب عن دمه وعرضه وحرته وملكه
بقدر استطاعته وبعمله وشغله يكتسب عيشته الحنية ويتمتع باللذات المباحة
بالهدوء والطمأنينة وتكون نفسه دائماً متمتعة بالسلم والراحة بعيدة عن
الغضب والانتقام فاذا أصيب بنكبة ولم يمكن تدراكها بحزمه وتبصره تجلد
عليها غاية التجلد والصبر ولهذا عد ارباب الآداب القوة والشجاعة من
أعظم الاركان

« مطلب »
بعض اركان
الفضيلة

ثم الفضيلة ثلاثة أقسام شخصية ومنزلية وأهلية فالفضائل الشخصية

« مطلب »
اقسام الفضيلة

ما ينبغي ان يتصف بها كل انسان لتكون وسيلة لحفظه ومادة لصونه ومنها
ينتج حفظ العائلة والجمعية المركبة من افراد الناس والفضائل المنزلية هي
سلوك الطريقة النافعة في العمل لجمعية العائلة المعتبر اقامتها في منزل واحد
كالاقتصاد في المصارف وبر الوالدين وحسن العشرة مع الازواج وحسن
تربية الاولاد ومحبة الاخوة بعضهم لبعض واداء حقوق السيد لخادمه
والخادم لسيدته فجميع الفضائل الشخصية والمنزلية متلازمة ومتصادقة على
حفظ النوع البشرى وتحسين حاله وهي مخلوقة مع الانسان من اصل
الطهارة والفضائل الاهلية المدنية متكاثرة بتكاثر منافع الجمعية المدنية وراجعة
الى اصل واحد وهو العدل العمومي والانصاف المشترك بين أعضاء الجمعية
المستلزم جميع فضائل الجمعية

ومن هذا يفهم ان الفضائل من حيث هي مقولة بالتواطؤ محدودة
لا تقبل تنبيها ولا تبديلا فالاقتصاد فضيلة محقة ان حصل فيها الشطط
قربت من البخل والشجاعة ان تجاوزت حدها استحال الى المجازفة
والكرم ان تجاوز حده عاد اسرافا والصبر ان زاد عن قانونه أضعف
الشهامة والحلم اذا اشتد صار جبنا وانما قد يمتري هذه الفضائل بعض
تكيف على حسب مقتضيات الأحوال فان قول الصدق في بعض الاوقات
قد يكون مضرًا وتكون المداراة واجبة وكذلك ينبغي مع فلان ان لا
يصنع الا العدل ومع انسان آخر قد يكون العدل محض ضرر
وقد يكون الحلم في هذا اليوم فضيلة ويكون في غد مضرًا فراعاة
الاقوات والاحوال واجبة في الجمعية التأسيسية ولله در القائل في هذه
المعاني

العز ما خضمت لهيبته العسدي
 والمال ما وقاك ذما أو بني
 والجود ما وصلت به رحم وما
 واللؤم اكرام اللئيم لأنه
 فاذا ظفرت من العدو بفرصة
 والحلم في بعض المواطن ذلة
 ما كل حلم مصلح بل طالما
 كل السيادة في السخاء ولن ترى
 لا تحسبن المجد رنة مطرب
 وأقام بالفكر الملوك واقعدا
 عليك أو أبقى لقومك سوددا
 أوليت ذا أمل أعدك مقصدا
 كالذئب لم ير عدوة الاعدا
 فافتك ففتك اليوم منجاة غدا
 فاصفح وغالب واعجلن وتأيداً
 غر السفية الحلم عنه فافسدا
 ذا البخل يدعى في العشيرة سيدا
 وعناق غانية وبردا يرتدى

فالفضائل عليها مدار سلوك الجمعية التأسيسية ونجاح أعمالها وتنظيم أحوالها
 وضدها يضر بتقدم الجمعية فلا أضر على الجمعية من فساد الاخلاق فانه
 ينشأ عنه الكبر والدعوى وعدم الاستقامة لان الغني المتكبر مثلاً يذهل
 في نشوة لذته عن ان المال خيال زائل فيجسر ويجراً بالتكبر على غيره ويظن
 انه بعيد عن صروف الدهر فيقع فيها فالعقل يقيد نعمته بقيد التواضع
 والانكسار ويدبرها بقانون الفضيلة لتدوم فهذا يكون مستقيم الحال حيث
 الاستقامة قوام الفضائل وعليها مدارها وهي معدل حركة النفس وخلوص
 النية التي يحسن بها الاعمال فهي روابط جميع الفضائل المدنية وعبرة عن
 حسن السلوك في التعامل وأداء الحقوق للمباد بعضهم على بعض فلا يشينها
 الا هوى النفس فالعقل يجمع الهوى ويصده وانخلق الحسن ينفر منه
 والانسان المهان بحقوق الجمعية المدنية لا يعتبر الا عديم الاستقامة وانه
 لا يعرف ما يجب له وما يجب عليه في حق الجمعية فليست استقامة الانسان

الا احترام حقوقه باحترام حقوق غيره والحصول على منافعه بالوفاء بمنافع غيره فاذا عرف هذا الحساب سهل عليه حسن المعاملة فالاستقامة في الانسان علامة اتساع عقله واعتدال مزاجه لان المستقيم في الغالب قد يفوت منفعة عاجله بقصد أن لا يهدم منفعة آجله واما غير المستقيم فانه قد تفوته المنفعة العظمى الآجلة بحرصه على منفعة هينة عاجلة

فقد اتفقت الاخلاق والعوائد والشرائع والاحكام على ان مكارم الاخلاق منحصرة في قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وان هذا الحديث قاعدة عظيمة في الدين لان الرجل الصالح المستقيم الحال لا يقتصر على الكف عن فعل الشر بل يرى ان الحقوق الواجبة عليه فعل الخير والمعروف فمن لم يضع المعروف في موضعه مع التمكن منه لا يعد صالحا فالاستقامة تنهى عن الشر والصالح يأمر بالخير والاستقامة تمدح والمعروف يعظم والاستقامة عبارة عن عدم التعرض لفعل الشر والمعروف العمدة الى فعل الخير والمعروف يستحق الشكر عليه واما الاستقامة فقد لا يجب الشكر عليها لكونها فضيلة قاصرة والمعروف فضيلة متعدية فهو من الاعمال التي عليها مدار الجمعية المدنية

وكما تقدمت براعة المنافع العمومية تقدمت الجمعية واقتضى الحال ميل النفوس الى التمتع بثمار المنافع الكاملة ودقائق المصنوعات الفاضلة فالميل الى التجميل والتزين ومواد الطنطنة والأبهة يتولد منه غنى جميع الاقاليم التشغيلية لا تساع دوائر الاخذ والاعطاء وكال الحرية في ذلك فهذا تسع دوائر الزراعة والتجارة والصناعة باسراع الرخصة في الاقاليم بالمعاونات والمساعدات من ارباب الحكومات المختلفة

ولما كانت الدولة الانكليزية قد احست ان منبع ثروة اهاليها لا تخرج
 الا من التجارة والصناعة وان كلا منهما يحتاج الى الحرية التامة والى الاستجلاب
 والتوزيع للبضائع المختلفة واستحصال الاثمان وتكثير أموال المملكة بتوزيعها
 بين الاهالي براحة جميعهم ليكونوا مشتركين في السعادة المالية فتحت هذه
 الدولة بلادا واسعة في افطار شاسعة في الهند وبلاد امريكا وجزائر البحر المحيط
 الاكبر لتقديم صناعتهم وتجارتهم بالاخذ والاعطاء ليعود ذلك كله بالنوائد
 الجمة على اهالي مملكتهم بالاصالة وعلى غيرها بالتبعية وكذلك غيرهم من ممالك
 اوروبا كالاسبانيين والبرتغال والفرنساوية والفلنك وغيرهم ويقال لهذه الحركة
 التقدمية اندوستريا قولنيه يعنى تجارة خارجية

« مطلب »
 منشأ تولد الذي

« مطلب »
 التجارة الخارجية

ومن المعلوم ان فروع التجارة والصناعة كثيرة متنوعة بقدر ما في الاقاليم
 والممالك من طبيعة ارضها واهلها فكل اقليم يوافق به بعض الفروع دون بعض
 ويروج فيه ما لا يروج في غيره فللمنافع العمومية على اختلافها مبنية على المعاوضات
 والمبادلات بما تقتضيه اصول حرية البلدان ومدار حركتها على ثلاثة اشياء
 ضرورية

« مطلب »
 اقسام حركات
 المنافع العمومية

الاول هو المواد والاجزاء الواقعة عليها التشغيل كالقطن والصوف والحديد
 ونحوه من كل ما يصطنع والثاني الآلات والأدوات التي يستعان بها على
 الصناعة وهذان الشيان تحصيلهما أصعب من الثالث الذي هو عبارة عن أجره
 الاعمال ومكافأة العمال لانه وان كان في العادة يدفع نقدا ويعطى عدا الان
 المشغولات اذا كانت رابحة ناضة فاجرة العمل تعتبر صنفا فلا مانع أن
 يعطى الاجير من عمله وشغله لما قدمنا ان قيمة العمل مجسمة للمصنوعات
 والمشغولات لاسيما في هذه الاوقات الاخيرة التي صارت فيها الزراعة والتجارة

والصناعة مبنية على أصول ومحاسبات دقيقة فستان بينها وبين ما كان يعمل
 في قديم الزمان من اجراء المنافع العمومية فانها كانت ساذجة بسيطة لا
 تستدعي رأس مال كما في أيامنا هذه فلم يتفكر المتقدمون فيما تفكر فيه
 المتأخرون من الدقائق اللطيفة وتنعيم حال التجارة وتطبيقها على أصول
 حسابية تكاد ان تكون منطقية ولا تزال آخذة في الدقة والرواج الي غير
 نهاية بحسن ترتيب الحكومات العادلة واعطاء الحرية الفاضله وعمل
 الميزانيات اللازمة وابعاد الاحتكار

الفصل الثاني

(في حالة المنافع العمومية في الازمان القديمة وانها كانت بسيطة سهلة لا تحتاج الى كبير شئ.)
 الذي يستبان من كلام المؤرخين والمخططين للبلاد أن الارض الخصبه
 في مادة الزراعة كانت رأس مال الزارع يستثمرها ويستولى على فائدها
 فان الحراثين والعملة في القرى والبلاد كانوا ملكا لملك الارض بالتبعيه لها
 أو أرقاء بالشراء وكذلك المواشى والسباخ وآلات الحراثة كانت أيضا
 ملكا لرب الارض فكان العبيد والفلاحون المستعبدون يحرثون الارض
 ويسوونها ويبدرونها الى ان يحصدوها وينقلوا محصولها الى بيت سيدهم
 وكانت نظارة الفلاحة ومباشرة الزراعة منوطة باكبر عبيد السيد او عتقاء
 ممن يستنجبه منهم وليس لهذا المباشر ولو معتوقا مرتب خاص في نظير عمله
 بل معيشته في بيت سيده كالعبد وعليه مطعمه وملبسه في نظير الاتفاع
 بخدمته فاذا جسر المعتوق وخرج من بيت سيده المترپي فيه لا يجد من

يقوم بشؤنه فكانت الحرية في تلك الاوقات مشؤمة على العتق وامثالهم

هذا ما يخص الزراعة من المنافع العمومية في تلك الازمان

وأما الصناعات فكانت أيضا قاصرة على الامور الازومية و موكولة

لتشغيل الارقاء فكانوا يصطنعون ماتدعو الحاجة اليه للملبس والمطعم وما

أشبه ذلك مما تستدعيه الحاجة فقط وأما لوازم الزينة والتجميل فكانت تجلب

من بعض ممالك أجنبية أكثر تمدنا من الممالك المجلوب اليها فكانوا يشترون

للمنسوجات الصناعية الساذجة من مصانع ليست كثيرة الآلات المتفننة

الأدوات وكانت تشغيلات الأقدمين قليلة وعملياتهم هينة فكانوا

يستخرجون المعادن ويصطنعون الاسلحة وآلات الحرب المعروفة في تلك

الازمان وكانت هذه الاشغال أيضا وادارتها من وظائف العبيد والماليك

وكان التعامل بين الاهالي في تلك الازمان بالريقق فاذا اقتضى الحال للاقتراض

لم يكن القدر المقترض دراهم ولا دنانير اذ لم تكن النقود رؤس اموالهم

بل يقترض بعضهم من بعض قدرا معيننا من الاعيان والاصناف ويستعيرونها

ويدفعون لصاحبها في نظير قرضه أو عاريتة قدر معيننا ولم يكن عندهم أخذ واعطاء

جسيم ولا تجارة مهمة الامع الاجانب فاذا توفرت عند انسان منهم بضاعة

او فرع من الفروع اللازمة لجهة من الجهات البرانية واراد الربح شارك عليها

تاجرا اجنبيا واشترط عليه شروطا ملائمة لعادة البلاد وجعل الربح بينه وبين

شريكه العامل بان يعطيه جزأ من الربح قليلا او كثيرا بحسب خطر السفر

ومشاقه فكانت التجارة ايضا عندهم بسيطة كالزراعة والصناعة فاذا كانت

منافعهم العمومية على هذه الكيفية فلا يتصور أن يعود على الحكومة منهم

كبير ايراد

وفي الحقيقة كانت حكوماتهم ايضا بسيطة لا تحتاج الى كثرة المصارف
 لاسيما في اوقات السلم فكانت مناصب الحكام القضاية والملكية والعسكرية
 ليس لها مرتب ولا ماهية لاسيما عند الرومانيين واليونانيين فكانت دولتهم
 لا تحتاج الا الى قليل من الخراج نعم في اوقات الحروب والاختار اذا احتاجت
 الحكومة الى امور ضرورية لتجهيز جيوش الحرب الاعداء استعانوا باهل
 الوطن فكان يعينهم من الاهالي كل من يحترم اوطانه ويصدق في معزته لبلاده
 ومحل ميلاده فيهدون الى الحكومة برسم تشریف الوطن ما يكفي للحاجة
 بدون الخاح من اهل الحكومة ولا الحاجة

« مطلب »
 حروب روميه
 مع قرطاجنة

ومن المعلوم من التاريخ ان الدولة الرومانية كانت في تلك الازمان مقارنة
 ومعاصرة للدولة القرطاجنية اى التونسية التي كانت اذ ذاك لها السلطنة العظمى
 في الاقطار المغربية فكان كل من الدولتين منافسا للآخر وكانت العداوة الفاشية
 بينهما شديدة ولا تكاد الحروب تنقطع بينهما للمجاورة والمنافرة والمنافسة
 كما هو جار الآن بين بعض الدول المتأخرة وتسمى الحروب التي كانت
 بينهم بالحروب البونيقية اى المغربية المشهور منها ثلاثة فالحرب البونيقى الاول
 كان قبل الميلاد باربع وستين سنة ومائتين ومكث اثنتين وعشرين سنة أخذ
 فيه الرومان من القرطاجنيين جزيرتى صقلية وسردينية وصارت قرطاجنة تدفع
 لرومية خراجا مقرررا وقد تعلم الرمانيون من القرطاجنيين في هذه الحرب صناعة
 السفن البحرية الحربية ذات المجاذيف

وفي هذه الاوقات صدر امر من مجلس رومية بان يرتب للعساكر
 المشاة جامكية وكانوا قبل ذلك غير محسكين فبادر اعيان الاهالي ووجوه الناس
 باهدائهم لخزينة الجمهورية مقدار اجسيمان متاعهم للاعانة على مرتبات العساكر

الوقفية فجمعوا ما عندهم من النحاس غير المشغول ووسقوا العربات من ذلك
 وبشوا به الى الخزينة بوصف الاعانة الوطنية فكان يوم ارساله من آخر
 الايام الموسمية واحتفل أناس كثيرون للتفرج على موكب هذه الهدية
 الوطنية العجيبة فمن هذا يفهم ان احتياجات تلك الايام كانت سهلة بسيطة
 كما أسلفناه ولم تكن كاللوازم في ايامنا هذه وكذلك في الحرب الثاني
 البونيق الذي ابتدأه الرومانيون مع القرطاجنيين سنة ٢١٩ قبل الميلاد
 ومكث ثمان عشرة سنة

وكان سر عسكر قرطاجنة أنيبال وكان شجاعا باسلا هجم على رومة
 أشد هجوم وهزم جيوش الرومانيين في الوقائع العظيمة وكاد يأخذ رومية
 ولكن دخل وقت الشتاء فانزوى أنيبال في مدينة يقال لها قبوة ليقضى فيها
 فصل الشتاء مع جنده فتعود جنده على اللذات والشهوات وفترت همتهم
 بالانهماك على ذلك وكان في اثناء هذه المدة قد اغتم الرومانيون الفرصة
 بتجميع عساكرهم المشتتة فهجموا على جنود القرطاجنيين ومع ذلك انهزم
 جندهم وفر أميرهم

في اثناء هذه الحرب والاحتياج للامدادات العسكرية والذخائر
 تضايق الرومانيون واضطرت الحكومة ان تجمع عساكر جديدة وان
 تجهز سفنا حربية لتقاوم قوة القرطاجنيين وتمكن من منازلهم فاحتاجت
 رومة الى الاعانات الضرورية وتحيرت في طريقة تحصيلها وكانت حكومتهم
 اذ ذلك منوطة برؤساء يقال لهم القناصل منقادين لمجلس الحكومة الذي
 بيده الحل والعقد والامر والنهي فالتس هؤلاء الرؤساء من مجلس رومية
 ان يفعل كما جرت به العادة بان يحمل الاهالي على ان يدفعوا بحسب

اقتدارهم ما يكفي في دفع مرتبات شهر للسفن البحرية من ماهيات وتعيينات
 ومع ان هذا طلب هين ومقدار يسير في حد ذاته لما علم به الاهالي اغبرت
 خواطرهم وتكدروا وتوقفوا فيه وقالوا نحن نعين الوطن باللائق والمناسب
 ونبذل ما عندنا من الاموال والرجال ولكن قد أخذت الدولة عبيدنا
 وفلاحينا الذين يباشرون الزراعات ومن وقت دخولهم في
 العساكر البرية والبحرية تعطلت الزراعة والفلاحة ولم يبق لنا الا
 أنفسنا وأراضينا فنحن قد تعطلنا بالكفاية وتضعض حالنا وضاعت
 أموالنا ولو كان عندنا شيء ما بخلصنا به على أوطاننا فلما استشعر
 رؤساء الدولة وأمرؤها بأعداء أهل الفلاحة التمس أحد الرؤساء من مجلس
 رومية أن جميع أعضاء هذا المجلس يتطوعون لخزينة الحكومة بجميع ما
 عندهم من الذهب والفضة والنحاس ولا يبقوا منه شيئاً الا ما في أصابعهم
 من خواتم الذهب وما في اصابع نسائهم وأولادهم من ذلك وانه لا مانع من
 ان لا يدعوا عندهم الا النقود اليسيرة للمصارف الضرورية ليقتمدي بهم جميع
 الاهالي ولتكون هذه المكارم الوطنية معدودة في ماثرهم وماثورة في
 مناقبهم فأجاب جميع الاعضاء الى هذا الالتماس الممدوح عن طيب نفس
 وانشراح خاطر ولم يتأخر منهم أحد عن ذلك وتفرق المجلس بالتواطؤ على
 التنجيز

فكل عضو من أعضاء المجلس شرع في المسارعة والمسابقة ليفتخر بتقيد
 اسمه وعطيته بالدفاتر قبل غيره فتراحموا جميعاً على كتاب الخزينة أن يكتبوا
 ماتعهد كل منهم بدفعه على سبيل الاعانة واقتدى بأرباب المجلس من عداهم
 من أهالي المملكة الرومية فبهذه الاعانات تمكن الرومانيون من قهر أعدائهم

وحماية مدنيهم من جهة قرطاجنة فبراسطة اعانات الرومانيين ومكارم أخلاق
 أهاليهم ومفاداتهم أوطنهم ببذل الاموال والارواح شنوا الاغارة عليها
 بالجاش القوى والجيش الجرار في الحرب الثالث الذي صار الشروع فيه من
 سنة مائة وتسع وأربعين قبل الميلاد فحاصر الرومانيون قرطاجنة وهجموا
 عليها براً وبحراً مدة ثلاث سنين فأخذوها عنوة وسلبوا أموالها وقتلوا من
 فيها من السكان وحرقوا المدينة فن ذلك الوقت زالت دولة القرطاجنيين
 بزوال قرطاجنة التي كانت دائماً قرينة رومية ومعاصرة لها في الفخر

ولم يكن في ذلك العهد ممالك قوية تعادل قوتي هاتين المملكتين حتى
 تعتبر الموازنة فما أحسن ادارة الممالك في هذه الأعصر الجديدة وما بين
 ملوكها من المعاهدات والمشارطات واعتبار الميزان السياسي واعتماده لمحافظة
 الحقوق الملكية وحقوق الدول والمال بعضها على بعض فان هذا حصن
 حصين لحفظ ذات الممالك بقطع النظر عن حفظ تيجان الملوك فالمملكة
 الضعيفة في هذا العهد مأمونة الدوام ما لم يل بها أحوال بوليتيقية أهلية بها
 تخرج عن حدود المشارطات فمحض القوة في احدي ممالك هذا العصر لا
 يسوغ لها تغلبا على غيرها بدون وجه لمنع الآخرين ذلك بعقد المشارطات
 القوية وهذا أيضا مما يعد من التقدمات العصرية في المنظمات الملكية
 ولو تمدنت الممالك الاسلامية المنافرة سياستها لسياسة الدول المتمدنة كممالك
 التار ودخلت في النظام العمومي لصانت أوطنها من اغارة من جاورها باتعمل
 بخشونتها والاستيلاء عليها لقصد تمدنها وتحسين حالها في الازمان السابقة
 كانت الشهرة في الدنيا لمدينة رومية ومدينة قرطاجنة لقوة الدولتين ولم
 يساو هاتين المدينتين مدينة أخرى

ويقال لو لم تكن رومية موجودة لكانت قرطاجنة أول مدن الدنيا
ولولا وجود الاسكندرية بموقعها العجيب لكانت قرطاجنة ثاني مدينة من
مدن الدنيا فانها كانت حسنة الوضع جيدة الموقع لوجودها بين بوغاز جبل
طارق بالاندلس وبوغاز القسطنطينية وبهذا كانت اذ ذاك مركز التجارة
وكان أهلها سبعمائة الف نفس أرباب زراعة وصناعة وفنون كثيرة وكان
يغلب عليهم التقدم في الزراعة والملاحة لان هذه الامة القرطاجنية كانت
محتاجة الى الاسفار ونقل البضائع من بلادها وجلب ما ليس عندها من
الخارج الى الداخل وكانت مولعة بالفتوحات وتوسيع دائرة ملكها فقد
استولت على سائر مدن افريقية وسخرت من أوروبا جزيرة سردينية
وجزيرتي مايورقه ومينورقه وغيرها من بلاد الاندلس ومن فرانسوا وكان
لها المحالفات والمآهديات مع ملوك البلاد التي بينها وبينهم معاملات نخر بها
الرومانيون لما أعيتهم وأتعبتهم فكان تدميرها وخرابها مما يعاب به عليهم
ثم بنى الرومانيون مدينة في آثارها بعد مدة من تدميرها وسموها
قرطاجنة باسم الاولى ولم تشتهر المدينة الثانية الا في زمن القيصر اغسطوس
حتى صارت ثاني مدينة في العظم بعد رومية وبقيت الى صدر الاسلام ثم هدمت
حتى لم يبق لها الآن أثر وانما بنيت بالقرب من محلها مدينة تونس فانظر الى
حال الامم القديمة فان دولة الرومانيين مع تقدمها في الفتوحات العظيمة لم
يكن عندها تقدم في المنافع العمومية وانما كانت ادارتها بسيطة وكان عندها
نوع من الرفق بالملة الرومانية واهل الوطن الحقيقي يعني من له مزية عنوان
الروماني وكانت اقرب الى الصدق في تأدية الحقوق لرعاياها لا سيما
عقب الحروب

فقد ذكر المؤرخون انه كان لرومية حرب مع مملكة مقدونيا في بلاد
 روم ايلي فبعثت بولص أميلوس أحد قوادها الى مقدونيا لقتال برشاوس
 ملك هذه البلاد فهزمه القائد الروماني واغتنم امواله وعاد الى روميه بالغنائم
 العظيمة فلما تبين لحكومة رومية ان هذه الغنائم تقوم بمصارف الدولة
 وتكفي في مصالحها رفعت جميع المطالب المقررة على الاهالي الى وقت
 الحاجة

« مطلب »
 حروب روميه
 مع مقدونيا

وبالجملة فقد كان القدماء من الممالك والدول لا يعرفون اقتراض الحكومة
 من الاهالي او غيرهم بالفوائد والارباح كالجارى الآن اعتمادا على ما يتحصل من
 الاموال والعوائد بل هذه الطريقة الاختراعية من مستحداثات الدول المتأخرة
 الاروباوية وانما كانت طرق المتقدمين أنهم اذا اقتضت الضرورة للمال فان
 رؤساء الحكومة كمال الأقاليم يعقدون مع اغنياء الاهالي عقد القرض والسلفة
 في حالة ما اذا خلت خزينة الدولة عن الدراهم بالسكية ولم يكن عقد القرض باسم
 الحكومة بل هو اتفاق شخصي بين الحكام والمقرضين لاعتماد الحكام
 وامانتهم وكانوا يعينون للدفع ميعادا ويحددون له اجلا مسمى فكانت امانة
 الحكام المقرضين ومكارم اخلاق الاغنياء المقرضين هي المسهلة لقضاء حوائج
 الدولة بحيث لم تكن في اوقات الاخطار عرضة لان تقع في الحيرة والمضايقة
 فقد احتاجت دولة الرومانيين بعد مضي سنوات من الاعانة التطوعية
 الى الدراهم لتتميم فتوحهم لقرطاجنة وكانوا في خطب شديد يخشون من
 عساكر أنيبال أمير القرطاجنيين فانه طالما أزعجهم وهددهم حتى كاد يفتح
 مدنهم ويسترعيمهم ففي تلك الاوقات الخطرة اضطر جميع حكاهم أن
 يقترضوا من بعض اغنياء الاهالي مقادير جسيمة من الاموال فعاقدوهم

على ان يدفعوها لهم على ثلاثة اقساط متساوية في ست سنين فجعلوا لكل سنتين قسما والتزم الحكام بالأقساط فوفوا منها قسطين في أثناء الحرب وتصادف أن القسط الثالث حل أجله ولم يكن في الخزينة الرومانية ولا عند الحكام ما يفي به فحضر المقرضون وطلبوه من الحكام فجزوا عن دفعه فحضروا معهم مجلس رومية وطلبوا دينهم فاعترف المجلس بجميع الديون مع عجز الخزينة عن دفعها اذ ذلك فحصل التراضي بين المجلس والدائنين على أن يأخذ أرباب الديون من املاك الحكومة وأراضيها التي يمكن بيعها بقدر ما يفي بديونهم ينتفعون بقلتها ومحصولها وقوموها لهم بقيمة المثل واشترطت لهم الحكومة انه عند يسار الخزينة كل من اراد أن يتنازل عن الارض التي أعطيت له يرخص له ان يطلب دينه نقدا بقدر الثمن الذي اخذه كييع الوفاء فاستلم ارباب الديون الاراضي وفرحوا بها وبادروا باستغلالها وهذه معدلة من الحكومة ومكرمة من ارباب الديوان من الاهالي الرومانية ومع عدها في المآثر الجميلة لا تساوي مكارم الاخلاق العربية التي كان يفعلها من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ولندكر هنا غزوة تبوك التي يقال لها غزوة العسرة ليظهر بها كيفية الاعانات الاسلامية وسبب غزوة تبوك التي هي ارض بين الشام والمدينة المنورة ان متنصرة العرب كتبت الى هرقل ملك الروم بأن النبي صلى الله عليه وسلم هلك واصابت اصحابه سنون أهلكت أموالهم فبعث رجلا من عظمائهم وجهز معه أربعين ألفا ليجارب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه صلى الله عليه وسلم أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وانهم قدموا مقدماهم الى البلقاء وكان صلى الله عليه وسلم فلما يخرج في غزوة

« مطلب »
غزوة تبوك التي
يقال لها غزوة
العسرة

الا كنى عنها وورى بنيرها الا ما كان من غزوة تبوك لبعث المشقة وشدة
الزمان بالحر وكثرة العدو وليأخذ الناس أهبتهم فأمر الناس بالجهاز وبعث
الى مكة وقبائل العرب ليستنفرهم وحض أهل الغني على النفقة والحمل في سبيل
الله واكد عليهم في طلب ذلك

وكانت آخر غزواته صلى الله عليه وسلم فأنفق عثمان بن عفان رضى الله
عنه نفقة عظيمة لم ينفق احد مثلها حيث جهز عشرة آلاف مجاهد أنفق عليها
عشرة آلاف دينار غير الابل وهي تسعائة بعير وغير الخيل وهي مائة فرس
وجهن الزاد وما يتعلق به حتى ما تربط به الأسيقية وجاء أيضا رضى الله عنه
بألف دينار فصها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقبلها بيديه الشريفتين ويقول ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم
ويقول غفر لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وكان أول من جاء بالنفقة قبل
عثمان أبو بكر الصديق رضى الله عنه جاء بجميع ماله وهو أربعة آلاف درهم
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لأهلك شيأ قال أبقيت
لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنصف ماله فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لأهلك شيأ فقال النصف الثانى
وجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بمائة أوقية من الفضة ولهذا قيل
ان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما كانا خزائنين من خزائن
الله في الارض ينفقان في طاعة الله تعالى

فقد كان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه تاجرا كثير الاموال بعد
ان كان فقيرا باع مرة أرضا له باربعين الف دينار وتصدق بها كلها وتصدق
مرة أخرى بتسعمائة حمل بأحمالها قدمت من الشام وأعان في سبيل الله

بثمانمائة فرس عربية وأوصي لكل رجل يقي من أهل بدر بأربعمائة دينار
 وكانوا يومئذ مائة رجل وقسمت تركته بعد موته على ستة عشر سهما وكان
 كل سهم ثمانمائة الف دينار وعينه عمر رضى الله عنه في جملة ستة يصلحون
 للخلافة من بعده فقام هو بأمر البيعة لعثمان وروى الامر عن نفسه
 ومن هنا يعلم ان تجارة العرب في الزمن القديم كانت رابحة عظيمة
 ثم جاء العباس رضى الله عنه بمال كثير وكذا طلحة رضى الله عنه وبعث
 النساء رضى الله عنهن بكل ما يقدرن عليه من حلين وتصديق عاصم بن
 عدي رضى الله عنه بسبعين وسقا من تمر

ولما ارتحل صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع التي بها المعسكر وهم
 ثلاثون الفا متوجها الى تبوك عقد الألوته والرايات فدفع لواءه الأَعْظَمَ لابي
 بكر الصديق رضى الله عنه ورايته صلى الله عليه وسلم العظمى للزبير رضى
 الله عنه وساروا حتى نزلوا الى تبوك فوجدوا عينها قليلة الماء فاغترف
 رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة من مائها فضمض بها فاه ثم بصقه
 فقارت عينها حتى امتلأت وأقام صلى الله عليه وسلم أياما وأتاه يحنة بن رؤبة
 صاحب أيلة فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطى الجزية وأتاه أهل
 جربا وأذرح بالذال المعجمة والراء والحاء المهملة بلدتان بالشام فأعطوا الجزية
 أيضا ولم يقع في هذه الغزوة قتال ولكن فتحوا في هذا السفر دومة الجندل
 حيث بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد من تبوك في أربعمائة وعشرين
 فارسا الى ملكها اكيذر وكان نصرانيا فخرج خالد من تبوك وانصرف
 صلى الله عليه وسلم منها الى المدينة فصالحه اكيذر على النى بغير وثمانمائة فرس
 واربعمائة درع فرضى خالد بالصلح ففتح له باب الحصن الذي كان على هذه

القرية وانطلق با كيدر وأخيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى
الله عليه وسلم بالمدينة فلما قدم بهما صالحه صلى الله عليه وسلم على اعطاء الجزية
وخلي سبيله وسبيل أخيه فمن هذا يفهم ان عثمان بن عفان رضى الله عنه
جهز ثلث الجيش في هذه الغزوة
وبالجملة فأثر الصحابة رضى الله عنهم في مكارم الاخلاق لا تحصى
ولا تحصر فبالنسبة اليهم رضى الله عنهم لا يقال ان سبب ذلك البساطة في
الاخلاق وعدم كثرة المعاملات والاخذ والعطاء فانا نقول ان أهل آسيا
في تلك الأزمان كانت التجارة عندهم رابحة ايا ما كان نوعها فكان للعرب
كل سنة رحلتان رحلة الشتاء والصيف ومن المعلوم ان الاسفار من وسائل
التقدم ودليل عليه

الفصل الثالث

في أن الاسفار والسياحات مما يعين على تقدم المنافع العمومية

قد اسلفنا في الفصل الاول من الباب الثاني ان دوائر الزراعة
والتجارة والصناعة تتسع باتساع الرخصة في الاقاليم بالمعاونات والمساعدات
من ارباب الحكومات وان دولة الانكليز فتحت بلاد الهند وغيرها
للتحصيل على اتساع تجارتها وكذلك تحمّل غيرهم من الدول على ذلك
كما قيل

و مطلب
اعانة السياحات
على تقدم
المنافع العمومية

ومن طلب النجوم أطال صبراً
وتمر حاجة المحتاج نجماً
على بمد المسافة والمنال
اذا ما كان فيها ذا احتيال

فهمة هؤلاء الامم تميل الى الجد والكد والكدح والانتصاب
 سائر الاهوال في تحصيل المعالي والاموال والترقى الى منازل العز وكسب
 الجدد والاقبال وتتوصل الى ذلك بالحركة والنقطة والسياسة والرحمة
 والاقدام على ركوب الاخطار لنيل الاماني وبلوغ الاوطار ومن السكلم
 التواضع والحكم السوانع صعود الآكام وهبوط الفيضان خير من القعود بين
 الحيطان ولبعضهم

أما تريني على بنى العلاء لا عيباء الامور حمولا دائم النصب
 فما استوى شرف الاعلى كلف ولا صفا ذهب الاعلى لهب

فتجشم المشاق عند خاطب المعالي حلو المذاق

« مطالب »
 تفسير سورة
 قريش على
 حسب الطاقة

فالطريقة الموسعة لدوائر المعيشة قديمة عمومية قضت بسلك طريقها
 في الازل الحكمة الالهية فقد سخر الله سبحانه وتعالى لقريش بالحجاز من
 وسائل الكم والكيف ما يحملهم على ايلاف رحلة الشتاء والصيف فقال
 تعالى في كتابه العزيز لا ايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليبدوا
 رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وتفسير هذه
 الآية والله أعلم بمراده ان قوله تعالى لا ايلاف قريش اعجبوا لا ايلاف
 قريش لانهم يتبادون في غيهم وجهلهم والله يؤلف شملهم ويدفع الآفات
 عنهم وينظم أسباب معاشهم أي اعجبوا من حلم الله وكرمه عليهم ونظيره
 في اللغة قولهم لزيد وما صنعنا به أي اعجب لزيد وما صنعنا به من الاكرام
 والايلاف الالزام يعني اعجبوا لالزام قريش ومعموله عام يعني ايلاف
 قريش كل مؤانسة وموافقة بينهم من مقامهم وسيرهم وجميع أحوالهم ولفظ
 قريش مأخوذ من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كاسيين بتجارتهم

وضربهم في البلاد ومن التقرش وهو التجمع لجمعهم المال بالتجارة أو
 للاجتماع بعد التفرق في البلاد ثم بعد أن عمم تعالى الايلاف الاول الذي
 هو نعمة عامة خص ايلاف الرحلتين بالذكر بسبب انه قوام معاشهم

فقد امتن سبحانه وتعالى عليهم بنعمتين وهما الايلاف العام والايلاف
 الخاص الذي هو تعويدهم على رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام
 قال المفسرون كانت لقريش رحلتان رحلة بالشتاء الى اليمن لان اليمن أدفاً وبالصيف
 الى الشام وذكر عطاء عن ابن عباس ان السبب في ذلك هو ان قريشا كانوا
 اذا اصاب واحدا منهم محصة خرج هو وعياله الى موضع وضربوا على انفسهم
 خباء حتى يموتوا الى ان جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه وكان له ابن
 يقال له اسد وكان له رب من بني مخزوم يحبه ويلعب معه فشكى اليه الضر
 والمجاعة فدخل اسد على أمه يبكي فارسلت الى اولئك العيال بدقيق وشحم
 فعاشوا فيه اياما ثم اتى رب اسد اليه مرة أخرى وشكى اليه من الجوع فقام
 هاشم خطيبا في قريش فقال انكم اجدبتم جدبا تغلوا فيه وتزلون وانتم اهل
 حرم الله واشراف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فليس عليك منا
 خلاف فجمع كل بني ابي على الرحلتين في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام
 للتجارات فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء
 الاسلام وهم على ذلك فلم يكن في العرب بنو ابي اكثر مالا ولا اعز من قريش
 قال الشاعر فيهم

الخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي

فعممة الله عليهم بايلافهم وتأنيسهم بجمعهم قبيلة واحدة في مكان واحدا مكن
 في النعمة من ان يكون الاجتماع من قبائل شتى ونبه تعالى بقوله ايلاف على ان

من شرط السفر المؤانسة والألفة لان السفر أحوج الى مكارم الاخلاق
من الإقامة

ثم لما كان هذا الايلاف انعاما من الله تعالى عليهم وانه يستحق ان
يقابل بالشكر والعبودية أتبعه سبحانه وتعالى بطلب العبودية فقال فليعبدوا رب
هذا البيت ومعنى فليعبدوا أى فليذلوا ويخضعوا للمعبود على غاية ما يكون
ليشمل التوحيد والعبادات المتعلقة بالجوارح والمعنى ليركوا ما هم عليه من
عبادة الأوثان ويعبدوا رب هذا البيت أى الحرم وهو الله سبحانه وتعالى
وقوله الذى أطعمهم من جوع أى رزقهم بالطعام فى السفر والمقام وقوله وآمنهم
من خوف أى حماهم حيث جعلهم اهل حرم آمن فكانوا يسافرون آمنين
لا يتعرض لهم أحد ولا يغير عليهم احد لا فى سفرهم ولا فى حضرهم كما يشير
اليه قوله تعالى اولم يروا أننا جعلنا حرما آمنا وقد اطعم الله تعالى قريشا وآمنهم
انعاما منه تعالى واجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام فى قوله رب اجعل هذا
البلد آمنا وارزق اهلنا من الثمرات فكانت رحلة الشتاء والصيف بها ميرتهم
ومعشتهم وثروتهم هذا ما يتعلق بقريش

« مطلب »
سياحة العرب
مطلقا فى الارض
قدما

واما العرب على الاطلاق فكانوا من الازمان القديمة يسبحون فى
الارض سوقة وملوكا حتى بلغوا اقصى المغرب وبلغوا من حدود المشرق
سمرقند وبلغوا باب الابواب ودخلوا بلاد الهند ولكن كانوا يغيرون على
غير بلادهم ولم يستقروا فيها حتى يصيروا ملوكها بل فى الغالب كان يقتصر على
ملك أبيه واذا غلبه عليه غيره رحل الى البلاد البعيدة ليستنجد على خصمه
بملك اجنبى ذى قوة وبأس كما وقع لامرئ القيس الكندى حيث ذهب الى
قبصر الروم ليستنجد به ومر فى مسيره اليه على حماة وشيخركايشير الى ذلك

في قصيدة مطلعها * سمالك شوق بعد ما كان اقصر ا * يقول فيها
 تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
 بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لا حقان بقيصرا
 فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا
 فكان كلامه فالأعلى نفسه حيث مات بقرب أنقره وودفن في سفح جبل
 يقال له عسيب وقد أنشد فيه حال مرضه يخاطب حمامة فقال

أجارتنا ان الهموم تنوب واني مقيم ما أقام عسيب
 أجارتنا انا مقيمان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

وقد ثبت بالعقل والنقل تواتر ان العرب اكثر الامم شجاعة
 ومروءة وشهامة ولسانهم اتم الألسنة بيانا وتميزا للمعاني جمعا وفرقا يجمع
 المعاني الكثيرة في اللفظ القليل اذا شاء المتكلم الجمع والتميز بين كل
 لفظتين مشتبهتين بلفظ آخر مختصر الى غير ذلك وهذا من خصائص
 اللسان العربي فالعقل قاض بفضل العرب ولو انهم كانوا قبل الاسلام لا
 يشتغلون ببعض العلوم العقلية المحضة كالطب والحساب والمنطق ونحو ذلك
 وانما كان علمهم ما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب وما حفظوه من
 أنسابهم وأيامهم من التواريخ أو ما احتاجوا اليه في دنياهم ومعاشهم من
 الأنواء او النجوم او الحروب فلما جاء الاسلام ونقلهم من حالة الجاهلية التي
 احاطت بهم زالت الريون عن قلوبهم واستنار باطنهم بفطرة جديدة وفطنة
 نيرة سعيدة فاجتمع لهم الكمال التام والخير العام بالقوة المتجددة فيهم
 ودرجة الفضل العظيم فذلك كان بقاؤهم نورا في الاسلام وفناؤهم فساد فيه
 (وقد روي) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا زلت العرب زل

« مطلب »

نبوت فضل
 العرب على غيرهم
 بالتواتر في اغلب
 الحاصل الحميدة

« مطلب »

الكلام على
 مدينة سبا وما
 يتلقى بها

الاسلام فكيف وهم الذين فتحوا بلاد الدنيا وأعزوها بالاسلام ومدنوها
 بالعلوم وان اتسع فيها غيرهم فلا بأس من كونهم بواسطة المنظمات
 الملوكية العامة يقتبسون معارف الأعرص الجديدة ويزيدون عليها فصيت
 نعمات العرب قديما قد بقيت مخلدة الذكر في جميع تواريخ أهل الدنيا لاسيما
 أهل اليمن

وقد أظن المؤرخون في عظم مدينة سبا التي تسمى مأرب وبينها
 وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام فهي بين مملكة اليمن ومملكة المسكت
 وبسطوا الكلام على ما كانت عليه من الثروة والغنى وكثرة الخيرات المعدنية
 والنباية وأن ملكها آل الى بلقيس التي قال الله تعالى في حقها ولها عرش
 عظيم قال تعالى في حق أهل سبا لقد كان لسبا في مساكينهم آية جنتان عن
 يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور قال
 المفسرون المراد بالجتين جماعتان من الجنان ولا اتصال بعضها ببعض جعلها
 جنة وقوله تعالى كلوا من رزق ربكم اشارة الى تكميل النعم عليهم وقوله
 واشكروا له بيان أيضا لكمال النعمة فان الشكر لا يطلب الا على النعمة
 المعتبرة ثم لما بين تعالى حالهم في مساكينهم وبساتينهم واكملهم اتم بيان
 النعمة حيث بين انه لا غائلة عليهم ولا تبعه في الدنيا فقال بلدة طيبة أي
 طاهرة عن المؤذيات ثم قال ورب غفور يعني ان نعمتهم كاملة حيث كانت
 لذة حالية خالية عن العقوبات الأخروية فلا يترتب على تعاطيها عقاب من
 جانبه تعالى

وأما ما كان من جانبهم فقد بينه تعالى بقوله فأعرضوا فأرسلنا
 عليهم سيل العرم الآية فبين سبحانه وتعالى انه انتقم منهم بظلمهم بالأعراض

تصديقا لقوله تعالى انامن المجرمين منتقمون فأرسل عليهم للانتقام منهم
سيلا غرق اموالهم وخرب دورهم فهذا كله ظاهر الدلالة على غنى اليمن وثروة
أهاليها ورفاهيتهم وتنعمهم في زمن سيدنا سليمان عليه السلام وتقدمهم في
الزراعة والتجارة والعمارة

وفي سنة ستين ومائتين ^{١٢٦٠} والف من الهجرة استكشف من أرسل
من طرف الحكومة المصرية محل مدينة سبا المسماة مأرب ووجد رسومها
وأطلالها بالحفر فوجد ما يدل على عظمها ثم قال تعالى وجعلنا بينهم وبين
القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة الى ان قال تعالى فجعلناهم أحاديث
ومزقناهم كل ممزق المراد بالقرى المبارك فيها قرى الشام فانها هي البقعة
المباركة ومعنى فجعلناهم أحاديث أى فعلنا بهم ما جعلناهم به مثلا يقال تفرقوا
أيدي سبا وعلى ذكر قرى الشام ناسب ان نذكر هنا أهل سورية وهم اهل
الشام في قديم الزمان حيث سبقوا كثيرا من الامم في المنافع العمومية وفي
الاسفار البحرية والامة التي اشتهرت منهم بذلك هي أهل صور وصيدا
ويروت فكانوا يسمون بالفنيكيين وسيأتي بيانهم في الفصل الرابع ومن
اشتهر أيضا بالاسفار البحرية الهنود

« مطلب »
استكشاف
الحكومة
المصرية لمدينة سبا

وأما العرب فانما كانوا يشتغلون بالتجارة في البر بالأخذ
والعطاء مع اهل الشام او مع اهل اليمن فيما كانت تأتي به أهل سواحل
الشام او الهنود من بلادهم فكانوا ينقلونه من البر الى جميع مواطنهم
او ينقلون بضائع مواطنهم الى تلك البلاد للمعاوضات الى أن ظهر
الاسلام واستولى على البحور والبرور فتغيرت احوال الترقيات في العلوم
والمعارف

وقد سافر النبي صلى الله عليه وسلم الى الشام في تجارته خديجة رضي الله
 عنها بتجارة الي مدينة بصرى باقليم حوران وسبب ذلك ان النبي صلى الله عليه
 وسلم لما بلغ خمسا وعشرين سنة قال له عمه ابو طالب ليرشده الي التجارة
 والكسب انا رجل كثير العيال قليل المال وقد اشتد الزمان وهذه غير
 قومك تخرج الي الشام للتجارة وقد حضر اوانها وخديجة بنت خويلد
 تبعث رجالا من قومك في تجارتها فلو ذهبت اليها وقلت لها في ذلك لعلها
 تقبل فبلغ خديجة ذلك فأرسلت اليه صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن
 وقالت له أعطيك ضعف ما أعطى رجلا من قومك لانك الحبيب القريب
 فقال له ابوطالب هذا رزق ساقه الله اليك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بتجارة خديجة رضي الله تعالى عنها وارفقت معه غلامها ميسرة ليعينه فساروا
 حتى دخلوا الشام فنزلوا ببصرة عند صومعة بحيرا الراهب التي بجانب
 المدينة

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نزل تحت شجرة رعرعت بنزوله
 تحتها فخرج من الصومعة نسطورا الراهب وبيده صحيفة ينظر فيها مرة
 وينظر في وجه النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فاجتمع عليه القوم فقال
 لهم يا قوم فوالذي رفع السماء بغير عمد ما نزل بي ركب هو أحب الي منكم
 واني لأجد في هذه الصحيفة ان النازل تحت هذه الشجرة هو رسول الله
 رب العالمين وخاتم النبيين من اطاعه نجا ومن عصاه غوى ثم أقبل على النبي
 صلى الله عليه وسلم وقال اني لأرى فيك شيئا ما رأيته في أحد من الناس اني
 لأحسبك النبي الذي يخرج من تهامة ثم باع النبي صلى الله عليه وسلم تجارته
 وربح ضعف ما كانوا يربحون

ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى مكة وخبر خديجة بربح التجارة فسرت
 بذلك وكان صلى الله عليه وسلم قد ظهرت منه خوارق عادات ارهاصاً للنبوة
 كتظليل الغمامة فأخبرها ميسرة بهذه العجائب وبما قال نسطورا الراهب
 فاضغفت له صلى الله عليه وسلم ضعف ما سمت له وكانت رضي الله عنها امرأة
 عاقلة شريفة في قومها مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وكانت كبيرة
 المال فكان رجال قومها يحرصون على زواجها ولكن شرفها الله تعالى
 بزواج أشرف العالمين عقب التجارة الرابعة

« مطلب »
 الحكمة في رعي
 الانبياء للغنم
 قبل النبوة

فما احسن الاسفار التي افادت للمال وعادت على العامل وصاحب رأس المال
 بتحسين الأحوال ونتج عنها نتائج جليلة أعقبت أهل البيت الطاهرين أبناء
 فاطمة الزهراء بنت خديجة الكبرى سيدة نساء العالمين وهي أول من آمن به
 على الاطلاق ويقال انه صلى الله عليه وسلم سافر لخديجة قبل هذه السفارة سفرتين
 الى اليمن وثبت أيضاً انه أجر نفسه قبل النبوة لرعي الغنم وكذا ثبت في حق
 غيره من الانبياء ك موسى قيل ان حكمة ذلك ان راعي الغنم التي هي أضعف
 البهائم يسكن في قلبه الرقة واللاطف فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان
 قد هذب قبل ذلك وأمارعي موسى عليه السلام لشعيب فانه حصل أيضاً
 عقب السفر من مدينة عين شمس بمصر الى مدين حين قتل القبطي ونصر
 الاسرائيلي وهم أهل مصر بقتله فقال له مؤمن آل فرعون ان الملائم يا تمرون
 بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج يطلب بلاد مدين بدون
 زاد ولا راحلة وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام ولم يكن له في طريقه طعام
 الا ورق الشجر حتى ورد ماء مدين فكان ما قال الله تعالى في كتابه ولما
 ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين

« مطلب »
 سفر موسى عليه
 السلام الى مدين

تذودان أي تحبسان أغنامهما لان على الماء من كان أقوى منهما فلا تتمسكان
 من السقي مع كراهة المزاحمة على الماء وخوف اختلاط اغنامها بأغنام غيرها
 ومع التحفظ أيضا بالاختلاط بالرجال فقال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى
 يصدر الرعاء أي ننتظر ما يبقى من القوم من الماء بعد صدورهم عنه وانصرفهم
 وقوله وأبونا شيخ كبير كناية عن الضعف ودلالة على انه لو كان قويا
 لحضر ولو حضر لم يتأخر السقي فعند ذلك سقى لهما موسى قبل صدور الرعاء
 وعادتا الى أبيهما قبل الوقت المعتاد وكان قد سأل عليه السلام القوم أن
 يسمحوا فسمحوا

وقيل ان القوم لما زاحمهم موسى عليه السلام تعمدوا القاء حجر عظيم
 لا يقله ولا يرفعه الا جماعة كثيرون على رأس البئر فرفعه بالقوة على ضعفه
 من الجوع وسقى غنمهما قال الله تعالى فسقى لهما ثم تولى الى الظل لانه سقى
 لهما في الشمس والحرق وفيه دلالة على كمال قوة موسى عليه السلام وعلى ان
 احوال أهل البادية غير احوال أهل الحضر يعني ان ما يعد عيبا في الحضر
 قد لا يعد عيبا في البادية فلهذا سأل النبي الله شعيب أن يرضى لابنته بسقى
 الماشية بدون ان يقدح ذلك في حقه بشيء حيث لا مفسدة في ذلك لان
 الدين لا يأباه في البدو ولا في الحضر ومروءة أهل البدو لا تأباه لا سيما
 اذا كانت الحالة حالة ضرورة لان الظاهر انه لم يكن لشعيب عليه السلام
 معين سواهما

ولما كان موسى عليه السلام قد مكث مدة الطريق لم يذق طعاما الا
 بقل الارض قال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير أى انى لاي شيء
 أنزلت الى من خير قليل او كثير غث او سمين لفقير أى سائل وطالب

بجاءته احداها تمشي على استحياء أي مستحبة قد استترت بكم قيصها
 ماشية على بعد مائة عن الرجال قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت
 لنا وذلك ان البنيتين لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس قال ما أعجلكما قالا وجدنا
 رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقد فهمتا من حاله انه سقى أغنامهما تقربا الى الله
 تعالى فوصفتاه بالصلاح فقال شعيب لاحداها اذهبي فادعيه لي فأرسلها
 شعيب الى موسى مع انها شابة وهو شاب لانه عليه السلام كان قد علم
 بالوحي أو من حسن التربية طهارتها وبراعتها فكان يعتمد عليها فذهب معها
 موسى عليه السلام مع الاحتياط والتورع وامثل دعوة أبيها للتبرك برؤية
 ذلك الشيخ لا طلبا للاجرة وروي انها لما قالت ليجزيك أجر ما سقيت
 لنا كره ذلك

ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بدنينا ولا
 نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من
 ينزل بنا فجلس موسى عليه السلام فاكل بعد أن قص عليه قصته فذكر
 نسبه الى يعقوب وحكى جميع أمره من لدن ولادته وأمر القبائل والمراضع
 والقذف في اليم وقتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه فلذلك قال الله تعالى
 فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين أي لا
 سلطان لفرعون بأرضنا فلسنا في مملكته فقد أسكن روع موسى عليه السلام
 وان كان فرعون لقوته وبطشه وكثرة جنوده يمكنه أن يتسلط على أرض
 مدين اذا قصد ذلك الا ان شعيبا يعلم انه لا سبيل لفرعون على هذه
 الارض وان الله سبحانه وتعالى عماء عنها وجمها منه فقالت ابنته الصغيرة
 وكانت آنتت منه القوة برفع الحجر عن رأس البئر واستسقائه بالدلو العظيم

« مطلب »
 اجتماع موسى
 بشعيب وما
 جرى بينهما

وعهدت فيه الامانة حيث أخرها الى خلقه في السير معها يا أبت استأجره
 ان خير من استأجرت القوي الأمين فرغب فيه شعيب فكانت ابنته من
 أفرس الناس حين تفرست الامانة في سيدنا موسى عليه السلام قال شعيب
 اني أريد ان أنكحك احدي ابنتي هاتين على ان تأجرني ثمانى حجج يعني
 على ان تكون لي أجيرا ترعى لي ثمانى سنين فان أتممت عشرافن عندك
 وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين قال ذلك يدي
 ويديك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل

فزوج موسى صفراً وهي الصغرى منها وطلب عصا فقال له ادخل
 بيتي أي الذي يأوي فيه نخذ عصاك وكان فيها عصى كثيرة فدخل موسى
 البيت وأخذ من العصى عصا حمراء فقال له شعيب هذه عصا الانبياء انتقلت
 من آدم الى شيث ومنه الى ادريس والى نوح وهود وصالح وابراهيم
 واسماعيل واسحق ويعقوب وكلهم توكلأ عليها فلا تخرجها من يدك ثم
 اوصاه وحذره من أهل مدين وقال انهم قوم حسدة واذا رأوك قد كفييتني
 أمر غمى حسدوني عليك فدلوك على وادي كذا وكذا وهو كثير المرعى
 وانما فيه حية عظيمة تبتلع الغنم فان دلوك عليه فلا تمر به فاني اخاف عليك
 وعلى غمى نخرج موسى بالغنم وكانت يومئذ اربعين رأسا وقال في نفسه
 ان من أعظم الجهاد قتل هذه الحية وتوجه بالغنم الى ذلك الوادي كلما قاربه
 اقبلت الحية الى الغنم فقتلها موسى ورعى غنمه الى آخر النهار وعاد الى شعيب
 واعلمه الخبر ففرح بقتلها وفرح اهل مدين وعظموا موسى وأجلوه وقام موسى
 بغنم شعيب يرعاها ويسقيها حتى انقضت المدة التي بينهما وبلغت الغنم
 أربعمائة رأس وعزم موسى على المسير

« مطلب »
 تزوج موسى
 بابنة شعيب

« مطلب »
 ثمرة الشفقة على
 خلق الله

وقد ورد انه لما رعى الغنم لم يضرب واحدة منهم بعصاه انما كان
 يهش بها فقط وكان لا يجيئها ولا يؤذيها بمطش وجاء مرة الى نهر ليستقيها فوجد
 فيها شاة عرجاء لا تقدر على الوصول الى الماء فحملها ونزل بها فسقاها
 فلما رأى الحق منه قوة شفقتة على غنمه بعثه نبيا وكليما راعيا لبني اسرائيل
 وناجاه بالتوراة وغيرها كما يأتي فمن رحم رعيته وشفق عليهم اصطفاه من بين
 الخلق ومن لم يكن عنده شفقة ورحمة على خلق الله لا يرقى المراقي العلية المسعدة
 ولما اراد موسى الانصراف بكى شعيب وقال يا موسى اني قد كبرت
 وضعفت فلا تضيعني مع كبر سني وكثرة حسادي اترك غنمي شاردة لراعي
 لها قال موسى انها لا تحتاج الى راع وقد طالت غيبتني عن اهلي فقال شعيب
 اني اكره ان أمنعك وأوصاه على ابنته وأوصاها ان لا تخالفه وسار موسى
 عليه السلام بأهله يريد مصر حتى بلغ جانب وادي طوى في عشية شديدة
 البرد فأنزل موسى أهله وضرب خيمته على حافة الوادي وادخل أهله فيها
 وهطلت السماء بالمطر وكانت امرأته حاملا فجاءها الطلق فجمع حطباً وقدم الزناد
 فلم يورفرماه وخرج من الخيمة فرأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آتست نارا
 لعل آتيكم منها بخبر أو جزوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي من
 شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني انا الله
 رب العالمين وأمره بخلع نعليه بقوله تعالى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك
 فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحي اني
 انا الله لا اله الا انا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري الآية فاكسب موسى عليه
 السلام النبوة في العود الى مصر كما اكتسب الزوجة الصالحة في الورود منها
 الى مدين فمن الله سبحانه وتعالى عليه في الاسفار بمراتب الاخيار والابرار

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فيالها اسفار الهامية
 أسفرت عن اسفار التوراة التي بينت للناس جميع التواريخ من ايام الخليفة
 الى زمن موسى كما بينت لامته الاحكام والشرائع وبشرت برسالة خاتم الانبياء
 والمرسلين فلا شك انه قدر تب عليها مالا يحصى ولا يحصر من المنافع مما كانت
 البلاد الشامية له من أعظم المنافع

الفصل الرابع

في ان الصوريين وهم أهل سواحل بر الشام قدموا في سالف الازمان
 التجارة والعلوم البحرية على وجه نافع

أهل سواحل الشام في القديم والحديث هم أغنى أهل بلاد سورية
 وكانوا يسمون في قديم الزمان الفنيقيين وكانوا على سواحل البحر الابيض
 الشامي وكانت اعظم مدنهم مدينة صور التي كانت تسمى في سالف الازمان
 ملكة البحار ويلها مدينة صيدا في شمالها ثم مدينة بيروت ولكون أرض
 السواحل كانت عقيمة لا يخرج منها ما يكفي لمعيشة سكانها اضطروا الى تعليم
 الصنائع النافعة لان الضرورة هي الاصل الاصيل لاستفادة المعارف فقد
 استفادوا بامعان افكارهم وتكرار تجاربهم ووقوع أمور اتفاقية بالمصادفة
 معرفة كثير من المنافع انضمت الى الصنائع

وقد عرفوا من الازمنة الخالية ان ركوب البحر يوصلهم الى التجارات
 واعانهم على ذلك كونهم سواحلية وبمجاورة جبل لبنان الكثير الغابات والاشباب
 فاستسهلوا ركوب البحر للمالح مع ما يهدون فيه من الأخطار بلوغ الأوطار

مع ان السفر كما في الحديث النبوي قطعة من العذاب الا ان البركات مع الحركات

وفي التوراة مكتوب ابن آدم أحدث سفرا أحدث لك رزقا قال الشاعر

بلاد الله واسعة الفضاء ورزق الله في الدنيا فسيح

فقل للقاعدن على هوان اذا ضاقت بكم ارض فسيحوا

قال الامام الشافعي رضي الله عنه

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر في الاسفار خمس فوائد

تفرج همم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

ولم يكن لهم دليل في البحر الا نجمة القطب لان البصلة التي هي بيت الابرة

لم تكن تعرف عند الاقدمين وانما صار استكشافها في العصر الجديدة يعني

في آخر القرن السابع من الهجرة استكشف صناعتها وخاصيتها العرب فهي

من اختراعاتهم المفيدة لعموم الناس وليست من اختراعات الافرنج ولا اطلع

عليها العرب عند أهل الصين اذ كانت عندهم معلومة من ازمان قديمة وهي

حق مشتمل على ابرة مسقية بالمغناطيس تجبه دائما صوب الشمال يهتدي بها

الملاحون صوب مقصودهم كما يهتدون بالنجم الذي أنعم الله به على عباده قال

تعالى وبالنجم هم يهتدون بعد قوله وهو الذي سخر البحر الى آخره والاهتداء

بالنجم الذي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش عام في البر والبحر ولو انه ذكر

بمعرض البحر وكما يهتدى المسافر بالنجم في البحر والبر في الاسفار يهتدي

به أيضا في بحري القبله اذا عميت عليه وكذلك بيت الابرة مما تحرر به القبله

فاختراع العرب للبصلة من المنافع العمومية المتأخرة التي كان لا يعرفها

المتقدمون ومع ذلك فاهتدوا كغيرهم بالنجم ووصلوا الى الاقطار القاصية

كالصوريين الذين نحن بصددهم وذلك انه لما ظهر الاسلام واستولى العرب

« مطلب »
ان اختراع
العرب لبيت
الابرة من النافع
العمومية المتأخرة
التي لا يعرفها
المتقدمون

بالتفوحات على ممالك الدنيا برا وبحرا تأهلوا لقبول التمدن الذي كانت آثاره
لم تزل موجودة في الدنيا عقب انقراض دولة الروم فتصدوا للأسفار البحرية
واظهروا الحروب وفاضوا بظفر الفتوح وكانوا كالرومانيين في مبدأ امرهم
فركبوا السفن وجندوا الجنود وشنوا الغارات واستداموا في الازمان
والاماكن على تجشم الاخطار واقتحام البحار للتمتع بالتجارة واخترعوا بيت
الابرة التي أعانت على الاسفار فكانت تجارتهم في القرن الثالث في الاقطار
المشرقية تنمو وتزيد في البحر المتوسط وقد لاحت أعلام الخلفاء على بحر الهند
فتصدى تجار العرب للتجارة في جميع البلاد فامتدت تجارتهم الى جبل الطارق
ومثلهم تجار الفرس وجسمت معاملتهم التجارية في الهند والصين وصار لهم
مراكز تجارية في تلك الاقاليم حتى ان من العرب من أقام في جزيرة سيلان
وفي المدن الهندية والصينية وانتشروا في اماكن عديدة وفي عهد الدولة
العباسية تهذبت العلوم وحسن التمدن وأسست القصبات الجديدة على نهر
الدجلة وانتظم امر التجارة وصارت المراكب الغربية الخفيفة تجول في البلدان
وتسير الى جزائر الهند وبوغاز ملقة فكانت تجارتهم في كل جهة وكل مكان
وكانت المراكب الكبيرة تتوجه الى جهة سيراف في بحر العجم وكثرت
السياحات العربية في سائر البلاد البرية فارتفع شأن التجارة عند العرب حتى
كانت أعظم شئ يشتغل به في اصلاح المعاش وتأسس في أمور التجارة
أصول في ايام الخلافة المشرقية والمغربية وعقدت المعاهدات مع الدول
الاجنبية الاورباوية في شأن الملاحة بلادهم لحسن استقامة اهل الاسلام في
المدن الاجنبية لاسيما مع الممالك التي على البحر واستمر الامر على ذلك حتى حصل
حرب أهل الصليب فاضعف ذلك فلما انتهت الحروب الجسيمة بين الاسلام

والافرنج عادت التجارة بين الطرفين على حالها ومن المعلوم أن التجارة في أيام
الخلفاء أعلت أحوال الصنائع كلها عند العرب وصار جلب المصنوعات العربية
من مصانعها الى اطراف الدنيا جميعها

ومن المصنوعات النفيسة التي سبق بها العرب غيرهم صناعات الساعات
كالساعة التي اهداها الرشيد الى كرلوس الاكبر ملك الافرنج فكانت اذ
ذلك من نوادر العصر وأما المصنوعات النفيسة المكلمة الصنعة المخترعة للعرب
فقد بقيت شهرتها الى الآن كالأقمشة الموصلية والسيوف الدمشقية وهذا
غير اختراع ما لا يحصى من العلوم والفنون ثم كبا بهم جواد الاختراعات
وخبا منهم زناد الابتداعات وصاروا كما قيل

رب قوم رتعوا في نعمة زمنا والعيش ريان غدق
سكت الدهر زمانا عنهم ثم ابكاهم دما حين نطق

ومن امعن النظر في كتب الفقه الاسلامية ظهر له أنها لا تخلو من
تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية حيث بوبوا للمعاملات الشرعية
أبوابا مستوعبة للاحكام التجارية كالشركة والمضاربة والقرض والمخاربة
والعارية والصلح وغير ذلك ولا شك أن قوانين المعاملات الاورباوية
استنبطت منها كالسفتجة التي عليها مبني معاملات أوربا ولم تزل كتب الاحكام
الشرعية الى الآن تلى وتطبق على الحوادث والنوازل علما لا عملا كما ينبغي
وانما مخالطات تجار الغرب ومعاملتهم مع اهل الشرق انعمت نوعا هم
هؤلاء المشاركة وجددت فيهم وازع الحركة التجارية وترتب على ذلك نوع
انتظام حيث ترتب الآن في المدن الاسلامية مجالس تجارية مختلطة لفصل
الدعاوى والمرافعات بين الاهالي والاجانب بقوانين في الغالب اوربوية مع

« مطلب »
صناعة
الساعات المصنوعة
النفيسة التي سبق
بها العرب غيرهم

« مطلب »
اشتمال كتب
الفقه الاسلامية
على بعض المنافع
العمومية

أن المعاملات الفقهية لو انتظمت وجرى عليها العمل لما أخلت بالحقوق
 بتوفيقها على الوقت والحال مما هو سهل العمل على من وفقه الله لذلك من
 ولاة الأمور المستيقظين ولكل مجتهد نصيب لا سيما في هذه الأزمان التي
 تكاملت فيها الأسباب وتطبقت على المسببات فشتان بين هذا العهد وعهد
 الصوريين الذين زاولوا في التجارة الاخطار وركوب البحار فافتحوا المشاق
 في تلك الأزمان فانتفعت تجارتهم على وجه عجيب حتى عمرت بلادهم بالمنافع
 العمومية بل خرج منها قبائل عمرت جزيرتي قبرس وروودس وجزيرتي
 صقلية وسردانيا ووصلوا أيضا إلى بلاد الأندلس بل دخلوا البحر المحيط
 الغربي فصارت مدينة قادم مركز تجارتهم وكانوا يستخرجون من مملكة اسبانيا
 المكاسب العظيمة والمغانم الجسيمة لكثرة معادنها فنالوا أغراضهم بمنافع
 بحري العرب والعجم حتى انفردوا في تلك الأعصر بفوائد التجارات وكانوا
 مختصين بمنافع البحرين المذكورين يمنعون من سواهم من اجراء التجارة فيهما
 كما انفرد أهل الهند زمنا طويلا بالانتفاع بهما وبجلب منافع الهند النفيسة إلى
 سواحل بلاد العرب ولما كثرت عند الصوريين الفضة واستقلوا حملها في بعض
 الاسفار اتخذوا منها هلوبا لسفنهم بدلا عن الرصاص ليكون حملها في السفن لمنفعتين
 وبالجملة فكثرة الاسفار والتجارات انتفعوا بمنافع غيرهم ونفائسهم
 وكانوا يبالغون في كتم اسفارهم البحرية وعدم تعريف الطرق والمسالك مخافة
 أن يراحمهم غيرهم في اكتساب هذه المنافع فكانوا دائما يجتهدون في ان
 وطنهم يختص بالتجارة والملاحة ويجعلون ذلك من الحقوق الخصوصية والمزايا
 الاحتكارية التي لا رخصة فيها للاغراب وليس هذا التحكير كان خاصا
 بدولة الصوريين بل كان اصلا لجميع الدول السالفة كل فيما يخصه ويظن ان

له الحق في اولوية الانتفاع به وانما دولة الصوريين كانت في تلك الازمان
ملكه البحار خبيرة بالمسالك والممالك فكانت مستحوذة بالفعل على التجارات
وكان غيرها من الأمم اذذاك معرفتهم بمسالك البحر قليلة جدا فكانوا
يحرصون على أن لا يدلوا احدا عليها

فقد حكى بعض المؤرخين ان الصوريين كانوا يسافرون الى جزائر بحر
الانكليز المسماة جزائر القزدير لاستخراج معادن القزدير والرصاص منها وان احد
الصوريين ذهب في سفرة الى تلك الجزائر القزديرية التي لم تكن معلومة الا
للصوريين دون غيرهم فلمح ان وراء سفينته سفينة أخرى رومانية ترود هذه
السكة وتعرفها فاختر الصوري ان يقذف سفينته على رصيف هناك لتفرق ويهلك
اهلها وتفرق السفينة الأخرى بجانبها فعمل ذلك حتى لا تقفو السفينة الاجنبية
أثره فأتلف سفينة نفسه وغيره واجتهد في ان ينجو بنفسه فنجوا وذهب الى
اهل صور في نحو قطيرة فكافؤوه على ذلك مكافأة عظيمة وجبروا خسارته
وأغدقوا عليه بالانعام واكرموه غاية الاكرام جزاء لما صنعه لمصلحة الوطن
الصوري فبعد ان كان لسان حاله ينشد بحسرة

اذا نحن ابنا سالين بأنفس كرام رجت أمر انخاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنائم انها تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها
عاد ينشد بحسرة

كم فرجة مطوية لك بين أبناء النواب
ومسرة قد اقبلت من حيث تنتظر المصائب

فكان اهالي السواحل الشامية لهم في الوطن محبة مستولية على الطباع
مستدعية لشدة الحرص على ثروته وشفاء الاطماع

ومن اخبار حب الوطن وانبائه من اهل الشام لاسيا للانباء عليهم
 الصلاة والسلام أن يوسف عليه السلام وصى بان يحمل تابوته الى مقابر آباءه
 ومما يؤثر عن الصوريين ما ذكره المؤرخون أن الملك نخوس بن أسمىتكوس
 أمر جماعة من الصوريين البحريين ان يكشفوا له حدود افريقية بأسرها فساروا
 من بحر القلزم ثلاث سنين حتى طافوا حول افريقية واستكشفوا أطرافها
 وعادوا في آخر السنة الثالثة من البحر الابيض الشامي ودخلوا مصر من
 مصب النيل وكان ذلك قبل ميلاد عيسى بنحو ثمانية قرون وهو من اعجب
 ما وقع من الصوريين حيث استكشفوا سواحل افريقية ولا بد أنهم مروا برأس
 عشم الخير خصوصا في زمان كان سير السفن فيه في وسط تلك البحار يكاد
 أن يكون مستحيلا مع انه لم يستكشفه البورتغاليون الا في آخر القرن التاسع
 من الهجرة وسموه رأس عشم الخير تفاؤلا والافو رأس التلاقيح ومع
 استكشافهم له فلم يمروا عليه في سياحاتهم البحرية الا بعد خمس
 عشرة سنة

ولما أرسل البرتغاليون أناسا من أهاليهم في هذا الاقليم للاقامة به ولادخاله
 في أملاكهم الخارجية أخذه منهم الانكيز واستولوا عليه فمن ذلك الوقت
 صار هذا الاقليم نافعا للانكيز في سلوك طريق الهند ذهابا وايابا واهله ما بين
 سود وبيض على التناصف في قبضة الانكيز فقد أسسوا على هذا الرأس
 مدينة انكيزية تسمى مدينة الكاب وهي أبعد مدينة افريقية جهة الجنوب
 ترسي عليها جميع السفن الذاهبة الى الهند والحاضرة منه

ومن سياحة الصوريين في افريقية بأمر ملك مصر يستنتج نتيجتان
 عظيمتان يستدل منهما على تقدم دولتين عظيمتين وهما دولة مصر الآمرة

بهذه السياحة العظيمة وهي مشروع جسيم في الاعانة على المنافع العمومية
لا يخطر الا بخاطر دولة متمدنة محبة للتقدم العجيب ودولة مأمورة ذات
ملاحه وسياحة بحرية ذات سفن عظيمة تقتحم اخطار البحار
وتبحث عن المنافع العامة في شاسع الاقطار وكل يدل على ان هاتين
الدولتين كان عندهما في تقديم المنافع اعمال الافكار ان في ذلك لبعبرة
لاؤلى الابصار

ثم ان الصوريين هم اول من استكشف الصباغة باللون الاحمر
الارجواني الذي كانت تتخذ الامراء من مصنوعاته الحلل والثياب والمضارب
والقباب وكان استخراجهم لهذا اللون المجهول عندهم من الصدفة
والاتفاق وذلك ان بعض رعاهم رأى كلبا جائعا كسر محارة من صدف
البحر فاكلها فتلون حنكه باللون الاحمر الأرجواني فاعجبهم ذلك اللون
البهيج فاستخرجوا من المحار هذه الصبغة وصبغوا بها الاقمشة حتي اتقنوا
صبغتها فصار هذا اللون بعد مدة زينة للملوك في ذلك العهد لا سيما للملوك
مصر وكثيرا ما تكون الاتفاقيات سببا في اختراع الصنائع وتكثير المنافع
ومن جملة ما اخترعه الصوريون مما أورثهم الشهرة فن الكتابة حيث
اخترعوا حروف الهجاء المستخرج منها الحروف الافرنكية

« مطلب »
ان الصوريين
هم اول من
استكشف
الصباغة باللون
الاحمر
الارجواني

واول من نقل حروف الهجاء من الصوريين اليونان ومن كتابة
اليونان القديمة استخرج اللاتينيون حروفهم الهجائية ومنهم استخرج
جميع اهالي اوربا حروفهم فهذه الحروف القليلة وصلت اللى معرفة
العلوم فكانت آلات لجمعها فهي في الحقيقة تعد من مآثر الصوريين وهذا
اما الهام رباني لبعض انبيائهم على ان الواضع هو الله سبحانه وتعالى فان

« مطلب »
في ان اول من
نقل حروف
الهجاء من
الصوريين
اليونان

كانت هذه الحروف الصورية من وضع البشر فالأفعال كلها لله والله خلقكم
وما تعملون وعلى كل حال فهي آثار نافعة

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

(وقال آخر)

ليس الفتي بفتي لا يستضاء به ولا يكون له في الارض آثار
وهذا القول ينبغي أن يكون بالنسبة لحروف الهجاء التي تأسس عليها
خط أمم أوروبا والا فالكتابة قديمة بدليل صحف شيث ونحوها بل هي
داخلة في تعليم آدم الأسماء ومما يدل على ذلك الحروف الأبجدية التي لها
خواص واسرار الهية فلا شك في قدمها وانها ليست من محض وضع البشر
فان هذا لا يسلمه العقل السليم وعلى كل حال فان كانت الكتابة المخصوصة
من اختراع الصوريين وانهم أول من كتب بالقلم في بلادهم وبين أممهم
وانتقل منهم الى اليونان فلهم فضل لا ينكر فان الكتابة في حد ذاتها من
الفضائل الأولية وفضل الكتاب دائما متداول على السنة ذوي الالباب قالوا
الكتاب سياسة الملك وعماده واركان السلطان وأطواده باقلامهم تبسط
الارزاق وتبيض الآمال وبها تصان المعامل اذا عجزت عن صونها الرجال
وقالوا الكاتب مالك الملك يصرفه بقلم الانشاء كيف يشاء وقالوا لو ان في
الصناعات صنعة مربوبة لسكانت الكتابة ربا لكل صناعة وقالوا الكتاب
قطب الادب وفلك الحكمة ولسان ناطق بالفضل وميزان يدل على رجاحة
العقل وبالكتابة والكتاب قامت الرياسة والسياسة واليهم التي تدير الأعنة
والأزمة وعليهم يعتمدون في حصر الاموال وانتظام شتات الاحوال وما
مدحوا باحسن من قول القائل

« مطاب »
في ان الكتابة
من الفضائل
الاولية

قوم اذا أخذوا الاقلام من قصب ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وان بعدوا مالا ينال بحمد المشرفيات
ومن قول الآخر

قوم اذا خافوا عداوة بينهم سفكوا الدما بأسننة الاقلام
ولضربة من كاتب بلسانه أمضى وانفذ من رقيق حسام

(مفرد في المعنى)

له يراع سعيد في قلبه ان خط خطا أطاعته المقادير
وقال ابن المقفع الملوكة أحوج الى الكتاب من الكتاب الى الملوكة ومن فضل
الكتابة أن صاحب السيف يزاحم الكاتب في قلمه ولا يزاحمه الكاتب في
سيفه ورسالة المفاخرة بين السيف والقلم مشهورة منها لابن الرومي في تفضيل
القلم على السيف

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالوت والموت لا شيء يعادله ما زال يتبع ما يجرى به القلم
ومن موجز البلاغات في المكتبات ما كتبه يزيد بن عبد الملك الى مروان
ابن محمد وقد بلغه تلك كونه عليه في بيعته اما بعد فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر
أخرى فما تدري أيهما أحرى فاذا اتاك كتابي فاعتمد على أيهما شئت ويقرب
منه ما كتبه بعض الملوكة الى قرا ارسلان وقد بنى عليه الذي نعلم به قرا
ارسلان انا نحن نزلنا بغداد صباحا فساء صباح المنذرين فأمرنا أهلها بالدخول
تحت طاعتنا والخروج عن معصيتنا فابوا حتى عليها القول فدمرناها تدميرا
فان كنت ممن يدخل تحت طاعتنا ويخرج عن معصيتنا فروح وربحان وجنة
نعيم وان كنت الا كالحافر لقتله بظلفه والجادع لمارن أنفه بكفبه فسوف

« مطلب »
المنافسة بين
السيف والقلم

يلحقك بالأخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا فرجع لوقته

ومع كثرة معارف الصوريين واتساع تجارتهم برا وبحرا فكانوا
عبدة أوثان واهل بدع وأوهام فمن بدعهم الفاسدة أنهم كانوا يقربون
الآدميين قربانا لآلهتهم وهذه العادة وان كانت بشعة في حد ذاتها وواقعة
في كثير من أقاليم الارض عند الامم المتبربرة الا انها أقبح عند الصوريين لتمذمهم
ويقال ان مملكة صيدا كانت دار ملك الفنيكيين يعني اهل السواحل
الشامية ثم نشأت مدينة صور المذكورة وصارت عامرة جدا وهي التي
كانت منبعاً للمنافع العمومية وقد ذهب منها جماعة الى بلاد المغرب فأسسوا
مدينة قرطاجنه وعمرها وهاوجملوها مملكة عظيمة قبل الميلاد ثمانمائة وتسعين سنة
وسبب مهاجرة الصوريين الى بلاد المغرب أنه كان في سواحل الشام
على بلاد الصوريين ملك ظلوم غشوم يسمى بنغاليون كان من الجبارين وكان
له اخت تسمى ديدون متزوجة بأمير يقال له سيدشه فقتله ذلك الملك لقصد
سلب أمواله فجمعت ديدون ما عند زوجها من الاموال وجميع ما في خزائنه
وفرت الى أفريقيا بالمغرب وأسست هناك مدينة قرطاجنه فعمرت هذه
المدينة حتى فاقت في الغنى والثروة والبطش والقوة مملكة الصوريين وصارت
فيما بعد مقارنة لرومية دار سلطنة الرومانيين وفيما بعد اشتدت العداوة بين
المملكتين كما تقدم ذكره في الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا الكتاب
ثم انتهى أمر الصوريين بعد العز والظنطنة أن صاروا رعايا للمعجم
واليونان والرومانيين الى ان صار فتح العرب بلادهم بالاسلام بفتوح الشام وقد
أسلفنا في أثناء الكلام على الصوريين بعض شيء في حق تقدم العرب بما ناسب المقام

الباب الثالث

في تطبيق أقسام المنافع العمومية في الأزمان الأولى على مصر المحمية وإنما كانت من التمدن والتقدم بمكانة عالية وفيه فصول

الفصل الأول

في تقدم مصر وغناها في عدة أزمان سابقة وأدوار متناسقة وحيازتها للمنافع العمومية بوجه اجمالى

المتبادر لآراء أرباب العقول الذكية ان أعظم البلاد الساحلية قابلية للتقدم في المنافع العمومية هو الديار المصرية وانه لم يتقدم على سواحل البحر الأبيض مثل بلاد مصر فيما يخص الزراعة والصناعة وإنما كانت أشغالها وعملياتها متقدمة تقدما عظيما وان حركة المنافع العمومية فيها كانت على غاية ما يمكن من النشاط والاتقان فان صعيدها الأعلى الذي هو الوجه القبلى مع اتساع أراضيه لا يبعد من النيل الا مسافة أميال أقلهما بالوجه البحري يقسمها النيل الى عدة فروع ففي كلا الوجهين يمكن بمساعدة اليد الصناعية والعملية توصيل متاعها ومحصولها من بعض المدن الكبيرة الى بعض كما يمكن نقلها الى القرى والكفور من قرية الى أخرى ومن ضيعة الى أخرى أو الى مدينة وهكذا وهذا بأقل المصارف ويسير الكلفة برا وبحرا ومن المعلوم أن نيل مصر واسع جداً يسهل فيه سير السفن في داخل البلاد بعضها مع بعض فالظاهر أنه أقوى سبب في كون الديار المصرية

اكتسبت قبل غيرها من الممالك في الازمان الخالية صفة الثروة والفنى
وتقدمت في المنافع العمومية وتمكنت في منقبة التمدنية كما دلت عليه
التواريخ فكان تمدنها تمدنا رفيعا متسع الدوائر فيما يخص الصنائع مستوفيا
للفنى مستوعبا للمتانة وعلو المكانة كما يشهد لذلك ما يوجد في صعيد مصر
من المباني التي لم تزل قائمة على ساقها الى الآن فليس أعدل من شهادة مدينة
طيوه ذات المائة باب فان في رسومها القديمة وآثارها الجسيمة ما يعجب منه
أولو الألباب وقد توصل السواحون الى الوقوف على ما فيها تحت الارض
من المدافن والقبور وقرأوا تاريخ بنائها الازلي فوجدوها قد مر عليها خمسة
وعشرون قرنا قبل الميلاد ولم تغيرها العصور والدهور وقد استخراج في هذه
الايام بالنبش في معبد قديم بمملكة نابولي احدى ممالك ايطاليا ستة أعمدة
من المصنوعات المصرية المنحوتة من الصوان الأحمر منها أربعة كبار طول
العمود أربعة أمتار وثلث متر وفطر محيطه اثنا عشر سنتيمتراً ويبلغ من
ارتفاعها وتناسب سمكها وبريق لونها أن صنعها بهذه المثابة كان في عصر
موجود به فن نحت الاحجار بمصر وان مصر اذ ذاك كان لها التقدم في
هذه الصناعة من أحقاب خالية وأما العمودان الآخران فصغيران ولكل
منهما قاعدة من نوع الطبخ المذهب واكليل غريب الشكل وقد بيعت هذه
الاعمدة في باريس بأربعين الف فرنك في المزاد ولا شك ان استخراج
هذه الأعمدة كان من محاجر مصر ونقلها الى بلاد الرومان ووضعها في
معابدها القديمة ثم استخراجها الآن بعد مرور نحو الألف سنة وهى على
حالة حسنة ومبيعهها بهذا المبلغ يدل على كمال صناعتها وقوة مادتها فمثل هذه
الاعمدة الغريبة والمباني العجيبة الحسنة النقش المختلفة الالوان البهجة المكتوبة

مطلب
استكشاف اعمدة
مصرية بمعد
قديم في نابولي

بالاقلام القديمة المصرية تنطق لسان حالها بتقدم مملكة مصر في درجة
 التمدن ولكن لا يفصح لسان مقالها عن حقيقة الحوادث الداخلية التي
 أوجبت هذه الرموز التصويرية ونهاية الحال ان ما هو منقوش عليها من
 التاريخ لبنائها يفيد قوة ملك مصر الذي حصلت هذه المباني في ايام سلطنته
 وان في ايامه كانت المعارف بالآلات والأدوات عجيبة وهذا كله يدل على
 شوكة هذه الدواة وتقدمها في الصناعة والمهارة ويستفاد أيضا من هذه
 الكتابات القديمة أن هذا الملك العظيم سار بجيش جرار عدة مرات الى
 أقاصي الممالك وانتصر فيها النصرات العظيمة وفتح الفتوحات الجسيمة وبلغ
 مناه وشفى غليله من عداه وزاد فخاراً على فخاره واتسعت دائرة علو قدره
 واعتباره

وهذه الحروب كانت كما يفهم من النقوش والرسوم مع سلطان
 عظيم صاحب شوكة قوية وارتفاع شأن معلوم وهو سلطان بابل العراق الذي
 لا يوازيه في القوة والشوكة من ملوك ذلك العصر الا ملك مصر الذي كان
 بينه وبين ذلك الملك الشقاق والوفاق فان في ذلك الزمن المعهود كان أشهر
 مدن الدنيا مدينتين متسابتين في ميدان الفخار ومتنافستين في كسب
 الاعتبار وهما مصر وبابل

وقد دل أقدم التواريخ على انهما كانتا دون غيرهما سلطنتين عظيمتين
 ودولتين بالحدود متجاورتين تميزهما الحدود الطبيعية كالبحر المالح والنيل وان
 غيرهما من الممالك ليس من هذا القبيل فكان لمصر مملكة الغرب مخلاة وبابل مملكة
 الشرق مؤبدة وبين مملكتي الشرق والغرب تارة الصلح وتارة الحرب وجميع من
 كان من الامراء والملوك له عنوان الملوكية والحكومة فانما كان بالنيابة والفرعية عن

« مطلق »
 الماصرة بين
 سلطنتي مصر
 والعراق في القديم

هذه الجرثومه وكانتنا من اجل الممالك المعتبرة بما اشتهر تابه من عجائب السحر
 وغرائب السحرة وناهيك بمن تعلم السحر من هاروت وماروت وحسبك
 ما جمعه فرعون لموسى من المدائن من كل سحار عليم لنصرة الطاغوت وبهذا
 كان لهم الولاء التام على من جاورها من الملوك والحكام وكان بين المملكتين كمال
 الائتام ووثوق العهد الذي لا يعتريه نقض ولا ابرام وبقي هذا الوصف
 الجليل الى ايام حرب ترواده كما ذكره أميروس الشاعر فقد نص على انه كان
 في ايامه بينهما الصلح الكامل ثم استبان مما ذكره المؤرخون انه عرض لهما
 في آخر القرن الثامن قبل الميلاد ما يطراً على الممالك من التزيق فضعفت
 مملكة مصر وتمزقت مملكة العراق فسبحان مقسم الارزاق ومالك الآفاق
 ومن المعلوم ان الذي اسس بابل هو النروذ الذي هو ابن حفيد سيدنا
 نوح عليه السلام كما هو نص التوراة واما مؤرخو اليونان والرومان فقد نسبوا
 تأسيس مدينة بابل الى سميراميس زوجة مينون أحد عساكر ملك بابل
 المسماة هذه الملكة سمير في التواريخ الشرقية وبيان ذلك ان مملكة بابل
 كان يجاورها في قديم الزمان مملكة أثور يعني بلاد الكردستان مدينة ينوي
 يعني مدينة سيدنا يونس عليه السلام بناها الملك أثور ثم حسنها الملك ينوس
 فكانت مدينة عظيمة في طول ثمانية فراسخ ونصف لا يطوف السائر حولها
 بمحيطها الا في نحو ثلاثين ساعة وكان ارتفاع سورها الخارج عنها مائة قدم
 واتساع جدار الاسوار عريض بحيث يسير فوقه ثلاث عجلات بعضها في
 جانب بعض ولو مع غاية السرعة وكانت مدينة حصينة وفي داخلها خمسة
 عشر برجاً ارتفاع البرج مائتا قدم ولما تزوجت سميراميس ينوس ملك مدينة
 ينوي التي كانت اذذاك تحت كل من مملكة العراق ومملكة الكردستان اللتين

« مطلب »
 تاسيس مدينة
 بابل ومدينة
 ينوي

صارتا كالمملكة الواحدة ألبسها التاج وسلّمها البلاد حيث كانت وهي في عصمة
 زوجها الاول قد اشتهرت بأفعال الشجعان في واقعة من الوقعات العظيمة
 وكانت قوتها العسكرية نحو مليون من النفوس فصاروا في تصرفها فلما مات
 نينوس اعقب منها ولدا قاصرا يقال له نيناس فتقلد المملكة وكانت أمه سميراميس
 وصية عليه فصار بيدها زمام الملك وأرادت احراز الشهرة والصيت وكسب
 الفخار المخد فبنت مدينة بابل وزينتها بانواع الزينة على مثال مدينة نينوى
 وبقدرا تساعها وبنت اسوارها بالاجر والقراميد وجعلت مؤنة البناء بمادة قارية
 صلبة قفريّة وجعلتها عريضة الاسوار بحيث يمر بها ست عجالات متلاصقة
 تسير متوازية مع بعضها على حزاء واحد مع غاية السرعة ويقال انها حفرت
 حولها خنادق عميقة وجعلت فوق الخنادق مائة قنطرة من النحاس كل
 قنطرة توصل الى بابل وعملت فوق بيوت المدينة بساتين معلقة جميلة الشكل
 تجري بها المياه في الغدران والجداول وتصل اليها من براخ عجيبة بتدبير
 عجيب وجعلت في المدينة الميادين الوسيعة والرحبات الفسيحة المفروسة بالاشجار
 من جميع الاقطار والجهات بحيث يمكن المسير في المدينة من باب الى آخر
 من ابواب القناطر بدون ان يكون للشمس سلطنة على احد ولا عظيم سلطة
 للمطر لا لتفاف الاشجار بعضها ببعض وتعريشها وكانت بابل على نهر الفرات
 على قول أغلب المؤرخين ونيوى على نهر الدجلة

فيفهم من هذا أن باني بابل هي الملكة سميراميس وهو مخالف لكلام
 التوراة من أن الباني لها هو النمرود مع ما بين زمانيهما من القرون العديدة
 والدهور المديدة ونمل هذه الملكة بنت مدينة على أطلال بابل وكانت قد خربت
 بحر الدهور وكر العصور أو بنت أخري في غير محلها وسمتها بهذا الاسم

بما كاة للنمر وذو كان تحت يده هذه المملكة في مملكة العراق من سواحل الشام
 وفلسطين الى نهر السند بلاد الهند حتى ان عساكرها طردت عساكر مصر
 من تلك الجهات الشرقية التي كانت متغلبة عليها اذ ذاك وكانت كلما انتصرت
 بقوة شجاعها زادت مطامعها في الفتوحات ولشجاعها وخفة حركتها سميت
 سميراميس يعني الحمامة لانها تتردد لفتوح البلاد بل صار اسمها كاسماء الاجناس
 على كل ملكة اشتهرت بالشجاعة واقتحام الاخطار في البلاد البعيدة لقصد
 الفتوح ولذلك يقال لكاترينة الثانية ملكة الموسقوسميراميس الشمال
 يعني الجهات الشمالية ويقال ايضا لمرجريطه ملكة الدانيمرقة
 سميراميس الشمال ايضا لانها جمعت الممالك الثلاثة وهي مملكة اسوج
 ومملكة نروج ومملكة دنيروقة وقد قلنا فيما سبق ان تلك الملكة كانت تحكم
 العراق والكرديستان وما يتبعهما من الممالك الواسعة بالصداية على ولدها نيباس
 لكونه قاصرا

وفي مدة وصايتها بنت ايضا في بابل هيكل الشمس الذي داخله متخذ
 من الذهب وبنت ايضا عدة مدائن آخر وأرادت ان توغل في بلاد الهند
 فسارت بجيش كبير فاتصر عليها ملك الهند وفرت مدبرة الى بلادها وكان
 ولدها قد بلغ رشده وتأهل لان يحكم ممالكه بنفسه فتعلمد زمام المملكة واستبد
 برأيه فاجبت أن تجذبه اليها وتدنو منه باستمالته اليها لجمالها وتشويقه الى
 وصالها فراودته عن نفسه حتى يصير الحكم في يدها اذا استولت على قلبه
 فاستعاذ من الفجور وأبى الا للنفور لاسيما وانه استشعر بأنها قتلت والده بالسم
 فسلك سبيل الانتقام وأذاق حمامته كاس الحمام وكان ذلك قبل ميلاد
 عيسى بثلاثة عشر وألف ومائتين

وكان الملك نيباس قليل الطمع في الفتوح ففقع بما تحت يده عن
 الطريف بالتلاد وانزوى في قصره متمنا بأهل بيته بعيدا عن العباد ولم تعلم وقائع
 غريبة حصلت في مملكة العراق وكرديستان في خلال ثمانمائة سنة حتى
 تسلطن عليها الملك سردينال سنة سبعمائة وسبعة وستين قبل الميلاد فأنهمك
 هذا الملك على اللذات والشهوات وأغار عليه أهل أذربيجان وحاصروه اشد
 المحاصرة فمن شدة المضايقة أحرق نفسه ونساءه فاستبد أهل أذربيجان بالحكم
 وخلعوا طاعة بابل ثم دخل أهل أذربيجان وبابل تحت مملكة العجم وكان
 حكامها البابليين يتقنون رصد الكواكب لكثرة الصحو وقلة الغيوم
 بهذه البلاد فصار لهم كمال الوقوف على العلوم الفلكية وهم الذين اخترعوا
 المزاول وتشبهوا بعلم التنجيم وزعموا معرفة حوادث الازمنة المستقبلية من
 انواء النجوم وتولع الناس بتقليد ثم وتصديق أوهاهم الفاسدة التي يبطلها
 الشرع ويكذبها العقل فهل هذه الاشياء تعد من كبوات الاجياد وهفوات
 الاجاد أو من بدع الجاهلية الاولى الظاهرة الفساد وضلالات أهل الكساد
 والظاهر أن هذه الامة أضلها الكواكب ضلالا مبينا حتى عبدوا الشمس
 وكانوا يعرفون الاله الحق يقينا بالتنجيم فن مذموم ولكن لا بأس بعلم
 النجوم فقد كانت العرب أشد عناية بمعرفة النجوم وقد قيل لأعرابي ما
 علمك بالنجوم قال من ذا الذي لا يعلم أخداع بيته وقيل لأعرابية أتعرفين
 النجوم فقالت سبحان الله أما نعرف اشباحا وقوفا علينا كل ليلة

« مطلب »
 تسلطن الملك
 نيباس واخذ
 زمام المملكة
 من امه

« مطلب »
 تسلطن سردانبال
 على العراق
 واحرق نفسه
 ونساءه

« مطلب »
 دخول اذربيجان
 والعراق تحت
 مملكة الفرس

وبالجملة فكانت الفنون والعلوم والصنائع ببلاد العراق في غاية التقدم
 وكان فيهم سوق التمدن نافعا فكانوا يتنافسون ويتفاخرون في المطاعم
 والمشارب والزينة والزخرفة واشتد انهماكهم على اللذات والشهوات

« مطلب »
 ما تسبب عن
 تولية كبروش
 ملك العجم
 مملكة العراق

خصوصاً لما تولى عليهم كبروش ملك العجم ففسدت أخلافهم وانحل
نظامهم وأما مصر المقارنة لبابل فقد تنزهت ملوكها عن مثل هذه الرذائل
فقد اجمع المؤرخون على ان مصر دون غيرها من الممالك عظم تمدنها
وبلغ أهلها درجة عليا في الفنون والمنافع العمومية فكيف لا وأن آثار التمدن
وأماراته وعلاماته مكثت بمصر نحو ثلاثة واربعين قرنا يشاهدها الوارد
والتردد ويعجب من حسنها الوافد والمنفرد مع تنوعها كل التنوع فجميع
المباني التي تدل على عظم ملوكها وسلاطينها هي من أقوى دلائل العظمة
الملوكية وبراهينها فانظر الى آثار منف وأبنيتها وعجائبها وأصنامها ودفانها
مما يحكيه المؤرخون عنها وانها كانت ثلاثين ميلا بيوتا متصلة وفيها بيت
فرعون وهو قطعة واحدة من الحجر وسقفه وفرشه وحيطانه من الحجر
الاخضر وكان لها سبعون بابا وهي مدينة المملكة المصرية وكانت منزل الملوك
من القبط الاولى والعماليق ومسكن الفراعنة وما زال الملك بها الى ان ملك
الروم اليونان ديار مصر فانتقل كرسي المملكة منها الى الاسكندرية ومع
ذلك لم تزل عامرة الى ان جاء الاسلام ثم خربت وفيها كانت الانهار تجري
من تحت سرير الملك وكانت أربعة انهار

ويقال ان ملوك الدنيا اجتمعوا وافقوا على أن يصنعوا مثلها لما
أمكنهم ذلك وكان فرعون اذا أراد الركوب من منف الى عين شمس صنع
صاحب المرقب علامة فاذا رأى صاحب عين شمس تلك الإشارة تاهب
لاستقباله وكذا يصنع اذا أراد الركوب من عين شمس الى منف لان كلا
من المدينتين كان تحت المملكة ويقال انه كان بمنف قبة فيها صور ملوك
الدنيا

د مطب
ما كانت عليه
مدينة منف في
الزمن القديم

ولما دخل المؤمنون مصر في سنة سبع عشرة وما تثنين وقد رأى مدينة منف

« مطلب »
دخول المؤمنون
العباسي مصر

أنشد الآيات الآتية

سألت أطلال مصر عن عين شمس ومنف

فما أحارت جوابا ولا أجابت بحرف

وفي السكوت جواب لذي الفطنة يكفي

« مطلب »
أساس التمدن

وهل علامات التمدن ودلائل العظم الا ثلاثة أشياء وهي حسن

الادارة الملكية والسياسة العسكرية ومعرفة الالهية فهذه الثلاثة أساس

تمدن الممالك العديلة على العموم والمصريون من قديم الزمان كانوا منقادين

للحكم المروي فكانوا مطيعين لملكهم وكان الملك منقادا أيضا لقوانين المملكة

وأصولها فكانت حركته وسكناته على طبق القوانين وكانت حكما

مصر تذكر الملوك دائما بالحقوق والواجبات وتحثهم على التمسك بالفضائل

الملوكية وتلعن من يصرفهم عنها من بطانة السوء وأهل النفاق وكانت الملوك

في تلك الاوقات يشتغلون بمطالعة الحكم والآداب والمواعظ والتواريخ وكل

ما يرشد الى العدل والاستقامة وكانت مصر منقسمة الى عمالات على كل

عمالة حاكم وأراضيها مملوكة لثلاث طوائف منقسمة بينهم قسم للملك وقسم

لامناء الدين وقسم للعساكر المحاربين وأما بواقي الطوائف فكانت معاشهم

من اعمالهم وصنائعهم فهذا التقسيم قوى شوكة أمناء الدين وجعلهم مختصين

بممارسة العلوم وبتقنين القوانين الملكية وبنفوذ الكلمة في الحكومة

وكانت مصر كثيرة الجنود والعساكر ولهم أصول تحملهم على الشجاعة فكان

المسكري الذي يظهر الجلادة في الحرب يعطى علامة الشرف والافتخار

والذي يجبن عن الحرب أو يفر من الزحف يعاقب بوسمه بعلامة العيب

« مطلب »
سياسة مصر
في القديم

« مطلب »
توزيع اراضي
مصر على
طوائف ثلاثة

« مطلب »
سياسة العسكرية
بمصر في القديم

والعار والافتضاح بحيث تكون السمة ظاهرة على بدنه تلونه وتدنسه بين
 أهل وطنه والظاهر ان اقطاع الاراضي للمحاربين كانت سببا في كثرة
 أموالهم ورفاهيتهم فترتب عليها فيما بعد فتور همهم في الحروب وترتب على
 ذلك أيضا تداول الازمان عدم القدرة على مقاومة كل من كان يهجم على
 مصر من الأمم الا ان هذا لا يمنع من ان الادارة العسكرية كانت متقدمة
 عندهم بدليل ان الملك سيزوستريس جيش جيشا عظيما لقصد سلب بلاد
 العراق والعجم والهند وفتوحها فسار اليها من طريق الشام فاستولى على بلاد
 فلسطين وفتح العراق والعجم والهند وبنى ببلاد العجم مدينة شامينار التي
 سميت فيما بعد مدينة اصطخر وما ذلك الا بقوة عساكره وضبطهم وربطهم
 وأما الديانة عند المصريين فكانت أيضا مرتبة اذ كان أمناء دينهم يعتقدون
 ألوهية الذات العلية وكان لهم اسرار عجيبة فكانوا لا يظهرونها الا لقليل من
 الناس وكانت العامة يعبدون الاوثان ومنشأ عبادتها عندهم انهم كانوا يؤطون
 كل من اخترع أمرا غريبا من قانون أو علم أو فن فكانوا متقدمين في
 الهندسة والمساحة والآلات الهندسية كعلم الجغرافيا والنجوم وكانت كتابتهم
 بالقلم القديم البرباني الذي كان يعرفه حكماءهم وأمناء اديانهم فكان كالرموز
 بينهم فكانت علومهم سرية مخفية عن العوام حتى لما ظهرت الحروف
 الهجائية وانتشرت عندهم كما انتشرت في الممالك لم تزل صحف العلوم المصرية
 ترسم بالقلم القديم البرباني

ومن اختراعاتهم العجيبة آلة الحرارة التي انتفع بها جنس البشر عموما
 حيث تقدمت الفلاحة وبه تولد التمدن بين جميع الناس مع اختراع السواقي
 والنواعير الهامالمهم من اللطيف الخبير فانها اساس الآلات السقي باحسن تدبير

وكانت الدولة المصرية تعرف قيمة العدل والانصاف وانه الاصل في سعادة
 الملك فانتخب من مدينتها الثلاثة التي هي عين شمس ومنف وطيوه قضاة
 لتدبير احوال المملكة وجعلتهم ارباب المشورة القضائية وكانوا ثلاثين قاضيا
 فكانت محكمتهم نافذة الحكم على غاية من الاحترام وكانت مصارفها على
 طرف الحكومة الملوكية وكان الملك يأخذ عليهم العهد ان لا يطاوعوه اذا
 أمرهم بشيء خارج عن الحد وكانت مذاكرة المجلس في المصالح والقضايا
 والاراء تكتب بالقلم والمناقشات والمحاورات والرافعات كذلك ثلاثا يخفى الحق
 بالفصاحة واللسن لما في البيان من السحر وكان للحق صورة مجسمة فاذا ظهر
 الحق لاحد الخصمين رفع الرئيس الصورة بيده وأذن للمحق ان يضع يده عليها
 اشارة الى ان القاضي في الحقيقة ونفس الامر انما هو الحق فهو الحاكم
 الحقيقي

« مطلب »
 ترتيب مجالس
 القضاء في القديم

وكان في احكام المصريين عقاب الزنا شديدا جدا لكونه من الكبائر
 المضرة للامة فكانوا يجلدون الرجل الف جلدة ويجدعون أنف المرأة وان من
 قدر على تخايب المقتول من القاتل بدون حق ولم يخلصه فجزاؤه القتل وانه
 لا تسلط للدائن على ذات المدين بل وفاء الدين محله اموال المدين لا شخصه
 وكانت قواينهم تميل الى الحث على العمل وقطع عرق البطالة والفش والتدليس
 وغير ذلك من الوبقات وذلك انه يجب في آخر كل سنة التفحص عن احوال
 الاهالي فردا فردا فيسأل كل انسان عن مواد تعيشه ومن اين اكتسبها وكل
 من ظهر انه تعيش من وجه حرام فجزاؤه القتل وهذا القانون من وضع الملك
 امسيس فمن هذا يفهم تقدمهم في التمدن وان مملكتهم في الازمان السالفة
 كانت عادلة محترسة مستنيرة بالمعارف

« مطلب »
 المناقبة على
 الذنوب عند
 قدماء المصريين

« مطلب »
 التفحص عن
 وجه الشعب

وقد دلت التوايح ان ديوان حكومتها كان في غاية اللطف والتهذيب
 واستقامة الاخلاق والآداب وحفظ ناموس العرض والادب والحياء
 وكان على غاية من حفظ الرسوم الملوكية المعتبرة والعوائد السلطانية المقررة
 وقد قامت البراهين والدلائل على استمرار أمة التمدن على تعاقب القرون
 الكثيرة في ايام الملوك الاوائل ومما يعضد ما قاله المؤرخون واستكشفه
 الحكماء الراسخون قصة يوسف عليه السلام فان مضمونها لفصل القول
 أحد من الحسام كما سئبته في الفصل الثاني من الباب الثالث من ذكر هذه
 القصة الصديقية التي يستتج منها في هذا المعنى معارف تصويرية وتصديقية

الفصل الثاني

في تأريخ تقدم مصر وامتيازها بالمعارف في الزمن القديم أخذنا من قصة القائل
 اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم

كان يعقوب عليه السلام قد ولد في زمن جده ابراهيم ونبي في زمانه
 أيضا وتزوج زوجتين اختين أحدهما بعد الاخرى فولدة له الثانية يوسف
 عليه السلام وبنيامين وماتت في نفاس بنيامين وكانت الاولى ولدت منه ستة
 اولاد ثم تزوج بعد الثانية التي ماتت زوجة اخرى ورزق منها أربعة فكان
 اولاد يعقوب اثني عشر وهم الاسباط وكان احب اولاده اليه يوسف
 فحسده أخوته فاحتالوا عليه فقالوا يا يوسف أما تشفق ان تخرج معنا
 فلنلعب ونصيد فقال بلى قالوا فسل أبك أن يرسلك معنا فاستأذنه فأذنه فلما
 خرجوا الى الصحراء أظهروا له ما في انفسهم من العداوة ففطن لما عزموا عليه

« مطلق »
 حسد اخوة
 يوسف لاخيه
 وما ترتب
 على ذلك

فأخذه أخوه روبيل الذي هو ابن خالته أيضا فضرب به الأرض وجلس على صدره
 ليقتله وقال ليوسف قل لرؤياك تخلصك وكان قد رأى وهو ابن سبع سنين
 الشمس والقمر والنجوم ساجدين له فصاح على أخيه الآخر يهوذا وقال خل بني
 وبين من يريد قتلي فقال يهوذا القوه في غيابة الجب فنزعوا قيمه لالقاءه
 فقال ردوه على أستربه عورتى ويكون كفنالى في مماتى فلما القوه استقرت
 قدماه على حجر مرتفع من الماء وذبح اخوته جديا فلطخوا به القميص وقالوا
 أكله الذئب ومكث في الجب ثلاثة أيام واخوته يرعون حوله ويهوذا يأتيه
 بالقوت فلما جاءت السيارة الذين حضروا من مدين الى مصر بالتجارة وكانت
 بضائعهم من الصمغ لتصيير الاموات فجعلت تسقى من الجب بدون النفات
 تعلق يوسف بالجلب فأخرجوه فجاءه اخوة يوسف فقالوا هذا عبد ابق منا فباعوه
 منهم بعشرين درهم وحلة ونعلين فحملوه الى مصر وجاءوا به الى مدينة منف
 فوقفوه للبيع فزايده الناس في ثمنه فاشتراه قبطير وكان امير ملكهم وخازنه
 وقال لامرأته زليخا كرمي مثواه وكان يوسف عليه السلام حسن الخلق
 واخلق كامل الفطنة عظيم القيافة يتوسم فيه الخير من رآه أحبه حتى ظهرت
 منه امارات الامانة والصدق فامتاز في بيت العزيز بكمال التمييز فراودته
 امرأة العزيز عن نفسه فعصم منها فترتب على ذلك سجنه وأحبه أيضا من
 كان معه في السجن كصاحب طعام الملك وصاحب شرابه وعبر لهما رؤياهما
 وبقي مسجوننا الى حين منام الملك فعفا عنه بعد سجنه بضع سنين فلما أخرجه
 من السجن فوض اليه أمر مصر وجعله أمينا حفيظا على خزائن مملكه

ولما تقلد يوسف عليه السلام منصبه وأراد أن يذهب الى ديوانه
 حاق رأسه وتجمل بالثياب النفيسة وأخذ طراز الرتبة وعنوانها وعقد له

موجب جليل وحين تمسكته من منصبه مر على اقليم المملكة المعلقة بامارتة
وزوجه فرعون مصر بزواج من أعظم العائلات وهي ابنة ملك عين شمس
فامتلات الخزائن من الاقوات في زمن الرخاء لتتفجع في زمن القحط وصار
تديرها وادارتها على أحسن حال وأتم منوال

ومن أعجب ما صنعه طريقة حفظ البر في سنبله فقد دام وبقى بهذه الوسيلة
محفوظا من آفات الانفساد حتى ان بعض الفراعنة امر بحفظ القمح بذلك بعد
عهد يوسف بمائة سنة ولما حفظ يوسف الاقوات في ايامه وباعها في زمن
القحط كان بيعها باغلي ما يكون من القيم فكان يبيع مكيال البر بمكيال من الدر
فاشترى اهل مصر بأموالهم وحليهم ومواشيهم وعقارهم وعبيدهم ثم باؤلا دم
ثم برقابهم وكان يوسف عليه السلام لا يشبع في تلك الايام ويقول أخاف
ان انسى الجائع وبلغ القحط الى كنعان فارسل يعقوب ولده للميرة قال يا بني
قد بلغني ان بمصر ملكا صالحا فانطلقوا اليه فاقرؤه مني السلام فمضوا فدخلوا
على يوسف فعرفهم وانكروه فقال من اين اتم فقاوا من ارض كنعان ولنا
شيخ يقال له يعقوب وهو يقرئك السلام فبكي وعصر عينيه وقال لعلمكم
جواسيس فقالوا لا والله قال فكم اتم فقالوا احد عشر وكنا اثني عشر فأكل
احدنا الذئب فقال ائتوني باخيمكم من ابيكم ثم درج بضاعتهم في رحالهم فعادوا
الي ابيهم فقالوا انا منع منا السكيل فأرسل معنا اخانا نكتل فقال يعقوب هل
آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل ثم حملة احتياجه الى الطعام على ان
ارسله معهم فلما دخلوا على يوسف اجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين
شقيق يوسف وحيدا يبكي وقال لو كان اخي حيا لا جلستني معه فاعتنقه يوسف
وقال انا اخوك ثم احتال عليه فوضع الصاع في رحله فلما لم يقدر واعلى خلاصه

مطلب
تدبير يوسف
لغلال مصر وحفظ
الحب في سنبله

أقام ورجعوا الى يعقوب يقولون ان ابنك سرق فتلقاهم بصبر جميل ثم قال لبنيه
 اذهبوا وتجسسوا من يوسف وأخيه فلما عادوا اليه ببضاعة مزجاة وقفوا موقف
 الذل وقالوا تصدق علينا فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه فكشف الحجاب
 عن نفسه فعرّفوه فقالوا انك لانت يوسف فقال انا يوسف وهذا اخي
 فقالوا تالله لقد آثرك الله علينا أي اختارك وفضلك وكان قد فضل عليهم
 بالحسن والعقل والحلم والصبر وغير ذلك وان كنا لخاطئين اي المذنبين آثمين
 في امرك قال لا تثريب عليكم اليوم أي لا اعيركم بما صنعتم ثم سألهم عن ابيه
 فقالوا ذهب عيناه فأعطاهم قيصه وقال اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه
 ابي يأت بصيرا فلما خرجوا من مصر حمل القميص يهوذا وقال انا حملت قيص
 الدم وبها أنا أحمل قيص البشارة فخرج حافيا حاسرا يندو فقال يعقوب ان حضر
 من أهله وولد ولده اني لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون أي لولا أن تشكروا
 على لاخبرتكم انه حي فلما ان جاء البشير ألقاه على وجهه فرآه بصيرا ثم خرج
 يريد مصر في نحو سبعين من أهله وخرج يوسف لتلقيه فلما التقيا قال
 يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان فقال يوسف بكيت يا ابتي حتى
 ذهب بصرك أما علمت ان القيامة تجمعني واياك فقال يا بني خشيت ان يسلب
 دينك فلا تجتمع واقام يعقوب عند يوسف أربعاً وعشرين سنة في أهنأ
 عيش فلما حضرته الوفاة أوصى الى يوسف أن يحمله الى الشام حتى يدفنه
 عند ابيه اسحق ففعل ثم ان يوسف عليه السلام رأى أن امره قد تم فقال
 توفني مسلماً وألحقني بالصالحين وأوصى الى يهوذا فهذا مآل النصبة التي
 قصها الله سبحانه وتعالى في سورة يوسف بفصيح العبارات البالغة حد
 الإعجاز وبلغ المعاني المفيدة لبديع النكات مع مراعاة الحال لما يقتضيه مقام

«مطلب»
 تعرف اخوة
 يوسف

«مطلب»
 ذهاب البشير
 بقميص يوسف
 الى ابيه

البسط أو الإيجاز ولذلك قال سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام نحن
 نقص عليك احسن القصص وذلك لما فيه من العبر والنسكت والمعجائب فان
 من الفوائد التي في هذه القصة انه لا دافع لقضاء الله تعالى ولا مانع من
 قدره تعالى وأنه اذا قضى للانسان بخير ومكرمة فلو اجتمع عليه العالم لم
 يقدروا على دفعه (وقد روى) ان سبب نزول ذلك ان علماء اليهود قالوا
 لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن
 كيفية قصة يوسف فأزل الله تعالى الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه
 قرآنا عربيا لعلكم تعقلون الايات وذكر فيها انه تعالى عبر عن هذه القصة
 بالفاظ عربية ليتمكنوا من فهمها ويقدروا على تحصيل المعرفة بها والتقدير
 انا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا
 فسمى بعض القرآن قرآنا لان القرآن يقع على البعض والسكل ومن قصته
 هذه يفهم علو درجة مصر التي قضى الله سبحانه وتعالى بانتقاله اليها لعلو
 مرتبته فيها حتى انه عاينه السلام لما قدم أبوه وسأله عما صنع به اخوته قال
 سئني عما فعل بي ربي وأخذ بيده وطاف به في خزائنه فادخله خزائن الذهب
 والفضة وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وخزائن القراطيس
 وكان يوسف يركب في كل شهر ركبة يمر بها على عمله ويدور فيه فينصف
 المظلوم من الظالم ولا يركب الا في عدد كثير من الجند والألوية ومعه الف
 سيف ولم يكن معه حكم مصر كله بل بعضه لانه على ما يقال ان طيوة
 بصعيد مصر كانت مملكة مستبدة عليها ملك آخر يدل على ذلك آية
 رب قد آتيتني من الملك أي بعض ملك مصر كما أشار له بعض المفسرين فالبلدة التي
 خزائنها وعساكرها بهذه المثابة لا تكون الا عظيمة الشوكه والثروة والتنظيم

« مطلب »
 سبب نزول
 سورة يوسف
 عليه السلام

« مطلب »
 استنباط علو
 درجة مصر من
 قصة يوسف

والتعظيم وهو عين التمدن وان تأملت حق التأمل في مبدأ امر يوسف عليه
السلام من اقتصار العزيز على سجنه وضبره عليه في السجن وعدم المبادرة عليه
بالانتقام مع انه مملوك للعزيز خازن فرعون مصر علمت ان الدولة المصرية لم تكن
امة خشنية تستعجل بالقتل لغلام مستقيم فطن بل كانت امورها تجري على
منهج الاستقامة

ويستدل بهذا ايضا على ان قوانين معاملة الخدم والرقيق كانت عادلة لا
يسوغ فيها للسيد الذي اساءه عبده كل الاساءة ان ينتصف منه لنفسه كما يجب
ويختار فهذا يفيد ان الملة كانت متمدنة واما سجن يوسف عليه السلام مع
صاحب طعام الملك وصاحب شرابه فيدل على ان فرعون كان له كبراء اصحاب
مناصب لقصره كما في الدول المتمدنة وانهما اتهمتا بالخيانة الملكية يعني بارادة سم
الملك وان فرعون غضب عليهما حين اتهمهما وامر بسجنهما حين تحقيق
دعواهما فلما تبين له ان احدهما مذنب بما يوجب القتل قتله وان الآخر بريء
فرج عنه فعاد الى منصبه كما ان يوسف ايضا لما علمت براءته ارتقى الى ما
ارتقى اليه من العزارة

فمنه يعلم انه كان بمصر اذ ذلك احكام عادلة وقوانين مرتبة وحدود
مشروعة خالية عن الاغراض والنفسانيات وهي نتيجة التمدن التام وقد دلت
التواريخ الاثرية على انه كان لفرعون يوسف كل سنة عيد عظيم لمولده وان
هذا العيد كان يعمل في ميعاده في القصر الملوي بأكل ما يكون من الاحتفال
الكامل والرسوم الجليلة فهذا يدل ايضا على جودة التمدن وطول مدته في مصر
قديمًا حتى ان رسوم المملكة كان يحافظ عليها ويتمسك بها بدون تسامح ولا
تساهل فان يوسف عليه السلام لمسامات يعقوب وحزن عليه حزن بني اسرائيل

« مطلب »
 كيفية هيد
 فرعون السنوي
 ودلائل على
 التمدن

اجتنب ان يتمثل بين يدي فرعون واحترس كل الاحتراس ان يدخل في
 عليه
 عليه
 لكن
 على
 لة لا
 حب
 مع
 باب
 سم
 تيق
 ي
 ما
 رود
 لت
 وان
 نفال
 صر
 ولا
 ثيل

ان يخالف الرسوم المعمودة فكانت رسوم ديوان
 فرعون وآدابه واخلاقه معلومة علم يقين دلت عليه التوراة فهي مبينة على النقل
 المتواتر والسمع المستفيض فلا يشك فيها ومن المعلوم انه لا يتصف بهذه
 الآداب الرسمية الا الجمعية المتقدمة في المعارف فلا شك ان جميع ما كان في
 الدول المتاخرة التمدنة من حسن الاخلاق والعوائد كان موجودا نظيره عند
 دولة مصر القديمة في ايام زهوها فليس التمدن من خصوصيات الازمان الاخيرة
 وانما ذوقيات التمدن مختلفة بما يلائم طباع الوقت ويطابق مقتضى الحال فلا
 يبعد على مصر في هذا العصر ان تستجلب السعادة وتكتسب من القوة المالية
 الحسنى وزيادة وتحصل من وسائل الغنى على مقاصد الافادة والاستفادة
 لان بنية اجسام أهل هذه الازمان هي عين بنية أهل الزمان الذي مضى
 وفات والقرائح واحدة ووسائل هذا العصر الاخير متسعة ومتنوعة فلا شك
 انها مساعدة على اكتساب المنفعة لمن يريد حقيقتها وأعظم وسائلها رخصة
 الاخذ والاعطاء داخلا وخارجا وكال الاتحاد مع الممالك الاجنبية في المعاهدات
 التجارية العائدة بالمنافع العامة على الوطنية كما فعل ملك مصر ابسميتكوس
 الاول ابن نخوس ملك مصر من جلب الاجانب في مملكته كما سيأتي في
 الفصل الثالث من الباب الثالث

الفصل الثالث

في ان أعظم وسائل تقدم الوطن في المنافع العمومية رخصة المعاملة مع أهالي الممالك
الاجنبية واعتبارهم في الوطن كالاهاية

من المعلوم ان ممن أسس في مملكة مصر السعادة والسيادة والامنية
وحفظ حقوق الرعية هو الملك رمسيس الذي اشتهر باسم سينستريس وهو
الذي شيد في مصر القصور الشاحنة والهاياكل السامية المنافسة للاطواد
الراسخة واتخذ ما يلزم للوطن من الجسور والقناطر والخلجان
ورفع الاراضي المنخفضة المعرضة للغرق عند زيادة النيل واستبدل المدن
المنخفضة من محالها بنائها على الرابي العالية لسلامة البلاد والعباد ولم يفارق
الدينا حتى ترك مصر على غاية من الثروة والغنى والسعادة والهناء وكل انسان
شاكر لفعاله وعلى تداول الازمان لا زال التاريخ يثني على شمائله وجميل
خصاله الا انه هو ومن قبله واكثر من بعده من الملوك لم يحصل منهم كما
حصل من الملك ايساميطيقوس الاول من مساعدة التجارة داخلا وخارجا
فان سعادة الاهالي انما هي بالاخذ والاعطاء والتقلات الملكية

فكان هذا الملك في الحقيقة نجر الدولة المصرية في الازمان الجاهلية
ومصباح تاريخها اعتنى بتاريخه مؤرخو اليونان لانه اول ملك مصرى
قربهم الى بلاده واستمال قلوبهم بتوظيفهم برياسة أجناده وخالف عوائد
أسلافه وعامل يونان آسيا واوروبا بأخص استعطافه وأقطعهم الاقطاعات
من الاراضي المصرية وسوى في الحقوق بينهم وبين الجنود الوطنية وجعلهم
من المقربين في المعية وأعطاهم جملة من الغلمان المصريين لتعلم اللغة الاغريقية

« مطلب »
مساعدة الملك
ايساميطيقوس
ملك مصر للتجارة
داخلا وخارجا

ليكونوا مترجمين بينهم وبين المصريين في أيامه انتشرت معرفة اللغة اليونانية وبواسطتها كثرت التجارات والمعاملات والمخالطات وتأسس بالقطر المصري العائر التجارية فكانت هذه أول مرة تكلم فيها اليونان بلسانهم في غير بلادهم ولما رأى ما رأى من صداقتهم ومساعدتهم وسع لهم في المعاش وأغدق عليهم غاية الاغداق وسواهم بجنداه فكانت منفعتهم جسيمة

« مطلب »
فتح الملك
أمايسس ثغور
مصر للاجانب
واحسان مشواهم
لاسهاد رعيته
بالثروة والغنى

ومن فتح لليونان ثغور مصر وأبوابها من ملوكها الملك أمسوس ويقال له أمايسس فإنه كان قوي الفطنة جيد القريحة حسن التدبير لم تسعد مصر في أيام غيره كسعادتها في أيامه الهنية ولم تخلص بالنيل بمخصبها في أيام دولته العدلية حتى قيل ولو أنه من المبالغات التاريخية ان مدن مصر وقراها بلغت في عهده عشرين الف مدينة وقرية وكلها غنية مثرية وجل أسباب ثروتها التجارات العظيمة لا سيما مع اليونانيين فانهم اذ ذلك كانوا ارباب التجارة والصناعة واتسعت دائرتهم في ذلك من مخالطة المصريين فقد شملتهم أنظار هذا الملك اخصوصية حيث أحسن مشواهم ورخص لهم الاستيطان بالديار المصرية بمدينة نقراطيس التي يقال ان محلها الآن فوة وقيل غيرها وكانت هذه المدينة دون غيرها مخصوصة بان يرسي عليها سفن الدول الاجنبية وقد أباح هذا الملك للغرباء ان يتمسكوا في مصر بأصول دياناتهم وأنعم عليهم بأراض مخصوصة ليبنوا فيها معابدهم وهياكلهم ومذابحهم ومحاربيهم على اختلاف مللهم وأديانهم ومذاهبهم وعقدت مع دولتنا أي مدينة حكماء اليونان معاهدات وعقدت أيضا معاهدات أخرى مع دول أخرى كدولة القيروان بالمغرب وكان له مخاطبات ومراسلات متواترة مع الملوك

الاجانب كملك جزيرة صيصام احدى جزائر الروم الكبيرة فان التاريخ قد
 حفظ نصيحته لملك الجزيرة المذكورة ومضمونها لا تأمن صروف الزمان
 وتفكر في نوائب الحدثان واعص النفس في اتباع هواها وخالفها ولا تبلغها
 منها فلما قرأ ملك صيصام البطاقة عزم ان يزهد في الدنيا حسب الطاقة وكان
 باصبعه خاتم جوهر نفيس عظيم القيمة لا يؤثر عليه من زينة الدنيا شيئا
 ولكن وقعت بقلبه موعظة الملك أماسيس أعظم موقع فنزعه من اصبعه
 وألقاه في اليم وعزم على ترك الزينة وصمم ولكن لما كان جد هذا الملك
 قائما والسعد له خادم ارد الله عليه هذا الخاتم في بطن حوت سمى به اليه
 صياد من البحر قادم ففهم من ذلك أن الاشياء بخوت وسعود وأن خاتم
 الملك وان زهد فيه فهو اليه مردود وتاج السعادة على مفرقة موقود

« مطلب »
 نصيحة الملك
 أماسيس الملك
 جزيرة صيصام

« مطلب »
 مساعدة البخت
 للانسان وما قيل
 في البخت والحظ

قال الشاعر

البخت افضل ما يأتي الفتي فاذا ما فاته البخت لا ينفك يتضع
 يكفيك في البخت تيسير الامور وان يكون ما ليس ترضى عنك يندفع
 والحظ أجدى لصاحبه من الحجي واهدى في طرق ما ربه من نجوم
 الدجي ومن لطائف المطبوع في هذا الباب قول محمد بن شرف القيرواني
 اذا صحب الفتي جد وسعد تحامته المكاره والخطوب
 ووافاه الحبيب بغير وعد طفيليا وقاد له الرقيب
 ويقال اذا قبل سعد المرء فالاقدر تسعده والاطمان تساعده واذا
 أدبر فالايام تعاديه والنحوس ترواحه وتغاديه قال عبد العزيز بن نباته
 الافاخش ما ترجو وجدك هابط ولا تخش ما تخشى وجدك رافع
 فلا نافع الا مع النحس ضائر ولا ضائر الا مع السعد نافع

وأعلم ان كمال العقل وسوء الحظ كالعملة والمعلول لا ينفك احدهما عن
الآخر كما أن قلة العقل وكل الحظ متلازمان ويصحبهما الجهل والحق قال
ابن المعتز

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لمن عقلا

وقال ابو الطيب

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
وقال القاضي الفاضل

ما ضر جهل الجاهلين ولا انتفعت انا بحذقي

وزيادتي في الحذق فهمي زيادة في نقص رزقي

وقال شمس الدين الحكيم بن دانيال

قد عقنا والعقل أي وثاق وصبرنا والصبر مر المذاق

كل من كان فاضلا كان مثلي فاضلا عند قسمة الارزاق

وقال ابوتمام

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد ولا المجدي في كفا امرىء والدرام

ومن عدم تعليل الحظ قول ابى الطيب

هو الحظ حتى تفضل العين اختها وحتى يكون اليوم لليوم سييدا

وعلى هذا فيجب على العاقل التسليم في جميع الامور وتلقي المقادير بالرضا والقبول

كما قال

تبارك من أجرى الامور بحكمة كما شاء لا ظلما اراد ولا هضمًا

فما لك شيء غير ما الله شاءه فان شئت طب نفسا وان شئت مت غما

فاذا علمت أن قسمة الحظوظ في سابق الازل لحكمة يعلمها لا تبديل ولا تغيير

في ذلك وسلمت الامر لمولايك الفاعل المختار المتصرف في ملكه كيف يشاء
 بالاختيار فلا عتاب ولا ملامة قل من عرف الله ازال التهمة وقال كل فعله
 لحكمة وان ارزاق العباد قسمه تحصل بالتقدير لا بالهمه كما قيل

مثل الرزق الذي تطلبه مثل الظل الذي يمشي معك

انت لا تدركه متبعاً فاذا وليت عنه تبعك

وقل آخر

هون عليك وكن بربك وانقا فاخو اتوكل شأنه التهوين

طرح الاذى عن نفسه في رزقه لما يتقن انه مضمون

ومما يناسب ذلك ما يحكى عن عروة بن اذينة انه وفد على هشام بن عبد الملك
 فشكى اليه حاجته فقال له اأست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقي ان الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى اليه فيعييني تعالبه ولو قدمت أتاني ليس يعييني

وقد جئت من الحجاز الى الشام في طلب الرزق فقال يا امير المؤمنين
 لقد وعظت فأبلغت وخرج فركب ناقته وكر الى الحجاز راجعاً فلما كان من
 الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال في نفسه رجل من قريش قال
 حكمة ووفد على فجهته ورددته خائباً فلما أصبح وجه اليه بالفي دينار ففرع
 عليه الرسول باب داره بالمدينة واعطاه المال فقال ابلاغ امير المؤمنين مني السلام
 رقل له كيف رأيت قولي سميت فأكدت فرجعت فأتاني رزقي في منزلي
 ولا يتعجب من بليغ نصيحة اما سيس ووعظه فانه كان بينه وبين سولون
 حكيم أثينا مراسلات لاقتباس الحكمة اليونانية والمعارف التي تكسب الفضائل
 فاقتبس من حكمه وفضائله وقوانينه ما يميز به عن غيره من الملوك السابقين

وكان سولون المذكور في مملكة أثينا من ذوي البيوت اكتسب من
 السياحة في البلاد ما صيره فريدا زمانه في الحكمة والتدبير والسياسة وكان ممن
 دخل مصر من الفلاسفة فماد الى مملكة أثينا فوجد لها مختلفا للنظام منجدة
 الاحكام فالتمسوا أن يجعلوه ملكا عليهم وكانوا جمهورية فلم يرض ان يلبس
 التاج الملوكي ويتسلطن على بلاده وانما اقتصر على تنظيم الجمهورية وانتاسولون
 قوانين داخلية منها أن من ثبت عليه من الاهالي انه لم يشتغل بحرفة ولا صنعة
 بعد المرافعة معه ثلاث مرات وهو مصر على البطالة فانه يفضح على رؤس الاشهاد
 وكذلك كل ولد اشتغل بصنعة وسلك مسلك التبذير في امواله فانه يفضح على
 رؤس الاشهاد ايضا وان الولد الذي لا يقوم بمؤنه ابويه العاجزين عن الكسب فانه
 يعاقب بذلك العقاب ولا يعاقب بهذه العقوبة الوالد اذا بخل بالانفاق على ولده
 ومن قوانينه انه لا يجب على المرأة عند الزواج ان تجهز لزوجها باكثر
 من ثلاثة اثواب وبمتاع قليل الثمن لان تكايفها أكثر من ذلك ربما عاد بالفاقة
 على اهل الزوجة وان من اجتمع من الرجال بالنساء المتبرجات وعاشرهن لا يسوغ
 أن يكون من اعضاء مشورة الجمهورية أبدا لانه لا يؤتمن على مصلحة الاهالي
 وان من ثبت عليه من ارباب المشورة السكر فانه يعاقب بالقتل وان المدين لا يجوز
 حبسه وان من لم يكن له ذرية فله ان يوصى بجميع امواله قبيل وفاته وان من
 مات في الحرب وله ذرية فان الوصي على ذريته الحكومة فهي الكافلة والمسؤلة
 عن افعالهم والمطالبة بربيتهم واصلاح احوالهم وشؤونهم وانه يجب الاقتصاد
 في المصارف التي تنفق في الجنائز والاحتفالات الدينية بقدر الامكان وان
 تدخل الغرباء البلاد اليونانية ولكن لا يسوغ تدخلهم في مناصب الحكومة
 فلما كان سولون معدودا من المشرعين والمفنين اقتبس منه اماسيس بعض

قوانين وقد تقدم في الفصل الاول من هذا الباب الثالث ان اساس اوجب
التنحصر عن معيشة الانسان وكسبه من الحلال وانه كان يحكم بالقتل على من
يكتسب من الحرام فلا شك انه التمس ذلك من مخالطة اليونان فمخالطة مغناطيس
المنافع فهي تساوى حركة العمل في ذلك وكلاهما لا يستغنى عن الحرية والرخصة
ومنبع الجميع وكسب المعارف العمومية والمحبة الوطنية التي يترتب عليها اجتماع
القلوب والتعاون في ابلاغ الوطن المطلوب فمخالطة الاغراب لاسيما اذا كانوا
من أولى الالباب تجلب للاوطان من المنافع العمومية العجب العجيب ولو كانت
مترتبة على ظواهر التغلب والاعتصاب فربما صححت الاجسام بالعلل ولنضرب
لك المثل في فتوح اسكندر لمصر في الايام الاول فقد ترتب على فتوحه في
تلك الايام اعاءة قديم بهجة مصر بعد ان دمرها حكم الاعجاب حيث واسبى
أهلها وراعى عوائدهم وابع عقائدهم وساسهم بأحسن ما يمكن من السياسة
والعدل في الاحكام

الفصل الرابع

فيما ترتب على فتوح اسكندر الرومي للديار المصرية من اتساع دائرة المنافع
العمومية الناتجة عن مقدمات الحزم والسكياسة وشرطيات أشكال
العدل في التدبير والسياسة

من المقرر عند ارباب العقول أن اقوى شيء في حفظ البلاد وراحة
العباد وتوسيع دائرة المنافع العمومية وتأسيس قواعد تمدن الوطنية انما هو
مراعاة عوائد الاهالي وابعاعهم بتمسكهم بعقائدهم وعدم منعههم حسب الامكان
بمالا يستطيعون مفارقتة من مالوفاتهم الماذونة والمحافظة على ارضاء
خواطرهم ولو للفتاح المتغلب والمغير المغتصب فان اسكندر الرومي بحسن

مطال
 سلوك اسكندر
 في البلاد المفتوحة
 له مسلكا بيان
 مسلك الفاتحين

سياسته وكمال كياسته تغلب على بلاد العجم التي أسماها كيروش وسلفه بعد
 ثلاثة حروب عظيمة فتفتح هذه البلاد الواسعة الاطراف والاكناف
 باستقامة تديره وحسن سلوكه مع أهاليها وتطيب خواطرها وحنظ عوائدهم
 وشرائعهم حتى صار فتوحه للبلاد الشرقية زمنا تؤرخ به الوقائع والحوادث
 فلم يكن فتوحه كفتوح سلفه من اليونان ولا غيرهم من أهل العراق
 والكرديستان ولا كفتوح العجم اذ كانوا جميعا يدمرون البلاد ويهلكون
 الامم واما اسكندر فكان كلما فتح مملكة أسس فيها وجدد وبني وشيد
 ووطأ ومهد ومدن المدائن وأكثر الاموال في الخزائن وأوجد وسائل
 العمران وأحيا قلوب أهالي البلدان وكان من تقدمه من اصحاب الخروج
 والفتوحات اذا فتح مدينة أو مملكة عرض أهلها المخالفين له في الاحكام
 والعقائد للهلكة فأغضب جميع الاهالي بسوء سلوكه فسلك اسكندر
 مسلكا غير ما سلكه الفاتحون قبله من سلاطين ذلك العصر وملوكه فكان
 يرخص في كل اقليم فتحه ابقاء الاهالي على عوائدهم القديمة وربما وافقهم
 على التمسك باتباعها في عمل خصه نفسه ولو لم تكن بحسب رأيه مستقيمة
 وذلك لمجرد ايناس نفوسهم وتوطينهم على حب حكومته وتأنيبهم فكان
 مشايخ قواده وأمراة يشيرون عليه بنسخ دين ما يفتحه من البلاد وعدم
 ابقائه فلا يسمع مقالهم حتى ان تماديه على ذلك أغضب ابطالهم فلم يبطل
 شيئا فيما فتحه من البلدان من احكام الشرع والاديان وقصد بذلك تجيز
 أغراضه الصلاحية وايجاد الوحدة لسلطنته الفتوحية فجعل أجناس الامم في
 جميع الاقطار المفتوحة ممتزجة كأمة واحدة أو كجسد واحد وجعل حرية
 التمسك بشرائع روجه وصمم على أن تكون أمم سلطنته كعشيرة واحدة

ودائرة ملكه وطنا مركزيا وجميع الاله الى خطوطا شعاعية منبعثة من المركز الى المحيط ولم تساعد المقادير حيث الامل طويل والعمر قصير

ولنذكر نبذة موجزة من تاريخه فنقول هو اسكندر بن فليبيش المقدوني تولى أبوه على مقدونيا جهة اقليم روم ايلي فرتب المملكة ونظمها ثم عزم على تحصيل مقاصد مهمة من أعظمها ترتيب العساكر والقوانين واخترع كيفية في صف العساكر يقال لها الكردوس على هيئة المثلث فكانت مرهبة في ذلك الوقت كارهاب شكل القلعة المربع الذي عليه العمل في الحروب في هذا العهد وجعل الكردوس نحو سبعة آلاف نفر وقسمها الى ستة عشر صفا بعضها وراء بعض وأسلحهم بحراب طوال جدا حتى ان حراب الصف الاخير كانت تصل الى الصف الاول فصاروا بهذه الهيئة مهيبين لا يستطيع العدو أن يظفر بهم

« مطلب »

تاريخ اسكندر
للامم المختلفة
والناليق لاسر
من تحت حكمه
من الملل

« مطلب »

اسكندر
وولاية ابيه وما
رتبه ابوه في
المسكرة

وكان يعامل العساكر بالرفق واللين ويدعوهم بالاصحاب ويعلمهم قواعد الحرب والقتال وكان حسن سياسته بقدر كمال شجاعته وقوة ذكائه وفطنته فتوصل بذلك كله للاستيلاء على جميع اليونان فأحبه الجميع وأطاعوه فأداه طمعه في الفخار وحب الاشتهار الى امر عظيم لا يمكن لغيره الاقدام عليه وهو انه قصد محاربة العجم فلما منه انه يظفر بمملكتهم وطلب من جميع امم اليونان أن يكونوا معه في ذلك فتلقوا ذلك بالقبول وحمدوه على هذا المقصد الحسن وقلد نفسه رياسة الجيوش الحربية وكان قد استشار السكينة في ذلك على حسب عادة اليونان فأجابوه بكلام متشابه واقوال مبهمة محتمة لمعان متعددة حيث قالوا لبس الثور التاج والا كليل ودنا اجله فهو ذبيح عما قليل فحمل ذلك على ملك العجم فينما هو يصنع عرسا لزواج بنته اذ قتله بعض

« مطلب »

قصد فليبيش
حرب العجم
وحرامم اليونان
على المساعدة

« مطلب »

قتل فليبيش
في عرس ابنته

الامراء فأت لوقته وكان قد رزق ابنه اسكندر الذي شب في حياته وابتغ
 نضير غصنه في حدائق العز وروضاته فمزم على أن يعلمه العلوم والمعارف
 فرأى انه لا يجب الا اذا أعطاه لاعظم حكماء زمانه فلم يجد أفضل من
 أرسطاطاليس فكتب له جوابا مضمونه قد رزقني الله بولد فحمدته وأثنت
 عليه لا سيما انه أعطاني اياه في زمانك فالمرجو أن تجتهد في تعليمه وحسن
 تربيته ليكون أهلا لان يخلفني على مقعدوينا فامثل الحكيم أمره
 فهذب اخلاق اسكندر وجعله اهلا للامرة فكان اسكندر في ايام شبوبته
 تلوح على وجهه بشائر الخير العميم مع ما تعلمه من ابيه ومن استاذه من انواع
 التعليم فقد أخذ عن معلمه ماله دخل في رياضة ذهنه ونوير عقله بأوار معرفة
 الاخلاق والآداب وماثر التواريخ التي هي مرآة افعال الملوك الماضين
 ينظر فيها المتأخر حسنات أو سيئات السابقين

« مطلب »
 تربية
 ارسطاطاليس
 لاسكندرية

« مطلب »
 ثمرة التاريخ
 للملوك

قال بعض المؤرخين لو فرضنا ان التاريخ غير نافع للاحاد فلا يستغني
 عنه احد من ملوك الدنيا الذين ولاهم الله رقاب العباد فانهم يطلعون فيه على
 ما تناولته الانفس والشهوات واقتضته المنافع بحسب الاحوال والاقوات
 وينظرون فيه وقائع الازمنة والامكنه والاحوال الظنية والتميقنة والآراء
 الصائبة والاهواء الكاذبة وهل التاريخ الا أفهام السياسية واشغالهم الريبانية
 فرجع امورهم اليه ومدار عملهم عليه فانه مشتمل على التجاريب وهي لازمة
 لهم في حزمهم واجراء احكامهم على وجه مصيب فاذا رأوا في التاريخ ما يمدح
 تبعوه أو ما يذم هجروه واجتنبوه فبذلك اضافوا اليه تجاريبهم المستفادة وانتمتعوا
 بالاصل والزيادة فيذغى لهم ان يتشبهوا بذلك ويتركوا ما اعتادوا عليه من سلوك
 أقرب المسالك من الاقتصاد على الامور الوقتية التي تستنتج من احوال الرعية

او تستدعيها مفاخرهم الذاتية الهوائية فيقعون في الخيره لعدم استنارة البصيرة
 فاذا استعانوا بالتاريخ أصلحوا عقولهم بالتجارب ولم يقووا في مضار الحوادث
 الماضية ولم ياخذوا منها بنصيب واذا طلعوا في الوقائع التاريخية على ما وقع
 لغيرهم من العيوب الخفية التي يمدح الملوك في حال حياتهم من اهل النفاق
 وتبقى ملوثة لصفهم التاريخية التي تسير بها الركبان في جميع الآفاق اعطوا
 بذلك واعتبروا كل الاعتبار فاذا تملق اليهم المتماقون وتذكروا ما اغتر به في
 مثل ذلك السابقون خجلوا من فرحهم بباطل المديح ورجعوا في العمل للرأى
الرجيح وايقنوا ان الفخر الحقيقي لا تستحقه الملوك الا بالفضائل الماثورة
 للخلف وان عاقبة الفعل السيء الندم والاسف فقد تنزهت نفس اسكندر عن
 ذلك وقد كان مواعا بمطالعة تاريخ نصره ترواده اليونانية التي جمع حربها جميع
 امراء الممالك فكان جل رغبته وميله للمفاخر العسكرية لما شاهده من هذا
 التاريخ من الثناء على خول الرجال من الامة اليونانية وطالما شوهد نفسه
 الصعداء غير مرة حين اخبر ان اباه فليش انتصر في الوقائع قاتلا لبعض
 اخصائه هاهو ابي قد تغلب على جميع البندان بسيفه وما ابقى لسيفي شيأما وبينما
 كان يتحدث ذات يوم مع سفراء ملك العجم فما سألهم عن زينة بلادهم ولا زخارفها
 وتنعماتها بل سألهم عن المسافات بين البلاد وقوة الدولة وكيفية سياستها وتديرها
 وسلوك ملكها فتعجبوا غاية العجب وقال بعضهم لبعض ان هذا الامير لعظيم
 واما ملكنا فهو امير غني فقط وكان يترأى في طيبة اسكندر في حال صغره
 الشجاعة وحب الرياسة والتدبير وشدة الميل للتأذي بذوق اقتحام العظام حتى
 انه امتاز واشتهر غير مرة في الحرب تحت لواء ابيه في حادثة سنه
 ولما مات ابوه كان ابن عشرين سنة خلفه على المملكة وكان جديرا بالقائه

الرعب والهيبية في قلوب الامم وكان يظن بمد ممالك اليونان الذين كانوا تحت
 طاعة ابيه انهم يغتفرون الفرصة بالخروج على اسكندر فاشهر السلاح فانتصر
 عليهم جميعا في غزواته التي كان رئيسها بنفسه فلما رجع الى مقدونيا استعد لفتح
 بلاد آسيا واني ان يتزوج خوفا من ضياع الزمن في ولية العرس ومن ضياع
 الاموال في الافراح بل اغدق بما عنده من الاموال على كبار عسكره برسم
 الانعام فقال له بعض الامراء ما اعددت للانفاق على نفسك وعسكرك قال
 اعددت لذلك كله قوة الرجاء فابقى في مملكته ثلاثة عشر الف رجل للمحافظة
 واستصحب معه خمسة وثلاثين الف مقاتل لكنهم ابطال تحت طاعة شيوخ
 مجريين ثم توجه الى آسيا وليس معه من المال الا نحو سبعين مثقالا من الذهب
 ومن الذخيرة اهبة شهر واحد وثوقا بقوة وطالع سمده وضعف اعدائه وطالع
 نحسهم وكانت بلاد آسيا تحت طاعة العجم يحكمون على جميع ممالكها وكانت
 قد اشرفت على الخراب لا تساع سلطنتها وسوء تديرها واستعبادها للامم
 وظلم ملوكها حتى ان ولات اقاليمها كادوا يكونون ملوكا مستقلين لبعدهم عن
 مركز السلطنة الذي كان اذ ذلك منبعا للفتن والاختلال وكان دارا هو ملك
 الملوك يحكم بلاد آسيا الشرقية ويحكم من بلاد افريقيه مملكة مصر ففتح اسكندر
 البلاد التي كانت تحت ملوك العجم جميعها حتى وصل الى الشام وفتحها وعقب
 فتوح بلاد الشام انطلق الى مصر وكانت دولة العجم مبنوضة للمصريين لاذراء
 العجم بدين اهل مصر وتشديد عليهم في تركه فتلقى المصريون اسكندر
 بالترحيب ورغبوا في حكومته لينقذهم من اعداء دينهم ثم قصد استماله قلوبهم
 اليه واستعطافهم لمحبتة واقبالهم بالقباب والقاب عليه فاغترف لهم ان يتمسكوا
 بشرائعهم وعوائدهم واسس بمصر مدينة اسكندرية التي صارت من اعمر

« مطلب »
 توجه اسكندر
 لحرب بلاد آسيا
 باهبة تسيرة

« مطلب »
 فتوح اسكندر
 لبلاد العجم
 وانطلاقه الى
 مصر عقب ذلك

مدائن الدنيا وأزهاها واينعها بالعلوم النافعة والتجارات الساطعة لان الابنية
الجسيمة من المنافع العمومية العظيمة التي تمنح بانيتها من العز والفخار بقدر ماتكسبه
الغزوات المخربة من الكراهة والنفار

ثم كانت وفاة اسكندر بعد فماله العجيبة بمدينة بابل قبل الميلا دثلثمائة وثلاث
وعشرين سنة وعمره ثلاث وثلاثون سنة ولم يرض ان يعين وارثا بعده
بل قال قد أقيت وراثه السلطنة للأحق بها وأخبر أنه سيسفك الدم في
جنازته فكانت الحروب الداخلية وانفصال الممالك عن اتصالها عاقبة
فتوحاته بعد انقضاء حياته فكل واحد من امراء جيوشه أخذ مملكة جسيمة
فلما تقاسم امراؤه سلطنته سموا بملوك الطوائف ولم تعد فتوحاته من النوفل
بل ترتب عليها مزايا جسيمة للتمدن والمنافع العمومية حيث بقيت الاجتماعات
والعلاقات السياسية مدة عشرة قرون بين أهالي المشرق والمغرب وذلك
لان قطعة آسيا قبل فنوح اسكندر كانت مغلوقة الابواب عن قطعة أوروبا
لما بينهما من العداوة

مطال
وفاة اسكندر
في عنقوان
شبابه بدون
ان يهد الى
أحد في السلطة

فمن عهد هذا الفتح فتحت أبوابها للتجارات فبواسطة ذلك انتشرت
العلوم والمعارف في المدن لاستفادة بعضها من بعض وكذلك ترتب على
فتوحاته تجديد عائلات الملوكية في البلاد اليونانية شيدت ممالكها في البلاد
فكانت من الدول القوية وحسب اسكندر أنه خلقه على مصر الملوك
البطالسة فهم الذين أعلاوا درجاتها وأعادوا بهجتها حتى صارت مصر في
عهدهم على هيئة جليلة وصورة استعداد جميلة وعاد اليها نخرها القديم في تلك
الحال الراهنة وكان قد انعم باستيلاء الاعجام وتغلبهم على ملك الفراعنة
فنجحت ثمرة فنوح اسكندر وبدا صلاحها في مصر ومضافاتها وظهرت

نتائج عقل ذلك الفاتح المقدواني في عهد البطالسة بالاصالة وبعدهم بالتبعية
 وكان اولهم بطليموس اللاغوسي وكان يعرف أهمية مصر ورفعة قدرها
 وامتيازها بين الممالك فأول ما نقله ملكها أحسن التدبير والسياسة واهتم
 بالدفاع عنها ممن يريد الهجوم عليها فكان لا يغلبه غالب وسبب ذلك منعة
 مينائها التي يصعب الدنو منها وميل المصريين اليه لعدله وتحييه اليهم لان
 ميل الرعايا للموكهم هو الحرز الحرز والحسن الحقيقي لحفظ الملوك والممالك
 وقد تفرغ هذا الملك بعد النصر على أعدائه في الخارج الى تنظيم
 المملكة فشرع في تميم مباني سكندرية لتصير من اعظم مدائن الدنيا
 فبنى ضريح اسكندر الاكبر وكان قد أحضر معه جثته من بابل الى
 الاسكندرية فبنى له هيكلًا عظيمًا ويغلب على ظن أرباب المعارف ان قبر
 اسكندر بقرب المحل المسمى بنبي الله دانيال أو هو هو وكذلك أنشأ منارة
 الاسكندرية الشهيرة بجوار المينا البحرية لمنافع التجارات والاسفار البحرية
 وفوائد المعاملات الاهلية والاجنبية التي هي احدى عجائب الدنيا كما قال فيها
 بعض الشعرا

مطلب
 ظهور نتائج
 فتوح اسكندر
 لمصر في عهد
 البطالسة ومن
 بعدهم

مطلب
 مدفن اسكندر
 ومارة
 اسكندرية
 المدودة من
 عجائب الدنيا

وسامية الارجاء تهدي أبا السرى ضياء اذا ما حنّ دس الليل أظلم
 لبست بهار دامن الانس صافيا فكان بتذكار الاحبة معلما
 وقد ظللتني من ذراها بقية الأحظ فيها من صحابي أنجما
 نخيل ان البحر تحتى غمامة واني قد خيمت في كبد السما

ومن أنفع ما أنشأه بطليموس في الاسكندرية المدرسة العظيمة
 المتصلة بقصره فقد جمع فيها جميع العلوم المألوفة في ذلك الزمان من فلسفة
 ورياضيات وطبيعات والهيئات وعلوم طبية وجلب اليها علماء لليونان وغيرهم

فصارت اسكندرية في قليل من الزمان مركزا للمعارف جميعها وأنشأ في
هذه المدرسة الوسعية كنيخانة ملوكية جمع فيها نفائس الكتب القديمة
وجلب اليها النساخين والمصححين والمجلدين والمذهبيين

وكان يستعير الكتب الجليلة من محالها فينسخها ويرسل المنسوخ
لأربابه ويبقى الاصل في خزائنه فكثرت الكتب النافعة من جميع الفنون
والعلوم في هذه الكنيخانة وكان له العناية الكاملة بالفنون البحرية وبناء
السفن لتكثير الاسفار والترغيب في ركوب البحار فكانه أراد محاكاة

« مطلب »
كنيخانة
اسكندرية

الصوريين حيث صاروا أصحاب تجارة الدنيا بأجمعها بحسن موقع مدينتهم
للتجارة وبابتداع سفنهم البحرية حيث أطاعتهم الامواج وخضع لسفنهم
البحرية العجاج ولم يكثرثوا بالعواصف والقواصف وجربوا البحار واعماقها
وجسسوا قرارها وعرفوا مخاضها واغراقها ورصدوا النجوم بالبعد عن
البر وفي بحبوحة البحر وجمعوا الامم الاجنبية التي فصلت بينهم البرور
والبحور ونظموا في سلك تضيد كأنهم عمود في نحر فكانوا في الصنائع
والفنون عطاردية وأرباب صبر وتجد على الحركات العملية وحازوا النظافة
في المسكن والملبس والمطعم وكانوا مع ذلك أرباب قناعة واقتصاد فيما خولهم
به المولى المنعم وكانت حكومتهم ذات ضبط وربط وتدقيق وحسن الملاحظة
وتفتيش وتحقيق لا يدخلون بين الاهالي الشحنة والشقاق ولا يحيدون
عن سبيل الوفاق بل هم دائما اخوان صفاء ورفاق وهم أشد الامم تمسكاً بهذه
الخصال كما أنهم أهل صداقة وامانة وكمال عندم الراحة للامم الاجنبية بل
يعتبرونهم كاهالي الوطنية فهذا أينعت عندهم أزهار التجارة النافعة والمعاملة
مع سائر امم البرية وقد تنزهوا عن العداوة والحسد وتمسكوا بالاقتصار

« مطلب »
تقدم الملاحة
والاسفار
البحرية في عهد
بطليموس
الاول

والكد وأكرموا أرباب الفنون وحافظوا على الامانة في سر التجارة المصون
ولم يحتكروا التجارة ولا الصناعة ولا تركوا البشاشة والترحيب لأرباب
البراعة فلهذا كانت شوكتهم قوية ومملكتهم مثرية غنية فبسير ملك مصر
السالف الذكر على سنن الصوريين عاد فن الملاحة على مصر بالثروة لكثرة
المعاملات التجارية مع البلاد الذاتية والقاصية والامم الاجنبية كاهل بائع وهمدان
والهند والسودان والحبشة والقيروان وبثروة الاهالي أثرت الحكومة المصرية
وقويت شوكتها وعظم سلطانها وارتفع شأنها وانتشرت الاعلام الملوكية
على هذه السفن فكانت محترمة الناموس عند جميع الملل والدول وعظمت
قوة مصر البرية والبحرية فكانت في ايامه يمكنها الاستحضر على مائتي
ألف من العساكر المشاة واربعين ألف من الفرسان وعلى ثمانمائة من الافعال
الحربية وعلى النى عربة مسلحة بالناشير والمناجل وكان في خزانة المهيات
المصرية ثمانمائة الف طقم مجهزة من الزرد وكان بالترسانات نحو ثلاثة آلاف
وخمسمائة سفينة ما بين كبيرة وصغيرة وكان ما يبقى من الخزينة موفرا في كل
سنة من الايراد بعد الصرف الوافي نحو مائة الف كيس فكان الوفير تراكم
على ممر السنين وتداول الايام فكانت المملكة غنية وعلى حالة في ثروة تلك
الازمان مرضية وكانت التجارة الاهلية والقادمة الى الاسكندرية تحت حماية
السفن الملوكية فصارت الاسكندرية بذلك عامرة بالسكان المحبين لملكهم
بترخيصه لهم في التجارة والارباح وحسن معاملته مع الاجانب فكانت
التجارة تكتسب كل يوم النمو والزيادة

« مطلب »
ذخائر خزائن
مصر في أيام
بطلبيوس
الاول

« مطلب »
جلب بطليوس
اليهود الي
اسكندرية
وتأسيسه لهم
حارة خصوصية

وكان هذا الملك يجلب دائما الاهالي من أوطانهم للاستيطان في
الاسكندرية حتى انه رغب طوائف اليهود بالدخول اليها حتى تكاثروا فيها

وعمرها فيها خطة كبيرة تسمى حارة اليهود ومع ذلك لم يهجروا مدينة منف
 بل جعلها دار المملكة الرسمية فلما تولى بمده بطليموس الثاني محب أخيه
 قبل الهجرة بسبع وتسعمائة كانت مدته أيضا خيرا من مدة أبيه فصرف
 همته في تقديم العلوم والمعارف والتجارات فكانت مصر في أيامه أعمر بلاد
 الدنيا لأن أباه كان قد أضاف إلى مصر بلادا كثيرة كمملكة القيروان
 وسواحل الشام وبلاد العرب المجاورة لمصر وجزيرة قبرص وجزائر بحر
 الروم وأغلب مينات أناطلي الجنوبية ومينات سواحل روم إيلي ففزع الملك
 بهذا الميراث العظيم والنفث إلى العمليات الجسيمة التي تعود على مصر وعلى
 ممالك الدنيا بالمنافع العظيمة فاعتنى باستكشاف طرق البحار بالأسفار لمعرفة
 المسالك والممالك فاستكشف بلاد إفريقية وثغور بحر عمان وفارس وأرسل
 من يستكشف منبع النيل فوصل قبضانه إلى جزيرة مروة بقرب شندي
 وهي جزيرة أتبرة وأرسل قائدا آخر إلى تلك الجهات فوصل فوق ما هنالك
 وانعطف إلى جهة المغرب فبهاتين السياحتين اتسعت دائرة المعاملات التجارية
 وكثرت المخالطة بين الديار المصرية والسودانية وتقدمت المعارف الجغرافية
 وعلمت في مصر أحوال البلاد والعباد واجتهد هذا الملك في تأييد المعاملات
 التجارية بين مصر والممالك الهندية والشرقية وأرسل سفنه أيضا لاستكشاف
 سواحل الحبشة وأمر رؤساءها أن تبقى فيما تستكشفه محطات عسكرية
 ومراكز تجارية وكان مسيرها من مينا القصير فكان بندر القصير موردا
 ومصدرا للتجارات السودانية والعربية والعجمية والهندية وكانت أسكندرية
 مركز العموم ومحط رجال النجار كما هو معاوم ولم تنتقل عنها فضيلتها الأولية
 في أيام حكومة البطالسة فكانت قطب دائرة الدنيا بدون أن يسوغ لمدينة

أخري ان تكون لها منافسة

ثم بتداول الازمان ضاقت دائرة تجارتها ومحيط صناعتها في العصر
 الاخيرة ومع ذلك فلم تزل منابع للمنافع النسبية غزيرة لا سيما بعد فتوح
 الاسلام فقد عوض الله تعالى مصر دون غيرها في صدر الاسلام وبعده
 تجارة لن تبور واكتسبت تمدنا آخر أعلى من الاول وبقى القرون العديدة
 وأخذت منه مدن الدنيا بحظ موفور وناهيك بتقدم التمدن أيام خلفاء بغداد
 ونقل الخلافة بمصر في أيام الفاطميين فانه انسحب أثره على جميع البلاد فان
 يكن التمدن قد قصر في مصر وانحط عن قدره الاصيل فانما كان ذلك في
 أيام المماليك الذين أساءوا في تديرها وسمعوا في خرابها وتدميرها بما جبالوا
 عليه من العسف والتعدي وعدلهم عن الجادة بسلك ما ليس يجدي حتى
 أنقذهم منها شوكة آل عثمان وغارت دولة النوري بمصر واطمأنت قلوب أهلها
 بسلامة السلطان سليم خان وقتله للسلطان طومان ومع ذلك فصارت مصر
 مترددة متحيرة لتداول أيدي الولاة العثمانيين المختلفين في درجات العدل
 المعتبرة مع بقاء نفوذ أوجافات الشراكسة أهل الحمية والمصيبة ولم يكن
 لا كثيرهم أدنى حظ في قصد التمدنية فاستبدلوا الربح بالخسران وآثروا التدمير
 على العمران وحل الخوف في أيامهم محل الامان فأنحل نظامهم واختلت أحكامهم
 فظلمت دولة فرنساوية في أن تجعل حكومة مصر ملحقة مضافة الى ملكتهم
 بالجر على وجه الاضافة وتغلبت عليها وأرادت بها ما أرادت وأراد الله خلافه
 فأعيدت كما كانت الى دار الخلافة ولكن كان لحكم المماليك قوة نفوذ غالبية
 وأظفار أسود ناشبة تفتك بالرعية ولا ترعى حقوق الدولة العلية ولا واجب
 الانسانية حتى آن الاوان وسخر الله سبحانه وتعالى لخلاصها من أيديهم

مطلب
 ضيق دائرة
 المنافع المصرية
 في الادوار
 الاخيرة

مطلب
 استيلاء السلطان
 سليم خان على مصر

مطلب
 تغلب فرنساوية
 على مصر

لا مطلب
استخلاص
المرحوم محمد
على مصر من
قبضة المالبك

بفتكهم أول أمير عجيب خرج من قوله وثاني فحول أمراء مقدونيا محمد
الاسم على الشأن كما اشار لذلك بعض شعراء القرن ساوية بما معناه

فعلك الخير بعده حسن ذكر مستمر على مدى كل دهر

فأغنم حوز مشتهى نيل مصر فلقد شابه دما سيف نصر

وغدا في حماك ينفق رفدا فائقا عم نفعه كل قطر

فانه بقريحتة العجيبة أوصل مصر الى درجة مهيبه ثم لما آتت المملكة
المصرية الى الحكومة الاسماعيلية بعد فترة تضعضع فيها الاساس اجتهد
في ان يكسوها من المجد والفخار أعظم لباس وأن يصونها داخلا وخارجا
من الشدة والبأس حتى تكون هي مصر وناسها هم الناس ولا يتم مثل هذا
التقديم بدون انجذاب قلوب الاهالي صوب مركز التمدن والتنظيم وتوجه
نفوسهم بالطوع والاختيار الى الوفاء بحقوق هذا الوطن العظيم بمعنى أنه
اذا تشبثت الحكومة المصرية بكليات المصالح الوطنية ساعدها الاهالي كل
على قدر حاله بايجاد المصالح الخيرية الجزئية بحسب ما يقتضيه الوقت والحال
فبهذه الوسائل تحصل على المنافع العمومية في أطراف مصر واكتافها بجميع
المحال فالقوة الوطنية والنخوة الاهلية مما ينتج أظهار شمائر الاسلام ويتهيج
به دين خير الانام والفضل في ذلك للمؤسس الاول الجليل ولمن يقفو
أثره من كل وارث نبيل وسيأتي ان ما فعله المؤسس الاول هو ما بني عليه
من بعده لا سيما ما حصل من التجديدات في هذه الايام مما يكاد أن يعجز
عنه البشر فالاعمال الاخيرة شواهد وها هي نصب عين كل مناظر ومشاهد

الباب الرابع

في التثبث بعود المنافع العمومية الى مصر حسب الامكان في عهد محيي مصر جنتم كان
وفيه فصول

الفصل الاول

في مناقب جنتم كان محمد الاسم على الثان وانه نادرة عصره ومحيي ما تر مصر والمقابلة
بينه وبين عدة من مشاهير ملوك الاعصر القريية

كان المرحوم محمد على سليم القلب صادق اللمجة أمينا في تصرفه حكما
في أعماله كريما الي الغاية حريصا على عمار البلاد وفيأ في معاشرته محرصا على
ود عشيرته وجنوده ورعيته متحيبا اليهم وان كان في بعض المواطن سريع
الغضب فتمد كان قريب الرضا حليف الحلم صفوحا عن الجاني مقداما على
انتحام الاهوال صبورا على الشدائد وتنقل الاحوال شديد الحرص على
شرف نفسه وصون ناموسه قوي الفطنة سريع الادراك يجول فكره في
الامور البعيدة بصيرا في الحساب الهوائى العقلى عجيب البداهة غريب الروية
تعلم القراءة والكتابة في أفرب وقت وعمره خمس وأربعون سنة اذ ذلك
جبرا لما فاته في زمن الصغر وتدارك ما يزيد في مجده في زمن الكبر فرغب
في مطالعة التواريخ ولا سيما تواريخ الفاتحين كتاريخ اسكندر الاكبر
المقدونى وتاريخ بطرس الاكبر ايمبراطور الروس أى الموسكوف وتاريخ نابليون
الاكبر وغير ذلك من التواريخ المترجمة الى التركية مع المواظبة على الاطلاع

على ما في السكازيات الافرنجية التي كانت تترجم له وكان صاحب فراسة
 اذا تكلم أمامه أحد بلغة أجنبية فهم من النظر الى حركاته و اشاراته مقصده
 يستشير العقلاء والاهل في جل أموره وكان نشيطا يحب الحركة ويكره الكسل
 والبطالة قليل النوم سريع اليقظة يستيقظ غالبا عند الفجر يسمع بنفسه
 العرضيات التي تعرض له يوميا عند الصباح ويعطي عنها جوابا ثم يذهب
 لمناظرة العمارات الميرية التي كان مغرما بها وكان متدينا الى حد الاعتدال بدون
 حمية عصبية ولا تشديد فكان يغفر لاهل الملل والدول في بلاده التمسك
 بمقائدهم وعوائدهم مما أباحت في حقهم الشريعة المطهرة وهو أول من أعطى
 للميسوية الداخلين في الخدمات الميرية لمنافعهم الاقتضائية مزايا المراتب المدنية
 وكان يؤثر الفعل على القول بمعنى أنه اذا أراد ترتيب لائحة مهمة فيها منفعة
 للامة شرع فيها بقصد التجريب وأجراها شيئا فشيئا على طريق الاصلاح
 والتهذيب فاذا سلكت في الرعية وصارت قابلة لعوامل المفعولية كساها ثوب
 الترتيب والانتظام وأخرجها من التوه الى الفعل في ضمن قانون الاصول
 والاحكام لما أنه كما يقال أحسن المقال ما صدق بحسن الفعال وكان مولعا
 ببناء العمار وانشاء الاغراس وتمهيد الطرق واصلاح المزارع واتقان الصنائع
 والاعمال يرغب في توسيع دائرة التجارة ويستميل عقول الاهالي ليجذبهم
 الى ما فيه كسب البراعة والمهارة

وبالجملة فكان وحيد زمانه في جميع أوصافه وفريد أوانه في عدله وانصافه
 لا سيما بعد ان صفاه له الوقت عقب توليته على مصر فانه مكث قبل ذلك نحو
 خمس سنين وهو يقاسي ما يقاسي من الشدائد ويعاني من أخصامه جميع
 أنواع المكائد حتي عزم على رجوعه الى وطنه الاولي بدون صلة وعائد لكن

لو فور سعده وتعبه وكده وسبق القدر بوصله الى تمام عزه ومجده صرف
 النظر عن العودة ونال واهب العطايا ما يهيا له من تبوى بجبوحه الملك
 واعده ولا شك أنه عرف داء مصر وعلاجها في أثناء هذه المدة ولا بد أيضا
 انه كان نوى لها تحسين الحال والمآل ان بلغه الله الآمال وأمهه ولا يخفى
 أن من قصد الاستيلاء على مملكة لا يخلو عن أحد أمرين اما ان يكون
 كالصياد يقتنص مصيده بكل مكيدة أو كالمنقط لليتيم المفارق أبويه لينقذه
 من التهلكة ويجعله وليده فالأمر الثاني هو الممدوح وهو مقصد حميد
 لاولى الفضائل من اصحاب الفتوح فانه مقصد سني ومطلب هني فاستقامة
 الامور لهذا الامير الكبير وما حصل له في الاستيلاء على مصر من التسخير
 والتيسير يدل على حسن النية وصفاء الطوية فكانما أرشده الى بلوغ هذه
 المنزلة مصداق حديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له فكان دأبه في العناية
 بشؤون تقديم مصر الاخلاص وحسن النية فأعماله صارت على ذلك مبنية
 وقد خلصت نيته فهبت صوبه نعمات القبول وأصاب بشرف النفس وعلو
 الهمة واخلاص العمل ادراك المأمول (قال) عمر بن الخطاب رضى الله
 عنه سمعت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وانما لكل
 امرء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن
 كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه
 ومرجع هنا الحديث ان الامور بمقاصدها وهو معنى قوله تعالى يريدون
 وجه الله فالمدار على الاخلاص في العمل * وعن أبي موسى الاشعري قال
 يا رسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاثل حمية ويقاثل رياء فأى ذلك
 في سبيل الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة

* مطلب *
 كون فاسد
 النفع اما
 كالمائد او
 كالمقطعة
 وكسر الاجر

* مطلب *
 انما الاعمال
 بالنيات

الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل يعني فالعمدة على النية لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وقوله صلى الله عليه وسلم ليس للعامل من عمله الا ما نواه فتحت هاتين السكمتين من كنوز العلم ما لا يوقف له على غاية ولذا قال الشافعي رضي الله عنه حديث الاعمال بالنيات يدخل في نصف العلم وذلك ان للدين ظاهرا وباطنا والنية متعلقة بالباطن والعمل هو الظاهر وايضا فالنية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح (وقال) بعض الائمة حديث الاعمال بالنيات ثلث الدين ووجهه ان الدين قول وعمل ونية * وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا ينظر الي صوركم وأموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وفي حديث آخر تصعد الملائكة بالاعمال فينادي الملك ألق تلك الصحيفة فتقول الملائكة ربنا قال خيرا فحفظناه عليه فيقول الله تبارك وتعالى لم يرد به وجهي وينادي الملك اكتب فلان كذا وكذا فتقول الملائكة يا رب انه لم يعمل فيقول الله عز وجل انه نواه (وقال) الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل فكان بعضهم يقول دلوني على عمل لا أزال به عاملا لله فيقال له إنوا خير فانك لا تزال عاملا وان لم تعمل فالنية تعمل وان عدم العمل والناس في النيات على ثلاث طبقات الطبقة الاولى من ينوي بالعمل وجه الله عز وجل والطبقة الثانية من ينوي العمل لله تعالى ويشوبه بقصد الخلق تعبلا لا أصلا والطبقة الثالثة ما يكون الباعث على العمل الرياء فالإخلاص في الطبقة الاولى والتجرد من الثواب في الثانية والحرمة في الثالثة

وقد كان السلف لا يعملون شيئا الا ان تقدمه النية الخالصة ومع ذلك فقد نص العلماء أن من حجج بنية التجارة كان له ثواب بقدر قصده الحج

فكذلك الفاتح لملكه اذ انوى اصلاح حالها وتربية اهلها وتهذيب اخلاقهم
واسعادهم وتنعيم بالهم وتحسين احوالهم برفع الظلم عنهم كما يقتضى به حسن
الظن في حق المرحوم محمد على كما هو الواقع فهو مناب قطعا ولو داخله قصد
منفعة دنيوية مما لا يفارق الملوك من حب المحمدة في غالب الاحيان ولو لم
يكن من افعاله الخيرية الا تخليص الحرمين الشريفين والاقطار الحجازية من
عبد الله بن سعود شيخ الوهابية لكفاه فان ابن سعود المذكور اتعب
الحجاج بقطع الطرقات وأزعج عباد الله فعزاه جند محمد على جنتمكان وهزمه
بعد حروب طويلة وأرسله الى الاستانة فأمرت الدولة العلية بضرب عنقه
ليكون عبرة للناظرين وكذلك حروبه في مورة فانها من أجل الافعال المبرورة
حيث ان اروام تلك الجهة هجموا على الاسلام في الجوامع والمساجد فقتلوا
منهم الجمل الغفير ولم يرحموا الشيخ الكبير ولا الطفل الصغير وفتكوا بالجميع
فتكا ذريعا بطريقة فظيمة تأبها النفوس الابية وتنفر منها الطبيعة وطالما قبضوا
على سفن الاسلام وقتلوا من فيها وأذاقوه كأس الحمام وكثيرا ما عذبوا
المتولين بالتمزيق والتحريق وأضرموا نار الفتنة في جزائر البحر الابيض بين
كل فريق وحرصوا جزائر كريدورودس وساقس وغيرها على العصيان وما
خلا من فتنهم في الاروام الرعايا بلد ولا مكان ولم يقتصروا في الجبروت
والظغيان على مخالفة الشريعة العيسوية بل هتكوا حرمة النواميس الطبيعية
فارسل اليهم محمد على باشا عمارته البحرية لقمعهم وادخلهم تحت الطاعة
فخار بهم نجلة الاكبر جنتمكان فدمرهم وشنت شملهم ثم استقلوا ببلادهم وفارقوا
الجماعة ولم ينتج من هذا الحرب نتيجة تعود على مصر بالمنفعة اللهم الا ان
اكتسبت عدة من ارباب الامتياز الوافر من اعيان الاعيان الاكابر من

أهالى تلك البلاد الرومية ممن هاجر الى الديار المصرية وبها قام وأدى بها
الخدمة الصادقة ونال علو الرتبة والمقام ومن هذا الجنس الرومي من تناسل
بالقطر وعد من أبناء الوطن النظام وان كان في غزوة البلاد اليوبانية فائدة
أخرى جلييلة فاهى الا تمرين الرجال العسكرية المصرية على الحروب وممارستهم
للغزو والجهاد وتعودهم على اقتحام الخطوب تحت قيادة أحد رؤساء الجنود
المعدودين الذي لا يزال صيت صوته الجهادي باقيا الى يوم الدين وكذلك
فتح محمد الاسم على الشأن لغير هذه البلاد من البلدان كفتحه للاقطار السودانية
مما وسع دائرة المنافع الوطنية وحروبه مع والى تكا معلومة وجولان جنوده
في الشام وغير الشام مفهومة لم تكن تلك من محض العبث ولا من ذميم
تعدى الحدود اذ كان جل مقصوده تنبيه أعضاء ملة عظيمة تحسبهم أبقاظا وهم
زقود والدليل على حسن النية ان هذه الحسنة التي على صورة الجنية انتجت أصل
وراثة مصر التي ترتب عليها رفع الاصر ولولا بقاؤه تحت ولاء الدولة
العلية ومراعات حفظ الحالة الراهنة على ما هي عليه من الراجحية والمرجوحية
جلال في الفتوحات الخارجة مجال اسكندر الا كبر وحسن حالة التمدن ووجد
في جادة العمران وفعل ما فعله اسكندر حيث اتحد في البلد فكان لا مانع
ان يتحدا في المظهر فمن سعد مملكة مقدونيا وتخليد فخارها أنها موطن أميرين
جليلين بقي ذكرهما في الخافقين أحدهما من بيت الملك رأس اليونان وقادهم
وفتح معهم سائر البلدان فانتصر بالتدبير والاعوان وتغلب بذكاء العقل
وتجاريب الشجعان والثاني من بيت مجمل ونسل أمثل ساعفته المقادير واستعان
بحسن العقل والتدبير ولم يكن له بعد مولاه غير عقله نصير فعم المولى ونعم
النصير ألهم جموع أبناء جنسه المجردين عن الانتظام اقتحام العقبات وحسن

« مطلب »
كون مقدونيا
موطن امير
جليلين اسكندر
ومحمد علي

الاقدام والاحجام واستسهال الصعب لنيل المرام
لاستسهلن الصعب أو أدرك النى فما انقادت الآمال لا لصابر
فلما هزم بهم جيوش الممالك بسائر الجهات وأذهب دولة سناجقهم
وتحققت الحقائق وزالت الشبهات خلع على حزبه المراتب السنية وجعلهم
حكما في اقطار مصر وحصلت بهم الامنية ورباع كما يربي الاستاذ الطلبة
ونال بهم قصده ومأربه فلو كان الاسكندر بهذه المثابة لم يصب من العز
ما أصابه ولا بلغ نصيب محمد علي ولا نصابه وعلى كل حال فتد حل الثاني
محل الاول فكانت ذلك وثق بهذا وعليه في تميم المقاصد عول كما قلت في
تاريخ بداية القدماء وهداية الحكماء في هذا المعنى من ضمن قصيدة

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| لمصرية شأن شريف زهت به | وعز منيف قد أظلت ظلاله |
| أتاح لها المولى مليكا قد انتهى | اليها ومن أقصى البلاد ارتحاله |
| محمد أفعال على مكارم | بديع صفات لا تعد فضاله |
| يقول أناس طالع السعد حظه | وما السعد الا عقله وعقاله |
| دفآر تاريخ السلاطين سطرت | مناقبهم فاستجمعها خصاله |
| وما مثلها مقدونيا اذ سمت به | وقد كان فيها حمله وفصاله |
| منازل منها اسكندر فاتح الورى | اذا لم يكن عم الامير نخاله |
| يضاهيه في أوصافه الفر نجله | اذا ما تصدى نحو شأ ويناله |

وفي هذا البيت الاخير اشارة الى جنتم كان ابراهيم باشا كالاشارة

اليه في قصيدة أخرى في الرحلة بقولى

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| من كان مثل أميرنا فقيرينه | اسكندرا وكسرى أتو شروان |
| في كفه سيفان سيف عناية | والشهم ابراهيم سيف ثاني |

بطل مكارمه الجليله قلدت هام الزمان مكال التيجان

ولما كان محمد على يحس من نفسه بان عزماته اسكندرية كان متولعا
بقراءة تاريخ اسكندر ومنكبا عليه وشبيهه الشئ كما يقال منجذب اليه وفي
الحقيقة فكان بينهما من جميل الصفات والشئامائل ما شهدت به الشواهد
ودلت عليه الدلائل فلو استولى أميرنا على مصر وفيها بقايا من حكماء
الأعصر المصرية القديمة لحكموا بنا يعتقدده قدماؤهم في أيام الجاهلية الذميمة
من تناسخ الارواح بعد الموت وانعاشها لاجسام أخرى وان روح اسكندر
انتقلت بعده الى شبيهه فهو بها أخرى وأما نحن معاشر أهل السنة فنقول
ان تشريك اثنين وتسويتهم في الصفات الفاضلة والمعاني الكاملة هو محض
فضل من الله ومنه وربك يخلق ما يشاء ويختار وهذا القياس الفارق بينه وبين
اسكندر يجري أيضا في قياسه باصحاب الخروج والفتوحات المملكين
فقد أعانتهم ممالكهم وجنودهم وقوادهم على كسب العز والتسكين

وقد كان عصر السلطان سليمان الثاني اعظم الاعصار اذ هو الذي قدم
الدولة العثمانية الى اوج الفخار فافتتح الفتوحات العظيمة وأعلى كلمة الله ورفع
المنار وباشر الغزو بنفسه في ثلاث عشرة غزوة وانتصر في جميعها بقوة
التدبير وتنظيم الجيوش وأى قوة وبني الابنية العجيبة وفعل كثيرا من
الافعال الخيرية الغربية وأنشأ الدونما العثمانية وكان كهفا وملاذلا أكثر
ملوك البلاد القاصية والدانية وكان في أيامه باربرا اثنان من الملوك العظام
الاول شرلكان الذي كان متوليا على النمسا بلقب ايمبراطور وكان يسمى
كرلوس الخامس يعني خامس كرلوس من الايمبراطوره المسمين بهذا الاسم
وكان متوليا أيضا على اسبانيا بلقب ملك اسبانيا وكان يسمى بالنسبة لمملكته

مطلب
فتوح السلطان
سليمان

مطلب
الملك شرلكان
قرال اسبانيا
والنمسا

كرلوس الاول يعني أنه اول ملك تولى عليها باسم كرلوس والملك الثاني
 من الملوك العظام هو فرنسيس الاول ملك فرانسوا وكان يلقب بابي العلوم
 لانه كان يحب العلوم والمعارف كما كان مولعا بالعمائر العظيمة فقد أسس
 بفرانسوا مدرسة ملكية وكتبخانه وبني كثير من السرايات والتصوير وادخل
 في ديوانه الرفاهية وآداب التمدن وتهذيب الاخلاق ومع كثرة مصارفه
 وما كان ينفقه في المنافع والمنازره من خزينته اخصوصية فقد ترك فيها نحو
 أربعمائة الف دينار غير ما لم يقبضه من خزينة المملكة من مرتب التاج الملوكي
 السنوي وهو ربع مرتب السنة وكان بينه وبين شرلكان امبراطور النمسا
 السالف الذكر منافسات ومشاجرات أدت الى تواتر الحروب بينهما ومع
 أن دائرة الهزيمة كانت دائما على شرلكان الا ان فرنسيس انهزم في واقعة
 ووقع في قبضة خصمة وهو شرلكان وأخذه أسيرا الى اسبانيا فاستنصر
 الملك فرنسيس المذكور بمولانا السلطان سليمان وكتب اليه كتابا مؤرخا
 في سنة تسعمائة واثنين وثلاثين يشكو من تغلب أعدائه على مملكته ويستصرخ
 به ويستغيث فأجابته بمد صدر الكلام بقوله ان الكتاب الذي عرضته الى
 الاستانة الملوكية مع رسولك المستحق لامانتك أفادان العدو حاكم في مملكته
 وانك صرت الآن أسيرا وتلتمس من طرفي فك أسرك فجميع ذلك عرض
 على اقدام سرير سلطنتي العلية التي هي ملجأ العالم وقد أحاط علمي الشريف
 بجميع شرح كلامك ولا غرابة في أيامنا هذه اذا انهزمت الملوك ووقعت
 في الاسر فشجع قلبك ولا تترك نفسك تبجن في مثل هذه الاحوال
 لما رأينا سلفنا المجدين واجدادنا الاكرمين لم يتأخروا عن الدخول في قتال
 الاعداء وفتوح البلاد فانما مقتف لا رهم فطالما فتحت في هذا العهد كثيرا

من الولايات والحصون القوية التي لا يدومنها أحد وقد حرمت على نفسي
النوم وجعلت سيفي لا يفارق جانبي والله يسهل علينا تمام الخير وغير ذلك
فاسأل رسولك عن جميع ما جري مما استقر عليه الحال واقنع بما يخبرك به
من المقال فانه واقع لا محالة ثم بعد رد الجواب ارسل مولانا السلطان سليمان

« مطلب »

بعث السلطان
سليمان عمارة
بحرية الى
فرانسا لخدمة
ملكها

عمارة بحرية وأمر عليها خير الدين باشا فيجد بها ملك فرانس
ولما وصلت الى مرسيلى انضمت الى عمارة الملك فرنسيس وساعده
على أخذ بعض البلاد ونصرته على أعدائه ثم عادت الى القسطنطينية وكان
خير الدين باشا من أعظم قباطين الدنيا وكان قد فتح أخوه بلاد الجزائر في
أيام السلطان سليم ونزعها من يد شيخ العرب سالم بن تيمى وكان حاكما عليها
ثم تقدم أخو خير الدين باشا المذكور في توسيع الفتوحات فارعب كرلوس
الخامس حتى خاف بطشه وخشي أن يتغلب على أملاك اسبانيا التي بافريقية
فبعث اليه جيشا عظيما جرارا واستشهد هذا الامير الخطير عند هذه المدينة
تخلفه أخوه خير الدين باشا المذكور على حكومة جزائر الغرب المذكورة
ودخل في حماية السلطان سليم وقرر على نفسه خراجا للدولة عليه فلما تولى
السلطان سليمان جعله قبطان باشا على جميع الدونما العثمانية فحصر بلاد الجزائر
بالاستحكامات اللازمة

« مطلب »

سفر السلطان
سليمان بجيشه
من جهة البر الى
اوربا وعوده
منصور

وفي شهر رجب سنة احد وأربعين وتسعمائة أرسل خير الدين باشا الى
غزوة الجزائر البحرية الملحقة باسبانيا وغيرها من الجهات البرية كإيطاليا وتوجه
السلطان بجيشه من جهات البر وأرسل بطريق البحر لطفى باشا وخير الدين
باشا بنحو خمسمائة غراب مشحونة بمسافر البحر وأمرها أن يسير وتنزل
في مسكره المنصور فزلت في ثلاث وأربعين وتسعمائة فقتلت في البر والسواحل

كثيرا من الاعداء واغتنتم غنائم عظيمة وافتتحت في جزائر ذلك البحر
 اثنين وثلاثين حصنا حصينا من ممالك ايطاليا وغيرها واقتلعتها من اساسها
 وغنمت جيوش المسلمين من الاموال والسبايا ما لا يحصى وعاد السلطان مع
 سائر عساكره المجهزة برا وبحرا

وكان في سنة احدى وأربعين تقدم خير الدين باشا الى اسوار مدينة
 تونس وكان ملكها مولاي حسن من بني حفص وكان في مدة ولايته قد
 قتل أربعة وعشرين من اخوته مشتغلا ببلداته وشهوته غير ملتفت الى تحصين
 بلاده فافتتحها خير الدين باشا وطرده من البلاد غير ان هذا الفتوح لم يمكث
 الا مدة قليلة حيث ان مولاي حسن التجأ الى كرلوس الخامس فجيش على
 تونس واسترجعها بالحرب لدولة بني حفص ثم في أيام السلطان سليم بن السلطان
 سليمان صار فتحها بالدولة العثمانية وبقيت في أيديهم

ففي تلك الايام كانت الهيبة العثمانية عظيمة مرعبة ملوك اوروبا مع وجود
 فرنسيس الاول ملك فرنسا وثرلكان امبراطور النمسا وملك اسبانيا
 وفي أيام هذين القرالين اتسعت دائرة بلاد اوروبا في الفنون والمعارف
 وأخذت في كمال التقدم ومن ذلك العهد لا زالت اوروبا آخذة في تقدم
 الجمعيات التمدنية الى أن أبلغها درجة الكمال عصر لويز الرابع عشر وكان
 ذلك بهمة هذا القرال الذي تاريخه لا ينبغي أن يهمل لما بينه وبين جنتم كان
 يمد على من الشبه الاكمل الامثل عشر في المنفصل والمجمل

فناذكر منه نبذة وجيزة فنقول تولى هذا الملك على تخت فرنسا من
 سنة ألف وثمانمائة وخمسين الى سنة ١٠٧٢ من الهجرة وكان عمره اذ ذلك
 خمس سنوات ومكث الى بلوغ رشده تحت ولاية امه فتابت بنفسها عنه

« مطلب »
 اخذ خير الدين
 باشا لتونس
 من يد مولاي
 حسن من بني
 حفص ورجوعها
 اليهم ثم تمام اخذها
 أيام السلطان
 سليم

« مطلب »
 البلاغ عصر
 لويس الرابع
 عشر اوروبا
 درجة الكمال

في المملكة وقلدت الوزارة للكردينال مازارين فكانت مدة مملكته اثنتين
 وسبعين سنة فلما تم عمر الملك اثنتين وعشرين سنة باشر احكام مملكته بنفسه
 وكان يميل الى المجد والشوكة فلا زال مستورا مازارين فلما دنت وفاة هذا
 الوزير وأحس بدنو أجله وكان معهودا منه الصداقة لوطنه ومملكته أوصى
 الملك أن يستوزر بعده كولبرت وكان من كبار الرجال الفرنسية فعمل
 الملك بوصيته وكان كولبرت حسن التدبير كامل الاستقامة فبذل جهده في
 تنظيم المالية وترتيب القوانين العداية النافعة وجعل من الاصول مكافأة
 أرباب المعارف وتشويق أرباب الصنائع من الالهالي والاجانب ووجدد في
 المملكة الفرنسية عمارة سفن حربية وأسس مدارس العلوم والفنون واعتنى
 بالعلوم المستظرفة كالرسم والنقش وجعل لها مكاتب خصوصية ووجدد من
 المنافع العمومية ما صير مملكة مهابا عند الدول الاجنبية وأبطل أسباب الظلم
 والجور في داخل البلاد وأقام قسطا للمدلى والانصاف لراحة العباد ونحو
 أحوال الاقاليم في الداخل بالعمليات النافعة وتحسنت الاحكام والقوانين
 وصارت رياض المنافع يانعة

وفي أثناء ذلك استنار ففكر الملك وصار قابلا للملاحظة السياسة بنفسه
 ولا يتخاب رؤساء مملكته من كل رئيس نافع لابناء جنسه وكما أن الوزير
 كولبرت متقلدا بالوزارة الملكية كان المارشال تورين متقلدا برئاسة
 العسكرية وكان هذا الامير من فحول رجال عصره نافذ السكسة في الجيوش
 الفرنسية في نهيه وأمره حليف الصبر والحلم في حالتى الحرب والسلام لم
 يمهده عليه غضب مخل ولا حقد ولا حسد بل كان يتحجب لكل أحد مع
 ما كان عليه من الانفراد بالفضائل والمعارف والفرائب واللطائف وكان اذا

وجد من غيره عيبا ستره وخلالا سده وجبره وكان مقداما على الحروب جلدًا
عند الخطوب يحسن مكابد تدارك الاعداء ولا يحمل أحدا من العسكرية على
أن يخطو خطوة سدى فتمد قضي زمانه في خدمة الاوطان وحاز من المجد
العسكري أبهى عنوان

« مطلب »
وزارة كولبرت
على الملكية
وزارة تورين
على العسكرية

ولمات أمر الملك بدفنه في القبور الموكية وتشرف بعد انقضاء حياته
بهذه المزية وكتب على قبره من الشعر ما معناه قد دفن تورين في مقابر
الملوك وامتاز بهذه الخطوة بسلوكة في الحروب أقوم سلوك وقد أذن لوزير
الرابع عشر بذلك ليتوج بعد الموت بتاج المجازاة اذ كان هذا البطل قد
أحسن رئاسة الغزاة وليفيد ما يأتي بعده من القرون الآتية انه لا فرق في
الدرجة بين من يده قضيب المملكة والقائد الذي يصون بحسن تدبيره
الوطن من التهلكة

فجميع ما كان من الغزوات الفرنسية والانتصار فيها على الاخصام
الاجنبية كان من حسن تدبير تورين واما كولبرت رئيس الوزراء فانه قد
جدد المنافع العمومية ووسع دائرة التجارة الفرنسية بكثرة الاخذ والانتطاء
في الهند وافريقية وجعل في هذه الممالك الاجنبية قبائيات فرنساوية وسهل
التجارة الداخلية بفتح مسالك في الانهر بحيث صارت مسلوكة للسفن وكذلك
فتح طريقا بين البحرين ويني المحيط الغربي والبحر الابيض وهو خليج
لنفدوق وقد كان تصور فتحة فرنسيس الاول ملك فرنسا ولم يشرع فيه
ففعله كولبرت في ايام الوزير الرابع عشر وانشأ المصانع والمعامل والورشات
والكراخانات المتنوعة بتنوع المشغولات حتى سلب من البنادق الاختصاص
بصناعة المرايا والتجارة فيها دون غيرهم ومن الفلمنك صنعة الملابس والفروشات

« مطلب »
نجدد كولبرت
المنافع العمومية
وجاء حصان
المصنوعات
الاجنبية ومحاها
لوطه

ومن بلاد الدولة العلية الاختصاص بصناعة البسط والسجاجيد الجيدة ورتب
 المصالح البحرية من ترسانات ودواوين وعوائد وحسن الزراعة والفلاحة
 واكتسب الملك من أيام وزارته الصادقة في العمل فلاحه ونجح الاحكام
 والقوانين وهو المؤسس لمدارس العلوم الكبيرة الملوكية ومدارس الرسم
 لا سيما مدرسة رومية التي هي بحسن الرسم معهودة ولم تزل باقية الى الان
 على طرف فرنساوية ومرصودا لها دراهم معدودة ورتب مكاتب النحت
 والنقش والمباني وحسن مدينة باريس بتشيد الارصفة على نهر الصين وزينها
 باليادين المعموية الفسيحة وقوى علم النجوم بالرصدخانه الملوكي وجدد فيها
 الحسبة والضبط والربط الداخلية وأدخل حسن التربية في الجيوش العسكرية
 وسوى بالعمارات بالسوحد المينات المأمونة وبني عليها قلاع الثغور المصونة
 وجدد نفع الملة بتمامها قسلة العساكر السقط على أتم أسلوب وأكمل نمط
 وعقد لمملكة فرنسا على غيرهم من الدول عقود المعاهدات والمخالفات النافعة
 وجعل الروابط والعلاقات بينهم وبين خلفائهم متواتقة متمانعة واكثر من
 الفتوحات الفاخرة التي وسعت لعموم الوطن محيط الدائرة وقدرتى ولتير
 الفيلسوفى الشاعر لويز الرابع عشر بذكر بعض الماثر فقال ما معناه لم يتول
 قبله ملك من تلك العصابة ولا ساواه غيره في تربية الرعية بهذه المثابة
 فالفخار شعاره والمجد دثاره وكان أحظى الملوك باكتساب الطاعة من رعاياه
 والاتياد كما كان أعظمهم في الهيبة عند الاخذان والاضداد وربما كان
 دونهم في ميل الرعية اليه ومحبتهم له بانعطاف القلوب عليه فظالما رأيناه
 تتقلب عليه صروف الزمان وتلاعب به حوادث الحدثن وهو عند النصره
 يظهر الفخار ويتجلد عند الهزيمة ولا يظهر بمظهر الذل والانكسار فقد أرهب

مطل
 رثاء ولتير الشاعر
 لويز الرابع عشر

عنده عشرين أمة عليه تعصبت وعلى قتاله تحالفت وتحزبت وبالجملة فهو اعظم
الملك في حياته كما كان عظيم العبرة عند مماته انتهى

وكان في عصر هذا الملك من مشاهير الرجال جماعات كثيرون في

« مطلب »
فيمن كان من
اللاطين العمانية
في عصر لوزير
الرابع عشر

كل فن فكان الملك في أعلى درجات الفخار بالجمعيات العظيمة المؤلفة من
هؤلاء المشاهير أرباب القرائح الكاملة والعقول الراجحة الفاضلة وقد استعان
بجميعهم وعرف لكل منهم فضله وقلده من الوظائف بقدر استحقاقه فهو
مع هذه الجمعيات العظيمة التي ساعدت مظاهر سعده مخلد الذكر عند من
جاء من بعده وفي بحر مدة حكمه تولى على الدولة العثمانية ستة من السلاطين
فقد تولى لوزير الرابع عشر على دولة فرانسوا وكان اذ ذاك متوليا على الدولة
العثمانية السلطان ابراهيم بن السلطان أحمد خان الاول خلفه ابنه السلطان
محمد الرابع سنة ثمانية وخمسين والف ومات في سنة تسعة وتسعين ومائة
وخلفه ابنه في هذه السنة السلطان سليمان الثاني ويقال له الثالث ثم توفي في
أوائل شعبان سنة الف ومائة واثنين من الهجرة

ثم تولى في هذه السنة السلطان احمد الثاني ابن السلطان ابراهيم خان وتوفي سنة
الف ومائة وواحد من الهجرة خلفه في هذه السنة السلطان مصطفى خان الثاني ابن
السلطان محمد الرابع وتوفي في اوائل سنة الف ومائة وخمسة عشر ثم تولى
السلطان احمد الثالث بن السلطان محمد الرابع سنة خمسة عشر ومائة والف
من الهجرة وفي ايامه توفي لوزير الرابع عشر فقدم لوزير المذكور عمر اطويلا
بقدر عمر خمسة من الملوك العثمانية فكان طول عمره مما أعانه على كثرة
مشروعاته وانجازها جميعها

فقد علم من هذا مساعدة كبار الملوك على مقاصد من برجال مجربين يكاد

ان تنسب الافعال العظيمة اليهم كمساعدة خير الدين باشا وامثاله لمولانا
السلطان سليمان ومساعدة الوزير مازارين ورئيس الوزراء كولبرت وكالمرشان
تورين وغيرهم من مشاهير الابطال الذين لا يحصون عددا فلرحطى المرحوم
محمد علي في اوائل توليته بأمثال هؤلاء الفحول المتصنين بالسياسة والرياسة
وذكاء العقول لكان أعظم ابطال الدنيا ومع ذلك فله الفضل الذي كاد ان
يختص في كونه اعلم قريحته في تربية رجاله الذين جاؤا معه الى الديار المصرية
او الذين انتخبهم ورباهم فاحسن تربيتهم في هذه الديار وببركة يمينه وحسن نيته
الخيرية سلكوا معه سبيل الفخار ونالوا بتربيته كمال الشهرة والاعتبار
فهو بهذه الملاحظة بالنسبة لتلك الازمان حاز قصب السبق في ميدان الملوك
السابقين فهو جدير بأن يعد من عطاء ملوك الدنيا بيقين وحسبه انه احسن
تربية نبغله الاكبر ابراهيم باشا تربية عسكرية حتى شهد له بالفضل الحربى
جميع امراء جيوش الدولة الاورباوية وايقنوا جميعا انه من كبار قواد الجنود
الذين اشتهروا في القديم والحديث وانه اول امير من امراء الجنود في الدول
الاسلامية من القرون الاخيرة واما في السياسة الملكية فكان من كبار
المدبرين وادارته الخصوصية اعدل شاهد على انه لو طال عمره بعد توليته لكان
من اعظم المعمرين وقد اقتضت حكمة الحكيم ان وضع في اسمعيل سرا ابراهيم
وانه حين آل سرير الملك اليه اجرى الله تعالى كمال خير التمدن على يديه وما تجدد في
عهده من المحاسن الجمة شاهد عدل على ان مولاه وضع فيه سرا يبه وجدده وهي
نعمة عظيمة وأى نعمة

و مطلب
مساعدة كبار
الوزراء ارباب
القرائع للموكم
على التمدن

الفصل الثاني

في أن منافع مصر العمومية قد تمكنت كل التمكن من الذات المحمدية العلية وتسلطت على قلبه وأخذت بمجامع له

لا شك ان المولى اليه أدرك بقريحته الصحيحة وفطنته الرجيجة أن المملكة المثرية السعيدة وسائل الثروة فيها والسعادة هي عين وسائل الصيانة والمجادة وانه ينبغي أن يعض عليها بالنواجذ وأن لا يفتح لشواردها سبل ولا منافذ ومن المعلوم أن منبع سعادة مصر بالاصالة الزرانة فلا يسوغ لها أن توقع الثروة الا من المحصولات الزراعية دون غيرها فليس من بلاد الدنيا بلد يسهل استخراج غزارة محصولاتها كالاراضي النيلية كما أنه ليس من أقاليم الدنيا ما هو أقرب للتلف كحصر اذ أراضيتها أشد عرضة للفساد بفساد النيل فهي تابعة له وجودا وعندما فاذا أغمض النيل عينه عنها سنة من السنين وحجب عنها فيضانه المزوج بالطينة المخصبة كانت السنة عقيمة ومجدبة كما اذا أغرقها بمائه الزائد عن الحاجة واللزوم فان السنة الفرقة كسنة الشراقي تورث الهموم وحسبك في الخصب وضده ما ذكر في سورة يوسف الصديق من ذكر سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف فالآية قد اجادت في وصف مصر على وجه التحقيق وقوله فما حصدتم فذروه في سنبله يرشد الى الاحتياط والاحتراس لجميع ملوك مصر وسائر من فيها من الناس فلهذا كان حكماء ملوك مصر محتاطون في سني الخصب فلا يخرجون الزائد لنيرها من البلاد ويعتنون كل الاعتناء بحفظ مجرى النيل وتنظيم القناطر والجسور والترع والخلجان لمصلحة الري في كل طريق وسبيل فلذلك ترى من مباني

« مطلب »
كون الفلاحة
هي منبع ثروة
مصر الختقي
وتحفظ حكماء
الملوك على شؤونها

الفراعنة ما عظم نفعه من المصالح الخيرية لحفظ المزارع والمنافع النيلية فهذا
 أبدوا سعدهم وخلدوا ذكرهم لمن بعدهم واقتدى بهم غيرهم من الملوك
 وعند فتوح الاسلام سلك الخلفاء والسلاطين والولاة بقدر استطاعتهم
 في هذا السلوك وانما لما صارت مملكة مصر في قبضة الكوليمان وصار لهم
 عليها الرياسة واختلت أحوالهم وضعفت عندهم السياسة ولم يبق لهم من
 شهامة الحكام الا مجرد احسان ركوب الخيل والفروسية بدون فراسة أهلوا
 عمليات النيل ففسروا من نيل الثروة وكسب السعادة خسرانا مبينا وهجم
 عليهم الفرنسيات فلم يجدوا لهم من النظام المعنوي ولا الحسي منجدا ولا معينا
 فنبذوا عنهم بالكلية وصارت مصر في يد الفرنسيات تعد اقلها من اقاليم
 الجمهورية ولم تعد للدولة العلية الا بعد التي واللتيما فزحف عليها المماليك وبالهمة
 المحمدية العلية لم يلبثوا بها مليا ثم بتوطن هذا الامر وتوطيد هذا السرير
 أدرك انه لم يستول من الاراضي الاعلى وموات ولم يسترع الا احياء ضعاف
 الهمة وهم في الحقيقة لا اختلال الهيئه الاجتماعيه في حين الاموات

ولعل البطل الهمام المؤسس فهم بقوة فطنته ما أجاب به عن سؤال
 عمر بن الخطاب بعد الفتوح ملك مصر المقوقس وذلك ان عمر بن الخطاب
 رضى الله تعالى عنه كتب الى عمرو بن العاص ان يسأل المقوقس عن مصر
 من أين تأتي عمارتها وخرابها فسأله عمرو فقال له المقوقس عمارتها وخرابها
 من وجوه خمسة الاول ان يستخرج خراجها في ابان واحد عند فراغ أهلها
 من زروعهم الثاني ان يرفع خراجها في ابان واحد عند فراغ أهلها من عصر
 كرومهم الثالث ان يحفر في كل سنة خلجانها الرابع أن تسد رعاها وجسورها
 الخا مس ان لا يقبل مظل أهلها فاذا قبل هذا فيها عمرت وان فعل فيها بخلافه خربت

فكان المالك المستولون عليها لا ينظرون الى عمارتها وانما يأخذون ما
بداهم وراج في كل عام حتى صارت يابا وازدادت خرابا فقد كان أهملها
المالك نحو خمسين سنة بدون عملية نيلية وكانت الاراضي تفسد في كل
عام في كثير من الاقاليم حتى هجمت جيوش رمال البراري على وادي النيل
الصالح للزراعة فتكون من الرمال على شواطئ النيل تلال واكوام ولو بقي
حكم ابراهيم بك ومراد بك عشرين من الاعوام لفسدت جميع أراضي مصر
الزراعية

قال نابليون حين تأمله في أراضي مصر لوحكت هذه الديار بحكومة
منتظمة مضاهية لحكومة فرنسا وايطاليا وانكتراد النسا زادت مزارعها
وأهاليها ثلاث أضعاف ما كانت عليه في أيام المالك فان المزارع تجلب من
سواحل أفريقية ومن جزيرة العرب خلقا كثيرين ينتجعون اليها للسيرة لما
فيها من الخيرات انتهى فقد سخر الله تعالى لها محمد على لاجياء مواتها وقد
قال صلى الله عليه وسلم من أحيأ أرضا ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق يعني
من عمر أرضا فقد ملكها بالاجياء والتمير وليس لمن عرق شجرة
ظلمة حق فيما عرسه وورد أيضا من احيا أرضا ميتة فله فيها أجر وما اكله
العافية منها فهو صدقة والمراد بالعافية كل طالب رزق من آدمي أو غيره وصفة
الاجياء التي يملك به الموات شرعا ما يعد مثله العرف عمارة للمحي فيختلف
ذلك بحسب الغرض منه الا ان اجياء الديار المصرية هي حياة عمومية ملوكية
فلعله خطر في خاطر ولي النعم الملحوظات الآتية

« مطلب »
راى نابليون
في محضر ارضي
مصر واستغلاها
ونكثير أهاليها

« مطلب »
ما خطر في بال
محمد على من
النعوظات الستة
لاجياء ما ز مصر
من الموات
والتشيت اسباب
الاجياء

الاولى أنه لم يكن للنيل في هذه الايام الا فرعان فرع رشيد وفرع
دمياط وأنه يجب عمل أفنال وسدود لهذين الفرعين بطريقة تقتضي ان لا

ينصب ماء النيل في البحر الابيض الا ما لا يمكن تركه فهذه الوسيلة يكون
 ماء النيل الفاضل جسيما ويمتد على كثير من الاراضي زيادة عما هو عليه فهذا
 تتسع الارض الصالحة للزراعة أو للسكنى أزيد من الحالة الراهنة

الثانية اذا صار الاعتناء بتطهير الترع واخراجها كما ينبغي وصار الاجتهاد
 في تكثيرها بقدر اللزوم تمكث المياه على الاراضي جزأ عظيما من السنة
 فيتسع وادي النيل ومجراه ويمتد فيروي الاراضي الصالحة للزراعة فمن هذه
 الاراضي القابلة للغرس الواحات الخارجة وجزء عظيم مبدؤه من بركة الفرما
 وسائر البحيرة ومريوط وما حوالى الاسكندرية فان جميع تلك الاراضي
 كانت في الازمان القديمة عامرة بالزراعة ليست من مآثر النيل محرومة
 الثالثة قد صرح بوجه الخدس والتخمين ان بواسطة الطريقة السابقة المستحسنة
 جدا اذا اجريت بالضبط والمواظبة وحسن الهندسة الصادرة عن فكرة سليمة
 الناتجة عن حكومة منظومة تزيد في مزارع مصر العامرة ما ينيف عن
 تسعمائة فرسخ مربع

الرابعة الظاهر أن النيل في الاعصر السابقة سبق مروره بالقيوم بالارض
 المسماة هناك بحرا بلا ماء وجرى من القيوم الى بحيرات النطرون وكان يخرج
 منها فينصب في المالح من المحل الذي خلف قلعة العرب والظاهر أيضا ان بركة قيرون
 المسماة بحيرة موريس التي هي كذلك بالقيوم سدت هذا الفرع وصارت بحيرة
 الخامسة من المعلوم مما سبق أن خصب مصر ويمنها متسبب عن النيل
 ويمن غيرها الزراعي متسبب عن اختلاف الفصول والامطار فهذا كانت
 مصر مستعدة لكسب السعادة اكثر من غيرها بشرط انظام حكومتها
 واجتهاد اهلها لان اختلال حكومتها يخل بمزارعها بخلاف اختلال غيرها

من الحكومات فلا يؤثر شيئاً في جريان الفصول والامطار فينتج من هذا ان مصر اذا توفرت فيها شروط انتظام الحكومة واصلاح النيل وسهولة وسائل المنافع العمومية ودفع المضار النيلية كثر خيرها وبرها واذا اختلفت فسدت مزارعها فاختلفت مصر من السنين الماضية اضر بها كثيراً مع انه يمكن ان تكون ارض مصر ومزارعها مستوية الخسوية في جميع اجزاء الاقليم بخصوصية واحدة اذا صار تعهدا على الوجه السالف الذكر بخلاف ما اذا أهملت جسورها على عملها المعتاد وتركت الترع بدون تطهير فان ذلك يوجب تلف الاقليم بتمامه ويجعله صحراء لا ينفع بها فتأخير العمليات عن مواعيدها موجب للتلف فان الزراعة والحصد مبنيان على ازمان فيضان النيل وكميات مياهه وبفوات العمليات تفوت مواعيد الزراعة والحصاد

السادسة اذا صار الشروع في عمارة قناطر عظيمة تسد فرع دمياط ورشيد في المحل المسمى بطن البقرة وعمل لها ابواب ورباحات ومصارف فان بواسطة ذلك يحصل تحويل النيل للمحلات التي لا يصل اليها بدون ذلك فمصلحة الري تصير كاملة ويصير ماء النيل عند الفيضان ضعفين بحجز مياهه ومنع الاسراف فيها بانصبابها في البحر هذا ما تصورته الفكرة الجليلة المحمدية العلية لا سيما مما ارادت اجراءه فيما بعد ببناء القناطر الخيرية وبالجملة فكان ميل جنتم كان متوجها كلية الى بذل مجهوده وقوة نشاطه لا حياء عملية الري والزراعة وعن ذلك نتج احياء مصر وأهلها واستنشقت في أيامه رائحة الراحة لانه لما كان الري مضمونا بهذه العمليات صارت الاراضي المصرية التي هي عناصر ارزاق الاهالي ذات اثمان غالية لكونها تؤدي محصولاتها بغاية من السهولة بشرط ترتيب المياه والاقتصاد فيها فكانت الحكومة المصرية دائماً متشبثة

بتحسين مصلحة الري والاحتراس من الفرق والتشريق فقد سلك جئتمكان
 في ذلك مسلكا حسنا اذ في اقرب زمرا اكتسب من مائة الاراضي اضعاف
 ايرادها الاول بقدر ست مرات قبل أن يفرغ تكثير العمليات النافعة وانما
 تأخرت أعمال الري الجسيمة التي هي أهم من غيرها في حد ذاتها وبالنسبة
 للاهالي وتكثير ايراد المملكة لان غيرها كان في ذلك الوقت أهم منها وهو
 ايجاد المساكن وتكثيرهم والاحتياج اليهم لتصميم مدلكه والامن على نفسه
 وحماية الوطن فكانت بالنسبة الى الباشا المرحوم جميع المنافع العمومية الملكية
 عرضية ونابعة للمسكرية التي لها تصميم كرسى الديار المصرية فلم يلفت لرواج
 الزراعة البلدية الا التفاتا نوبا ولم يصرف عاينها في أوائل حكمه الا مقادير
 غير جسيمة بالنسبة لما صرفه على تاسيس المسكرية ومع قلة الايرادات
 اذ ذلك فكان يحسن تدبيره ويقنن ايراده على قدر مصرفه فلماذا لم تكن تحسينات
 الترع والجسور في مبادي أحكامه متسعة بل كن يقتصر فيها على الضروري
 منها

« مطلب »
 صرفه محمد
 على في مداه امره
 لظيم المداه
 المسكرية وايناره
 لها في كثير من
 المنافع العمومية

ومن المعلوم ان النيل لا يقاس به غيره من انهار الدنيا فانه يستدعى
 للاقتصاد فيه تدقيقا مستمرا وتأملا متكررا فلا ينبغي ان يقاس بالانهار الواسعة
 البوغازات فان لها عند مصبها ما يسمونه حاجزا وهو السيف الذي يرسب
 من الطين وغيره من الاشياء المتجمعة في البوغاز وهذا الحاجز يصادم مياه
 النهر عند انصبابها في البحر فيجمل مجرى المياه وانصبابها بطيا وأما النيل فان
 بوغازه عريض عرضا ذريعا غموصا به في ايام فيضانه وفي مائه من الطين
 الذي يتحول معه من بلاد الحبشة جزء عظيم فيتكون منه عند بوغاز رشيد
 حاجز كبير جدا يعوق السفن المارة من النيل الى البحر عن الدخول فيه

« مطلب »
 مداه قياس النيل
 بغيره من الانهار

أو يجعل دخولها خطرا وليس لمصر الأ طريق واحد من النيل الى هذا
 البحر تنقل منه محصولاتها فلما كان في أوائل حكومة المرحوم محمد علي طريق
 رشيد هي دون غيرها الموصلة لنقل المحصولات لمن يسافر الى البلاد الاجنبية
 اضطر في سنة اربع وثلاثين ومائتين وألف من الهجرة أن يفتح ترعة بين
 النيل والاسكندرية وكان في قديم الزمان ترعة تسمى بالخليج الاشرى باقية
 الاثر وكانت توصل مياه النيل الى صهرنج اسكندرية وقت الزيادة فكان
 يمكن توسيعها والسفر فيها الا ان جنتم كان محمد علي عمد الى انشاء ترعة
 جديدة سماها المحمودية فكانت من أنظم الترع التي أنشأها على كثرتها
 فقد نصح كثيرا من الترع والخلجان الا انها منفردة في جهات عديدة ونافعة
 في مواقعها ولم يعمل صورة رى واحدة عمومية بحيث يجتمع المهندسون
 لرسم ميزانية مصرية مؤلفة من مجموع الترع والجسور اللازمة لشغولته
 بما هو أهم من ذلك مدة طويلة في مبادي أمره وفي اثناء ولايته وانما بعد
 مدة طويلة انسعت آراؤه في العمليات وعرف الاسباب والمسببات واكتسب
 التجارب وتفرغ للعمليات النافعة وكان قد جاء أوانها وتوفرت وسائلها
 ونفقاتها وذلك أن النيل في الحقيقة منه تكون قلب مصر وقالها وهو الموجود
 للرطوبة الضرورية للقطر اذ لا يستغنى القطر عنها فالنيل نائب عن الامطار
 المرطبة في البلاد الاخرى وزيادة على ذلك هو الجاذب للطمي الذي هو
 عنصر الخصوبة وأصل النماء والبركة حتى استظهر بعض الطبائعيين أن
 جميع وادي النيل متولد من الطمي ويؤيد هذا القول ما ذكره الاقدمون
 من أن الوجه البحري متولد من تراكم الطمي الطيني الراسب من فيضان النيل
 السنوي وأن شكل ساحل البحر الذي على هيئة نصف دائرة علامة قوية

« مطلب »
 انشاء ترعة
 المحمودية لتسهيل
 النقل

« مطلب »
 تفرغ محمد علي
 للعمليات النافعة
 لزودة مصر عند
 الاوان

« مطلب »
 زعم بعض
 الحكماء ان
 ارض مصر
 حادثة من
 الطمي

على صحة هذه الدعوى

وعلى كل حال فمن المحقق ان النيل كل سنة يحصل منه تغيرات
وتبديلات وتحويلات يترتب عليها ثلاث مضرات ينبغي التأمل فيها لتداركها
الاولى ان تراكم الارساب الطينية يتسبب عنه ارتفاع ارض وادي
النيل بقدر لا يصله الري فتضيق كميات الاراضي الزراعية التي يصل اليها
الماء عند الزيادة

« مطلب »
الانتباه المضار
الثلاث النبية التي
يجب التحفظ منها

الثانية ان النيل حين بفيض بحفر الارض وينجر الحصباء فينفذ في
خلال القيوف فيسقطها فيحدث من ذلك كل سنة انخفاضات جسيمة
فيتسع فرش النهر ومجراه وبقدر ذلك تتناقص تسوية ميزانية النهر وينحط
سطحه فيتولد عن هذا ان الاراضي التي كانت تفرق سابقا بالماء مدة الزيادة
صارت بعيدة الآن عن النيل بمسافة بحيث لا يصعد اليها الماء فبهذا صارت
يابسة ولو في زمان الزيادة وهذه الحالة ملازمة للحالة الاولى

« مطلب »
مضار البحر
عند مصب النيل

الثالثة ان النيل من حيث انه غير محبوس بجور على البحر عند بواغازه المصادم ماؤه ماء
البحر عند مدة ويجور البحر المالح ايضا على الاراضي المستجدة التي يضيق عنها
نطاق الري فيتلفها وسيأتي فيما بعد معالجة هذه الملل الثلاثة المضره بوادي النيل وبيان
مضرة البحر المالح للاراضي الزراعية انه في شهري برمودة وبشنس يكون
ماء النيل قليل المياه منخفضا فيصعد البحر المالح نحو ثلاثة فراسخ فوق دمياط
ورشيد فيرسب منه رسوب كالربوات من المياه المالحة المنخفضة الزراعة
فيتكون من ذلك البرك المالحة فمن ذلك بحيرة المنزلة وغيرها من البحيرات
التي كانت مزارع وزالت ثم ياخذ النيل في الزيادة في الصيف ويحصل الوفاء في
الخريف فيبقى النيل مستمرا على زيادته مدة ايام ثم ياخذ في النقص شيئا فشيئا

« مطلب »
مضار البحر المالح
عند مصب النيل

حتى اذا دخل فصل الشتاء كاز ماؤه منخفضة جدا ولكن لا تزال المياه موجودة
في الترع الكبيرة ففي هذه الحالة يدخل فصل الزراعة فاذا انقضى فصل الخريف
يبتست جميع الترع ونضب ماؤها ماعدا عدة ترع مستثناة يسقى منها بالراحة
او بالآلات ففي هذا الفصل تسقى الزروع والغروس في اكثر محال الديار
المصرية بالتوايت والسواقي الا ان طريقة السقى على هذا الوجه ضعيفة شاقة
كثيرة المصاريف ومع ذلك كله لا ينتفع منها الا قليل من المزارع لا سيما
القريبة من النهر

فبواسطة السقى الدائم يحصل من مزارع الديار المصرية ثلاث محصولات
او اربع في اكل سنة ولكن اغلب ارضي مصر ملاق غير رواتب فلا تسقى بتلك
الطريقة بل يعمها الماء وقت الرأى حسب العادة فلا تزرع الا مرة واحدة
ولا تؤدي الا محصولا واحدا في السنة فقد لوحظ بالقانون الهندسى انه اذا
صار تعمم النيل بترتيب مساقى مرتبة على فصول السنة وتوفيق السقى على
مزاج القطر وما يناسب من اصناف الزراعة فانه يترتب على هذا إيجاد عدة
محصولات للمزارع في السنة

مطلب
تكثير عدد
المحصولات بمجمل
الارض رواتب

فاذا تأمل أهل الزراعة الي اسباب تكثير المحصولات وتعددتها وما تستدعيه
من القوى غير المعتادة والاعمال المدبره فان هذه القوى تساوى القوى الطبيعية
في تنمية المحصولات فقد لاحظ جنتمكان محمد على باشا انه ينبغي قبل كل شيء
ابطال الاسباب الطبيعية الموجبة في اكثر الاوقات لتنقيص اراضي الزراعة على
التدرج وانه لا يدرك مرامه في الثروة والغنى الا بالانتصار عليها وهزمها
اذهي اعدى عدو للبلاد كما انتصر في وقائمه الحربية

مطلب
ازالة الموانع
الطبيعية الموجبة
لتنقيص اراضي
الزراعة

الاول من هذه الاسباب ارتفاع وادي النيل المانع لري عدة محلات

والحاجز لعمومها بالماء

الثاني تلف القيوف المسبب عنه توسع فرش النيل و انحطاط ميزانية مائه
 الثالث جور مياه البحر المالح وامتدادها على الارض الزراعية و سلبها منها
 على التدرج بمقادير واسعة فهذه ينبغي معالجتها وقتيا بما يليق بها من الاصلاحات
 كتسبيخها وتسميدها وتوصيل المياه اليها ولو لم تنتج بهذه المعالجات قدر عدة
 المحصولات السنوية الا ان فائدتها تنسب الزراعة على اسلوب واحد بحيث
 ان الماء يصلها فلا تهمل الى حد حصول التداركات الموفية بالغرض واسهل
 طريق في منع تلك الاسباب المضرّة وازالة ضررها دفعة واحدة في آو واحد
 مع الاقتصاد في المصاريف هو ان يحصر النيل بسدود لا تئقّة يعني ان يعمل
 له بالهندسة والهندسة فرش محصور محدود لا يمكن معه اتلاف القيوف فالجزء
 الزائد من مهبانية النهر الذي يطفو على السدود من الفيضان يصير تصريفه
 بالتوزيع على الاراضي والحيطان كما كان جاريا قبل عمل السد فيحصل الطمى
 كالعادة

فهذه العمالية تجعل فرش النيل محصورا وتزيد في سرعة جريان ماء النهر
 عند مصبه فيتجدد من هذه القوة فائدة عظيمة لان ماء النيل يزاحم حينئذ مياه
 البحر الملاطمة له ويغلب عليها فيصدها ويرد امتدادها وانتشارها بما فيه من
 السرعة والقوة ويطردها طردا عنيفا كما فعل ذلك في بعض انهر اوروبا التي
 بهذه المثابة وهذا المنى هو الباعث للمرحوم على عمل الجسور العظيمة وعلى عمل
 القناطر الخيرية التي هي من اعظم المنافع العمومية المصرية كما يذكّر في الفصل
 الثالث من الباب الرابع

الفصل الثالث

فما دبره المرحوم محمد تلي من اصول المنافع العمومية الجسيمة والوصول بها الى الحصول على التمدعات العميمة في زمن يسير بمالو أجزاء من الملوكة جهم غفير بعد من العمل الكثير وحسن التدبير

الغرض التكلم على ري الاراضي وسقيها بما ينخص العادة والامور الهندسية التي هي ايضا من تدبير الحكمة الالهية والافلو نظرا لمحض الحكمة الالهية لقلنا كما قال المزالي رحمة الله تعالى في احياء علوم الدين ان الرغبة لا يستدير ويوضع بين يدي الآكل حتى يعمل فيه ذنبا وسيتون صانعا ولهمهم ميكايل عليه السلام وهو الذي يكبل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجر السحاب والشمس والقمر والافلاك ودواب الارض وآخر ذلك الخباز انتهى ويقاس على ذلك كل فرع من فروع المعاش فالعمل هو الذي عليه المدار وهو القوة الآولية في ابراز المنافع الالهية كما سبق في الفصل الثاني من الباب الاول فان ما يأتي في العمليات اليلية نلخص ارض مصر بؤيد ما ذكر في ذلك الفصل ومن المعلوم ان مصلحة الري التي هي عارة عن عمل الترع والجسور والقناطر من أهم مصالح الحكومة لان هذه المصلحة اليلية لها مدخل عظيم في غنى الاهالي وسعادتهم كما ان لها تأثيرا عظيما في تكبير ايراد المملكة المصرية لان النيل هو رأس مال البلاد والاقليم كما قال بعضهم

لمصرنا من نيلها ثروة فالرزق من اصبمه يجري

يقول من ابصره احمر قوموا انظروا للذهب المصري

فاذا كان النيل في يد مدبر نشط أحسن التصرف فيه فانه يربح ربها

عظيما بخلاف ما اذا كان في يد انسان مهمل أو جبان أو فآر همة أو جاهل
لا يدرك العواقب فانه يتلفه بسوء تصرفه فيكسد رأس ماله الذي هو النيل
وتذوق مصر عذاب القحط الويل لانها بدون الري ليست الا بلاقع فعمارتها
بقدر حسن التصرف في مياهها النيلية فالنيل بالنسبة اليها كالدّم لجسم الانسان
فقوة البدن بقدر ما فيه من الدماء كما قال بعضهم

ان الدماء قوام لكل جسم صحيح

وحجرة النيل فيها قوام جسم وروح

فصلحة الري العمومي هي عملية الاقتصاد في النيل وتدير مياهه فقد
كانت مصر في أيام الفراعنة ذات قناطر وجسور حسنة التدير والتقدير حتى
ان الماء كان يجري تحت منازلها بمقدار منافعها فيجسونه حيث شاؤا
ويرسلونه حيث شاؤا وذلك معنى قوله تعالى فيما حكى عن فرعون أليس لي
ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ولم يكن يومئذ ملك
أعظم من ملك مصر

لا مطلق
ما يترتب على
ان نظام مصلحة
الري

فاذا انتظمت العمليات باصول واسعة فان أرض مصر الزراعية تزيد
وتمد وتكثر وسائل ثروتها وتمدن وشوكتها وقوتها المملكية وأما
اذا بقيت قليلة الترع والجسور عديمة الانتظام والتطهير والاصلاح والترميم
فانه ينحط قدرها ويظهر الفقر والمسكنة على أهلها ويضعف تمدنها فلا بد من
صورة تنظيمية وأصول اجتماعية مستوفية للمذاهب المائية وقوة اجرائية
ومثل هذا لا يكون من وظيفة الآحاد والافراد ولا من محض وظيفة
القرى والبنادر والبلاد سواء كان بالاجتماع أو بالانفراد بل هذه وظيفة لقوة
الحاكمة العمومية التي هي من المولى تبارك وتعالى كالوصى على مصر وعلى جميع

الاجتماعية

الرعية فنفوذ الحكومة هو الذي يتعهد اصلاح هذه الدرّة اليتمية وليس في ممالك الدنيا مملكة لصاحبها النفوذ الحقيقي على الزراعة والفلاحة الا صاحب مصر فانه لا يجد في اهمالها فلاحه وتقدر نفوذه على ادارة الزراعة يكون له النفوذ على الاهالي واما غير مصر من البلاد التي ربيها بالمطر فليس للحكومة عليها ولا على قلوب أهلها كبير تسلط

ولما كان رى مصر دائما صناعيا مدبرا كان لا بد فيه من حسن الادارة المائية والضبط والربط في تطهير الترع وبناء الجسور والقناطر فان كانت الحكومة المتولية على مصر سيئة التدبير أو قليلة العدل أو ضعيفة القوة فانها تقتصر على تدبير بعض الاقاليم دون بعض أو بعض الاملاك الخصوصية على قدر منفعتها وتجهف بالمصلحة العمومية فلا تخلو الاقاليم في داخلها من المشاجرات بين الاهالي واذافتحت الحكومة رعة عظيمة خصوصية أو أهملت رعة في الترع وجعلتها عرضة للتلغ ترتب على ذلك ان الري لا يكون الا في أماكن قليلة فتتناقص كمية الاراضي الزراعية عن اصولها الانسانية وهذا الخلل انما يترتب على عدم الحكومة المركزية فان حكومة الممالك الاختلافية لما تجردت عن القوة المركزية ووحدة الحكومة تجردت بالضرورة عن صورة الري العمومية المصرية

فقد كانت حكومة الممالك مؤلفة من عدة سناجق تتوزع بينهم اقاليم مصر وكل سنجق يقطع لكشافه القرى والنواحي وكان كل سنجق منفصلا عن غيره بادارته وسياسته لا يتبع الا هوى نفسه ولا يطع الا ما يسوله له عقله من وسائل التخريب وان كان مستقيما للصدفة والاتفاق فالغالب عليه التكاثر وعدم النشاط فكان في أيامهم لكل قسم وكل قرية رعة وجسور خصوصية لا ينتفع من السقي منها الا أهلها ولم يكن بينهم روابط عمومية

مطلب
حالة الري في عهد
حكومة الممالك

فكان اصحاب الاراضى والمزارعون لما المجاورون شطوط الماء بمحتكرون
 الري والسقى ويحتلسون من المياه ما هو قريب منهم وينعمون الاراضى
 البعيدة من ذلك مع كونها لها حق فى مشاركتهم فى المياه عند الفيضان فكان
 يذشأ من هذا ما لا مزيد عليه من عداوة قرية لآخرى ورتب ارتب على ذلك
 القتال وسفك الدماء فهذه الحوادث الجارية فى أيام حكمهم تفهقرت العمليات
 الهندسية الموروثة عن الرعاة والرومانيين ومن بعدهم من الخلفاء والسلاطين
 ممن كانت دولة مصر فى أيامهم منظومة كإيام احمد بن طولون فانه لما تولى
 الامير احمد على مصر تسلمها من احمد المسبر وقد تلاثى أمرها وانحطت خراجها
 فاهتم ابن طولون فى عمارة جسورها وبناء قناطرها وحفر خراجها وسد ترعها
 فاستقامت أحوال الديار المصرية فى أيامه ووصل خراج مصر مع وجود
 الرخاء أربعة آلاف دينار وثمانمائة ألف دينار يعنى أربعة ملايين دينار
 وثلث مليون تقريبا وهذا غير ما تحصل من المكوس وكان ملكا شجاعا
 صاحب جوش وسخاء كثير الاموال والخزائن مستقلا بمملكة مصر يستوفى
 خراجها وكانت مصر فى أيامه عامرة أهلة كثيرة المحصول لرفقته برعيته
 وتكثير ثروتهم وقوتهم وعدم ظلمه وجوره عليهم، ما كان تحصيل الاموال
 الكثيرة جدا منها الاسبب عمارتها فكانت كالروض البهين فى زهرتها ونضارتها
 فتقد بنى مدينة شرقى مدينة القسطنطين وسماها القطن وكانت مدينة جليلة
 بنيت قبل القاهرة وكانت ميلا فى ميل أولها من كوم الجراح الى الصايبه
 وعرضها من قناطر السباع الى جبل المقطم فلما فرغ من بنائها اسكن بها
 جنده وكان قريبا من المائة ألف ثم ابتداء بناء جامع الذى بلغت النفقة
 عليه مبلغا جسيما ورأى احمد بن طولون الصناع يبنون فى الجامع ويأخرون

الى دخول الليل وكان في شهر رمضان فقال متى يشتري هؤلاء الضعفاء
 إفتار العياهم وأولادهم اصرفوهم بعد العصر فصارت سنة غالبية الى اليوم
 بمصر قيل لم يكن بمصر بقعة أعظم من البقعة التي بنى فيها هذا الجامع وكانت
 تسمى جبل يشكر وهو مشهور باجابة الدعاء فيه وبني أيضا بجوار هذا الجامع
 مارستانا وصرف عليه ستين الف دينار والظاهر انه أول مارستان بمصر
 وجعل به خزينة الشراب والادوية وكان يجلس على بابه كل يوم جمعة طيبان
 يرسم مناظرة الضعفاء وأرصد عليه الاوقف الكثيرة الدارة وقد أصحح
 أيضا مقياس مصر وصرف عليه الف دينار فاين حسن عدله وتدييره من
 ظلم المماليك الكيلمان في الاعصر الاخيرة وتدميرهم للبلاد فمدار العار على العدل
 وبضدها تتميز الاشياء كما قيل

عليك بالعدل إن أوليت مملكة واحذر من الظلم فيها غاية الحذر

فالملك يبقى مع الكفر الذميمة ولا يبقى مع الجور في بدو ولا حضر

فلذلك في مدة أحكامهم صارت مصر تفقد كل يوم عناصر حياتها على
 التدرج بانحلال الانتظام فكانت مصر محتاجة الى نظمها في وحدة حكومة
 مركزية فاندركت مرامها بنادرة المصور وهي الذات المحمدية العلية ولولا
 ان رزقت بالمرحوم محمد علي باشا لدرست رسومها بالكفاية فقد أسعدهم الله
 سبحانه بسيادته وكان اتقاده لهم من قبضة الظلمة سببا لسعادتهم وسعادته
 فانه اهتم باصلاح الترع القديمة باثربهم وجدد ما اقتضته الضرورة من
 الترع والجسور والتناظر ما عاد على الزراعة بالحسين والتقديم

وقد اسلفنا الكلام على ترعة المحمودية وعلى منفعتها العمومية ولايسمنا
 هنا ببرد جميع العمليات المائة التي صارت في ايام حكومته المدلية وانما

« مطلب »
 تسخير أولي
 تبارك وتعالى
 محمد علي
 لاجلاء عمارة
 مصر

نذكر بعضها فنقول ان من جملة أعماله عمل الجسر الاعظم الممتد بطول
 النيل على الساحلين مبدؤه من جبل السلسلة في الصعيد وانهاؤه الى بحر
 اسكندرية وهو محيط بالوجه البحري فهذا الجسر سد عظيم يحفظ بقاء مياه
 النيل في فرشه ومجراه فاذا ارتفع الماء عند الفيضان حفظته الجسور من انتشاره
 وتفريقه للبلاد كما ان هذه الجسور تحفظ أيضا مياه النيل في زمن الري مدة
 طويلة على الارض حتى يسب طينها النافع وتحصل فائدة الطمي وقد صار
 عمل هذا الجسر الاعظم الحافظ للمياه في ظرف سنة واحدة بدون اتعاب
 للأهالي اذ كل بلد أعانت في عمله بقدر ما يخص بلدها منه وهذا كله غير
 القناطر والجسور الخصوصية المنشأة في الاقاليم البحرية والقبيلية لا سيما
 بالجهات البحرية فانها اخصبت جدا وتكاثرت فيها زراعة الاصناف وعلى
 الخصوص زراعة الاقطان اذ صارت ضامنة الري اياما كانت زيادة النيل
 بخلاف الصعيد فانه لم يصل الى هذه الدرجة القصوى اذ لم تغفل عنه عين
 المرحوم طرفة عين وان لم يجتهد في اصلاح الصعيد بمثل ذلك الاجتهاد مع
 أن أغلب ملوك مصر في الازمان القديمة كانت همهم في تحسين الصعيد
 وتمدينه حتى قيل ان الاقاليم القبيلية كانت سابقة التمدن قبل الاقاليم البحرية
 قيل ولعل سبب تراخي اعتنائه به كمال الاعتناء أن الصعيد لا يصلح لزراعة
 الاصناف كالوجه البحري لا سيما زراعة القطن وان كان الصعيد ينجح فيه
 زراعة الكتان والافيون وغير ذلك بل والقطن على قلة حتى ان زراعته في
 بلاد النوبة التابعة لمصر ناجحة وانما تحتاج لعزيمة الحكومة فكمال الاهتمام
 في المصالح النيلية مبقية لعناية حكومة الذرية المتولية العزازة
 ومن أحوال الصعيد الآن أن السنين التي فيها زيادة النيل متوسطة

لا بد أن يبقى فيها منه جزء بدون ري وإنما أكثر مزارع مديرتي اسيوط
وجرجا ضامنة في هذه الحالة للري والظاهر أن هذا الوصف في تلك الجهة
حاصل من قديم الزمان

مطال
تصوير الاراضي
للرشيد
واستحسانه منها
اقاليم الاسيوطية

فقد ذكر بعض المؤرخين أن الدنيا كلها لما صورت للرشيد لم
يستحسن منها إلا كورة اسيوط لان من مساحتها ثلاثين الف فدان في استواء
الارض لو وقع فيها قليل الماء لانتشر في جميعها لا يشرق منها شيء يزرع
بها السكتان والقمح والقرطم وسائر أنواع الغلات فلا يكون على وجه
الارض بساط أعجب منه وبها مناسج الارمني والديبقي والمثلث وسائر انواع
المنبوس الذي لا يخلو منه ملك اسلامي ولا جاهلي وبها الخس والسفرجل
الذي يزيد على كل بلد في كثرته وبهائه والليمون الذي يحمل الى سائر
الآفاق وبمدينة أخميم من عمل الاسيوطية الطراز الصوف الشفاف والمطارف
والمطرز والملم الابيض والملوكي ويحمل منه الى أقصى البلاد والى سائر
الآفاق يبلغ الثوب منه عشرين ديناراً والمطرز مثله فهذا يدل على حسن
الزراعة والصناعة بتلك الجهات انتهى فانظر ما حكاه المؤرخون في شأن
أسيوط وأخميم فانه يتراءى استبعاده مع ان الواقع أن قطرها الى الآن قابل
لمثل ذلك ولعله يعود الامر كما كان وفي قريب من الزمان

وقد كان تصميم جنتم كان على ان يعمله ترعة عظمى محاذية للنيل على
استقامة الصحراء وتكون فوهتهم من عند جبل السلسلة فلم يرمه الا انه
صار عمل بعض ترع فوق البلينة اصلحت كثيرا من المحال بتلك الجهة حتى
صارت حيضان تلك الجهات تروي من بعضها في ابام اخذ النيل في النقص
ومع صرف المرحوم المشار اليه همته العالية في مصلحة الري في الاقاليم البحرية

فلم ياخذ الري فيها حده الا كمل بسبب تعذر تطهير الترع في مواعيدها كل سنة
 مع اتساع الدوائر الزراعية اتساعا وافرا في الاقاليم البحرية ولا تكمل مصلحة
 الري الا بايجاد القناطر الخيرية على فرعي النيل المتفرقين من شلقان الذين احدهما
 شرقي وهو فرع دمياط والثاني غربي وهو فرع رشيد وذلك ان هذين الفرعين
 يتكون منهما مثلث وهو الجزيرة المسماة ايضا بالدلتة ومنها تروى عدة مديريات
 وهي مديرية القليوبية والشرقية والدقهلية والمنوفية والغربية الا ان ارتفاع هذه
 المديريات منهما لا تكون تامة الا في زمن فيضان النيل واماني ايام التعاريق
 فان مياهها تنصب في البحر المالح ولا تعود منها على الزراعة اذني منفعة فانصبها
 في البحر المالح يفض خسار على الزراعة فاستصوب المرحوم فنظرتهم من
 امام شلقان الى بر المناشي بقنطرتين احدهما على البحر الشرقي والثانية على البحر
 الغربي بعيون كثيرة وان تكون القنطرتان على استقامة واحدة من البرين يعني من
 بر شلقان الى بر المناشي وان يبنى على رأس الجزيرة رصيف يكون ابتداءه من
 الشط الغربي من فرع دمياط وانهؤه الى الشط الشرقي من فرع رشيد فائدة هذا
 الرصيف منع المياه من ان تقطع رأس الجزيرة فتفرق المنوفية والغربية وان يكون
 هذا الرصيف عاليا جدا بحيث لا يرتفع اليه الماء عند الفيضان وان يعمل اعيون هذه
 القناطر الخيرية وابواب محكمة تقفل وتفتح بحسب الاقضاء لحبس المياه وارسالها
 وان يعمل ايضا لمساعدة القناطر الخيرية ثلاث ترع رياحات تكون فوهاتها من فوق
 تلك القناطر الخيرية احدي هذه الترع يكون معد الري القليوبية والشرقية والدقهلية
 بالراحة وفوهاتها من الشط الشرقي قبل شلقان وترعة الثانية تكون فوهاتها من
 وسط رأس الجزيرة يعني من منتصف الرصيف وتكون معدة لري المنوفية والغربية
 والترعة الثالثة تكون فوهاتها من فوق القناطر الخيرية ببر المناشي وتكون معدة لري

« مطاب »
 كان مصححة
 الري باسم
 القناطر الخيرية

« ذلك »
 لزوم الرياحات
 للقناطر الخيرية
 والمديريات
 المنتفعة بها

مديرية البحيرة وان يعمل لهذه الترع الثلاثة التي هي عبارة عن فروع خارجة من
بحر دمياط ورشيد قناطر وعيون على حسب ميزانية الارض وان يعمل لها بوابات
تقفل وتفتح على حسب الاقتضاء

فاذا تمت على هذا الوجه ترتب عليها انه في وقت فيضان النيل تفتح القناطر
الخيرية وقناطر الثلاث ترع المسماة بالرياحات لتصرف ما زاد من مياه النيل عن لزوم
الري في البحر الملح وحسبه بقدر اللزوم بقفلها بقصد السقي ويجعل سفر المراكب
ممكنا وفي ايام التحريق تقفل بوابات القناطر الخيرية قفلا محكما بحيث ترتفع المياه
أمام القناطر المذكورة بتدرج عدة امتار فتنصب بالضرورة في الرياحات الثلاثة
المستمدة الماء منها في هذه المدة وكذلك تقفل ابواب قناطر الرياحات الثلاثة
المستمدة الماء بحيث تفيض مياهها على الاراضي التي امامها ولا يترك منها الا القدر
الزائد ليتوزع على الاراضي والحيضان من حوض الى آخر

وبهذا القفل في القناطر الخيرية وفي الرياحات يمكن السفر في السفن
في هذه الجهة في النيل وقت التحريق فالقناطر الخيرية والرصيف والرياحات
هي المقصد الذي به تم مصاحبة الري في المديرية الستة السالفة الذكر وقد
تم منها في ايام المرحوم جنتمكان القناطر والرصيف ولم يتم عمل الرياحات
بل الذي صار اعماله جزء من رياح القليوبية وجزء من رياح المنوفية وجزء
من رياح البحيرة فجزء رياح القليوبية تلف الآن بالسكينة وجزء رياح المنوفية
يستعمل الآن استعمالا غير المقصود منه فان مصاحبة ري المنوفية اُحوجت الى استعماله
بتوصيله المياه الى الترع القديمة وأما جزء رياح البحيرة فلم يزل الى الآن باقيا لكن
بدون ثمرة بل بوابات القناطر الخيرية التي هي منفعة القناطر لم يتم منها الى الآن الا
بعضها لا جميعها والبعض الذي صار عمله لم يكن محكم القفل والفتح بالسهولة فلا يكون

الانتفاع به الا بالصعوبة فلو تم عمل البوابات كالغرض المطلوب منها في الفتح والقفل
 بغاية السهولة وتمت الرياحات الثلاثة المذكورة وقناطرها الثلاثة بحكم المرغوب
 لحصت الثمرات العظيمة للمديريات المذكورة وتوفرت المياه التي تسقي بالراحة
 وتوفرت أيضا جميع السواقي والنوابيت واكتسبت الاهالي المكاسب العظيمة
 من الزراعات مع قلة المصاريف حيث انها لا تخسر مياه النيل التي لا ينصب
 منها في المالح الا القدر الزائد عن اللزوم فلا شك انها اذا تمت القناطر الخيرية
 على الوجه الاكمل بموجب تصميمات الحكومة في الحالة الراهنة فانها تكون
 من أعظم ما يوجب كمال الافتخار للجد والحفيد والموجود منها الآن فهو من
 آثار جوهرى العقل الفريد اذ انوار عقله السواطع هي أشعة المنافع

قد بلغ النيل كل نفع من فيض تلك اليد الكريمة
 وصار ذا غلة ورزق فهذه نعمة جسيمة

وقد ذكرنا عن اية جنتم كان بعلاج مصب النيل وقد اعنتني ايضاً رحمه الله بالبحث عن
 استكشاف منبعه افتداء بمشاهير قدماء ملوك مصر وملوك العجم واسكندر
 والبطالس وقيصرة الروم وعقلاء خلفاء مصر ونبلاء سلاطينها وملوكها بعد الفتح
 فارس في ظرف أربع سنوات ثلاث ارساليات متوالية وكانت في سنة ١٢٥٧
 الارسالية الثانية تحت رئاسة سليم بك قبودان ودرنو بك مهندس وهي انفع
 الارساليات فسارت هذه الارسالية من الخرطوم في النيل المسمى هناك بالبحر
 الابيض مسافة خمسمائة فرسخ حتى وصلت الى جزيرة جانكير بمشروع كندكرو
 وعند هارمال وصخور متكاثرة كالشلالات تمنع السير عن النيل منعا كلياً فاقصر
 القبودان المذكور على أخذ الاستعلامات اللازمة مما يعلم من أهالي تلك الجهة
 فاستبان من ذلك ان منبع النيل بقرب دائرة الاستواء على ثلاثين

مرحلة فوق جزيرة جانكير المذكورة فتكون المسافة بين جانكير ومنبع النيل
نحو مائة وخمسين فرسخا تقريبا وبهذا الاستكشاف سهل لسياحي الانكيز
تمام استكشافهم بين ارسالية جنتم كان الذي كان ولم يزل طرفه للبحث عن
احراز المكارم يقظان

« مطلب »
ارسالية المرحوم
محمد علي
لاستكشاف
منبع النيل

ملك أسهر عينا لم تزل همها تشريد هم الراقدين
ماروى الراوون بل ماسطروا مثل ما خطت له أيدي السنين
(غيره)

أصبحت دون ملوك الارض منفردا بلا شبيهه اذ الا ملاك أشباه
مشعرا وبنو الاسلام في شغل عن بدء غرس لهم أثمار عقباه
فقد انفق على مصلحة النيل النفقات الخارجة عن حد العادة كما قيل
لو ان فيض النيل فائض نيله لم تفتقر مصر الى مقياس
فقد اشترى وسائل التمدن ومقاصد الماء العالية ومقدمات التقدم
بالاثمان العالية

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسنا يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس في طلب العلا يسيرا يعيش دهرا طويلا أبا ذل
فإنه اليد الطولى التي نقلت صورة الاهالى من صورة الى اخرى ومن
هبولى الى هبولى فقد اوجد عزم محمد علي بالتوفيق الصمدانية من الامة
المصرية أطباء ألباء وأرباب هندسة عالية وترجمة سامية وأرباب إدارة
ملكية وضباط عسكرية وأرباب صنائع وتجارات وكان هذا للمدارس
والمكاتب من أفضل النتائج وأجمل الثمرات
فقد أنشأ من أول الامر مدرستي قصر العيني والدرسخانه فكانت

« مطلب »
انشاء المدارس
المصرية

أولاهما كالتهجيزية والمبتديان وكانت الثاية كالخصوصية يخرج منها
 المستخدمون باي ديوان ثم جدد مدرسة الطب والمهندسخانة بعد تجديد
 عساكر النظام فكان يخرج منهما الاطباء والمهندسون للمصالح الملكية
 والعسكرية من المهرة العظام ثم جدد مدارس الجهادية من بيادة وسواري
 وطوبجية ليخرج منها الضباط الفخام وكذلك جدد مدرسة العمليات لتعود
 بالنفع على الفنون والصنائع من سائر أنواع المنافع ومدرسة اللسن الاهلية
 والاجنبية لمعرفة اللغات واستفادة ترجمة الكتب الاجنبية ونتج عنها تكثير
 المعلومات واحرزت ديار مصر منها الفوائد الجليلة والمعارف المهمة وجدد
 مدارس ومكاتب عديدة للمبتديان والتهجيزية على صورة جديدة واجتني
 ثمرات الجميع على وجه منتظم رفيع

فقد أرشد الملة القاصرة الى النافع المفيدة حتى صارت الملة المصرية
 رشيدة فتعلمت المبادي والمقاصد وتمكنت من معرفة فوائد الانحاء المرأصد
 ولم يكتف بتوسيع دائرة التعليم في بلاده بل أرسل الى فرانس عدة ارساليات
 لتعليم العلوم والصنائع واستخراج الفنون من معادنها لتفي بمراده فتكفل
 باستخراج المنافع من معادنها وباستنباط عيون المعارف من مواطنها ومع ذلك
 فقد أنشأ كما سبق مدرسة للالسن في الاكثر لقصد ترجمة الكتب الغربية
 فكانت للوفاء بجل مقصده مجيبه وترجم فيها كثير من العلوم المتنوعة ودخل
 رجالها في الخدمات الميرية وعادت منهم على البلاد المنفعة وقد نتج عن انشاء
 مدرسة الطب مشورة صحيه تدير عموم الصحة الاهلية كما نتج عنها عدة
 اسبتياليات نفعها عميم حيث ترتبت في جميع الاقاليم ومدرسة الولادة تعد من
 أعظم المآثر كما ان مصلحة تلقيح الجدري وقت النفوس من الاخطار وترتب

عليها الصون من التشويه وتخمية الاهالي وتكثير العمار وأما تجديده لترتيب
 العساكر الجهادية برية وبحرية على صورة جميلة وهيئة جليلة فقد عجز عنها
 على هذا الوجه قبله ملوك الاسلام وانصاغت هذه التنظيمات لهذا الهام
 المقدم واقتدى به بعد ذلك سواء ولكن لم يصلوا في زمنه الي درجة ما
 أحسن ترتيبه وسواه لا سيما سفنه البحرية فكانت بحسن النظام حرية فقد
 رتبها قبل حرب مور حيث استدعتها الضرورة وذلك لانه لما طلب منه
 ديوان القسطنطينية الاعانة بالقوة في غزوة مور التي هي أعجب غزوة
 مشهورة لم يبعث هذا الديوان سفنه الحربية ولا عمارته العثمانية لنقل العساكر
 المصرية والذخيرة الي جزيرة مور ولم يكن اذذاك عند المرحوم محمد
 علي بمصر الاسفينتان كل سفينة منهما ذات ثلاثين مدفعا لم يكمل
 شغلها فجهز ثلاثة وثلاثين سفينة حربية كاملة الآلة والعدة في أقرب مدة ومائة
 سفينة من سفن العادة لنقل المهمات

وقد تكامل هذا العدد في واقعة اناوارين وتلف أكثره باحراق المتعصيين
 فشرع في عمارة سفن اخرى أعظم منها بشرائها من البلاد الاجنبية الاورباوية
 ثم شرع في عمل ترسانة الاسكندرية سنة الف ومائتين وسبعة وثلاثين التي لم
 تكن دون ترسانة طولون ببلاد فرنساويه

فقد رتب بهذه الترسانة مصانع ومعامل متنوعة ومخازن مهمات ومقاتل
 احوال وأنشأ بهذه الترسانة ايضا كثيرا من السفن الحربية التي كل سفينة منها
 من ذوات المائة مدفع وغير ذلك من السفن حتى صارت دونها عظيمة واستخدم
 فيها الاهالي وكذلك كان الشغالون وارباب الصنائع فيها من الاهالي المصرية
 وكان جميع المستخدمين بالدونما والترسانة على الطراز العسكري فكان اهلها

يرقون الى الرتب العسكرية على حسب معارفهم

فتعلم ابناء الاوطان جودة صناعة السفن فهذه الطريقة صارت اثمان
هينة جدا على الحكومة وبطل شراؤها من الاجانب وكانت همة جنتمكان
في هذه المادة السفينة الحربية كهمة سلطان الموسقو بطرس الاكبر في
الاجتهاد والاعتناء بهذه المادة اذ كان دائما مواظبا على مناظرة الاشغال بالترسانة
والاقامة فيها الساعات العديدة من النهار ولو ان ملك الموسقو كان قد تعلم
عمارة السفن بنفسه الا ان محمد على رخص لمهندس السفن سيريزى بك الرخصة
التامة في حسن ادارتها فكان مهندسها ينفذ اغراض سيده كما يحب ويختار
كانه هو فلا ييب الاصيل مارآه الوكيل حسنا ولا ينقض عليه ما ابرمه فكان
تنازل المرحوم لهذا الحد في التفويض يوازي تنازل بطرس الاكبر في كونه
تعلم صناعة السفن بنفسه وعلمها لاهل وطنه ولم يتكبر في ذلك وكان ابنه
جنتمكان ابراهيم باشا يادر بتشهيل التشغيل مبادرة زائدة وتقوى عزيمة المهندس
والشغالين ويتقرب اتمام السفن الحربية في اقرب وقت ويكرم المهندس الاكرام
الكلي ويمضي النهار بتمامه في الترسانة بجانب الاشغال وكان جنتمكان محمد
على يديم النظر في السفن عند صناعتها ويتصور الغرض منها وكلما شارفت
الاتمام ازداد فرحا وسرورا واذا نزلت سفينة في البحر لم يتمالك نفسه مع ما كان
عليه من كمال الهيبة وحفظ ناموس الوقار ان يظهر اماراة السرور فلماذا كليات
عنده دوننا ملوكية على طبق مرامه وطقمها بالمدافع والعساكر ونظامها على
نسق نظام العساكر البرية وانشأ مدرسة بحرية بشفر سكندرية ليخرج منها
من الضباط ما يحتاج اليه هذه الدول ونما ترجم العلوم البحرية وصار لها كتب
كافية كسائر العلوم الاخرى كما قيل

اذا شئت ان تلقى عدوك راغما وتقتلهما وتحرقه غما

فسام العلي وازدد من الفضل انه من ازداد علما زاد حاسدهما

وايضا كان من جملة الارسالية الاولى عدة من الافندية المبعوثين الى باريس تعلموا العلوم البحرية وسافروا الى افريقية والهند وغير ذلك من البلاد وتمكنوا من العلوم البحرية فلما حضر واقلدهم بوظيفة قبودانية السفن وكان لهذه الدنما قبودان من الباشاوات وكان معه بوسون بك الفرنسي بوظيفة رياسة رجال البحرية فكان بمنزلة رئيس الرجال سليمان باشا في الجهادية البرية ثم ان المرحوم ابراهيم باشا لما غزا مورة وحضر منها جدد الايات السواري وبيان ذلك ان جتتمكن محمد علي كان قبل غزوة مورة يعتقد ان فرسان المماليك اعظم فرسان الدنيا حيث شاهد ذلك منهم في الحروب المتكررة معه وان تعليم فروسيتهم علي اجود ما يكون وكان يظن ان حركات الخيالة الاورباوية كلا شيء بالنسبة لحركة المماليك فكانت فرسانه جارين علي طريقة الكوليمان وكذلك المرحوم ابراهيم باشا كان يعتقد ذلك فتمد ظهره للمرحوم ابراهيم باشا في حرب موره ان تعاليم السواري علي طرز اوروبا اكلم والزم لما شاهده من سواري الفرنسيات هناك فرتب الايات السواري بجميع انواعها علي طراز فرنسا من شرجية ودراغون وغير ذلك فبهذا صار انشأ مدرسة السواري في الجيزة ليتعلم بها الفروسية النظامية والمسايفة والرسم وغير ذلك ليخرج منها الضباط العظام وكان عدد تلامذتها ثلاثمائة وستين نفرا وكان عدد تلامذة مدرسة الطوبجية بطره ربمائة تلميذ وعدد تلامذة مكتب الرجال في الخانقاه نحو مائتي تلميذ وكان لا يقبل في مكتب الرجال أي اركان حربية الا الترك والمماليك ثم انضم اليهم ابناء العرب وكانوا لا يحرزون عند الامتحان رتب

الضباط فالمرحوم ابراهيم باشا أبطل هذه الطريقة في حق أولاد العرب وفي
حق أبناء السودان وسواهم بغيرهم

وبالجملة فكان المرحوم محمد علي لا تكلم همته ولا تقتر عزمته ولا يرتاح
بدنه وعقله بل دائماً مشغول بما يخص التمدن والتفكر في التجديدات وحيد
المشروعات ولا يبالي بالمصارف والتكاليف للحرص على تقديم وطنه المنيف
واخراج الرعايا من ورطة التخشن العنيف

المال ملء يد والقوم ملك يد ولا أطيل وهذا جملة الخبر
اذ لولاه لما صلت مصر الى هذه الدرجة من التقدم والرفاهية بعد ان مكثت
عدة قرون في الذل والمسكنة وكانت حبال منافعها واهنة

فقد تجدد في ايامه من الامور المتقرية للتمدن اشارة الاخبار ووابورات
البخار والدواليب البخارية وقد عمل تجربة في كفر مجر لسكة الحديد وكان
صمم فيها على الانشاء والتجديد فنجز بعضها على وجه هين ثم تكاملت
الآن بالاصل والفرع على وجه في درجة الكمال بين

زيادة النيل تقص عند فيضهما فما لنا تقاضى مئة الديم
فلو لم يكن للمرحوم محمد علي من المحاسن الا تجديد المخالطات المصرية مع
الدول الاجنبية بعد ان ضعفت الامة المصرية بانقطاعها المدد المديدة والسنين
المديدة لكفاه ذلك فقد اذهب عنها داء الوحشة والانفراد وآنسها بوصول
أبناء الممالك الاخرى والبلاد لنشر المنافع العمومية واكتساب السبق في
ميدان التقدمية فما أحست بنتيجة الدواء الشافي والعلاج المعافي الا في هذه الايام
الاخيرة التي ضاعفت الادوية الحسية والمعنوية النظرية والعملية بطرق من النجامة
جليه وأضعفت داء الجهالة المعديّة فكل لصنيعها متشكر ومقر باحسانها غير منكر

ولدينا تضاعفت نعم الا
 عرف الحق اهل مصر وكانوا
 وحصلنا بالحمد والاجر والنص
 قد بلغنا بالصبر كل مراد
 ليس مثيري الرجال من ملك اللما
 وما أحسن هذا البيت الاخير الذي هو من الحكم اللطيفة ومن جوامع
 الكلام المنيفة

وقد كان المرحوم محمد علي من وقت حيازته واستيلائه على السودان
 التي استولى عليها بسيفه سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف مشغول البال
 باستكشاف معادنها واستخراجها فلذلك سافر اليها بنفسه ليمتحن معادنها
 ويلطف أهلها ويشوقهم الى اكتساب التمدن والتقدم كما فعل بمصر وتفصيل
 ذلك في الفصل الرابع من هذا الباب

الفصل الرابع

في سفر جنتمكان محمد علي الجليل الثمان الى جبال فارغلو ببلاد السودان لاستكشاف
 المعادن الذهبية والكشف عنها بحضوره واعمال الطرق التجريبية

لما مهد محمد علي في مصر الزراعة والتجارة والصناعة التي هي المنافع
 العمومية وكثرت ثروة مصر بالاخذ والعطاء وحظي أهلها بطيب العيش
 والرفاهية وذاقوا ثمرة العدل والاحسان والفضل والامتنان وكان أواخر
 عصر المرحوم محمد علي بالنسبة اليهم ما كان يسمى عصر الذهب عند أمة
 اليونان في أوائل تلك الازمان حيث عوض الله سبحانه وتعالى أهل مصر

« مطلب »
 امهات المعادن
 المستخرجة في
 هذا العهد

في مقابلة مذاقوه من الشدائد في أول الامر ذوقهم طعم الهناء والراحة
 التامة في آخره وذلك مصداق قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر
 يسرا وكان المرحوم لا يزال يصرف وقته في تكميل المنافع العمومية للديار
 المصرية وكانت الافطار السودانية التي تحت حكومته تتجر قدما وحديثا لا
 سيما في الذهب وشهيرة بما فيها من المعادن المشبعة صرف همته العلية الى
 توسيع استخراج المعادن بتلك الجهة لما أن معدن الذهب من أشرف نعم
 الله على عباده اذ به قوام الدنيا ونظام أحوال الخلق فان حاجات الناس اليه
 كثيرة وكلها تقضى بالنقدين ويباع بهما ويشرى كل شيء بخلاف غيرهما من
 المعادن فانه يرغب فيه كل أحد رغبته في النقدين حيث هما كالتقاضيين المصالح
 لكل من لقيهما ولذلك قال الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة
 ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم لان المقصود منهما تداولها
 بين الناس لقضاء الحوائج فمن كنزها فقد أبطل الحكمة التي خلقها وكان
 كمن حبس قاضي البلد ومنعه أن يقضى بين الناس فالذهب والفضة كما يجلبان
 المنافع يجلبان المضار

وأما معادن الذهب المستخرجة في هذا العهد هي معادن بلاد امريقه
 تخرج من جوف الارض أو من تنظيف الرمال الذهبية وفي بلاد أفريقه
 التبر فرع عظيم في تجارة السودان وليس في بلاد أوروبا الامعادن سيرن
 ببلاد الموسقو ومعادن بلاد المجر في مملكة النمسا وفي آسيا معادن الذهب
 ورماله وأما معادن الفضة الشهيرة في بلاد امريقه باقليم برو وغيره وهي التي
 تعطى كمية عظيمة من الفضة المتعامل بها في أيدي التجار في بلاد مقسقا أزيد
 من ثلاثة آلاف معدن مستخرج وكذلك معادن بلاد برو بامريقه فانها مثرية

« مطلب »
 معادن الفضة في
 امريقه

جدا ومعادن كاليفورنا المشهورة بالذهب المشبع التي استكشفت سنة خمسة وستين ومائتين وألف وهي في جمهورية ميسيقا ببلاد افريقه لها شبه بأفريقه فلقد أرسل المرحوم محمد علي باشا عدة مرات من يلزم من المعدنيّة لتجريب معادنها فلم يقف منهم على حقائق تامة في شأن ذلك فشك في مهارتهم وفي اجتهادهم وقد كان حكمدار بلاد السودان أرسل اليه عدة فلزات من الذهب على

« مطلب »
مشابهة افريقه
لامريقه وظن
انها يستكشف
منها معادن
التعدين بالبحث
فيها

سبيل العينة فكاد يطير بها فرحا فأرسل في نحو سنة مائتين والالف كلا من موسيو روسيجير وموسيو بريالي الكيماوي فالاول كان قد ذهب الى المعادن قبل الثاني بكثير فشرع في التجربة ورجع الى الخرطوم فوجد موسيو برياني قد أقام بها ينتظر الفصل المناسب فكتب موسيو روسيجير من الخرطوم الي المرحوم محمد علي ما مضمونه ان النفر الذي يشتغل في المعدن باليومية يستخرج ذهباً بعشرة فرنكات كل يوم يعني بأربعين قرشا ميريا وكان ذلك في مدة ولاية خورشيد باشا لحكمداية السودان واخبر المعدني الحكمدار بذلك فلم يصدق ذلك الحكمدار المذكور واما المية السنية فأخذت كلام المعدني المذكور قضية مسلمة واعتقد ذلك أيضاً المرحوم محمد علي وتباشر بأنه اذا صار استخراج المعادن على هذه الكيفية يصير أغنى الملوك وانتقلت الرغبة في الزراعة التي بها غذاء أهل مصر والتي هي كاللبن لرضاعهم الى الرغبة في المعادن فصار مطمح النظر من النيل أنه وسيلة المسير فيه لاستخراج الذهب وجلبه وكانما هذا الغرض هو المقصد منه بالاصالة

« مطلب »
ارسال محمد علي
معدنيّه
بالسودان
لاستكشاف
المعادن

ثم لما اعتدل الوقت للياقة السفر الى المعادن خرج موسيو روسيجير وموسيو بورياني من الخرطوم ومعهما من الخفر الف من عساكر الجهادية تحت رياسة مير اللوي مصطفى بك وصاروا جميعا حتي وصلوا الى فازغلو

« مطلب »
نتيجة مجربة
معادن فازغلو

وشرعوا في استخراج المعدن والبحث عنه فوجد حفائر حفرتها العبيد قبل ذلك وبجوانبها قصاع من الخشب فكل واحد من المعدنجية أخذ قصعة وعمل صنعة التنظيف للرمل الخارج من الحفرة فلم يظهر لاحد منهم ربح بل ما بقي من بعد التصفية انما هو فلزات مشوبة بالحديد والتراب ثم كرروا التجربة فلم تنتج ازيد من ذلك فان موسيو بورياني أخذ قنطارين من الرمل وصفاهما فلم يخرج منهما سوى حبة ونصف من الذهب وكذلك موسيو روسيجير ثم توجهوا الى جهة سنجه وهي ابعد محل فتحه المرحوم اسمعيل باشا ومشهور بكثرة الذهب فكشوا فيه ليلة بواد يسمى خور البابا كان العبيد قد حفروا فيه حفائر لاستخراج الذهب ثم ذهبوا الى محل يقال له زنبو حوله غابات عظيمة ووديان وسفوح منخفضة ووصلوا الى وادي يسمى وادي توماتو جاري المياه فوجدوا فيه حفائر وقصاعا معدة لتنظيف الذهب وتفتيته فكانت نتيجة التجربة كالسابقة فاقتضى الحال ان يمرروا بغابات غير مسلوكة فوصلوا الى جبل ابو غولجي ونزلوا بهذه الجهة المشهورة بمعادنها الذهبية فأرسلوا بطاب شيخ السودان هناك ليستعلموا منه عن ذلك فأبى الحضور فرجعوا من طريقهم بوادي ابو غولجي نفسه فكان يبسالاماء فيه بكثرة وانما كانوا يجدون في طريقهم في الحفر بعض مياه وبعض حفائر حفرها العبيد وعلى حكايتهم ان هذه المعادن التي بهذا الوادي كثيرة الذهب ثم بعد ذلك بمسير مسافة ساعة صوب العرب وجدوا واديا آخر على الحوا في الصخرية فلم يقفوا عنده وبينما هم سائرون في اباطحه قبض موسيو بورياني قبضة من الرمل فوجد بها أربع فلزات من الذهب كل فلز منها وزن حبة فساروا من وادي الى آخر حتي وصلوا اتجاه جبلي سنجه وغويره وبسفعها

« مطلب »
نجربة جهات
سنجه وزنبو
وتوماتو

« مطلب »
نجربة معادن
ابو غولجي

« مطلب »
عرض جبل
سنجه

بنو شنقول وسنجه ولهم مساكن لطيفة مقبوة يقال لها توكون وعدها
 تنيف عن النى بيت وعرض جبل سنجه فى الدرجة العاشرة والعشرين دقيقة
 شماليا ولا يزرع سودانها الا قليلا من الذرة والدخان حول مساكنهم فلما
 رأوا العسكر قربوا من مساكنهم ولوا هارين فدخل العسكر مساكنهم
 فوجدوا بها الآلات والادوات المستعملة لتنظيف الرمل واستخراج الذهب
 منه فبعث رؤساء العسكر لطلبهم فلم يحضروا ولا حضر اللندوبون فى طلبهم
 ولا ظهر عنهم خبر ولا بان لهم أثر فاحترس العرضى كل الاحتراس وضربت
 الخيام فى محال عالية من الوادى خوفا من الهجوم فظهر على حين غفلة فوق
 الجبل وعلى البعد عدة من العبيد حتى دنوا من العرضى وصاروا يرمون
 العساكر بسهامهم وحرابهم وكان العسكر قد سكنوا بمساكنهم فهجم
 عليهم العسكر فهربوا ثم عادوا وصاروا يحاربون الى الليل

« مطلب »
 هجوم أهل
 سنجه على
 العسكر

ولما اعتكر الليل أحاطوا بالعسكر من كل جانب ولم يتشتت شملهم
 الا بضرب النيران فلما أصبح الصباح صعدوا على ذروة الجبل وفوقوا بانهم
 وسهامهم على العسكر كالامطار ومع هذه الحروب الخطرة فكان مع
 المعدنجة مائة نفر يخفرونهم فاشتغلوا فى وقت الحرب بتجربة النهر الخارج
 فن هذا الجبل فتحصل موسيو بوريانى على فلزات ذهبية خرجت بالتنظيف
 عدة مرات ووضعها فى زجاجة ليمتنحها فيما بعد ولا زال العبيد ينفصون
 على العسكر حتى تركوا جبل سنجه بدون تميم التجربة فاقتنى السودان اثرهم
 الى جهة وادى بولفيدية فأخذوا قنطارين من دقيق رمل هذا الوادى
 وغسلوها وحسبوا زمن شغلها فكما خرج منها وضع فى الزجاجة ووجدوا
 أن الذخائر كادت تنفذ منهم فرجعوا من طريق سنار وقد جربوا تجاريب

« مطلب »
 تجربة وادى
 بولفيدية

كثيرة في طريقهم وكلما تحصلوا عليه من الفلزات وضعوه في الزجاج وسدوا
 عليه وكانوا يجدون في عودتهم كثيرا من المعادن الحفرية التي حفرها العبيد
 ولم يجد العسكر في طريقهم بيوتا ولا مساكن مسكونة بأحد لان العبيد
 لخوفهم من العساكر كانوا يهرعون منها فلذلك لم يقف المعدنجية على حقيقة
 الحال ولم يمكنهم أن يذهبوا الى المحلات المشهورة لمحصل الذهب كجبل
 دولك لفقد الذخيرة وقد وجدوا على شطوط نهر هادي عدة آبار مستديرة
 عميقة يبلغ عددها نحو ستمائة بئر عمق البئر الواحدة أربعة وعشرون قدما
 وقطرها نحو أربعة اقدام وفي قاع كل بئر مما شي يتوصل اليها بواسطة سلام
 صغيرة

« مطلب »
 رجوع المعدنجية
 من تلك الجهات

وهذا النهر كثير الذهب جدا فقد عثر موسيو بورباني على الذهب
 في ثلاث صوانات أخذها من هذا النهر وكذلك موسيو روسيجير وجد به
 قطعا من الاحجار مشتملة على الذهب

فباستكشاف معادن هذا النهر اطمانت قلوب اهل المرضى وفرحوا به
 فرحا شديدا حتي نهض العساكر على الانقضاء بهذا النهر اعتمادا على حكاية
 اهل الجهة وجمعوا ما عثروا عليه من الحجر ثم عادوا الى مدينة الخرطوم التي
 خرجوا منها من نحو ستة اشهر فلم يجدوا الحكمدار فيها حيث كان قد توجه
 لقتال الحبشة المغيرين على الاطراف فأخذوا في تحليل ما تحصلوا عليه فوجدوا
 العينات مختلفة الریح وذلك ان موسيو بورباني عمل التجربة التنظيفية بطريقة
 التحليل بالزئبق فكانت النتيجة في احدى التجربات بالنسبة الى اقليم كاميل
 لم يحتو قنطار الرمل الا على ثلاث حبات من الذهب فالرجل الذي معه اثنان
 مساعدان لنقل الماء والتراب اذا كان ينظف كل يوم عشرة قناطير من الرمل

الى اثني عشر فلا يجمع الا سبعة قروش ميري من الذهب بالنسبة الى رمال
اقليم فاشنغارولا يتحصل الا على ثلاثة قروش ونصف من الذهب في اليوم
الواحد فكتب بهذه التجربة خطابا وارسله مع العينة الى الحكمدار خورشيد
باشا فارسل الحكمدار المذكور ذلك بصحبة موسيو بورباني الى المعية السنية
وكان ذلك في سنة اربع وخمسين ومائتين والف

واما تجربة موسيو روسيجير فكانت نتيجتها بخلاف ذلك فان الاحجار
المعدنية الذهبية يتحصل منها اثنان في المائة يعني ان صافي المائة درهم مثلا درهمان
واما الذهب الصفاحي الذي يوجد في المعادن كالمرووق فانه يتحصل في كل الف
قنطار من مائة وستين الى مائة وثمانين صفيحة من الذهب يعني من ثمانمائة
وخمسة وثلاثين درهما الى الف ومائة وستة وثلاثين درهما من الذهب وقيمة
الدرهم ثمانية وثلاثون قرشا وتحقق عند هذا المعدن ان الشخص الواحد
ينظف كل يوم ثمانمائة وخمسين اقة من الرمل فيتحصل منها ذهب قيمته من
ثمانين قرشا الى مائة قرش فكان هذا المعدل يزيد عن معدل موسيو بورباني
عشرين مرة فلما اطلع المرحوم محمد علي على المعدلين ووجد الفرق بينهما جسيما
لم يتمالك نفسه من الغضب على موسيو بورباني لانه كان يميل بالطبع لما فيه
الارجحية في الربح فهذا مال الى تقرير موسيو روسيجير ولاجل الوقوف على
الحقيقة صمم على السفر الى بلاد السودان لتصير التجربة امامه مع تقدمه في
السن وشيخوخته وطبيعة اقليم الاقطار السودانية وتعب الاسفار الشاقة بها
الا انه كان ماحوظا بالعناية الربانية ومحفوظا بالتوفيقيات الصمدانية كما قيل

ان حل فالشرف التليد انيسه او سار فالظفر الطريف قرينه
فالدهر خاذل من اراد عناده ابدا ورزاق العباد معينه

مطلع
تصميم المرحوم
محمد علي علي
السفر الى بلاد
السودان

وامر موسيو بورياني بالذهاب قبله بعدة ايام فأراد ان يتخلص من ذلك
وقال ان طريقة التحليل بالزئبق التي ملكها موسيو روسيجير ربما يمكن ان
ينال بها اكثر من طريقة القصعة التي عليها العمل عند السودان فكأنه سلم
ان طريقة صاحبه مربحة وكان قوله ذلك لمحض الاعتذار والخروج من الورطة
ثم قال ايضا ان الرمل لا مانع من ان يعطي كل يوم للشغال نحو اربعين قرشا
ومع انه قال ذلك المجرد المسيرة الا ان المرحوم محمد علي اخذه بالقبول وفرح به
وكان المرحوم محمد علي جلب من فرنسا معدنجا شهيرا بعلم المعادن
وهو موسيو ليفبره كان سبق استخدامه في مدرسة المعادن المصرية وكان
موسيو بورياني قد سافر الى السودان امثالا للامر العالي وبعده بثلاثة ايام
ركب المرحوم محمد علي البحر وصحبه خير الدين بك قبودان السفن وعدة
اشخاص منهم موسيو ليفبره المعدنجي ودارنود بك المهندس ولبير بك المهندس
واحمد افندي يوسف الجشنجي فسافر بالسلامة بالنيل حتى دخل السودان
اركب النيل ما استطعت فقيه راحة لانتي وغاية بغيه
كم تفرجت حين سافرت فيه في بلاد وكم ظفرت بمنيه
فلما دخل مدينة الخرطوم كان يوم امشهم وداخضر جميع من هناك للتشريف
فلطفهم جميعا ودعوا له بخير وفرحوه غاية الفرح واثنوا عليه بحميل الثناء ومكارم
اخلاقه كما قيل

« مطلب »
استصحب
المرحوم محمد علي
في سفره جمعا
من ارباب
الخبرة في
المعادن وغيرها

« مطلب »
دخول المرحوم
محمد علي
الخرطوم وما
حصل من
الاحتفال به
وارساله
المعدنجية الى
عدة جهات
واقامته
بالخرطوم
لاستقبال
الوافدين عليه

كل الامور تباعدنك وتنقضي الا الثناء فانه لك باقى
لو انى خيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الاخلاق
ثم امر موسيو ليفبره المعدنجي ان يتوجه الى جبال مويه وسكادى وهي
على ثمان فراسخ في الجنوب الغربي من سنار ليحرب معادن الفضة ومعادن

النحاس التي هي على ميمنة النيل باقليم روسيري وارسل خلفهم كلامن موسيو
بورباني ودرنود بك وأما حضرته العلية فقد بقي في الخرطوم ليستقبل رؤساء بلاد
السودان الوافدين عليه من جميع الجهات على اختلافها كلهم ووعدوه بالمساعدة
على مشروعه وان يعينوه بستين الف نفس للشغل اذا اقتضى الحال هذا القدر
ثم سافر الى جهة سنار ونزل باقليم روسيري وحضر اليه ملوك سنار وفازغلو
وصار يستعلم منهم عن المعادن ومحل وجودها وعن احوال زراعة البلاد وما
يناسبها وارشد رؤساء السودان الى طرق جديدة في الزراعة وفي الصنائع والفنون
التي لا يعرفونها وامرهم بالحصول عليها واستعمالها لتصل نوبة التقدم للنوبة
باكتساب وسائل المنافع المحبوبة والمجربة وينوب الخيط الابيض من فجر
الفنون عن الخيط الاسود من فجور الفنون وليكونوا من أهل التبصرة
وتكون عندهم آية النهار مبصرة ثم حضر المعدنجي ليقبره من جبل مويه
وأخبره أنه لم يجد أثر المعدن الفضة ولا معدن النحاس في المحل الذي حكي
عنه موسيو روسيجير فنفر من الإقامة بهذه الجهة لعدم الحصول على مقصده
ولكن

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه وليس عليه ان يساعده الدهر
فرجع معسكره ونهض الى اقليم فازغلو وكان أحمد باشا قد تولى حكم دارا
عوضا عن خورشيد باشا وكان قد بعث محمد علي الى محاربة جبال رجريج
وكانوا عاصين فنوى أن ينتظر عودة الحكمدار بعد وصوله ففي ظرف ثلاثة
أيام وصل المرحوم محمد علي الى قرية فاموكو تجاه فازغلو وهي على ميمنة
البحر الازرق فضرب خيامه بها وأعجبه حسنها وظرافتها فأمر ببناء قصر فيها
على اسمه ليذكر سفره بها وعين حالا درنود بك لهذه المأمورية فهندسه

« مطلب »
مسير المرحوم
محمد علي الى اقليم
فازغلو

« مطلب »
سفر المرحوم
محمد علي من
الخرطوم الى
جهة سنار

« مطلب »
ارشاد المرحوم
محمد علي اهل
السودان الى
وسائل الزراعة
وغيرها

البك المذكور وبنيت حوله الدور حتى صار بلدة شهيرة هناك سميت بمحمد

على وهي من الاثر الجليل الجلي الا انها صارت محل التغريب ينشد فيها المنفى

الغريب

يا عين ان بمد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشط مزاره

فلقد ظفرت من الزمان بطائل ان لم تربه فهذه آثاره

ولما عاد أحمد باشا من غزوه كان فصل المطر قد دنا والذخائر كادت

تنفذ وكان المرحوم محمد علي توجه الى اقليم فاشنغارو وكان قد بعث حين توجهه

احد مماليكه ليأخذ الرمل من وادي قراده فاستخرج المعدنحية من هذا

الرمل نحو ثلاثة فلزات من الذهب اليسير القيمة القليل الجودة

ولما نزل المرحوم محمد علي في فاشنغارو ضرب مخيمه تحت شجرة تين

والمعسكر حوله ولم يبق معه من الماء كولات الا البقساط واليسير من

الارز فسئمت نفوس الجميع من قلة الزاد والحط والترحال بهذه الحالة ولام

كل الناس موسيو بورباني على تأميل الباشا المذكور وتجسيمه له في ربح

المعادن الذهبية فجمع الباشا المذكور المعدنحية والمهندسين ليأخذ رأيهم فقرروا

جميعا على عمل تجربة جديدة بطريقة أخرى مفيدة وهي أن يجمع الرمل

من جميع المحلات بمقادير متناسبة ويعلم كمية ما يخرج منها فخرجت النتيجة

بهذه التجربة مثل السابق في قلة الربح ولكن قد استكشف موسيو بورباني

في بئر من آبار وادي قراده في عمق اثنين وعشرين قدما طبقة معدنية يتراءى

انها كثيرة الذهب ليتمتعها مع الثاني وقبل أن يرحل موسيو ليفبره المعدنحية

من الخرطوم كان عثر أيضا على رطلين من الزئبق في مخازن الحكمدارية

فأحب موسيو بورباني ان يعمل امتحانه لما أخذه بطريقة التحليل فسكت

« مطلب »

وصول المرحوم

محمد علي الى

قرية فاشنغارو

واستحسانه اياها

وامره ببناء قصر

فيها على اسمه

« مطلب »

وصول المرحوم

محمد علي الى

فاشنغارو

« مطلب »

جمع المعدنحية

وعمل تجرية

عمومية

عن ذلك وصار منهم كما على اتباع هذه الطريقة في التجربة فلم يشعر اذ وجد في قرار القزازة جرما معدنيا ذهبيا مخلوطا بغيره ولم يعرف سبب هذا الغش فأخبر غيطاني بك وموسيو لمبير بك بذلك وهم أخبروا المرحوم محمد علي فوسيو بورياتي أنهم بعض أخصامه أنهم أرادوا أن يفسدوا عليه تجربته وأرادوا أخبار من ذكر البحث عن صاحب الفعلة فادعى احمد افندي الجشنجي ان موسيو بورياتي المذكور هو الذي خلط الذهب بالزئبق عمدا لعدم نتاج تجربته وأخبر بذلك أمام الباشا وصدق عليه الحاضرون ففي اليوم الثاني استعمل موسيو بورياتي طريقة الغسل بالقصاع فغسل مائة قنطار من الرمل مأخوذا من فرش الوادي بجبال قراده فاستخرج منها تسعا وأربعين حبة من الذهب

فهذه التجربة الكبيرة ظهر منها اشباع معدن وادي فاشنغار والذي جرب عينته موسيو روسيجير سابقا فوجد بين طريقة موسيو بورياتي وموسيو روسيجير فرق جسيم فهذه الاختلاف الفاحش ضاق صدر الباشا المرحوم وقترت همته حتى كاد أن يصرف النظر عن قضية استخراج المعادن ولكن عاد الى تجلده وصبره وأمر بعقد جمعية تستخرج مقدار قيم مجاميع الاشغال التي حصت كلها فبادرت الجمعية باستخراج ذلك فنتج انه لا يتحصل من عملية الصانع الواحد من الذهب الا بقيمة ثلاثة قروش كل يوم فمن هذا الوقت سقطت قيمة المعادن الذهبية من أعين الجميع وقل اعتبارها فتغير خاطر المرحوم محمد علي من ذلك وداخله اليأس من رواج معادن السودان ولو كان موسيو روسيجير حاضرا معه لسلاه وعالاه بالاماني الكاذبة

وأما موسيو بورياني فقد كان حاضرا وأخبر بالصدق ولم يدلس ولكن
 لكونه كان يهاب سيده كثيرا فلم يستطع أن يذبح عن نفسه فضرب عنه
 المرحوم محمد علي صفحا وأنعم على جميع المهندسين والمعدنية عند ارتحاله من
 السودان بركوبة ورخت مذهب وما استثناءه من هذا الانعام ولا غرض عنه
 البصر ويأس من وجود الذهب المشبع من بلاد السودان ولكن لم يظهر
 له الحق ولا صرف عنه النظر بل أمر الجمعية أن تتمكث وتبحث مع غاية الدقة
 عن الطريقة اللازمة لاستخراج هذه المعادن فكان العسكر المحافظون على
 أهل هذه الغزوة العلمية يعتقدون أن سيدهم أبقى هؤلاء المهندسين رسما
 فقط وإن اشغال هؤلاء المهندسين ليست الا صورية فكانوا لا يساعدونهم
 على اشغالهم ولا يصرفون همهم في اعطاء ما يلزم لتتميم التجربة وكان
 قد تعين لادارة المعدن خير الدين باشا فكان يسىء السلوك لانه كان
 مكرها على الاقامة بتلك الديار وترك وطنه فهذا كان يعتقد ان الافرنج المعدنية
 هم السبب في طول غربته فكان يتجاهر بتقريهم وتوبيخهم

« مطلب »
 ياس المرحوم
 محمد علي من
 استخراج معادن
 الذهب بالسودان
 في غرضه وعوده
 الى مصر

ثم ان موسيو ليفبره أصابته حمى شديدة وكان قد وعده المرحوم محمد علي
 أن يعطيه بعد تمام الاشغال رتبة ميرالاي فكان على غاية من الاجتهاد فمات
 بالحى وقبل موته صرح بأن تقرير الجمعية بعدم تريح المعادن في السودان
 ليس بقطعي ولا يبنى عليه حكم وانه لا ينبغي ان يقطع الرجاء بالكافية من ربح
 هذه المعادن لاسيما وان موسيو بورياني قرر تقريرها شفاهيا يؤيد رأي ليفبره
 السابق وعبارته ليس من ارباب الجمعية تمامها من هو معتمد في قوله فيما يخص
 قيمة ما يتحصل من الرمال من الذهب حيث جميعنا لا معرفته تامة باستخراج
 المعادن فلسنا متبحرين في هذا الفن بل الظاهر انه لو صارت الادارة على صورة

« مطلب »
 موت رئيس
 امدنية وافادته
 قبل موته ان تقرير
 الجمعية بعدم ربح
 استخراج المعادن
 لا يعول عليه

حسنة مستقيمة وصدق المتحزون في تجاربهم وصار الاجتهاد في الاستخراج على وجه مرضى فلا بد أن تظهر نتائج عظيمة خصوصا اذا كان الماء ورب ذلك من المعدنحية المتبحرين في هذا العلم وله سابقة عمليات صحيحة واما سفرنا هذا فلم يكن الا محض مناظرة واطلاع على نفس الحال المعدنية بالبلاد السودانية مجردا عن راحة الفكر والبدن وقوله في محله لان العرضي كان دائما عرضة لاغارة السودان الحمل وكان بدون أهبة ولا ذخيرة وكانت عساكر الاتراك المحافظين على المعدنحية أشد عليهم عداوة من السودان

فهذا لم يمكن الوقوف على حقيقة الحال من الاهالي وكانت التجارب تعمل بالخوف والعجلة وكانت الامراض ايضا من جملة الموانع ومع ذلك فقد صح بتجربة موسيو بورباني التي استمرت نحو ثلاث سنوات أن بعملية استخراج المعادن بالعبيد يعطي قنطار الرمل نحو خمس جبات من الذهب مع قبول الزيادة عن ذلك لو وجدت المعرفة والصدقة ومع هذا كله فنقول ان ذهب السودان لا ينكر وأن الاقطار السودانية التابعة للحكومة المصرية وان كانت دون أقاليم امريقة بكثير فهي كمصر ان لم تسعفها المعادن المتطرفة فمعدن الزراعة فيها محققة ولولا التغافل والتكاسل من بعض الحكام واتصاف بعض آخر بالجهل التام لكانت ايراداتها ومحصولاتها على اكمل نظام فان خصوبة ارضها عجيبه وحيواناتها نجيبه واخشابها جيدة ومعادنها متعددة فالوايد الثلاثة فيها على غاية من الكمال ولا نظر الى ما يعتد عامة الناس من أن اكثرها رمال فقد يوجد من الاهالي من يترافع مع اخصامه في ملكية ألوف من الفدادين لنفسه ويريد نزعها من يد أبناء جنسه وفي ايام حكم دارية حضرة لطيف باشا أعطي الف فدان لاسد السناجق وهو دموزاغا من البور فلم تبرح مدة يسيرة أن صارت من المعمور

« مطلب »
ان معادن
الذهب بالسودان
لا تنكروا ان
الزراعة تطلع فيها
ان انبثى هاوان
خيراتها كثيرة

وصح فيها جميع البقول والفلال لاسيما زرع الحنطة الذي في تلك البلاد له بال
 وهناك اراض بمديرية دنقله لا يعلوها النيل الا في زمن الفيضان الغزير وليست
 داخلة في دفتر مكلفات الاقليم وقد التمس زراعتها في سنة من السنين بعض
 الاهالي بدفع المشور فزرعها من صنف الذرة فأدت محصولا فوق الاربعين
 الف أردب فدفع الى شونة الميري عشرها فصار صنف الذرة رخيصا في هذه
 السنة فشكا الاهالي المزارعون كساد محصولاتهم فأبى مدير تلك الجهة ان يتولى
 في ذلك الوقت أن يعطيها بعد ذلك لاحد وأحب أحد البكباشات المستخدم
 بتلك الجهة ان يتعاهدا في كل سنة بقيمة مائة لعشرها السنوي فلم يساعد
 على ذلك وأمثال هذه الاراضي كثيرة جدا والاراضي منبثة للنباتات الناجمة
 بنفسها بدون عمل مع قبول أهلها للتمدن الحقيقي لدقة أذهانهم فان اكثرهم
 قبائل عربية لاسيما الجميلين والشاقية وغيرهم فان اشتغالهم بما ألفوه من العلوم
 الشرعية شغل رغبة واجتهاد ولهم ما أثر عظيمة في حسن التعلم والتعليم حتى
 ان البلدة اذا كان بها عالم شهير يرحل اليه من البلاد الاجنبية للمجاورة من
 طلبة العلم العدد الكثير والجلم النفير فيمينه أهل بلده على ذلك بتوزيع
 المجاورين على البيوت بحسب الاستطاعة فكل انسان من الاهالي يخض
 الواحد أو الاثنان فيقيمون بشؤونهم مدة التعلم والتعليم
 ولقد رأيت في طريقي ببلاد الشاقية بمديرية دنقله حرم سنجق يدعى
 الملك الازيرق تسمى السيدة أمونة تقرأ القرآن الشريف وؤسسة مكاتبين
 أحدهما للعلمان والثاني للنبات كل منها لقراءة القرآن وحفظ المتون تنفق على
 المكتبين من كسبها بزراعة القطن وحلجه وغزله وتشغيله ولا ترضى ان
 يشوبه شيء من مال زوجها وبجانب المكتبين خلوات لمن يختلي من العباد

« مطلب »
 استعداد أهالي
 السودان
 للمعارف
 والكلمات
 ووجود التعاون
 عندهم على طلب
 العلم

والزهاد الحاضرين من أقصى البلاد لاداء فريضة الحج الشريف ومنزلها
كالتسكية للفقراء وابناء السبيل والقاصدين بيت الله الحرام وامثال ذلك
كثير هناك في ظل الحكومة المصرية

ومما يدل على حسن مقاصد المرحوم محمد علي أنه في عودته من البلاد
السودانية استصحب معه عدة غلمان من أبناء وجوه السودان الى مصر
وأدخلهم في المدارس المصرية ليتعلموا مبادئ العلوم ثم نقلهم الى مكتب
الزراعة ثم الى مدرسة الالسن وكان القصد من ذلك أن يذوقوا طعم
المعارف التمدنية لينشروها في بلادهم وقد شاهدت بعضهم مستخدما
بمدرسة الخرطوم بوظيفة كاتب ويغلب على الظن انه بواسطة تنظيمات
سعادة شاهين باشا الاخيرة المؤسسة على حب تقديم الجمعية للمدنية
وهمة سعادة جعفر باشا صاحب الانظار التمدنية تمكن ايصال التقديمات
العصرية بعناية الحكومة المصرية في اطراف وأكناف تلك البلاد التي هي
الآن لم تخل قراها عن نوع التقدم في الحضارة مع مساعدة الوارد والمتردد
اليها في هذه الايام لقصد الزيارة أو التجارة فانها اقرب للتمدن من اقاليم
أمريقة بكثير وجميع أهلها ماعدا بعض الجبال لسانهم عربي فصيح حيث ان
جلهم من نسل العرب المنتجمة القبائل قديما يحفظون احسابهم وانسابهم
وفيهم كمال الاستعداد وذكاء الفطنة وانما يحتاجون في حصول المطلوب الى
اطمئنان النفوس وتأليف القلوب من حكام ارباب صداقة وعفاف وعدل
وانصاف لا تحملمهم المطامع الدنيوية على محض الالتفات الى الامور الدنية
بل توجد القابلية أيضا في الاهالي المتأصلين

ويبدل على هذا ما حكى للخليفة أبي جعفر المنصور عما جرى بين
عبد الله بن مروان بن محمد وبين ملك النوبة مما ذكره المؤرخون في حق
الملك المذكور مع انه كان من ملوك السودان المتأصلين والجنس القطين اذ
لم تكن القبائل العربية انتجعت الى السودان ولا تسلط على هذا الاقليم ملك
من أهل الاسلام ولا من العربان وهو ان ابا جعفر المنصور حضره ليلة
عبد الله بن علي وصالح بن علي في نفر معهما فقال عبد الله بن علي يا أمير المؤمنين
ان عبد الله بن مروان بن محمد لما هرب الى بلاد النوبة جري بينه وبين
ملكها كلام فيه أعجوبة سقط عنى حفظه فان رأى أمير المؤمنين ان يرسل
اليه بحضرتنا ويسأله عما ذهب عنا وكان في المجلس فأرسل اليه أبو جعفر
فلما دخل قال له يا عبد الله قال لييك يا أمير المؤمنين قال اخبرني بحديثك
وحديث ملك النوبة قال يا أمير المؤمنين هربت ممن تبعني باثاث سلم لي
الى بلاد النوبة فلما دخلت بلادهم فرشت ذلك الاثاث فجاء أهل النوبة
ينظرون الي متعجبين مني الى ان بلغ ملك النوبة حضوري فجاء ومعه ثلاثة
نفر فاذا رجل طويل آدم أغبر مسنون الوجه اى مملسه فلما قرب منى قعد
على الارض وترك البساط قلت ما يمنعك ان تجلس على اثاثنا هذا قال اني
ملك وحق لكل ملك ان يتواضع لعظمة الله اذا رفعه الله قال ثم نظر الي
فقال لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم فقلت عبيدنا واتباعنا يفعلون ذلك
بالجهل منهم قال فلم تلبسون الدباج والحرير وتحلون بالذهب وهو محرم
عليكم فقلت زال عنا الملك وانقطعت المادة واستنصرنا بقوم من الاعاجم
كان هذا زيمهم فكرهنا الخلف عليهم فاطرق يقرب يده ويقول عبيدنا
واتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا يكرر الكلام على نفسه ثم نظر الى فقال

ليس ذلك كما تقول ولكنكم قوم ملكتم فظلمتم وتركتم ما به أمرتم وركنتم
 الى ما عنه نهيتم فسلبكم الله العز والبسكم الذل بذنوبكم والله فيكم نعمة لم تبلغ
 غايتها بعد وانا أخاف أن تنزل بكم النعمة وانتم ببلدى فنصيدي معك فارتحلوا
 عن جواري انتهى فقام أبو جعفر وقبذا من كلامه فدخل حجرتة قال الله
 تعالى واذا أردنا ان نهلك قرية امرنا متر فيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
 فدمرناها تدميرا قال المفسرون في الآية حذف دل عليه باقيها أي أمرنا
 متر فيها أي منعهم بالطاعة فخالفوا ففسقوا فدمرناها تدميرا انتهى فيا لها
 موعظة بيضاء من ملك أسود ولعل ملوكهم في الازمان القديمة كانوا
 كصلحائهم الآن على قدم عظيم في الاستقامة وطريقة قوية وأما موضع
 معرض الذم في حق اهل السودان فهو متوجه على جمهور اهل البلاد وهم
 العبيد والمولدون ومن يخذو خذوم من رعاع أهالي تلك البلاد ارباب الدناثة
 والخسة

« مطلب »
 موعظة ملك
 السودان اروان
 بن محمد بن
 النجا اليه

وفي سنة سبع وستين ومائتين والفر كنت سافرت الى السودان بسعي

« مطلب »
 سفري للسودان
 ونظي قصيدة
 نشر الاحوال
 تلك البلاد
 وعواندها
 ونخبتي قصيدة
 برعيت منها
 نسج الفرج
 ببركة مدح
 خير البرية

بعض الامراء بضمير مستتر بوسيلة نظارة مدرسة بالخرطوم فلبثت نحو الاربع
 سنين بلا طائل وتوفي نصف من بمدينتي من الخوجات المصريين فنظمت
 هذه القصيدة برسم المرحوم حسن باشا كتحدا مصر رجاء نشلي من احوال
 تلك الاحوال فلم يتيسر ارسالها ثم أسعد الحال بتبديل مر الماضي بالحال
 الذي هو حال وذلك عقب تخميسي لقصيدة نبوية برعية متوسلا فيه بشفاعة
 خير البرية وهماهي القصيدة الاولى

الافادع الذي ترجو ونادي
 فم غرس الرجا في قلب حر
 يجبك وان تكن في أي نادي
 أصاب جنى النجا غب الحصاد

ومن حسن الخلائق سله صنعا
 وحدث عن وفا خبل وفي
 ورب أخ تلاهي عنك يوما
 بنو الآداب اخوان جميعا
 خلائف عنصر كل تغذى
 وآداب الفتي تعلية يوما
 وآدابى تسامى بي الدراري
 ومالي لا آتية بها دلالات
 الى سبل الفخار تقود حزى
 عصامى طريف المجد سميا
 سوى نسب العالوم لى انتساب
 حسيني السلالة قاسمى
 لسان العرب ينسب لى نجارا
 وحسي اني أبرزت كتبا
 فمنها منبع العرفان يجرى
 على عدد التواتر معرباتي
 وملطبرون يشهد وهو عدل
 ومغترفو قراح فرات درسي
 ولاح لسان باريس كشمس
 ومحيي مصر أحياء كان قدرى
 سأشكر فضله مادمت حيا

جميلا فهو أوفى بالوداد
 برسل حبه فى القلب بادي
 فرب وداده أبدا ودادى
 وأخذان بمختلف البلاد
 بائداء العلاء دون اقتصاد
 الى الانجاد من بمد الوهاد
 على شعبي وتبلغنى مرادى
 وقد دلت على نهج الرشاد
 وفي ميدانه عزم انقيادى
 عظامى شريف بالتلاد
 الى خير الحواضر والبوادى
 بطهطا معشري وبها مهادى
 ويدنيتنى الى قس الايادى
 تيد كتأبا يوم الطرادى
 وكم طرس تحبر بالمداى
 تنى بفتون سلم او جهاد
 ومنتسكوا يقر بلا تهادى
 قد اقترحو سقاية كل صادى
 بقاهرة المز على عمادى
 وكافأنى على قدر اجتهادى
 وماشكري لذي تلك الايادى

- رعى الحنان عهد زمان مصر
 رحلت بصفقة المنبون عنها
 وما السودان قط مقام مثل
 بها ريح السموم يشم منه
 عواصفها صباحا أو مساء
 ونصف القوم أكثره وحوش
 فلا تعجب اذا طبخوا خليطا
 ولطخ الدهن في بدن وشعر
 ويضرب بالسياط الزوج حتى
 ويرتق ما بزوجه زمانا
 واكره الفتاة على بقاء
 نتيجه المولد وهو غال
 لهم شغف بتعليم الجواري
 وشرح الحال منه يضيق صدرى
 وضبط القول فالاخيار نزر
 ولولا البيض من عرب لكانوا
 وحسي فتكها بنصيف صحي
 وقد فارقت اطفالا صفارا
 أفكر فيهم سرا وجهرا
 وعادت بهجتي بالنأى عنهم
 أريد وصالهم والدهر يابى
- وامطر ربها صوب المهاد
 وفضلى فى سواها فى المزاد
 ولا سلمى فيه ولا سعادى
 زفير لظى فلا يطفيه وادى
 دواما فى اضطراب واطراد
 وبعض القوم اشبه بالجماد
 بمنح العظم مع صافى الرماد
 كدهن الابل من جرب القراد
 يقال اخو بنات فى الجلال
 ويصعب فتق هذا الانسداد
 مع النهى ارتضوه باتحاد
 به الرغبات دوما باحتشاد
 على شبق مجاذبة السفاد
 ولا يحصيه طرسى أو مدادى
 وشر الناس منتشر الجراد
 سوادا فى سواد فى سواد
 كان وظيفتى لبس الحداد
 بطمطا دون عودى واعتيادى
 ولا سمري يطيب ولا رقادى
 بلوعة مهجة ذات اتقاد
 مواصلى ويطمع فى عنادى

وطالت مدة التغريب عنهم
 وما خلت العزيز يريد ذلي
 لديه سمعوا بالسنة حداد
 مهازيل الفضائل خادعوني
 وزخرف قولهم اذ موهوه
 فهل من صيرفي المعنى بصير
 قياس مدارسى قالوا عقيم
 وكان البحر منهج سفن عزمي
 ثلاث سنين بالخرطوم مرت
 وكيف مدارس الخرطوم ترجى
 نعم ترجى المصانع وهى اخرى
 علوم الشرع قائمة لديهم
 خدمت بموطاني زمنا طويلا
 فكنت بمنحة الاكرام أولى
 وغاية مطاى عودى لاهلى
 وصبري ضاع منذاشتد خطاي
 وكم حسنا دعوت لحسن حالى
 وارجو صدر مصر لشرح صدرى
 وكم بشرت أن عزيز مصر
 وحاشا أن أقول مقال غيرى
 لقد أسمعت لو ناديت حيا

ولا غم لدى سوى الكساد
 ولا يصغى لاختصاص لداد
 فكيف صغى لألسنة حداد
 وهل في حربهم يكبو جوادى
 على تزييفه نادى المنادي
 صحيح الانتقاء والانتقاد
 بمصر فما النتيجة في بعادى
 فكنت الآن أعرف فى الثماد
 بدون مدارس طبق المراد
 هناك ودونها خرط القناد
 لتأيد المقاصد بالبادى
 لرغوب المعاش أو اللعاد
 ولي وصف الوفاء والاعتماد
 بقدر للتعيش مستفاد
 ولوم من دون راحلة وزاد
 وهون الخطب عند الاشتداد
 وكم نادى فؤادى يا فؤادى
 وجهد الطول فى طول النجاد
 تقوه بالنككك ولم يفاد
 وذلك ضد سرى واعتقادى
 ولاكن لا حياة لمن تنادى

وفي دار العزازة لى عياد
أمير كبار أرباب المعالي
عروف ألمي لا يباري
بوافر فضله الركبان سارت
وقالوا في معارفه فريد
وفي الاحكام قالوا لا يضاهي
وقالوا في الذكاء ذكا فقلنا
وقالوا وافق الحسن المثني
وبحر حجاه يبدو منه در
فيا حسن الفعل أغث أسيرا
عليه دوائر الاسواء دارت
وقد فوضت للمولى أموري
عسى المولى يقول امضوا بعدي
وما نظم القريض برأس مالي
ووافر بحره ان جاد يوما
وليس لبكر فكري من صداق
فما أسمى ذراها من بيوت
ومسك ختامها صلوات ربي
وآل والصحابة كل وقت
وأما تخميس القصيدة البرعية التي عقب مسك ختامه أرج الفرج فهو هذا
تبدى الغرام وأهل العشق تكتمه
وتدعيه جدا لا من يسلمه

ما هكذا الحب يا من ليس يفهمه
خل الفرام لصب دمه دمه
حيران توجده الذكري وتقدمه

دع قلبه في اشتغال من تقبله
ولبه في اشتغال من تطلبه
واصنع جميل فعال في تجنبه
واقنع له بعلاقات علقن به
لواطلعت عليه كنت ترجمه

فؤاده في الحمى مسعى جآذره
وفي نجوم السما مرعى نواظره
فيا عدولا سعى في لوم عاذره
عذلته حين لم تنظر بنا ظره
ولا علمت الذي في الحب يعلمه

أما تري نفسه مرعى الهوى اتجمعت
وساقها الحب فانسأقت ولا رجعت
فاعذر أو أعذله ما ورق الحمى سجمعت
لو ذقت كأس الهوى العذرى ما هجمعت
عينك في جنح ليل جن مظلمه

ولا صبوت اسلوان ولا ملل
ولا جنحت الى لوم ولا عدل
ولا اثنت لخطب في الهوى جلال
ولا اثنت عنان الشوق عن طلل
بال عفت بيد الانواء ارسمه

فكيف ناقشته في أصل مذهبه
وما تحريت تحقيقا لمطلبه
فو الذي صانه عن وصمة الشبه
ما الحب الا لقوم يعرفون به
قد مارسوا الحب حتى هان معظمه

تجيبه ان دعا للوجد أمته
وعزمه بينهم سام وهمته
قوم لديهم بيان الحب عجمته
عذابه عندهم عذب وظلمته
نور ومفرمه بالراء مغنمه

يا من دعاه هواه أن يعاشرهم
أسلك مشاعرهم والزم شعائرهم

« مطلب »
خميس القصيدة
البرعية التي
مطعمها خل
الفرام لصب
دمه دمه

وان تكلفت أن تدري أشايرهم كلفت نفسك أن تهفو ما أثرهم

والشئ صعب على من ليس بحكمه

في حب ليلى خلى البال يعذاني ان لم أغالظ فما ينفك يخذاني

فو الذي منزل العشاق ينزاني اني أوري عذولي حين يسألني

بزئب عن هوى ليلى فاوهمه

كم في الهوى والنوى قاسيت من الم وكم ملأت طروس العشق من كلم
وكم سهرت سمير النجم في الظلم وطالما سجت وهنا بذى سلم

ورقاء تعجم شكواها فأفهمه

مالسحب الادموع العين باكية ولا لظى غير احشائي محاكية

لاشك اني أناغي الورق شاكية وتثنى عذبات البان حاكية

علم التفريق فادري ما ترجمه

امام عشق تولى نصر ملته على الوشاة وفادها بمهجتته

نادى وقد ذاب وجداء مع ثنيته يا من أذاب فؤادي في محبته

لو شئت دوايت قلبا أنت مسقمه

متي بربع صحابي أبلغ الاملا فكم سقى ماء دمي السهل والجبلا

وما شفى معهدا من ساكنيه خلا سقى الجبال فرعن الطود منه الى

شعب المريحات هامى المزن مرهمه

ملث غيث يسح الوابل الهطلا وصيب طيب يستخصب الظللا

أضحى بمنهمر الانواء منهمسلا وبات يرفض من وادي الخزام على

وادي ارام وما والى يللمه

حيا منازلها فيض الحيا ومسلا أرجاءها من بروق يتسمن جلا

ولا عدا عن ربها الجود اذ نزلا يسوقه الرعد من خير البطاح الى

أم القرى ورياح البشر تقدمه

وسمى جود سريرات نجائبه ولى عهد مريعات رغائبه

وواكف بالندی تكفي سواكبه وكلما كف اوكلت ركائبه

باداه بالرحب مسعاه وزمزمه

مادر من قبله غيث يعارضه ولا اضرت بمسراه عوارضه

تحاله وهو لاربح يناقضه لما الت على البطحاء عارضه

علا المدينة برق راق مبسمه

برق بواسمه في الجو قد سطعت فقهمه الرعد بالزبرا وقد خشعت

والرجع سح من الخضرا وما جمعت سقى الرياض التي من روضها طلعت

طلائع الدين حتى قام قيمه

مغارب الارض طرا او مشارقها تسعى الى طيبة منها خلائقها

مدينة العلم هل تخفي حقائقها حيث النبوة مضروب سرادقها

والنور لا يستطيع الليل يكتمه

يلوح في روضة مأثورة الشرف درى كوكبها يجلو دجي السدف

والبدر يطلع في افق بلاكف والشمس تسطع في خلف الحجاب وفي

ذاك الحجاب اعز الكون اكرمه

يا اثرا قبر خير البدو والخضر الثم ترى ترابه المعشوشب النضر

يلقاك حيا باهني عيشة الخضر محمد سيد السادات من مضر

خير النبيين محي الدين مكرمه

عرج بساحته بمنحك تكرمة فلا تخف بعدها بنيا ومظلمة

هذا المشفع يوم العرض مرحة فرد الجلالة فرد الجود مكرمة
فرد الوجود أبر الكون أرحمه

من في صباحته يحكيه مبتسما من في ملاحظته حاز بها وسما
كم أقسم الحق باسم المصطفى قسما نور الهدى جوهر التوحيد بدر سما
ء المجد واصفه بالبدر يظلمه

بطيب عنصره طابت سريرته شمائل المجد دون الحد سيرته
وسورة الفتح مثل الحمد سورته من نور ذى العرش منشاه وصورته
ومنشأ النور من نور يجسمه

من لاذ من فزع بالها شمسى أمن أو حاد عنه فمن سبل الرشاد عم
بالفضل قد خصه، ولاده وهو قرن ومودع السرفى ذات النبوة من

علم وحلم واحسان تقسمه

ما حكمة الله الا تعجز الحكما قد أبرزت للورى أسمى الورى عظما
لب اللباب تسمى أصله ونما فذاك من ثمرات الكون اطيب ما
جاد الوجود باعلاه واعلمه

سيوفه بالردى نحو العدا لمعت وكفه بالندى قبل النداء همعت
صفوفه فى المداروم الهدى اجتمعت فارات مثله عين ولا سمعت
اذن كاحمد أين الأين نعلمه

لا تعز روما وتركا او جراكسة لحسنه ان فى هذا مواكسة
تقول آمنة فيه منافسة أضحت لمولده الاصنام ناكسة
على الرأس وذاق الخزى مجرمه

فلا تري الفرس للنيران جانحة بعد الخود ولا الانوار لاثحة

والمناوية لا تنفك نائحة واصبحت سبل التوحيد واضحة

والكفر يندبه بالويل مأتمه

كم ظامة عند اهل الزيع كائمة قد انجنت بيد للنفع ضامنة

وعصبة من هجوم الروع آمنة والارض تبهج من نور ابن آمنة

والعدل تربي ثغور الجور أسهمه

فلاتري كاهنا للغيب يسترق كلا ولا ماردا الا ويخترق

والجن خابوا الرجايل مسهم فرق وان يقم لاستراق السمع مسترق

رصدنه أنجم الارحاء ترجمه

فكم تحدى وأبدى في دلالة من معجزات توالى في رسالته

فقل لطاغ تمادى في ضلالته ان ابن عبد مناف من جلالته

شمس لافق الهدى والرسلى أنجمه

ما جاء من سلب الاعداء غنيمته به قتادة قدرت كريمته

في كل آونة زرداد قيمته العدل سيرته والفضل شيمته

والرعب يقدمه والنصر يخدمه

في حومة الدين أصمى النى والجدلا وجندل الكفر حتى صار مبتذلا

يتم طويل نجاد حكمه عدلا أقام بالسيف نهج الحق معتدلا

سهل المقاصد يهدى من ييمه

يا صاح كن برسول الله مقتديا في فعله وبنور الحق مهتديا

فكم أباد من الباغين معتديا وكلما طال ركن الشرك منتهيا

في الزيع قام رسول الله يهدمه

بسعده طالعه تسمو كواكبه وطالما ابتهجت زهوا مواكبه

سل البراق بماذا فاز را كبه سارت الى المسجد الاقصى ركائبه

يزفه مسرج الاسرا وملجمه

سرى به وهو فى أقصى تعجبه وفاز طه بأعلى المجد اعجبه

له انجلا ما توارى فى تحجبه والشوق يهتف يا جبريل زج به

فى النور والنور مرقاه وسلمه

بف رؤية الرسل ليلا كم قضى اربا وكم دنا وتدللى ثم واقتربا

لقد رأى الآية الكبرى وما اضطربا والعرش يهتز من تهظيمه طربا

اذ شرف العرش والكرسي مقدمه

اعتز بالله حبا فى معزته وحل فى الملاء الاعلى بمجوزته

فكيف فاز نبى شطر فوزته والحق سبحانه فى عز عزته

من قاب قوسين أو أدنى يكلمه

فى السبع فاز بخمس فوز منصرف بأجر خمسين يسدى شكر معترف

ونال ما نال من مجد ومن ترف فكم هنالك من عز ومن شرف

لمن شديد القوى وحيا يعلمه

كفار مكة ما كانت مجوزة لا زال يمنح آيات معززة

حتى اذا جاء بالتنزيل معجزة بل اصبحت بالاحاجي فيه ملفزة

يمحو الشرائع والاحكام محكمه

اجاب كل مصيح بالسجود كما آياته أخرستهم منطلقا وفما

وحيث كل لديها القوا السلما هانت صفات العظيم القريتين وما

يأتيه جهلا ابو جهل ويزعمه

فطالم بالغوفا فى السب أو تلموا عرضا وأنفسهم والله قد ظلموا

لوميزوا قدرهم من قدره سلموا حال السهبي غير حال الشمس لو علموا

بل أهل مكة في طغيانهم عمهوا

عمى البصائر عن قدر وعن قدر صم المسامع عن تقدير مقتدر

فمن تخلف في ورد وفي صدر فاصدع بأمرك يابن الشم من مضر

فقد بعثت لائف الشرك ترغمه

من بيع شأوك في قاب الكمال يمن بحظ منهزم يكبو وعجز زمن

لك الشفاعة مولاك الكريم ضمن لك الجميل من الذكر الجميل ومن

كل اسم جود عظيم الجود أعظمه

ففي البداية كنت السيد الحكما وفي النهاية حزت الحكم والحكما

فرجه ودع الكهان والحكما يا أيها الآمل الراجي ليهنك ما

ترجوه ذا كعبة الراجي وموسمه

يمم ضريحا اذا ما قام يحصره عاد ملائكة الرحمن تنصره

روضات باهت به في الدهر أعصره قبرا أشاهد نورا حين تبصره

عيني وانشق مسكا حين التمه

خضم جود تناهى في عزازته فيه الامير برىء من امارته

من لي ولو بنصيب من خفارته كم استنبت رفاقي في زيارته

عنى وما كل صب القلب مفرمه

قلبي طليق اللقا جسمي مقيده فليت شعري متى يفديه سيده

كم أمه زائر مثلي يؤيده وكم تصاخفه من لا يدي يده

ولا في عند تقبيل الثرى فيه

أراه كالقدر في العلياء أرصده قرين بعد وبالأمال أقصده

من للمريد وقد أفضاه مرشده
منى أناديه من قرب وأنشده
قصيدة فيه أملاها خويده

حديثه السن ما نيطت تمامها
نضيرة الفصن قد غنت حمامها
راجت حواسدها جارت لوائها
مهاجرية افترت كرائمها
عن ثغر در لسان الحال ينظمه

عذراء مندورة في خدمة الحرم
عسنى يكون بها صفح لمجترم
ويبلغ القصد قبل الفوت بالهرم
كم يأمل الروضة الغراء ذوكرم
يرجو الزيارة والاقدار تحرمه

لما تجنى زمانى الذنب وافتعلا
وابيض مسود شعر الرأس واشتعلا
قصدت من جل في سلطانه وعلا
مستعديا بحبيب الزائر ين على
دهر تنكر بالاهمال معجمه

هل سام نخر ك انسان ولا ملك
أورام قدرك سلطان ولا ملك
فان ألم زمان خطبه حلك
فقم بعبدك يا شمس الوجود وكن
جماه من كل خطب مر مطعمه

فكم سقاه الردى اقذى مشاربه
من حيث ساق له ادهى نوابه
فاجعل زيارته أبهى مناقبه
وادع الاله اذا ضاق الخناق به
ما خاب من أنت في الدارين مكرمه

أرجوك نصرة اعزاز موزرة
على هوى النفس اذ كانت معذرة
وقد توالى جيوش الهم منذرة
يا سيد العرب العرباء معذرة
لنادم القلب لا يغنى تدمه

الى حماك ضعيف أمره وكلا
وكم عليك حمى بالجاه رعى كلا

أصبحت كلا على نعامك بل شكلا أثقلت ظهري بأوزاري وجنتك لا

قلب سليم ولا شيء أقدمه

سلكت في هذه الدنيا سلوك غيبي وما عدت ومن الأخرى على رهب

لكن تعلقت في اذيال خير نبي يا صاحب الوحي والتنزيل لطفك بي

لا زلت تعفو عن الجاني وتكرمه

رفاعة يشتكى من عصبية سخرت لمارأت أبحر العرفان قد زخرت

فارفع ظلامه نفس عدلك ادخرت وهاك جوهر آيات بك افتخرت

جاءت اليك بخط الذنب ترقة

قبول تخميسها فضل عليه ومن لانه زمن قاسى صروف زمن

تلا مؤلفها يرجو الخلاص ثمن فانهض بقائلها عبد الرحيم ومن

يليه ان هم صرف الدهر يهزمه

فاكشف بحقك عند اليوم مظلمة من الهموم غدت كالليل مظلمة

وانظر اليه بعين الفضل مكرمة واجعله منك بمرأى العين مرحة

اذا ألم به من ليس يرحمه

ارحم غريبا بعيد الدار غائبه جبل النوى حمل الاثقال غاربه

فصل رغائبه وافضل غرائبه وان دعا فأجبه واحم جانبه

ياخير من دفنت في التراب أعظمه

أسير بين قلب الصبر قاصره وعصره بفراق الاهل عاصره

وانت ذو كرم لا شيء حاصره فكل من أنت في الدارين ناصره

لم تستطع محن الدارين تهضمه

وهذه حاجة الملهوف بمحملها وأنت أعلم والمولى بمحملها

وتنتهي وقريب العفو يشملها عليك منى صلوات الله اكملها
ياماجدا عمت الدارين أنعمه

يسقى البرابا جميعا ري عارضها انسا وجنا ووحشا في مرابضها
تشفي الخلائق طرا من تارضها يبدى عيبر او مسكامسك عارضها
ويبدأ الذكر ذكرها ويختمه

وها تحية ربي اكرم الكرما تحوضر يحك ياخير الوري كرما
سواطع النور منها تملأ الحرما مارنح الريح أغصان الاراك وما
حامت على ابرق الحنان حومه

تحية بصلات البر عائدة بالخير موصلة للرشد قائدة
تثني عليك وليست عنك حائدة وتنثني فتم الآل جائدة
بكل عارض فضل جاد مسجمه

رفاعة خمس المنظوم مرتجلا قريضة وهو بالخرطوم قد وجلا
قالت هو اتفه بالله كن رجلا فان جدك طه للخطوب جلا
فأمر خطبك هذا الجدي يحسمه

ما ذا العناء وأهل البيت قد كفلوا عودا جميلا وما عن وعدم غفلوا
لا نعن بالغير جدوا السير او قفلوا هم أجمعوا أمرهم للكيد واحتفلوا
والامر لله ما يرضاه يحكمه

ومع ان مدة الاقامة بتلك الجهات كانت لمجرد الحرمان من النفع
لوطني فقد اقتضت الحكمة الاطية ان سفرى لم يضع هباء منشورا فقد
اعتنيت في مدتي هناك بترجمة وقائع تليماك وهو بكل من في حماك وهو الذي
صار طبعه فيما بعد في مدينة بيروت ولا شك انه من انفع كتب الآداب

والحكم حيث اعتني بترجمته في سائر لغات الامم وكذلك قد تعلم فقهاء الخرطوم
 ممن معي من المشايخ القراء تجويد القرآن الشريف وعلم القراءات حتى صاروا
 ماهرين في ذلك وفي آخر الامر تنظمت المدرسة نحو تسعة شهور وتعلم فيها
 التلاميذ من ابناء المصريين القاطنين هناك طرفا من النحو والحساب
 والهندسة وحسن الخط وظهرت نتيجة ذلك في الامتحان العام والآن حين
 جددت الحكومة الاسمعية عدة مدارس بالاقليم السودانية توظف بها
 البعض من هؤلاء المتعلمين ولا بد انه يرجى نجاح تلك المدارس بداعي ان
 تأسيسها مبني على الاخلاص في النية وحسن الطوية الخديوية

وبالجملة فتى زالت من السودان وسائل الوخامة والسقامة ودخلت
 اهاليها بحسن الادارة في دائرة الاستقامة صارت هي وديار مصر في العمار
 كالتوأمين وفي ايناع الاثمار صنوين حتى ينشد لسان حالهما

نحن غصنان ضمنا عاطف الوجدان جميعا في الحب ضم النطاق

في جبين الزمان منك ومني غرة كوكبية الانفلاق

وقد لاح على قرب عماريتها علامة ظاهرة وهي فتح المدارس الخمسة
 من ابتداء الحكومة الاسمعية الباهرة وكذلك ارسالية اسماعيل بك الفسكي
 ناظر المهندسخانة والرصدخانة الى سواكن في رمضان سنة الف ومائتين
 وثلاثة وثمانين مع بعض المهندسين والرسامين لتعيين الطرق الحديدية المزمع
 على انشاؤها بالاقليم السوداني وارسالية بعض ارباب المعارف الانكليزية في
 سنة ١٢٨٦ لاستكشاف منابع النيل واعطاء ملحوظات خيرية كل هذا وامثاله
 دلائل قاطعة على ان السودان سيحظى عن قريب بالوسائل النافعة فلا شك
 ان سياحة المرحوم جنتم كان في بلاد السودان وان لم تفتح بها كنوز الذهب

فقد أدى في حقها من البحث عنها ماوجب فاذا كانت النيات لا تدرك فاليسور
منها لا يترك فكان لسان حاله يقول

سأضرب في بطون الارض ضربا وأركب في العلا غرر الليالي

فاما والثرى وأصيب عذرا واما والثريا والمعالي

وفي الحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي رواية فكل مهيا لما

خلق له وبالجملة فكان تهيوه للمعالي عجيب

الحمد لله اني رجل مذكنت لا تنقضي اعاجبي

وحسبه من الافعال العجيبة وقاية مصر من الاوبية بحسن النظافة

وبالاحتراسات الحكمية وتجديد المطبعة لنشر المؤلفات العلمية وانشاء مسجد

القاعة العامرة لتعزيد العالم الاسلامية وقطع دابر المنفسدين للحصول على

التأمينات العمومية ومع ذلك فكم ترك الاول للآخر وكم ابقى لمن بعده من

تكميل المفاخر فهذا وجب على الخلف تميم مالم يتيسر فعله للسلف واعمال

فكره في استنتاج نفائس المنافع كما يعلم ذلك من فصول الباب التابع

• مطلب •
ان المرادوم محمد
على كان يجعل
كسب المعالي
دائما نصب
عينه وكان
لا يحرم منها

الباب الخامس

في الآمال الحسنة والاعمال المستحسنة من الاصلاحات المصرية بمقتضى اصطلاحات
الحال العصرية وفيه فصول

الفصل الرابع

(في ذكر تقدم مصر في هذا الوقت الحالى)

من المعلوم ان مصر في هذا العهد من احسن البلاد المشرقية حكومة
وافضلها ادارة اذ فيها من كمال حسن الادارة والضبط والربط ما يفيد الامن على
الارواح والاموال والاعراض كما في اعظم الممالك المشرقية والمغربية وفيها
الصنائع آخذة في النمو والازدياد وما أنشئ فيها من سكك الحديد الكثيرة
الفروع ومن الترع والجسور والقناطر زاد كثير افي تجارتها وزراعتها ولولم يكن
للحكومة الحالية الاحوض السويس العجيب والترعة الابراهيمية التي صار
انشاؤها بالصعيد على وجه من السعة غريب لكفاها ذلك على رغم حاسدها
المريب فناهيك بترعة كادت ان تكون بحرا وحفرها في اقرب مدة يسكاد
أن يعد سحرا وكم للحكومة الحالية غير ذلك من التجديدات والمآثر الخالدات
فلو نظرت الى تحسين المحروسة بتوسيع المزارع والمسالك وانها في اقرب مدة
صارت كاعظم مدن الدول الكبيرة والممالك لازدرت من تولى حكومة مصر
من الملوك والخلفا ولصغر في عينك مجدهم الاثيل الذي ذهب جفاء واختفى
فشأن مصر اليوم مما يغبط عليه فهي حرية أن تكون قدوة لجميع البلاد

« مطلب »
توسيع المزارع
والمسالك

المجاورة لها وبالجملة فأرض مصر الاريضه الطويلة العريضة طيبة التربة كريمة
 المنبت ومضافتها من بلاد السودان جسيمة المقدار خصبة ايضا على الاكثر
 وتربتها أيضا معشوشبة فيها معظم سعة الخديوية الجليلة المصرية بحيث لا تنقص
 في المقدار عن ثلث للمالك العثمانية فمساحتها مساحة الممالك العظيمة وجميع أهلها
 واهالي البلاد الملحقة بها نحو ستة ملايين كل ذلك يجعلها مضاهية حسا ومعنى
 لبعض الممالك المعتبرة في ميزان البوليائية

فلا غرو أن كانت بجزاياتها وخصائصها منتظمة في سلوك أحاسن الممالك بل
 هي واسطة سلوك العقود الجوهرية ومالكها خير مالك ومن وقت ما حسن
 فيها مذهب الادارة والترتيب جاد مصدر ارادها بالمحصول العجيب فمن
 قدره بزهاء مليون من الاكياس فقد أصاب حدسه وما حاد عن القياس
 وأقوي الدلائل في الحالة الراهنة على طيب حال مصر وما يرجى لها
 في المستقبل من نموخير وانتهاء محو الاصر ما هو جار الان من ازدياد تجارتها
 وامتداد معاملتها فان ما خرج منها الى البلاد الاجنبية سنة سبع وستين ومائتين
 وألف هجرية قد زاد الآن خمسة أضعاف على السابق والذي دخل اليها زاد
 ضعفين فاليوم صارت قيمة تجارتها الداخلة والخارجة جسيمة جدا من رؤس
 أموال وأرباح حتى أبلغها بعضهم نحو مائة وخمسين مليوناً من الليرات وان
 كان هذا لا يخلو عن المبالغة

ولا تزال مصر بالتقدمات التحسينية المنتشرة بها الحكومة الحالية
 تتأدى في الازدياد وتتهادى بحسن سلوك سبيل الرشد والسداد فلا غرو أن
 استحالته حالة الحكومة في أحوال متعددة الى أطوار حسنة متجددة
 ونهض بها حسن الجهد والطالع الي أسنى الطوالع وأسنى المطالع فما أحسن

الحكومة التي أنعم الله عليها بمن يسارع في اعزاز الوطن وتبليغه مناه واعلاء
الجمي وتكثير غناه ولو بانفاق المال لتحسين الحال

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا ببارك الله دون العرض في المال
أحتال للمال ان أودي أحصله ولست للعرض ان أودي بمحتال

فالملك العاقل من يستطيع المتاعب في استحصال المعونة ويستجلب
لمكاسب ليقوم أود وطنه ويتعهد شؤونه ويجهد في تنمية الإيراد والمصرف
الى حد التعديل بسلوك أرشد طريق وأعدل سبيل حتي يبلغ السعي في التنمية
درجة الموازنة والتسوية فاذا امتلأ الحوض وسقى الروض لطف السعي وذاتت
الرعية حلاوة الرعي وظهرت ضخامة مصر التجارية ونخامتها السياسية الغرس
أصول المنافع الاسياسة فان حسن الادارة والاقتصاد والتدبير باب عظيم لفتوح
الخير الكثير وطريق لتأسيس الثروة وتمهيد الغنى ولتجديد النعمة وازدياد الهنا
وكل ما يوجب حسن الثنا مما يحسن فيه قول الشاعر

بدائع من صنع القديم ومحدث تأنق فيه المحدث المتأنق
اذا أنت من اعلاه أشرفت ناظرا تجيل عنان الطرف فيه وتطلق
وتجمع فيه كل حسن مفرق وشمل الاسي عن حاضريه تفرق
فكم من غياض في رياض وجنة بها كوثر من مائها يتدفق

ولقد حصل في هذا الزمن الاخير في الحكومة توسيعات وتسخيرات
عجيبة لم يتمكن منها المرحوم محمد علي وكان يتنى حصولها لبعض المؤرخين حيث
أبدي فيه ملحوظة لطيفة تفيد أنه لو ظفرت ديار مصر بهذا التكميل تم لها
الذست وفازت بالحظ الجزيل فاعناه المؤرخ المذكور ثم في هذه الحكومة
الحالية كما سند كر ملحوظ ذلك في الفصل الثاني المتكفل لبيان مباني تلك المعاني

الفصل الثاني

في ملحوظات عمومية تتعلق بالديار المصرية أبقاها بعض من أرباب
السياحة وحرص فيها على ما يلزم من تقديم التمدن بتحسين أحوال المنافع العمومية
تجارة كانت أو زراعة أو فلاحه وهذا باعتبار ما كان كما لا يخفى على ذوي العرفان

ومضمون كلام هذا المؤرخ ان خصوبة أرض مصر واعتدال قطرها
وصحور منها كل ذلك يؤذن باستعدادها الى الوصول لدرجة السعادة وأوج
الثروة ومع ذلك فقد توالى عليها من منذ قرون عديدة عدة من الدول ولم
يتشبث أحد من ملوكهم الي ابلانها درجة كمال ولا مرتبة اعتدال وذلك
لانها في عهد الخلفاء كان يتولى عليها من العمال والنواب من لا يسلك أكثرهم في
حسن الادارة والتدبير سبيل الصواب وانما كان النائب فاعلا مختارا يسيء
معاملة الرعية بما عنده من المرخصية وربما حدث في أيام نيابته اختلال جسيم
يتسبب عنه الدمار وانحلال العمار فقد رأى نيل مصر بعينه أن رمال الصحراء
والبراري انهارت عليه وامتدت على جزء عظيم من الارض التي كان يرويها
حتى أعقمت سواحلها بوار نواحيها وأفسدت رساقها وضواحيها

« مطلب »
عدم الوقوف
على حقيقة مصر
لأرباب السياحة

وقد ازداد هذا الضرر وتجسم الخطب والخطر في أيام حكومة سلاطين
الشراكسة وبقيت أيضا في أيام الدولة العلية للاختلاف الواقع بين ولايتهم
والماليك الوجاقلية ففسدت مملكة مصر بين الفريقين وضاعت كضياح
السفينة ذات الرئيسين ولم يصفها أرباب السياحة من المتقدمين والمتأخرين
حق وصفها الصحيح بل تكلموا عليها بكلام ناقص فيها يتعلق بالتعديل والتجريح
ولا وفوا لها بما يجب من الطب والعلاج ولا بينوا طرق التقدم والرواج

ولما حل بها جيش فرنسا وبة أمن عن النظر فيها وعرف قيمة الطرق المعاشية
وان مصر لو حكمت بحكومة مماثلة لدول أوروبا المنتظمة لا يمكن تكثير
أهلها وبلوغهم الى ثمانية ملايين متممة وانها قابلة لنمو الزراعة والصناعة
والتجارة وأن أهلها فيهم القابلية لاجتناء ثمرات العقول وفوائد المهارة وقطرها
مستعد لتحسين الصحة العمومية بطرد الامراض الوبائية وماء النيل اذا
توزع على الاراضي بالوجه اللائق يروي من القداين فوق اربعة ملايين
وتكون كثيرة المحصول فان فلاحها المختلفة تمكث ثمانية اشهر من السنة
يتقلب عليها الحرث والزرع المختلف باختلاف الفصول فان اراضي اقليم البحرية
متساوية الاطيان تقريبا في طبيعة المزارع مستوية الاجزاء فجميع اراضيها
صالحة للزراعة والفلاحة بالسهولة لان الرطوبة تبقى بها مدة فصل الشتاء
وبعده فيسهل انباتها بواسطة ما ينزل فيها من الامطار بدون الاستعانة
بالسواقي فتخرج منها الخنطة الجيدة فما يوجد فيها من البور بدون زرع فهو
ناشئ من مجرد اهمال الاهالي وسوء ادارة الحسكام مثلا جميع الاراضي الواقعة
على شواطئ ترعة الاسكندرية هي أشبه بالصحراء والبرية خلوها عن الحرث
والفرس ولو زرعت جميعها لخرج من المحصول الجسيم مقادير وافرة
فالاراضي التي لا تزرع بمديرية البحيرة نحو مائة وثمانين الف فدان تقريبا منها
أرض بحيرة مريوط تشتمل على ستين الف فدان مع انه يمكن تجفيف جزء
منها وزرعه

« مطلب »
راى فرنساوية
حين تغلبهم على
مصر في عمارها

« مطلب »
حالة اطيان
مديرية البحيرة

واما روضة البحرين فانها خصبة جدا الا انها لم يعطها الفلاحون في
الفلاحة ما يجب لها فهي في الجملة تعطي محصولات جيدة ولو أعطي لها حقها
من الفلاحة لكثير محصولها كثيرة بالغة ففي أقسامها تخرج الخنطة والذرة

« مطلب »
حال اطيان
مديرية روضة
البحرين

والفول والشعير والكتان والنيلة والدخان الا انه لا بد من تقدم الزراعة بها
تقدما أجسم من ذلك لزيادة المحصول وكثرته فان روضة البحرين التي هي
عبارة عن الغربية والمنوفية فيها نحو مائة وعشرين الف فدان من البور منها
بالغربية نحو ثمانين الف فدان والباقي وهو مقدار النصف من ذلك بالمنوفية
ومن تحسين الزراعة بمصر ان يخصص جزء من اراضي الشرقية
والدقهلية لزراعة القطن والكتان والنيلة وما يتبقى بعد هذا التخصيص يكون
لزراعة الحنطة والذرة والفول والشعير والعدس ونحو ذلك ويخصص في
مديرية الشرقية جملة أفدنة لزراعتها على هيئة المروج الصناعية والمراعي المدبرة
ويصح في هذه المديرية زراعة الكرم والتوت كما صحت زراعة التوت في
بعض الجهات الاخرى من الاقاليم الجنوبية الافرنجية الشبيهة بالاراضي
المصرية فان تربية دود القز بمصر تعطي مع السهولة محصولا عظيما لمساعدة
الحكومة له واستثنائه من دفع العوائد تمييزا له في الحال المقتضى لها ذلك
فان في مملكة فرانسأ أشياء تستثنى من دفع العوائد والضرائب لقصد
ترغيب الزراعة وتكون معافاة من ذلك وقتيا يعني لا تدفع العوائد الا
بعد مدة فمن ذلك التزام ردم قدر مخصوص من البرك والمستنقعات لمن يريد
غرسها فانه يجوز في فرانسأ الترخيص له في ذلك القدر ومعافاته من دفع
المال مدة لا تزيد عن خمس وعشرين سنة تمضى بعد التنشيف وصورته
صالحا لغيره هذا في الاراضي البور وأما الاراضي المعمورة فيجوز بموجب
اللوائح الصادرة في ذلك معافاتها من المال لمنفعة الاراضي نفسها اذا زرعت
بزراعات مخصوصة أنفع من غيرها للمملكة كزراعة الكرم أو الاشجار
أو التوت كتنمية دود القز أو الاثمار فتكون لها امتيازات خصوصية في

« مطلب »
ما يستثنى من
دفع العوائد
المالية ترغيبا
لتكثير العمارة

فرنسا وقد سلك هذا المسلك المرحوم محمد علي في مبدأ الامر برفع الاموال
 عن اراضي الضواحي التي يزرع فيها قدر مخصوص من شجر الزيتون وكما
 صدر في هذا العهد الاخير من قرارات مجلس النواب فيما يخص الاراضي
 المستبحرة والموات من تمييزها برفع الاموال عنها مدة محدودة للمنفعة
 العمومية ولا بأس ان يعمل في مصر مثل ما يعمل في فرنسا في ربط الاموال
 على العقارات المجددة من بيوت الابحار والورش والمعامل وهو ان لا يربط
 عليها عوائد الا في آخر السنة الثالثة التي تمضي من تمام عمارتها ترغيبا
 للمجددين حيث انهم في اثناء هذه السنين الثلاثة يحنون جميع ثمره مبانيهم
 ويوفون غالبا ما عليهم من الديون للصناع وارباب مهيات البناء فبمثل هذه
 الترغيبات يكثر التجديد للامور النافعة النادرة فالتشويق لغرس شجر التوت
 لتنمية دود القز يكون من هذا القبيل

فبحسن ادارة تربته يكون عدة وعمدة لامداد الفهريقات الاروباوية
 كما سيأتي توضيح ذلك فيما بعد الفصل الثالث من هذا الباب

وفي اقليم الشرقية نحو اربعين الف فدان من البور اذا صار تهدها
 بالزراعة يتبدل البوار بالعمار وقلة المحصول بالاستكثار وكذلك بالدقهلية نحو
 ستين الف فدان بدون زراعة اذا انصلحت راجت وكانت كنزا للبراعة
 واذا تقدمت زراعة الارز بجوار رشيد ودمياط عما هو جار الآن وتحسن
 تبييض الارز بتكثير الطواحين التي تدور بالآلات المائية فان ارباب
 الزراعة بتلك الجهات يكتسبون الاموال الجملة من هذا الفرع الذي هو اوجود
 من ارز ايطاليا وامريقة والاقطار الهندية لا سيما وان بتلك النواحي يوجد
 من الاراضي البور الصالحة لزراعة الارز نحو اربعين الف فدان

« مطلب »
 اطيان مديرية
 الشرقية

واما مديرية الجيزة ومديرية القليوبية فانهما تعطيان محاصيل مماثلة
 لمحصولات المنوفية والغربية اذا صار تعهدهما بالحرث والغرس كما ينبغي بل يزيدان
 على ذلك بصلاحيتهما لزراعة القطن واذ صار اصلاح ما فيهما من البور الذي
 يناهز ثمانين الف فدان يكثر محصولها كثرة بالغة وكذلك اقليم القيوم اذا
 استمر على زراعة الزيتون والورد واخذ في الكثرة فان محصول هذين
 الفرعين يزيد في قيمته زيادة ذريعة فانه اقليم ظريف مخصب بكثرة الاجتهاد
 وتقديم فن الزراعة فيه وانما تخصص منه جزء عظيم من الاراضي لزراعة الغلال
 بقدر الحاجة والباقي تصح فيه زراعة النيلة والسكتان والبرسيم بترتيب زراعة
 كل صنف بما يلائمه من فصول السنة لصلاحه أرضه للزراعات الراقية وما فيه
 من الاخراس يقارب ستين الف فدان قابلة للاصلاح خالة اراضيه التي فسدت
 بالحروب واغارة العرب قابلة للاستحسان وان يعود خصبها كما كان

« مطلب »
 اطيان مديرية
 الجيزة ومديرية
 القليوبية

« مطلب »
 اطيان اقليم
 القيوم

« مطلب »
 اطيان مديرية
 بني سويف

واما مديرية بني سويف فهي منبثة للحنطة والذرة والبقول والسكتان
 والنيلة والدخان ومع ذلك ففيها من الاخراس نحو اربعين الف فدان اذا انصلحت
 تصير جسيمة المحصول

وفي اقليم الاطفيحية يصح القمح والنول والذرة والدخان وفيه من
 الاراضي الغير المفلحة نحو ثلاثين الف فدان اصلاحها من الواجبات واما
 اراضي المنية فاكثرها صالح لزراعة قصب السكر لاسيما نواحي ملوي (قال)
 الحكيم جالينوس لولا قصب السكر بمصر ما برئت اهلها من العلل سريعاً وقيل
 يعمل من قصب السكر نحو الف نوع من الحلوا اقل بعضهم واحسن في الجنس
 سبحان من اُنبِت في ارضنا ما بين شوك وحلافيها
 اُنْبِوِيَةٌ في حشوها سكر قد كان ماء وحلافيها

« مطلب »
 اطيان الاطفيحية

والطف منه بكثير قول بعضهم فيه ماغزا

جعلت فداك هل لك من حبيب حبيب في الوصال بلا محال
 نقي الثغر معسول الثنايا له ريق ألد من الزلال
 له قد القضيبي اذا تثنى وهزنت عطفه ربح الشمال
 يقام عليه حسد القطع ظلما ولم يسرق ولم يتهم بنال
 ويعصر كعبه من غير ذنب فييدي الشكر من كرم الخلال

وهو كثير في الديار المصرية لا يكاد ينقطع عنها الا في خمسة أشهر في السنة
 (وقد نقل) عن الشافعي رضى الله عنه انه قال لولا قصب السكر بمصر
 ما سكنها وكان يكثر من مصه لذته التي لا يملها أحد وقد تجدد صنف آخر
 من قصب السكر مشبع في المائئة والحلاوة لكنه لا يساوي في اللذة القصب
 البلدي وقد كثر هذا الصنف باقاليم مصر ولكن استفحلت أعواده في مديرية
 المنية لشدة صلاحيتها لزرعه وفيها ثلاثون ألف فدان من البور فاذا زرعت
 يحصل منها محصولات عظيمة

واما مديرية أسيوط وجرجافانها مشتملة أيضا على نحو ستين ألف فدان
 بدون فلاحه لكنها صالحة لذلك ينبجج في أرضها الحنطة والذرة والعدس
 والنيلة والدخان والسلجم والقرطم والخشخاش وقصب السكر وغير ذلك ومن
 أسيوط الى أسنا سائر الاراضي صالحة للقطن والكتان والقرطم والسلجم
 وقصب السكر والقمح والذرة والعدس واللوبيات وغير ذلك وجميع
 أراضيها صالحة لزراعة شجرة البن وانما تستدعى بها أعمالا خصوصية يعني اذا
 خدمت الارض خدمة مخصوصة وزرعت فيها شجرة البن فانها تثر اثمارا
 عظيمة فهذا تستغني مصر عن بن بلاد اليمن فالارض الصالحة لهذه الشجرة

« مطلب »
 طيان مديرية
 المنية

« مطلب »
 اطيان مديرية
 اسيوط وجرجا

« مطلب »
 صلاحية ارض
 الحميد الاعلى
 لزراعة شجرة
 البن

بتلك الجهات الصعيدية تبلغ تقريبا نحو نصف ما يوزن فدان من الاطيان التي
مخرست بالحلفاء وبغيرها من الحشائش الطفيلية كالشوك والسعدان ويصح
في هذه الاراضي الصعيدية شجرات التوت الذي يتغذى به دود التمز لان الصعيد
ينبت الجيز في كل ناحية من نواحيه فيفلاح فيه التوت ولا يخشى على دود
القر فيه من التلف لقلة الامطار والعواصف المتلفة لدود القر في بلاد امريقه
ويمكن في مصر وقايتها والتحفظ عليها من هبوب الرياح الجنوبية الرئيسية
بغرس الاشجار الملقطة لتلك الرياح

وفي اودية الفيوم تنتج اغنام المارينوس ذوات الصوف الموصوف
وتحسن للغاية لجودة مرعاها فبذلك يحصل في مصر الاصواف الجيدة وتتخذ
منها المنسوجات الظرفية والمشغولات اللطيفة ولا مانع من تخصيص اصطبلات
عظيمة في جزء من اقليم الفيوم وفي جانب من مديرية الشرقية لتحسين جنس
الخيول فان توليد الكحائل العربية وحياد الخيول الدقلاوية للتجنيس على
الخيول المصرية ينشأ عنها اصناف جيدة متجنسة تعتبر من الاصائل وكذلك
اذا بلغت رعة السويس المرام بوصلة النيل المبارك بالبحر الاحمر فان مزاياه
لا تحصى ولا تحصر واذا سهلت المواصلات بين قنا والقصر للاخذ والاعطاء
بتجديد منازل خانات للما كل وبيضاء صهاريج تمتليء من الامطار الشتائية
بقدر لوازم المسافرين واحتياجاتهم فان فوائد هذه التجديدات مما لا مزيد
عليه لرأج المخالطات والمعاملات وكذلك اذا صار العريش الذي بين مصر
والشام مركزا للتجارات والبضائع وتأكدت المعاوضات والمبادلات
والاخذ والاعطاء بين الاقاليم المصرية والشامية فان القوافل تنقل محصولات
القطرين من احدهما الي الاخر مدة الفصل الذي يخشى فيه على السفن في

« مطلب »

تاج اغنام
المارينوس
باودية الفيوم

« مطلب »

تحسين جنس
الخيول في الفيوم
والشرقية بأبليس
اسطبلات
خصوصية

السير في البحر ولا يؤمن عليها فيه ان برسى بلا خطر في ميناء دمياط فيكون
 سفر التجارة في البر آمن ولهذا يلزم انشاء رعة ما بين ميني الاسكندرية
 لمن لا يريد التجارة في البر فبانشائها يسهل عبور السفن وخروجها من الاقطار
 الشامية واذا غرست الاشجار في صعيد مصر فانها تحفظ القطر المصري من
 ريح السموم وتقيه من وخامة الهواء المسموم لان الاشجار العالية الجافة متى
 غرست في الجهات لمجاورة للبراري والصحاري وقت المزارع من التلف
 وحفظت الاهالي من الامراض الناشئة في الغالب عن هبوب هذه الرياح
 المسمومة المضرّة فاذا حصل ذلك كله توفر في قطر مصر الخير والبركة في
 محصولاتها وتواجد فيها من المؤنة والمعونة قوت أهلها فيفيض فيها ما يكفي
 لقوت أهالي جنوب أوروبا ويمكنها أيضا ان يغتدى بها من مراعيها ما ينيف
 عن خمسمائة ألف من الابل ومائتي ألف من الخيل وأربعمائة الف من الخيول والبغال
 واربعة ملايين من الابقار والجواميس وعشرة ملايين من الضأن والمعزوا اذا اتخذ
 فيها نحو ثمانمائة معمل لترقيد البيض واخراج الدجاج نتج من ذلك خمسة وعشرون
 مليوناً من الدجاج وهذا كله ينتج الغنى والثروة مع ما يتجدد بها من العلاقات
 التجارية والتواصل بالمعاملات الاستمرارية بينها وبين جميع المدن التي على
 البحر المسال من بلاد الحجاز واليمن وسائر بلاد العرب وبلاد الحبشة ويكثر
 تردد السفن منها بطريق السويس والقصير على الميناء العربية والحبشية
 كما تصير مورداً لذلك وكذلك اذا زالت موانع الاوبية والمضار من الجهات
 الجنوبية فان قوافل داخل بلاد افريقية تتردد الى ديار مصر بمتاجرهم
 ليستعيضوها بمحصولات فبريقات أوروبا الواردة الى مصر وبواسطة ما في مصر
 من الامنية والمساعدة للاجانب والاغراب ترسل جميع البلاد اليها الرسائل

التجارية لا طمأنينهم على نجاح مقاصدهم وفلاح مواصدهم فاذا اتصفت مصر
بهذه الصفات وصفت أحوالها هرع اليها كل فريق وحج اليها الناس من
كل فج عميق فهذا يعمر السكان وتكثر السكان وتجدد البركة يكثر العمل
وتنشط الحركة فيستدعى حال المدن الاصلية تكثير المدارس العمومية
والكتبخانات الاهلية المشتملة على جميع العلوم والفنون لتنوير عقول ذوي
المعارف ويكثر العلماء والمتفنون وتنتشر على آفاق مصر أوار المعارف الخارجية
وأسرار اللطائف الانسانية لا سيما وان أبناء مصر أرباب قرائح ذكية
وحافظهم قوية متى قصدوا شيئا تعلموه في أقرب وقت وزمان وكم قام على
قابليتهم واستعدادهم لعظام الامور أعظم برهان

« مطلب »
استعدادا بناء
مصر قرائحهم
الذكية لجميع
المعارف والمنافع
البشرية

ثم ان تغير حالة مصر الى حالة مستحسنة لا يستدعى من الزمن عشرين
سنة لان تربتها طيبة ومزارعها مخصبة وواديها سعيد وبها ينمو الحيوان والنبات
في أقرب وقت ويزيد تبت الاطفال فيها نباتا حسنا ويترعرون في أقرب
وقت وتنمو أبدانهم نماء مستحسنا والنوع الانساني في مصر يتعود على لطافة
الاخلاق وانتظام المعيشة والاقتصاد فيها وعدم التكليف بما لا يطاق
والغالب على أهلها ان تبقى قوائم العقلية الي آخر أعمارهم بدون ان يحصل
فيها خسافة واذا بلغ الانسان منهم سن الهرم فلا يتكلم بكلام خرافة
قال صاحب هذه الملاحظات لا شك أن ما ذكرته من التحسينات
في شأن المملكة المصرية يقع معظمه موقع التحقيق لو دامت هذه المملكة
في قبضة فرنساوية انتهى

« مطلب »
حفظ قوى اهل
مصر العقلية الي
آخر عمرهم في
الغالب

ونحن نقول من القواعد الاساسية ان علة الضم الجنسية
نعم بيننا جنسية الود والصفاء ولكنني لم ألفها علة الضم

فكلامه مبنى على شبهة واهبة وهي ان مصر يسوغ أن تصاحبها فرانسوا
 وأى مملكة تكون لها مضاهية فاعتقاد ذلك من الايغال المدهي أو من باب
 التشبهات الفاسدة وانما يقتل النفوس التشهية تشطير البيت الشهير
 جاء شقيق عارضا رحمه صوب بني عم يروم الكفاح
 قيل أما تخشى انكسار القنسا ان بني عمك فيهم رماح
 وفي الحقيقة فأغلب ما ذكره صاحب الملحوظات وعليه عول فقد قام
 بأغلبية جنتم كان الذي كان هو المجدد الاول وقام بالتتميم والكميل خلفه النبيل
 فلم تك تصالح الا له ولم يك يصلح الا لها
 ولو سامها أحد غيره زلزلات الارض زلزالها
 ونقول هنا أيضا ان علة الضم الجنسية فان بنى اسمعيل مستعربة ولا
 يتعجب من هذا ولا يجمله غير غيبي * الله أكبر كل الحسن في العرب * وسنذكر
 في الفصل الثالث ما يفيد ان هذه الملحوظات لم يعزب منها مثقال ذرة على
 المرحوم محمد على

فان تك افنته الليالي فأوشكت فان له ذكر اسيفنى اللياليا
 بل ولا على خلفائه من بعده لا سيما الحفيد المفيد الذي لا زال القطر
 المصري يكتسب في ايامه من معالى الامور ويستفيد فالمجددان الامجدان
 أخرجنا المنافع العمومية في مصر من حيز العدم الى حيز الوجودان
 وللمكسارم أعلام تاملنا مدح الجزيلين من بأس ومن كرم
 وللعللا السن ثنى محامدها على الحميدين من فعل ومن شيم
 وراية الشرف البزاخ ترفعها يد الرفيعين من مجد ومن همم

الفصل الرابع

في بيان بلوغ المنافع العمومية بالديار المصرية درجة
ارتقاء جلية في عهد الحكومة الحالية مع بعض ملحوظات بهية

يفهم من الملحوظات المذكورة في الفصل الثاني أن بمصر من البور الصالح
ما ينيف عن مليون فدان وأنه ينبغي اصلاحها والانتفاع بها وأنه ينبغي في
القطر المصري تجديد المروج المدبرة يعني المراعي كالبرسيم الحجازي ونحوه
وأنه ينبغي لا سيما بالصعيد غرس اشجار التوت وتربية دود القز وتعميم
ذلك في البلاد الصالحة له بالاقليم البحرية وتحسين احوال الارز وعمل
طواحين الهواء لتبييضه وتنظيفه والاكثر من غرس القطن واصلاح
اراضي الفيوم بزرع الاصناف كالكتان والنيلة والقطن والاكثر من قصب
السكر في الاقاليم التي ينمو فيها كراضي المنية وملوي وغرس شجرة البن في مساحة
عظيمة من ارض الصعيد وتربية اغنام المارينوس الاندلسية في الفيوم وتحسين
اجناس الخيل بتوليد الخيول المصرية من الخيول العربية الاصائل وعمل
اصطبلات لذلك بالفيوم والشرقية وتوصيل البحرين الاحمر والابيض
لتسهيل الاسفار واتخاذ العريش مركزا لتجارة مصر والشام وغرس الاشجار
العالية بالصعيد لمنع مزار الرمح السموم وتسهيل ورود القوافل من داخل
افريقة الى مصر لتساع التجارة

فهذا مضمون ما أشار اليه صاحب الملحوظات كما يعلم ذلك من مطالعة
الفصل السابق ولا يخفى على الخبير باحوال مصر الآن أن كثيرا من
ذلك قد كان بحسب الامكان في ايام المرحوم محمد علي جنته كان لا سيما في

أيام من اعتنى من بعده ووفى لعمار المملوك المصرية بالشروط والاركان فلما
ما يتعلق بالبور المذكور فقد انتظم من أيام الرحوم محمد علي الى وقتنا هذا
في سلك المعمور إما بالاقطاع والتليك لتقصد الاصلاح واما بالضريبة أو
التأجير للفلاح وغير الفلاح ومن وقت الحكومة الاسمعية صار احياء
ثلثمائة الف فدان من الموات حتى قل أن توجد من غير المنزرع الا اطيان
جزئية في محال عالية أو كالحواجز التي انحسر عنها النيل ولم يبق من البور
الا القليل

واما تجديد المراعي المدبرة فقد تجدد شي من البرسيم الحجازي في
الدوائر والاواصي المعتبرة الا ان مصر تزرع البرسيم المعتاد في فصله بكثرة
للتشمية ثم عقب الصيف يكثر فيها المراعي بعد الحصيد مجانا ولكثر علفها
اليابس لها عن المروج المدبرة مندوحة

« مطاب »
عدم ضرورة
المروج المدبرة
في مصر

واما زراعة القطن فتحتاج الى زيادة بسط الكلام والتوفية بالمرام
لانها من انفع المواد للديار المصرية لدخولها قديما وحديثا في المصانع البلدية
ومع ان ارباب زراعتها بمصر بأرياف مصر لهم خبرة تامة بغرسها ومباشرتها
فلا بأس بذكر بعض مسائل تتعاق بذلك مما هو جار في شأن زراعة القطن
في البلاد الاجنبية ليكون به كمال المعلومية فنقول

« مطاب »
زراع القطن
وغرس شجر
التوت وتربية
دود القز

ان شجرة القطن تنتج بالقرب من سواحل البحار والانهار وفي داخل البلاد
بالبعد عن السواحل أيضا ولا يضرها الهواء الرطب متى كانت درجة الحرارة كافية
بخلاف ما اذا كان الهواء رطبا والزمن باردا ولا يصلح لشجرة القطن البلاد
الكثيرة الامطار المتعاقبة لاسيما في ابتداء غرسها وفي زمن تزهيرها وفي زمن جنينها
فان المطر في زمن غرسها يوجب الفونة للبذر وفي زمن تزهيرها يسقط الازهار

وفي زمن جنينها يقتضى تأخير المحصول ووساخة القطن والاضرار بما يجنى
وأما اذا كانت الامطار غير متعاقبة بل متباعدة المسافات فانها تنفع لنمو
أغصان هذه الشجرة وكبر حجمها وجودة جنس القطن

ويجب ان تفرس اشجار القطن في جهات متباعدة عن الاورمان
والغابات وأن تكون بحيث لا يمنع ظل الجبال والتلول تمكثها من اشعة
الشمس لان الظل يؤذى شجر القطن ولو في الاقطار الشديدة الحرارة
ويسقط ازهارها وكذا الرياح العاصفة والباردة تضربه فينبغي أن يزرع
القطن في الجهات التي ليست عرضة لهبوب الرياح

ومن المجرى ان نفع الهواء مثل نفع النور للزروعات فينجح زرع القطن
في التلول المتوسطة الارتفاع التي تربيها الأهوية النافعة وان لا يظلمها ظل
وان يكون عمق الارض الدرجة اللازمة لها وان لا تكون الارض صلبة
ولاحجرية ولا يابسة فاذا كانت الارض يابسة ينبغي سقيها وتيجج شجرة
القطن في الاراضي المتخلخلة المشوبة بالرمل أكثر من نجاحها في الاراضي القوية
الابلية وتيجج في الاراضي الخفيفة اللينة أكثر من نجاحها في الاراضي
اليابسة لان ذلك نافع لتشعب سيقانها وتعريشها ومن المجرى انها في الارض
القوية الخصبه ولوانها تنمو بليغا وتكثر ازهارها غير ان الازهار تسقط
بالسرعة فلا تنتج المحصول الكثير ومثل ذلك ما اذا كانت الارض شديدة
الرطوبة فان ازهارها تسقط سريعاً وما حدث من ذلك عفونة سيقانها ووزرتها مما
ولا تنمو شجرة القطن كما لا ينمو غيرها من النباتات اذا غرست بالاراضي
الصخرية والحجرية لان سيقانها لا تجدد شيئاً تخترقه وتموفيه ويصلح لغرس شجرة
القطن الاراضي الرملية الدقيقة الرمل المشوبة بالطفل أو بالجير فمواها في هذه

الاراضى وان لم يكن شديد القوة لكن كثير المحصول الجيدا الصنف وسريع
الاستواء وقد ينجح غرس القطن في الاراضى المتوسطة الخصوبة التى يتعسر
فيها نجاح غيره من الزروع والحاصل ان تمام نجاح غرس القطن ونموه يكون
في الاراضى المحتوية على الرمال الدقيقة السهلة الحرث القليلة الرطوبة وانما ينبغى
الاعتناء باصلاح الارض قبل البذر فيها وينبغى التنظن الى ان ساق شجرة
القطن لا بد أن يدخل فى الارض ثمان عشرة بوسة يعنى أصبعا لا اقل من ذلك
وانها لا بد لسيقانها من التعريش والامتداد فالارض الصلبة الكثيفة الصعبة
المنافذ لا تليق لها ولا يدرك الزارع التعمق والتجنب الا بمعرفة درجة العمق
المطلوب لوصول الساق فى الارض ومقدار مسافة البعد المطلوب بين ساق كل
عود مع العود المجاور له امام معرفة العمق فيسهل الوصول اليها بحرث الارض
والتعمق فيها بقيمة ثمان عشرة بوسة الى عشرين بوسة واما معرفة قدر مد
الساق من الفراغ لتعريشه فهى تابعة لطبيعة الاراضى والمعتاد فوات الفراغ
بين الخطوط بقدر سبعة اشبار ونصف فى الاراضى الضعيفة وثلاثة عشر
واربعة عشر شبرا فى الاراضى الخصبه القوية فينبغى للزارع أن ينتخب محلا
مخصوصا ويغرس به جملة أشجار بعضها متقارب وبعضها متباعد فالانجح منه
يتبعه

وينبغى الابتداء بحرث الارض وازالة ما بها من آثار النباتات الطفيلية
والحشائش وان يشق جوفها بالمحراث أو بالعزق الا ان العزق ينفع فى الاراضى
المنفصلة الاجزاء دون السمينة القوية وبعد الحرث والعزق يرتبها حفرا وشقوقا
ونقرا ويتركها عرضة للشمس والهواء مدة من الزمن مع تنقية ما فيها من
الاحجار ثم يردها بالثاني باعادة كمية الطين الذى أخذ من جوفها بعد أن

يخلطه بالسبخ ولا يترك مكشوفاً فيها بوسة واحدة ويضع في الجزء المكشوف
 تقاوى القطن بالوجه اللائق وفي كل نقرة يضع من البذر ثلاثة أو أربعة أو خمسة
 ثم يتم ردم النقرة بباقي الطين الذي خرج منها ويجعل ارتفاع النقرة مساوياً لارتفاع
 مسطح سطح الأرض المجاورة لها لئلا تكون مخزناً للمياه التي تعفن البذر ويلزم أن
 تردم جميع النقر التي وضع فيها البذر في يوم حفرها خوفاً من اتلافها بنزول المطر أو
 نحوه وينبغي أن تكون أشجار القطن متباعدة عن بعضها لتمكن الهواء والضوء
 منها وينبغي بعد حرث الأرض لزراعة القطن أن تمر فوقها الآلة الهراسة لتكثير
 قطع الطين الكبيرة وفكها ومن أهم الأمور انتخاب التقاوى بأن تكون كاملة
 النضج سليمة خالية عن العيوب ماخوذة من أثمار الأشجار القوية النمو والآن كان
 محصولها ضعيفاً وخسيساً وخلياً عن الجودة ولذلك ينبغي للزارع البارح أن
 ينتخب قطعة أرض في جهة من الجهات المعتدلة الهواء ويزرعها من الأشجار
 الشديدة القوية ويعدها للتقاوى فينتخب منها ما يكون متكاملًا في الحب ثقيلًا
 في الجرم ولا يخلطه بنيره من الجبوب ثم يبذر منه في الأرض ومن محصوله
 بالخصوص إلى أن يظهر له انتقاص المحصول في الكمية والجودة فيتدارك
 غيره أو أعظم منه من التقاوى فقد صح بتكرار التجارب أن تكرار زراعة
 الصنف الواحد في الأرض نفسها يعثره على مدى السنين تناقص في الجرم
 والجودة فالأرجح لمصلحة أرباب الزراعة القطنية استبدال تقاوى أراضيهم
 بتقاوى الجهات المجاورة لهم أو جلب تقاوى اجنبية من الخارج وعلامة الخساسة
 في تقاوى القطن أن يكون مفتوح اللون عظيم الجرم وأن يكون غلافه
 محترباً على نقط بيضاء وأن يعوم على وجه الماء وعلامة الجيد أن يكون
 صلباً ثقيل الوزن والغالب عند أرباب الزراعة أن التقاوى تكون قديمة من

محصول السنة الماضية وهناك عادة مطروقة في بعض البلاد وهي خدمة التقاوي
 لانفصال الجيوب من بعضها وتفريقها وتنظيفها من الالياف القطنية المشبكية بها
 وطريقة ذلك وضع التقاوي في الماء عدة ساعات ومزجها بعد
 بالرمل أو الرماد أو الطين المسوس ثم دحكها فيما بعد بعضها فرق بعض باليدين
 أو بالارجل وبعض الناس يغمسها في الماء اثني عشرة ساعة لقصد تعجيل
 انباتها ويحسن استعمال هذه الطريقة في الاراضي اليابسة القليلة الرطوبة وأنفع
 من ذلك لتكثير المحصول غمس التقاوي في الماء الممزوج بهباب المداخن أو
 برجيع معاصر الزيوت فانه يقيها أذى الحشرات الارضية كالديد

ومن المعلوم عند أرباب الزراعة ان الارض المتكونة من طرح البحار
 والانهر الغزيرة الطمي غنية عن التسبيخ ومثلها في ذلك الاراضي البور التي
 صار اصلاها قريبا وأما ما عدا ذلك من الاراضي فلا يستغنى عن التسبيخ
 وبيان ذلك ان القطعة من الارض يمكن للزارع خدمتها وغرسها قطناً والاستحصال
 منها على ما يشاء من المحصول بشرط أن يكون تسبيخها حسب اللزوم
 وأن يكون سبغها موافقا لطبيعتها وان يوضع فيها من السبخ القدر اللازم
 على قدر الحاجة فوضع السبخ بالقدر اللازم والجودة المطلوبة متعلق بمعرفة
 الزارع وبطبيعة الارض وأهل الصين هم الذين يحسنون زراعة القطن ويجيدون
 تسبيخ أراضيهم الا ان استعمال التسبيخ بروث المواشي والخيول قليل جدا
 عندهم لعدم اعتنائهم بتربية الحيوانات فهذا يقوون الارض بطين الانهر
 والخراجان والوديان والبرك وبأنواع الرماد ورجيع عصر الزيوت وبالفضلات
 الانسانية الا انهم يفضلون الرماد على غيره خصوصا رماد القصب
 والخبز والخبز والخبز والخبز والخبز والخبز والخبز والخبز والخبز والخبز والخبز

« مطلب »
 بيان تسبيخ
 الارض المهيئة
 لزراعة القطن

الاجزاء الصغيرة من اجزاء قطنهم ومن جزورها واوراقها ولوزها وعيدانها
 فيحرقونها وينشرونها في الارض المعدة لزراعة القطن قبيل غرسه وقد صار
 الآن رجميع عصير الزيوت مستعملا في اوربا لتسبيخ المزروعات ولا يفرط
 أهل الصين في شيء أصلا من الفضلات الانسانية فيدخلونها في انبات البقول
 على الاطلاق لتقوية الانبات وفي جميع البلدان يستعان بها مائة أو يابسة على
 تقوية المزروعات بخلاف أهل الصين فانهم ينتفعون بها في زراعة القطن من
 وجهين الاول طرحها في النقر مختلطة بكمية كافية من الماء لسقى الارض
 منها الثاني انهم يخلطونها خلطا جيدا بجانب من الطفل أو من طين المزارع
 ويصنعون من ذلك اكرا صغيرة وينشفونها في الشمس ثم يسحقونها في وقت
 الطلب وينثرونها على سطح الارض المقتضى زراعتها وقد يستعمل في بلاد
 الصين التسبيخ بالجير لاصلاح اراضي القطن كما يستعمل ذلك في بلاد اوربا
 وهذه الطريقة نافعة لزراع القطن اذا كانت أرض القطن خالية من المادة
 الجيرية

وزمن بذر القطن يكون تارة مقدما وتارة مؤخرا بحسب ما يوافق
 مزاج القطر وطبيعة الارض ومع ذلك فهو دائما قبل دخول الشتاء بشهرين
 أو بثلاثة في البلاد الباردة الثلجية والبلاد الحارة القليلة الرطوبة وينبغي بذر
 التقاوى في الاراضي حين وجود درجة الحرارة المطلوبة فان بذرت قبل ذلك
 لا تنبت ويصير تعفن البذر وينبغي أن يكون رمى البذر في يوم الصحو ولا
 يجوز أن يكون في زمن نزول الامطار الكثيرة فانه يترتب على ذلك تعفن
 البذر ايضا

ومن الواجب أن يحافظ المزارعون في كل عام على أكثر مما يلزم لهم من

التقاوى لكي يمكنهم إعادة الغرس مرة أخرى فالمزارع المتبصر بالعرفاق
يحرص دائما على قدر التقاوى مرتين فأكثر

ينبغي تعهد مزرعة القطن للتنظيف وازالة ما ينبت فيها من الحشائش
الطفيلية والنباتات الاجنبية وخلعها اما بالايدي واما بالآلات وكذلك يجب
الاعتناء بعملية تقليمها تقليما جزئيا أو كليا وينبغي الاعتناء بها في زمن بدو
ازهارها وأثمارها والاعتناء بكيفية سقيها

« مطلب »
الاعتناء بشجرة
القطن في أثناء
انثائها ونموها

وبيان ذلك أنه متى شوهد أن الحشائش الاجنبية زاحمت عيدان شجرة
القطن النابتة يجب عزق الارض وتنظيفها من الحشائش وقد جرت العادة
أن أ بذار شجرة القطن تخرج من الارض بعد مضي أسبوع من بذرها اذا
كانت الارض محتوية على درجة الليونة اللازمة وكان الحر شديدا ومع ذلك
فقد يتقدم الانبات أو يتأخر عدة ايام بحسب ما يقتضيه مزاج القطر وطبيعة
الارض وتكون تنقية الحشائش في المرة الاولى متى بلغت عيدان القطن
أربع ابهامات أو خمسة أو ستة يعني متى مضي شهر كامل تقريبا بعد البذر
وانما يلزم الاحتراس من اتلاف العيدان الصغيرة المستورة بالحشائش والاحسن
استعمال اليد في قلعها أو بالمنجل المقور وكذلك ينبغي في عزق الارض الاهتمام
بقلع عيدان القطن الضعيفة وابقاء القوية للتخفيف مع الاحتراس من أن
لا تترجح العيدان الباقية عن مكانها ولا تتلف جذوره ومن الواجب
لتنشيط الجزور وتمكينها بعد خلع العيدان الضعيفة أن يصير ذلك الارض
بالرجل في جميع أجزاء الفيض وهذه العملية تكون في التنقية الثانية يعني متى
بلغت العيدان في الارتفاع ثمانية عشر اصبعاً ويقال لهذه العملية عملية الدور
الثاني

واما الدور الثالث فيكون في وقت دخول زمن التزهير ولا يجب عمليات اذا نبتت الازهار وظهرت لانه يخشى في ذلك الوقت من سقوط شيء من الازهار بعملية العزق والتنقية فان المزرعة اذا حسنت تنقيتها قبل دخول التزهير فان العيدان تكون في هذا الاوان مظلة على ما تحتها من الارض فلا تضرها النباتات الاجنبية ومع ذلك فمن اللازم أن تكون الارض دائما بالتلطف نظيفة تقيه خلية من الحشائش الاجنبية بحيث لا يصير ابقاء الحشائش الاجنبية حتى تنمو وتظهر ويلزم انه لا يمس قشر جذوع أشجار القطن جرم أجنبي فيلزم لهذا عزق الارض وتنظيفها ثلاث مرات فأزيد في العام الواحد خصوصا في مزارع القطن التي تزرع بالسقي لانها في العادة تكثر بها الحشائش الاجنبية فيجب تعهد هذه الحشائش بالقلع وابعادها خارج المزرعة

ويكون تزهير شجرة القطن بعد انباتها على سطح الارض بنحو خمسة أشهر بل بما دون ذلك في الاقطار الحارة وبأزيد من ذلك في الاقطار الباردة وكذلك بدو ثمرتها قد يتقدم أو يتأخر حسب مزاج طبيعة القطر وسن الأشجار ولا مانع من ابتداء جنى القطن في آخر الشهر الخامس أو السادس وتقل العمليات المقتضى اجراؤها في أثناء زمن التزهير الى استواء الاثمار وربما انحصرت جميع العمليات في تقليم الفروع الميتة ويجب على الزارع الماهر أن يستيقظ بين مسافة التزهير والانبات لحفظ الشجرة ووقايتها مما يعثرها من الآفات

وأما سقى شجرة القطن بالبلاد الحارة اليابسة فهي أعظم ما تعين على انبات النباتات فان الماء اقوى الاسباب الموجبة لاجياء الارض وخصوبتها

وبدون اعطاء الارض حقها في السقي لا تجدى ولا تثمر ولو توفرت الشروط
 الاخرى فسقى الارض في الاوقات اللازمة عليه نجاح زرع القطن فلا
 تستغنى أشجار القطن عن أخذ حقها من الماء خصوصا في الاقاليم الحارة
 المتمكنة منها أشعة الشمس المحرقة وينبغي أن يحترس في السقي أن لا يكون
 زيادة عن المقنن

فقد ظهر بالتجارب الصحيحة ان سقى القطن اذا زاد عن المقنن ينقص
 جودة جنس القطن وسواء كان ذلك في زمن حرث الارض أو بذر التقاوي
 فينبغي أن يكون تقسيم المياه وتوزيعها بحسب الحاجة
 ثم ان السقي للاراضي القطنية وريها قد يكون لازما قبل دخول زمن
 البذر وتارة يكون عقب اتمامه والارجح ان لا يصير سقي الاراضي المبدورة الا
 بعد البذر بخمسة عشر يوما أو بعد تخفيف الارض من أعواد القطن الضعيفة
 مالم تكن المزرعة كثيرة اليوسة فانه ينبغي الاهتمام بسقيها عند مجرد الانبات
 وقد يعتنى في بعض البلاد بربى الحفر المعدة لبذر القطن وتركها مدة من الزمن حتى
 تنشف قبل وضع التقاوي فيها

ولا يمكن تحديد زمن لسقي الارض ولا تقدير كمية الماء الذي يسقى به
 بل هذا موكول لمهارة الزارع حيث يراعى ما يوافق مزاج قطر بلده وطبيعة
 أرضه حيث أن الارض المرملة المتشققة تسقى أكثر من الارض الطينية المتكاثفة
 التي من طبيعتها الرطوبة وكذا اذا كان القطر حارا يابساقليل الامطار يلزم
 تواتر السقي مالم يكن معتادا بكثرة الندى لان نفع الندى في كثير من البلاد
 مثل نفع الامطار ولذلك كثير ما تنجح شجرة القطن وغيرها من النباتات
 الشديدة الحرارة المعدومة الامطار

وأما اذا صار تسبيخ أرض القطن فلا بد من سقيها وفيض الماء فوقها
ولا مانع من استمرار السقي كل خمسة عشر يوما مرة ان كان من كل الارض
ومزاج القطر صالحا لذلك وهذا في غير زمن الاثمار وبعضهم يقول ان السقي
غير لازم من ابتداء التزهير ويرجح ذلك لان الشجرة في زمن تزهيرها موجود
بها ما يكفيها من القواعل المعينة على تغذيتها لاسيما وان ساقها مغطى بما يظلمه
من الفروع والاوراق التي من عاداتها تجديد الرطوبة المساعدة على تنضيج
الاثمار وبلوغها حد الكمال

واما غرس شجرة التوت وتربية دود القز بالديار المصرية فيحتاج أيضا
الى بعض اطناب فنقول ان من المعلوم أن التوت مألوف الغرس عند العرب
ويسمى القرصاد قال ابن وحشية صاحب الزراعة التوت انواع يخالف بعضها
بعضا في الطعم والطبع وفيه ألوان فنه الابيض والاسود والاحمر والاصفر
والاغبر وكذلك طعمه فيه الحلو والمر والنقه واكثر ما يتخذ غرسا وتحويلا
وأجود ما ينبت منه ما أكله بعض الطيور الموجودة في البساتين وزرقه لان
بزر التوت لا ينضم في معد الحيوانات كلها فالطيريا كاله ويزرقه على شطوط
الانهار وتحت سقوط مجارى الامطار فينبت نباتا جيد الا أنه اذا وقع الى الارض
من جوف الطائر وقع وزبله معه فينبت بسرعة والطيور التي تحب لقط ثمر
التوت كثيرا هي الفواخت والوراشين والعصافير والغربان وهذا النبات
يوافقه الماء موافقة كثيرة وليس له زبل يختص به بل جميع الازبال على
اختلافها موافقة له ويحتاج الى التسبيخ مرتين في السنة وقد ينبت في البرارى
بنفسه ويعظم فيها الا انه اذا نبت بقرب المياه وعلى اطراف الانهار كان
اجود ويوافقه ريح الجنوب وتلقحه لقاحا حسنا وهو بمدعرقه الى أسفل الارض

كالكثيرى وغرسه في أول شباط والى آخر أدار وتغرس أصوله بعروقها
وقضبانها انتهى كلام ابن وحشية

وقال ابن بصال وجه العمل في غرسه ان تحفر له حفر رقيقة ثم يغرس كما
يفرس التين ومن الناس من يغرسه كما يفرس الرمان او تارا واذا نبتت عروقه حول
(قال) أحمد بن وحشية التوت أعز الاشجار لان دود القز لا يأكل الا منه
ومنافعه كثيرة جد او قد قال المعتصم العباسى لعمال البلاد استكثروا من شجر
التوت فان شعبها حطب وثمرها رطب وورقها ذهب انتهى قال الشاعر في ثمر
التوت

ومختضبات من نجيع دماؤها اذا حبست من بكرة الغدوات
تكاد بأن تطفى اذا ما لمسها فأرحمها من سائر الثمرات

ولما من الله سبحانه وتعالى على المملكة المصرية بتقدمها في طريق التمذات
العصرية وفد على مصر كل وافد وقصدها كل قاصد ممن له نصيب في المعلومات
الصناعية والمنافع التجارية والزراعية رجاء ان يجد في مصر نصيبه في الغنيمة وأن
يروج صناعته بانفس قيمة فكان ممن حضر من بلاد فرنسا شخص يسمى
الفونس غوطيه من أرباب الزراعة يتشبه بفلاحة غرس التوت وتربية دود
القز واستخراج ابراره المسماة بالشنارق وطرق حلجه وتصفيته وتنظيفه وكيفية
غزله وهذا الوافد كغيره من الوفود الاغراب انما حضر الى مصر رجاء ان
يجد فيها نصيبه من الربح بجولان النظر فيما يديه من التعريفات لتنمية هذه
المنفعة فهو متشبه بالتجربات والعمليات من منذ ستة أشهر يجتهد كل الاجتهاد
في تجاربه العديدة وهو الآن مشغول بتجربة ذلك في الجزيرة بأمر عزيز
مصر الجالب لها الفوائد الغزيرة ويقال انه كان قد نجح أيضا في تربية دود

القرزبالاقليم البحرية وظهر له أن استخراج الحرير من غرس شجر التوت
وتربية دود القز واستخراج الحرير منه يزيد في عمارة مصر وفي مصانعها
وثروتها

ونص عبارته فيما كتبه في هذا المعنى قد كان محصول القطن في العهد
القريب بغية تجار مصر وزراعتها وكان الاشتغال به مستوليا على عقولهم وجل
مراهمم وأقوى غرامهم وأغلبهم يحبس رأس ماله عليه ولا تميل نفسه الا
اليه ولم يخطر ببال أحد منهم أن يميل الى غرس التوت ولا تنبه للاستحصال
على الحرير ولا استيقظ لما يترتب عليه من المنافع العمومية المهمة مع انه
أيضا منبع الغنى والثروة والظاهر أنه لم يعزب ذلك من عقول المتقدمين منهم
وانما لم تساعد الاوقات والاحوال ولا أعانهم على ذلك ولالة الأمور في
الازمان السابقة والآن قد حان أوان الوعظ باتخاذ ولعل الوعظ فيه يقرع
الاسماع ويؤثر في النفوس الزكية المحرصة على جميع انواع الانفاع ولا أنفع
لمصر من غرس التوت لتحصيل الحرير فانه ينشأ عن ذلك الخير الجزيل والغنى
الغزير فان غنى مصر يكون في المستقبل بدون الاستحصال على الحرير ضيق
الدائرة كما يكون كذلك بدون القطن فان زراعة شجرة التوت القزى لم يأخذ
من اراضى مصر الا الاماكن الخالية الآن عن الغرس فاذا انضمت من
الآن فصاعدا زراعة هذا الصنف الى زراعة القطن على طريقة حسنة فلا
ينقص ذلك من اراضى مصر شيأ ولا ينقص كمية زراعة القطن

فبهذه الطريقة الجامعة بين الزراعتين يزيد غنى أهالى مصر عما كانوا
عليه قبل كساد القطن عقب صلح أمريقة ولا شك أن كل عاقل يتنى شدة
الاعتناء بغرس التوت بقدر اعتناء الحكومة بتنمية القطن لادراكه احتياج

الصناعات الى الاقطان فكذلك المنافع العظمى تستدعي نمو الحرير لرواجه
فان مصانع فرانس الآن في اشد الاحتياج الى الحرير وهو مطلوب أيضا
لمصانع ايطاليا واسبانيا نعم ان بلاد يابونيا والصين والهند والدولة العثمانية
محبوب منها هذا الفرع التجارى الصناعى الا انه لا يفي بحاجة الصناعة لعموم
الجهات وحيث ان الاقاليم المصرية مملكة مستجدة بالنسبة للصناعات الحالية
ومتشبهة بالحصول على درجة الكمال فاستخراج الحرير فيها يكون من صالح
المصالح فاذا غرست فيها أعواد التوت الصغيرة فلا تمكث مدة الا ونجمد
وتعلو اذ ليس من الشجر ما يقوى على الشموخ مثل شجر التوت ولا من
البلاد التي في دائرة البحر الابيض الرومي من له هذه المنقبة مثل مصر ففيها
يكثروا ويسعف جميع الجهات فان الحرير الآن في سائر البلدان متجاوز الحد
في الاثمان فلا يقدم على شرائه الا اصحاب الاموال الجسيمة وهم الاغنياء
المفرطون في جمع الاموال فهم يفتنمون فرصة احتكار زراعته أو الاستيلاء
عليه فلا يكادون يخرجونه الا بالاثمان الغالية لقلته فتكثيره في بلاد الدنيا لا
يكون الا بواسطة الحكومة المصرية حيث مواقعها الطبيعية أصلح المواقع
لزراعته اذ ما فيها من التوت العجوز يتحصل منه حالا بواسطة التربية والخدمة
أجود ما يكون من الحرير فاذا صار تقليمه بمعرفة أهل الصناعة بالطريقة
اللازمة زاد محصوله وسهل اجتناء ثمره ثم تفرس عيدان التوت الشابة بترتيب
لطيف فيتحصل منها أوراق ظريفة مع حسن الاقتصاد في مصاريف الصناع
المستخدمين لذلك

فاذا صار في الاقاليم المصرية الابتداء بخدمة الحرير الكثير المحصول
على هذا الوجه في الاقاليم البحرية فانه يصير كثير الارباح جداً ولا يضر في

الزراعات الاخرى فان غرس اشجار التوت يكون علاوة على غيره من
الزراعات حيث يغرس على حافات الترع والخلجان العديدة وعلى الطرق
الكبيرة والصغيرة العمومية والخصوصية وعلى حدود الشفالك والواصي
والاراضي المملوكة والاتربة وعلى الجسور وأسوار المدن والقرى والكفور
لتكون أشجارهم مظلة حول القرى والغيطان والكروم والبساتين وهي
أعظم ما يكون في الوقاية من حر الشمس

فاذا تم غرس هذا الصنف على هذا الوجه فانه يكون في آن واحد
ابتداء مغروسات سريعة الانبات بديعة المحصول ولا يخفى أن مديرية البحيرة
واسعة الاراضي المسطوحة فاذا غرست شطوط ترعها بأشجار التوت كان
لها منظر الظرافة والثروة وتعد من المنزهات الخلائية يستظل الفلاح تحتها
وقت الاستراحة ويستريح المسافر عندها وارباب السياحة وتحجب الرياح
الشديدة الهبوب وتلطفها وتمنع شدة مضرتها وحدة أذاها لا سيما في ايام
القيظ وحرارة الخمس وتنفع أيضا هندمة الطرق المدبرة لتحسين حصيد
جوز الحرير فانه ينمو فيها الغرس فتكون تربية الدود تربية متوالية وأجود
من تربته في اوروبا اذ ثمر دود القز يخرج أربع مرات في السنة كما يحصل
في بلاد الصين والهند وياپونيا وفي مملكة برمان وكما أن مصر صالحة لدود
القز استخراجا بزراعة التوت فهي صالحة لخلجه وتظنيفه وغزله وصناعته
أكثر من غيرها فينجح فيها كل النجاح اذ يحصل منه أصناف جيدة
منتظمة بهيجة النعومة واللون والقوة والتمدد واللين مستكملة لجميع ما استدعيه
جودة هذا الصنف بخلاف الحرير في اوروبا فلا يعطي الا محصولا واحدا
فان شهور فصل الشتاء طويلة الليالي كثيرة الرطوبة موجبة لاستخراج

الحرير من جوزته فتحتاج الى كثرة المصاريف للاحتراس والتدارك
 وكذلك فصل تربية الدود غير موافق في تلك البلاد فان الدود يضعف بواسطة
 ندى الربيع ويضر بالاوراق الشابة المتجددة في اوان توليدها بالحرير ووقفسها له فبهذا
 تكون التربية بطيئة فيقاسى الدود مدة ما يقاسى من التعب ثم يتغير الربيع بالصيف
 فينضج الدود بفترة وفجأة فتتشف الاوراق وتحترق فتخيب التربية ولا يحصل
 المقصود منها بل يعتري الدود اسباب الامراض فلا تصادف التربية محلا
 في الغالب ببلاد أوروبا وأما في بلاد الهند والصين وياپونيا فلا يمنع الحر من
 تربية دود القز بل له فيها منفعة فاذا احتاج الحال الى ترطيبه وتعديله فان ذلك يحصل
 برش المعامل بحسن التدبير وأما من البرد والصقيع الذي يقع في اوربا في فصول
 البرد ولو في الربيع والخريف فلا يمكن مداواة نزول الصقيع فيها من اسباب مرض
 الدود فليس له علاج أبدا على اوراق الشجر النقرة المتجددة فيكون الصقيع
 فن هذا يفهم أن مصر صالحة جدا لتربية دود القز ولا يساويها في
 الصلاحية لذلك غيرها من البلدان فيها يحصل الغنى والثروة زراعة وشغلا فان
 زراعة التوت متى تتجت وتنتج التربية والاستحواذ على جوز الحرير ترتب
 على ذلك نتاج المصانع والمشغولات الحريرية اذ ليس في اقليم مصر مانع يمنع
 من ذلك كله لاعتدال اقليمها ووجود الحرارة الملائمة للتربية بها واستواء
 الحرارة في فصل الربيع الذي هو عبارة عن برمهات وبرموده وبشنس فهذه
 الشهور الثلاثة تكفي لتربية دود القز فهي صالحة له من جهة مزاج القطر
 وموافقة أيضا لدود القز من جهة أخرى وهي مواظبة أهلها على أشغال
 الزراعة والفلاحة وعلى أشغال التربية والجنى والحصد فان لين أعضاء الاولاد
 والبنات يوافق شغل الحرير اذ شغل الحرير يحتاج الى شيتين وهما خفة الايدي

والتعود على الحر وأبناء مصر متوفر فيهم ذلك كله بخلاف أورور وبافرجب أن تكون مصر مثرية في المواد الحريرية الاولية غرسا وتربية وأن لا تجلب حريرها من الخارج وأن تشتغل المشغولات الحريرية الدقيقة والغليظة بنفسها في مصانعها وأن تتخلص من ربة شراء الحرير من البلاد الاجنبية بالاثمان الغالية فانها الى الآن تصرف الاموال الجسيمة على الاستحصال على الحرير فيجب عليها ان توسع دائرة محصولاتها وتجارها فاذا وصلت الى اقصى درجات جهدها في تربية دود القز اتسعت دائرتها في غزله وقتله سريريا وفي صناعة نسج الحرير ومشغولاته فتأخذ من حرير بلادها مقدار ما يكفي لحاجتها وما زاد على الحاجة من الخام والمشغول تنفذه الى البلاد الاجنبية ليباع فيها بالملايين من الاموال وهذا خير من أن تبقى على حالتها الاصلية فاقدة لهذه المزية مقتصرة على اشتراء الحرير المصنوع أو غيره من البلاد الاجنبية

فن أمعن النظر وأنعم الفكر في تربية دود القز بالديار المصرية ظهر له بالحساب الصحيح مقادير الارباح الجسيمة التي تكتسبها مصر من هذا الصنف فان صناعة الحرير لم تزل الى الآن في ديار مصر قليلة التقدم بالنسبة لغيرها من الممالك فبالطريقة السابقة تتقدم تقدما عظيما بحيث تم سائر الجهات المصرية وتمتد باطرافها وكنافها الان العمدة في مشغولات الحرير وأقمشته على صبغته ولونه ومياه النيل المبارك تساعد كل المساعدة على حسن الصبغة واللون مما به تزين المشغولات الداخلة فيها الحرير كالمناديل والمحارم والملابس فجميع مشغولات الحرير تبلغ الدرجة العالية في عدة من السنين بشرط أن يحصل التشويق من الحكومة المصرية للحرير كالتشويق الحاصل الآن

مطلب
مساعدة مياه
النيل على حسن
التلون بالصباغة

لزراعة القطن حيث اتسعت دائرة مزارعه بعناية الحكومة كما هو ظاهر
للعيان وغني عن الدليل والبرهان هذا ما ابداه موسيو فونس غوطيه المومى
اليه في هذا الفصل بصریح قوله

ومن المعلوم ان ملحوظه في محله وانما فيما سلف كان قد شرع في تربية
دود القز جنتمکان المرحوم محمد على وحصل من ذلك النفع الجلى ولا زالت
الى الآن تربية دود القز في حيز الموجودات وانما هي مقصورة على بعض
جهات في المديریات فاذا حصل التعميم كان بالنسبة لتقدم صنائع الوطن
معدودا من النفع العميم وأما ما أشار اليه صاحب الملحوظات المذكورة
من تحسين زراعة الارز فلا يجهل انسان أن زراعة الارز في الاقاليم البحرية
ملتفت اليها كل الالتفات ولها خصائص ومزايا بما فاة زراعتها من كثير من
العمليات وأنه قد تجدد في أكثر دوائرها للتنظيف والتبييض كثير من
الوابورات وقد صحح بالاجماع والاتفاق على أن أرز مصر أجود من غيره
على الاطلاق فأرز عين البنت أجود من أرز أمريقة وأرز ايطاليا الخارج من
من أرض البنادقة وهذا الرأي لا ينافي ما قضى به قضاة المعرض الباريسى من
الحكم بالاولوية والامتيازية لصنف أرز ايطاليا لان مطمح نظرهم فيه انما
كان للون فانه أشد أنواع الارز بياضا فهو بهذا المعنى يعجب الناظر أكثر
من أرز مصر

« مطلب »
تحسين زراعة
الارز بالاقليم
المصرية

وأما أرز أرض مصر فهو وان كان دون ما ذكر في اللون الا انه
شتان ما بينهما في الطعم فلا يفوقه في طعمه صنف من أصناف أرز الدنيا لا
سما نموه بالنضج نموا وافرا فهو أخص أوصافه وأما ما أشار اليه المؤلف
المذكور من غرس قصب السكر في مديرية المنية لصلاحيته له فهذا أمر

« مطلب »
غرس قصب
السكر في
مديرية المنية

معتنى به من ايام المرحوم محمد على كمال الاعتناء وأعظم من اعتنى بفرسه والاكثر
 منه واستخراج أنواع العسل والسكر مما يكفي القطر المصري هو المرحوم
 ابراهيم باشا فانه عمم زراعته في شفالكة التي بغير الصعيد وبالصعيد بمدرية المنية
 أو غيرها حتى نافست مصانعه السكرية مصانع الافرنج وهو أول من جدد
 الوابورات لسقى ذلك وصناعته وجلب القصب الجمالي حتى انحطت بمصر اثمان
 السكر وقد كان الاورباويون يتغالون في اثمانه كل المغالاة وتبعه في ذلك كثير
 من دوائر الذوات وأوسيات الاهالي حتى كاد لا يخلو منه قسم من الاقسام
 المصرية لكثرة أرباحه ثم لما آلت الدوائر الابراهيمية أي أغلبها لنجله
 الخديو الاعظم اتسعت مصانعه وكثرت وابوراتها وعظم محصولها حتى كادت
 تجارة أوروبا في السكر أن تكون كاسدة في القطر المصري خصوصا وسكر
 مصر لا يفوقه في الجودة والحلاوة غيره واماما أشار اليه من غرس شجر البن
 في الصعيد وانه يمكن أن يخصص لفرسه مقدار جسم من الاراضي فالظاهر
 أن الحكومة لم تمتن بذلك لانه سبق تجربته وانه لا يبلغ في الجودة درجة
 البن اليمني بل يكون دونه بكثير ونهاية الحال انه يصير كالبن الخارج من جزيرة
 فرنسا وغيرها المسمى بالبن الافرنجي وهو قليل الرواج بالديار المصرية وغيرها
 من البلاد حتى انه على كثرته في بلاد السودان المصرية ورخص ثمنه لا يعنى
 أحد بجلبه الى الديار المصرية لان شرب القهوة بديار مصر وغيرها بالبلاد
 الاسلامية انما هو من قبيل السكيف والتلذذ بالنكهة كشرب الدخان وقل من
 يستعمل القهوة ممزوجة باللبن وحده أو مع البيض لا كل بالخبز كما يستعمله أهل
 أوروبا بكثرة فيقومون بأى بن كان على أن أكثر تجار مصر يتجرون في البن اليمني
 ولهم فيه عملاء وشركاء فهو من أهم التجارات اليمنية فالمقصود الاعظم الذي

هو الرمح حاصل بذلك فعلى فرض غرس شجرة البن بمصر وفلاحها تكون
 عديمة النكهة كالدخان البلدى بالنسبة للجبل والصورى وكالذباك البلدى بالنسبة
 للمعجمى والحجازى وعلى كل حال فليست الحاجة ماسة لغرس شجر البن في
 مصر بل ربما عد من الامور النافلة لان ما ينبغي تجديده هنا من المحسنات ان
 لم يكن عظيم الجودة أو تدعوا اليه الحاجة فالتشبت به ليس تحته عظيم طائل
 وأما ما ذكره صاحب الملاحظات من تربية أغنام المارينوس في الفيوم فرأيه
 فيه أدق من رأيه في غرس شجرة القهوة فتربية المارينوس محض منفعة لا محض
 شهوة اذ القهوة محض كيف ولهذا انكر على متعاطيها بعضهم وهو الخطيب
 غير القزوينى والشربينى ورد عليه بعضهم بقوله

قهوة البن حرمت فاحتسوا قهوة الذهب
 ثم طيبوا وعربدوا واصنعوا لى قفا الخطيب
 (وقال آخر)

قهوة البن حرمت فاشربوا قهوة العنب
 ثم قوموا وعربدوا واصنعوا من هو السبب
 وقال بعضهم فى مدحها

قم واسقنى قهوة بنية فضحت بنت الدنان وشنفلى الفناجيننا
 من كف ظبي رشيق القدذى حور ناده عشاقه يا الف ناجينا
 تدعو الى نحو ما فيه البقاء ولو دعت الى نحو ما فيه الفناجيننا
 لو أن ألف امرىء طافوا بساحتها راموا النجاة وجدت الالف ناجينا

ثم ان اغنام المارينوس المقصودة بالتربية هي الاغنام الاندلسية ذوات
 الصوف الناعم والصوف من حيث هو في جميع بلاد الدنيا قديما وحديثا

« مطلب »
 اقدمية اتخاذ
 الصوف الصناعة
 واتدبية العلاحة
 وبيان من اخترعها
 من الامم

مرغوب حتى انه يعتبر من أول عمر الدنيا من تاريخ الخليفة كأنه يتخذ للصناعة والنسيج فلا شك انه معلوم الصنعة في الازمان الاولى فهو قرين الفلاحة التي هي معلومة قبل الطوفان ولم تعطلها حادثة الطوفان ولا أبطالها فقد دلت التوراة على أن نوحا عليه السلام لما نجا من الطوفان بسفينته اشتغل بحراثة الارض وعلم أولاده الناجين معه ما كان يعرفه في أصول الزراعة وقد ذكر قدماء المؤرخين أن العراقيين والسكنانيين والمصريين اشتغلوا بالفلاحة من الازمان القديمة والأعصر الخالية حتى ان المصريين كانوا يعتقدون أن أول مخترع للزراعة أسلافهم وزعم أهل الصين ان لهم الاسبقية في ذلك قبل غيرهم وأن أول رؤساء ملتهم هو الذي اخترع علم الفلاحة والمحقق بالاخذ من التواريخ الصحيحة الجامعة بين الاقوال المختلفة ان قدماء الامم لا يضطرون الى القوت والمؤنة كل منهم اخترع علم الفلاحة وبرع فيه ومن أقالهم التي لها الاسبقية في مزية الاختراع انتقلت الزراعة الى غيرهم بالتدرج وان جميع الامم أجمعوا على ان الزراعة أمر مهم وأدركوا انه علم نفيس ولا يقتدر على ابتداعه من حيث كونه علما الا أرباب العقول الذكية فنسبوا اختراع علم الفلاحة لا كابر عقلائهم وفي كتب اليونان ما يفيد أنهم تعلموا الزراعة من مصر وقال الرومانيون ان هذا العلم وصل الى بلادهم يعني الى ايطاليا من اليونان ومن مصر نعم المحقق أن أهل الصين يعتنون بزراعة الارض ويجتهدون في تكميل علم الفلاحة ويميدل على ذلك ان لهم عيداً مشهوراً في كل سنة بمدينة تونكين وهو يوم مشهود يحضره ملك الصين بموكب عظيم مع أعيان دولته فيأخذ الملك المحراث ويحراث قطعة من الارض بنفسه وينتهي هذا الموسم بوليمة عظيمة على طرف الملك وهذا اليوم معدود عند أهل الصين من ايام المواسم والافراح الاهلية وفي محفل هذا اليوم لا يدور على السنة الجمل

مطلب
تشریف ملک
الصين للزراعة
حرته بنفسه قدرا
من الارض في
يوم مشهود

الفقير والجموع المتكاثرة من المحادثة والمذاكرة غير المسامرات المتعلقة بخصوص
 الزراعة وانها ام النعم وزينة الامم وجميع اهل الزراعة من مبادئ امرهم يعتنون بتربية
 المواشى لاسيما الغنم ويطرائق تحسين حالها ونتاجها فكانت الغنم في الازمان السالفة
 أصل ثروة سكان المعمورة حتى ان الرومانيين كانوا يعدونها راعا من الفلاحة لكونها
 ألزم الاشياء لطريق التعيش وكانوا يتخذون المعاملة من جلود الغنم يطبعونها بطابع
 السكة وقد مكثت الغنم البيض مدة نحو ستمائة سنة في بلاد الرومانيين يحسنون
 تربيتها وتنميتها ولا يهملون فيها حتى انهم رتبوا ما مورين للتفتيش عليها فكانوا لا
 يعدونها للذبح بل اصوافها البيضاء معدة للصناعة ومن اهل في تربية الماشية
 على العموم ونمية الغنم على الخصوص عاقبوه بدفع المغارم الجسيمة ومن
 أحسن تربية ذلك وتنمته كفاؤه بالجوائز السنوية وشوقه بالتحف البهية
 والانعامات لاسيما من جلب من الخارج من ذوات الاصواف الجيدة الي
 موطنه حيوانات للتوليد وكان الرومانيون ينسجون من هذه الاصواف
 جميع الملابس المختلفة والامتعة المتنوعة كالجارى الآن عند المتأخرين من الامم
 فكانوا يبحثون مع غاية الاعتناء عن الاصواف النفيسة الجامعة بين الطول
 والنعومة واللين كالصوف الانجورى وكصوف نابلي واثينا وملطيه
 وسيواس وكلها اصواف ممدوحة ولم يكن في ذلك الوقت يتخذ من الاصواف
 اليونانية في التجارة الا اصواف خشنة لا تصلح للمصانع الا بالتنظيف ما
 عدا اصواف اثينا فان اصواف اغنامها تضاهي اصواف اغنام اسبانيا المسماة
 بالمارينوس مع النعومة التي تجددت في الازمان الاخيرة فهذه الاغنام
 الاندلسية انتقلت فيما بعد الى بلاد الانكليز والفاينك فانتنت هذه الدول
 تربية هذا الصنف وزادت كمية محصوله بتربيته حتى ان ولاية اسبانيا كانت

« مطلب »

الاعناء بتربية
 المواشى لاسيما
 تربية الغنم

« مطلب »

الاعناء بتربية
 الغنم البيض
 عند الرومانيين
 والنهي عن ذبحها

في ابتداء أمرها يتحصل في خزينة مملكتها من مغنم الاصواف الجيدة ما ينيف
 عن ثلاثين مليوناً من الريالات ثم ان ملك الانكايير المسمى ادوارد الرابع
 جلب من بلاد اسبانيا باذن ملكها ثلاثة آلاف رأس من الغنم البيضاء الى
 مملكة الانكايير فمن هذا الوقت انفتح منبع جديد للثروة والغنى والسعادة
 المالية لخزينة المملكة والتجار الملية

وفي القرن السابق الهجري ورد من بلاد الهند الشرفى الى بلاد الفلمنك
 صنف من الغنم من دكور واناث على القامة مستطيل البدن غزير الصوف
 فاجتهد أهل الفلمنك بتربيته وتعميده على مزاج اقليمهم فنجح فيها كل النجاح
 حتى ان أنثى هذه الاغنام كانت تلد في السنة الواحدة أربع اغنام وصوف
 الرأس الواحد يزن من عشرة أرطال الى ستة عشر رطلاً فمثل هذه الاغنام
 تنجح ولو في البلاد الباردة مثل مملكة أسوج فلما اعتنت بتربية اغنام
 المارينوس أمثالها وغلبت على الموانع القطرية كبرودة الاقاليم بحيث ان
 هذه المملكة كانت تجلب قبل ذلك اصوافها من اسبانيا والفلمنك والآن
 استغنت عن ذلك فاظنك بالخدوية الجليلة المصرية التي اقليمها معتدلة ملائمة

لتربية الاغنام في القيوم وغير القيوم فان النجاح فيها محقق لا محالة فمن جد
 وجد فان مملكة فرانسوا كانت أهاليها في الازمان القريبة يشترون غزل
 الاصواف بالاموال الجسيمة جداً فكأنهم كانوا يدفعون للبلاد الاجنبية
 في الثمن هذه المبالغ الثقيلة كالجزية والخراج فلما تقدمت حركة الصناعة من
 منذ نحو السبعين سنة استشعرت بما يلحقها من العار في ذلك لا سيما وأنها
 بهذه الحالة لا تستطيع مصانعها أن تساوي مصانع غيرها من الانكايير
 والفلمنك ونحوهم فتعلقت آمالها أن تجتهد في تقديم صناعتها لتفوق على غيرها

« مطلب »
 جلب ادوارد
 ملك الانكايير
 من اسبانيا
 مقدار اجسما
 من الغنم البيض
 الى مملكته للتنمية

« مطلب »
 ورود نوع
 مخصوص من
 غنم الهند الى
 بلاد الانكايير
 لتحسين الصناعة
 باصوافها وما
 تنجح عن ذلك
 من البراعة

« مطلب »
 شراء مملكة
 فرانسوا في
 الازمان السابقة
 الاصواف
 المنزولة باتمان
 ضالمة قبل مجديد
 دواليب الملح
 والغزل

فانتهى الامر بنجاحها في تجهيز الاصواف حيث شرعت ان تدخل في بلادها
الدوايب والآلات اللازمة لحاجج الصوف وغزله فشوقت من يستجلب من
الاهالى هذه الدوايب لتنظيف الصوف وغزله فكثرت في فرنسا ارباب
الصناعات والبراعات ممن يحسن عمل هذه الدوايب

فهذه الوسيلة تقدمت الصنائع الآلية في بلادهم وكثرت المكافآت
من جمعية التشويقات الاهلية حيث ان هذه الجمعية الاهلية خصصت ثلاثة
آلاف فرنك لكل من يخترع دولابا لغزل الصوف فاخترع بعضهم دولابا
لذلك وأخذ المكافأة وكثير الاختراع للدوايب التنظيفية بهذا التشويق
فوجود اغنام المارينوس وحدها في البلاد لا يكفي ولا يتم الانتفاع
باصوافها الا بالدوايب المذكورة فان صوف المارينوس كان موجودا في
فرنسا من عدة اجيال وكان يساوى في النعومة والجودة مارينوس اسبانيا
ولم يتم الانتفاع به الا باختراع الدوايب

ومن المجرى عند فرنساوية ان غنم المارينوس كلما طالت مدتها في
البلاد وتربت اغنامها وتطبعت بالتوليد لا يزال يأخذ صوفها في النعومة
وينجح النجاح التام في مصانع الجوخ العال والمدار على حسن تعهده بالتنظيف
والتنصيف فان ذلك يزيد في قيمته ولم يكن بفرنسا من حيضان تنظيف الصوف
الاحوض واحد فالآن كثرت حيضان التنظيف حول باريس فلعل يوما
من الايام تدرك الديار المصرية منها في اغتنام فرصة الافتناء والاعتناء
بتحصيل مزايا هذه الاغنام ثم ان مزية اصواف هذه الاغنام المارينوسية
ليست منحصرة في النعومة والامتداد بل من جملة جودتها طول قرون
اصوافها فكما طالت كثرت فيها الرغبات وكان الناس يعتقدون ان الاغنام

تتناقص جودة أصوافها للجز كل سنة وان كل جزء من سنة سابقة أجود
 من اللاحقة وان الاصواف اذا بقيت على الضأن عدة سنوات لا ينمو صوفها
 نماء يكون كفوًا لجزها عدة مرات فحرب ذلك بالامتحان عدة من أعضاء
 الجمعية الزراعية الفرنسية بأن أبقوا قطيعا من الغنم ثلاث سنوات بدون
 جز لتظهر النتيجة فلم يجدوا تناقصا في الكم والكيف بل رأوا ان أصوافها
 قد اكتسبت طولًا متساويا ودقة متساوية ووجدوها ناعمة الملمس كما
 لو كانوا جزوها على مرار عديدة وظهر من هذه التجربة تجديد فرع
 للصناعة وهو تطويل الصوف بعدم جزه وتفويت أوانه مدة ليدخل في مصانع
 أخرى تحتاج اليه ومن هذا اخترعوا صنفا من الجوخ الشهير المسمى بالكزميز
 فاكثروا من اصطناعه وتحسينه وقدموه في أحد المعارض العمومية بفرانسا
 فاستحسن الجميع جودة صناعته لعلوم مرتبته وحسن أصوافه بحيث صار يضاهي
 بالسكية مشغولات الكزميز الانكليزية

« مطلب »
 ابقاء الصوف
 بلا جز عدة
 سنوات وان
 التجربة اذت
 حسنة عدم جزه
 كل سنة

« مطلب »
 الجوخ الفرنسي
 المسمى بالكزميز

وقد تبين أيضا بالملاحظة ان الغنم التي لم تجز مدة طويلة وتبقى هذه المدة
 بقصد طول أصوافها لا يؤثر فيها تأثيرا ظاهرا ثقل الصوف على أبدانها وهذا
 بخلاف ما تعتقده العامة وقد أطلنا الكلام في الاصواف وحسبك فيها الآية
 الشريفة وهي قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من
 جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها
 وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين ومن المعلوم ان البيوت التي يسكن الانسان
 فيها على قسمين أحدهما البيوت المتخذة من الخشب والطين والآلات التي بها
 يمكن تسقيف البيوت واليها الاشارة بقوله تعالى والله جعل لكم من بيوتهم سكنا
 وهو ما يسكن اليه الانسان أو يسكن فيه وهذا القسم من البيوت لا يمكن

نقله بل الانسان ينتقل اليه والقسم الثاني القباب والخيام والفساطيط واليهما
 الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم
 اقامتكم وهذا القسم من البيوت يمكن نقله وتحويله والمراد بها الانطاع يعني
 السط المتخذة من الجلد وما يعم البيوت منه مما استعمله العرب وغيرهم من أهل
 البوادي والمعنى يخف عليكم حملها في أسفاركم وفي اقامتكم أي لا يشقل عليكم في
 الحالين وقوله تعالى ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها قال المفسرون الاصواف
 للضأن والاوز والابل والأشعار للمعز وقوله تعالى أنثانا الاثان أنواع متاع البيت
 من الفرش والاكسية وقديم الثياب والكسوة وقوله تعالى ومتاعا الى حين أي
 ما تتمتعون به الى يوم القيامة واستقرب بعض المفسرين أن المراد بالاثان
 ما يكتسى به المرء ويستعمله في الغطاء والوظء وبالمتاع ما يفرش في المنازل
 وزين به وقد ذكر الله تعالى الاصواف وما بعدها في معرض النعم العظيمة التي
 يجب شكرها فيجب الاعتناء بتكثيرها على اختلافها في جميع أطراف وكناف
 الممالك المصرية بعناية الحكومة الخديوية وهم عمد أهل الاراضي الزراعية
 لتعميم المنافع الاعلية فان مصر المتشبهة الآن بأريكون لها في الصنائع والفنون
 قدم رسوخ لا ينبغي ان تياس من تجديد مصانع الجوخ فكم من أشياء لا يخطر
 انشاؤها بالبال ويظن أن تحصيلها من قبيل المحال وعند اقتضاء الاوقات وتعلق
 الآمال يتم الحصول عليها بأسهل طريق وأتم منوال وأما تنبيه صاحب
 الملحوظات على وفود قوافل داخل افريقية الى الديار المصرية واستعاضتها بضائعها
 بمشغولات مصر وأوربا وخلاصة صنائعها فهو في محله وقد جرى مفعول هذه
 الملحوظة على أصول مصنوعة مخموظة فتجار دارفور وبرنو ونحوها تحضر في
 ميعادها ونأتي بسائر بضائعها على حسب معتادها ومن جهة سنار والبحر الابيض

• مطك •
 ورود قوافل
 افريقية الى
 مصر لتجارة

محضر التجار بسن الفيل والصموغ وريش النعام وغيرها وانما اهل اقاليم
 نيكيتو وهي بلاد التكرور لا يحضرون الا لقضاء الحج وكذلك القلانة السودانية
 يمرون بمصر لسفر الحجاز وما ذاك الا لبعده المسافة لا لقلّة أمن الطريق أو وجود
 مخافة فالتجارات في داخل افريقية الحقيقية تيسر بعد تخطيط المسالك الطرقيّة
 وهي لا تيسر الا بحركة عجيبة من الحكومة المصرية واستكشافات جليلة عصرية
 وانتجات من قبائل اسلامية متمدنة وتوقيفات لاهالي تلك البلاد على وسائل
 التمدن المستحسنة وان شئت فقل ان حسن تمامها انما يكون بنوع من الفتوحات
 والتشبت بعمارتها وادخال ما يلزم لها من الاصلاحات حتى يصير جنوب افريقية
 كالأقاليم الجنوبية بقسم امريقة فان كان من السابق في علم الله تعالى ان يكون
 لمصر فيه قوة التنجيز (فما ذلك على الله بعزيز)

فكم من صغير أسعفته عناية من الله فاحتاجت اليه الاكابر
 وكم خامل جاءت اليه اشارة من الله فانهزت اليه الاشارة
 فمن هذا نجد ان ملحوظات الفصل الثاني التي سبقت اليها الاشارة قد
 اجريت بتداول الايام (وما الدهر الا تارة بعد تارة)

فكأن اخطر بالبال أمر خطير من الاعمال الصالحة يحتاج الى حسن التدبير
 كان الوطن معانا عليه من المولى القدير فالمقاصد الخيرية ميسرة الوسائل قريبة
 المشارع عذبة المناهل وحق على الامير الطالب للمعالي أن يتغالي في المطلوب
 ويتغالي في مدارج العلي باجل اسلوب ويبرز في مظهر البلاغة نظام بيت ملكه
 المشيد حتى يظهر في نظم سلوك الملوك بيت القصيد ومن أحسن من ولاية
 الامور سلوك أقوم سنن تأيد بحسن نيته في ميدان الانتصار على مشروعه
 الحسن ان ينصركم الله فلا غالب لكم

ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب
الله يعطي من يشاء عفتف على حد الأدب

يحكي أن اسكندر الاكبر تشككت له ثلاث معادن في جلاب الجبال
وثياب المهابة والاجلال فأول شكل دخل عليه في حبل الحسن والبها والشمال
التي يزهو بها فأخذ بقلبه ولبه فاحله منه بقربه ثم سأله من أنت فقال أنا المال
فقال الاسكندر لولا انك ميال ثم دخل عليه الشكل الثاني يرفل في حبل
الوقار والمعاني فأدناه منه ثم سأله من أنت فقال أنا العقل فقال لولا انك في
بعض الاحوال عقال ثم دخل عليه الشكل الثالث تزفه الغايات بالمثلث وقد
أشرقت بجماله وجوه المطالب وانجلمت باقباله ظلم الغياهب فقام له على قدميه
وقبل ما بين عينيه ثم قال من الزائر أيها البهي الزاهر فقال أنا السعد فقال
أشهد أنك عناية الحق وميزان اختبار الخلق فالويل لمن جهل حقوق اقبالك
عليه ويا سعادة من وفي حق الخلافة اذا سمعت اليه ثم عاهده على أن يكون
من أعوانه وعلى وفق ما يقتضيه حكم ميزانه والحمد لله الذي جعل نعمة مصر
في المزيد ليزداد الشكر والمحبة لوليها الذي أجريت النعمة على يديه اذ هو
السبب الاصيلي الحامل على ذلك والداد عليه والمائل بالطبع اليه وستأتي
الاشارة الى ما يجدد من المحاسن الحالية في الفصل الرابع من هذا الباب

« مطلب »
تمثل المال والعقل
والسعد للاسكندر



الفصل الرابع

(في اسعاد الحاكم للبلاد والعباد)

ليس من ملوك مصر من تفتخر به الالهالى مثل افتخارهم بالخديو الاكرم حيث انه تأسس في أيامه قواعد عدلية لا تحصى وما أثر منافعها جليلة لا تستقصى ولو لم يكن له من المآثر الا كونه حمل الالهالى على أن يستنيبوا عنهم نوابا ذوى فكرة ألمعية ليتذاكروا في شأن مصالحهم المرعية لكفاه ذلك شرفا ومجدا وعزا وسعدا حيث صار مستويا على أمة حرة الرأى باستشارتها في حقائق الترتيب والتنظيمات التي يراد تجديدها لاجلهم كما ان له الفخار في أنه لا يضيع حقوقهم حيث جعله الله أمينا عليها فهذه الوسيلة القوية يتمكن من أداء ما وجب عليه في حق الرعايا مع كونه يتمدح بالحكم على رعايا أحرار يتمتعون بحقوقهم ويحفظون بمزاياهم وبهذا أيضا يكون على يقين من التسلطن المعنوي على النفوس والارواح وان يدرك بمساعدتهم اياه في اسعاده لوطنهم تمام النجاح حيث القلوب جبلت على حب من أحسن اليها فقل أن تخلع الرعايا خلعة محبتها القلبية ومودتها الاخلاصية على حاكمها مجانا فالعاقل من لا يحب أو يبغض الا بسبب من الاسباب وقد تقدم غير مرة ان غنى مصر ورأس مالها الحقيقي انما هو متكون بالاصالة من زراعتها وبالتبعية من تجارتها في محصولات الزراعة مع ما يتبع الزراعة من تنمية المواشى وتكثيرها لا سيما ما يعين على الحرث وتنمية النبات كالبقرة الذي هو خاصة مصر قديما وحديثا أنفع بهيمة الانعام وأجل غنيمة الانعام بدليل ان البلاد تذوق مرارة المضرة في السنة التي يذوق فيها هذا النوع كأس الحمام ولولا الهام أهلها التبصر

« مطلب »
تأسيس شورى
النواب

والتصبر عند حلول مثل هذه المصيبة الفظيعة حزنوا جميعا في سنة نفق المواشي
 بالوباء ولا حزن ابى بكر بن قريظة حيث نفق له ثور أبيض وجلس على
 العزاء عليه تراقعا وتحامقا حتى ان ابا اسحق الصائبي كتب اليه يعزبه على
 هذا المفقود عن لسان ابن لبة في أيام وزارته فقال التعزية على المفقود انما
 تكون بحسب محله من فاقده من غير أن تراعي قيمته ولا قدره ولا ذاته ولا
 عينه اذا كان الغرض منها تبريد الغالة وانخامد اللوعة وتسكين الزفرة وتنفيس
 الكربة فرب ولد عاق وأخ ذي شقاق وذو رحم أصبح لها قاطعا وقريب
 قوم قلدع عارا وناط بهم شنارا فلا لوم في ترك التعزية عنه وأحرى بها أن
 تكون تهينة بالراحة منه ورب مال صامت غير ناطق قد كان به مستظها وله
 مستشعرا فالجميع به اذا فقد موضوعه موضعها والتعزية عنه واقعة منه موقعها
 وبلغني ان القاضي أصيب بثور كان له مجلس للزء عنه شاكيا وأجهش عليه
 باكيا وللندم مواليا وحكيت عنه حكايات في اتأين له واقامة الندبة عليه
 وتعميد ما كان فيه من فضائل البقر التي تفرقت في غيره واجتمعت فيه
 وحده فصار كما قال أبو نواس في مثله من الناس

ونيس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

لانه يكرب الارض معمورة ويثيرها مزروعة ويدور في الدوايب
 ساقيا وفي الارحاء طاحنا ويحمل الغلات مستقلا والاثقال مستخفا فلا يؤده
 عظيم ولا يعجزه جسيم ولا يجرى في الحائط مع شقيقه ولا في الطريق مع
 رفيقه الا كان جلدا لا يسبق ومبرزا لا يلحق وفائتا لا ينال شأوه وغايته ولا
 يبلغ مداه ونهايته ويشهد الله ان ما ساءه ساءني وما آلمه آلمني ولم يجز عندي
 في حق المودة استصغار خطب جل عنده فأرمله وأرقه وامرضه وأقلقه

« مطلب »
 تبصرو تعبرا هل
 مصر عند نفق
 المواشي بالوباء
 وذكر نادرة
 تناسب ذلك في
 التعزية بثور أبيض

فكتب هذه الرقعة فاصابها من ألحق في مصابه هذا بقدر ما أظهر من
 اكثاره اياه وأبان من اعظامه له وأسأل الله تعالى ان يخصه من العوضة
 بأفضل ما خص به البشر عن البقر وان يفرد هذه البهيمة العجاء بأثرة
 من الثواب تضيفها الى المكلفين من الالباب فانها وان لم تكن
 منهم فقد استحققت ان لا تفرد عنهم بان مس القاضي سببها وصار اليه
 منتسبا حتى اذا أنجز الله ما وعده به من تمحيص سيئاتهم وتضعيف
 حسناتهم والافضاء بهم الى الجنة التي رضىها لهم دارا وجعلها لجماعتهم قرارا
 واورد القاضي أيده الله تعالى موارد أهل النعيم مع أهل الصراط المستقيم
 جاء وثوره هذا مجنوب معه مسموح له به وكما ان الجنة لا يدخلها الخبث
 ولا يكون من أهلها الحدث ولسكنه عرق يجري من أعراضهم كذلك يجعل
 الله نور القاضي مركبا من العنبر الشحري وماء الورد الجوري فيكون له ثورا
 وجوثة عطر له طورا وليس ذلك بمستبعد ولا مستنكر ولا مستصعب ولا
 متعذر اذا كانت قدرة الله بذلك محيطه ومواعيده لامثاله ضامنة بما أعده
 الله في الجنة لعباده الصادقين وأوليائه الصالحين من شهوات أنفسهم وملاذ
 أعينهم وليس ما منحه من غامر فضله وفائض كرمه بمانع له من صالح مساعيه
 ومحمود شيمه وقلبي متعلق بمعرفة خبره أدام الله عزه فيما ادرعه من شعار
 الصبر واحتفظ به من ايثار الاجر ورفع اليه من السكون لامر الله تعالى
 في الذي طوقه والشكر له فيما ازعجه واقلقه فليعرفني القاضي من ذلك ما
 أكون ضاربا معه بسهم المساعدة عليه وآخذا بقسط المشاركة فيه فأجاب
 القاضي ابو بكر بقوله وصل توقيع سيدنا الوزير أطال الله بقاءه وادام
 تاييده ونعماءه وأكمل رفعتة وعلاه وحرس بهجته ومرقاه بالتمزية عن الثور

الايض الذي كان للحرث مثيرا وللدواليب مديرا وبالسبق الي سائر المنافع
 شهيرا وعلى شدائد الزمان مساعدا وظهيرا لعمر ك لقد كان بعمله ناهضا
 ولحماقات البقر رافضا أنى لنا بمثله وشراره ولا شروي فانه من أعيان البقر
 وانفع أجناسه للبشر مضاف ذلك الي أخلاق لولا خوفا من تجدد الحزن
 عليه وتهيبج الجزع وانصرافه اليه لعدتها ليعلم أدام الله عزه ان الحزين عليه
 غير مالم وكيف يلام امرؤ فقد من ماله قطعة يجب في مثلها الزكاء ومن خدم
 معيسته بهيمة تعين على الصوم والصلاه وقد احتذيت ما مثله الوزير من شمل
 الاحتساب والصبر على المصاب فانا لله وانا اليه راجعون قول من علم أنه أملك
 لنفسه وماله وأهله وانه لا يملك شيأ دونه اذ كان جل ثناؤه وتقدست اسماؤه
 هو الملك الوهاب المرتجع ما ارتجع مما يعوض عليه نفيس الثواب وقد
 وجدت ايد الله الوزير للبقر خاصة فضيلة على سائر بهيمة الانعام تشهد بها
 العقول والافهام ثم ذكر جملة من فضائله لا يحتاج اليها هنا انتهى وانما نقول
 انه لا يتوجه على مثل هذا القاضى في مصيبتة ملامة لأثم فكيف والسعد في
 طالع البهائم ولهذا تقول العامة ان الدنيا على قرن ثور وقال الشاعر

والدهر كالذولاب ليدس يدور الا بالبقر

وأما التعزية فلا بأس بها

فلعمري يحق لو كتبوها بسواد العيون فوق الحجر

قال بعضهم ومن موجبات الثروة الهمة والصنعة فان الهمم الموجبة

لها في المملكة يقال لها القوة المحصلة وهي مختلفة في الممالك فبعض الممالك ما

تكون روته أزيد من الاخرى وذلك بنسبة ترايد القوة المحصلة لها ونقصها ^{مطلب} القوة المحصلة لذي

والقوة المحصلة للثروة عبارة عن شيئين سعى الانسان وموضوعه الارض فاذا

نظر في الهيئة الاجتماعية وجد ان الارض في جميع الازمان على طبيعتها وانما
 اختلفت باختلاف الاطوار الحاصلة كاختراع السفن البخارية والطرق الحديدية
 واستعمال السلوك البرقية المسماة بالتلغراف في المخبرات مما يخترعه الانسان
 بواسطة توسيع دائرة العلوم والفنون فيجعل الانسان ما لا يمكن تحويله
 بطبيعته في طرز آخر وبالامل في احوال الامم المختلفة والممالك الداخلة في
 حوزة حكوماتها يعلم اختلاف الامزجة والطباع من وجهين

الاول ان أهالي الممالك التي تحت المنطقة الحارة ليست مثل الممالك التي
 تحت المنطقة المنجمدة كالبلاد التي باطراف القطب في اللوازم الضرورية فان
 أهل المنطقة القطبية المنجمدة تفتقر الى زيادة الملابس للحفاظ من تأثير البرد
 بخلاف أهل المنطقة الحارة فهي بعكسها مفتقرة الى ما يقيها من تأثير الحرارة
 والرطوبة وبخلاف أهل المنطقتين المذكورتين أهالي المنطقة المعتدلة

الثاني ان طبيعة الاراضي والاقليم ترشد الانسان الى وسائط متنوعة
 في الصناعة ونماء النبات والحيوان انما يكون بالنسبة لأهوية المملكة
 الموجودة هي فيها وبعض الممالك مشهور بكثرة الطيور والمراعي النضرة
 والمعادن وبعضها ليس فيها شيء من أسباب الثروة الطبيعية بالكيفية ومن
 الممالك ما تسهل المخبرات فيه بكثرة الانهار ومنها ما تشق فيه لعدم ذلك
 فالانسان لا يمكنه محوها وانما بالقوة الصناعية العلمية يمكنه تحويل الحال الى
 حالة أخرى وحصول هذه الحالة واختراعها وبلوغها درجة كاملة كالتلغراف
 مثلا انما يكون بصرف المساعي والهمم وكذا سائر الوسائل كالسفن البخارية
 والطرق الحديدية وسائر المخترعات النافعة فكلها من أعظم أركان القوة
 المحصلة وتزايدها موقوف على ترقى الفنون والصنائع وبمعظم هذه القوة يرتقى

بعض الامم الى درجة الثروة وبضعفها تتراجع الاخرى فعمار المملكة
 موقوف على وصولها الى الدرجة الكمالية وذلك موقوف على اتساع الدائرة
 الصناعية وهو موقوف على تميم الصناعات الموروثة سلفا عن خلف ونقل
 ما اخترع منها في الممالك الى البلاد التي ليست فيها هذه الاختراعات موقوف
 على صرف الهمة اليها والسعي فللدار في استكمال أسباب الثروة على السعي
 وحيث كانت التجارة من منافع الثروة العظيمة فلا شك
 ان صاحب الاشتغال بها الباذل همته وسعيه فيها ذهنه مصروف اليها
 بالكيفية ففكره عادة ملهي عن الافكار الباطلة التي يتسبب عنها هدم
 بنيان الامة بالفتن والشورور ومتى كانت التجارة متسعة في مملكة
 تنصرف الهمم الى التشبث بالارواح الحقيقية وتشتد الرغبات في الاسباب
 والمسببات المكونة لاتساع رؤس الاموال وفي تمكين القوة الصناعية بالقوى
 العلمية من كل مايسهل طرق المكاسب ويحولها الى درجات كمالية مما يهتم
 به الآن بالنظر لتقديم المنافع العمومية اصاله وللمنافع السياسية تبعا

« مطلب »
 ان صرف الهمة
 الي الصناعات في
 بلدة من البلاد
 يقطع عرق
 الفتن والشورور
 فيها

وقد اختلفت هذه الازمان الحديثة عما كان يجري في الازمان القديمة
 من صرف المساعي والهمم في تسهيل وسائل الدولة بالاصالة مما يكون لمنافع
 الرعية حاصلات غير مقصود فقد دلت التواريخ على أن المخترعات الجديدة في
 الدول المتأخرة لم تخل عن مقابل لها من بعض الوجوه في الدول القديمة كالطرق
 الحديدية والتلغراف ونحوها فكان البريد وحماس الرسائل قائما مقامها في مصالح
 الدواة وكذلك هجن الثلج والمرآكب للسفرة بالثلج في البحر لشرابخانة السلطنة
 المصرية وكذلك المناور لاستطلاع اخبار العدو والاحتراس منه والمحركات
 للزروع والمراعي لقطع رجاء العدو المرید الاغارة على بلاد السلطنة فجميع هذه

« مطلب »
 ان الاختراعات
 الجديدة كان لها
 نظائرها في الازمان
 القديمة تقوم
 مقامها من بعض
 الوجوه

انما كانت منافع سلطانية كما سيعلم

فقد كان البريد في عهد الالكسندرية والقيصرية موجودا وانما احواله
 مجهولة وأول من وضع البريد في الاسلام معاوية بن أبي سفيان رضي الله
 عنهما حين استقرت له الخلافة ومات أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وسلم
 اليه ابنه الحسن وخلا من المنازع فوضع البريد ليسرع اليه أخبار بلاده من جميع
 أطرافها فأمر باحضار رجال من دهاقين الفرس وأهل أعمال الروم وعرفهم
 ما يريد فوضعوا له البريد واتخذ لها بغالا بكاف كان عليها سفر البريد ثم اتسع
 الامر في زمن عبد الملك بن مروان حين خلا وجهه من الخارجين عليه كعمر
 ابن سعيد الأشدق وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير والمختار بن أبي عبيد
 واستعمل البريد الوليد بن عبد الملك بعد أبيه فكان يحمل عليه الفسيفسايه
 الفصوص المذهبة من القسطنطينية الى دمشق حتى صنعها حيطان المسجد الجامع
 ومكة والمدينة والقدس الشريف ثم لم يزل البريد قائما والعمل عليه دائما حتى آن
 لبناء الدولة مروانية أن ينتقض ولجلبها أن ينتكس فانقطع ما بين خراسان والعراق
 لانصراف الوجوه الى الدعوة القائمة للدولة العباسية ودام الامر على هذا حتى
 انقرضت أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وملك السفاح ثم المنصور ثم المهدي
 والبريد لا يشتد له سرج ولا يلجم له دابة ثم ان المهدي أغرى ابنه هرون الرشيد
 بلاد الروم وأحب أن لا يزال علي علم قريب من خبره فرتب ما بينه وبين معسكر
 ابنه بردا كانت تأتيه بأخباره وتريه متجددات أيامه فلما قفل الرشيد قطع
 المهدي تلك البرد ودام الامر على هذا باق مدته ومدة خلافة موسى الهادي بعده
 فلما كانت خلافة هرون الرشيد ذكر يوما حسن صنع أبيه في البرد
 التي جعلها بينهما فقال له يحيى بن خالد لو أمر أمير المؤمنين باجراء البريد على

• مطلب •
 وجود البريد
 في عهد الالكسندرية
 والقيصرية ومن
 بعدهم من ملوك
 الاسلام

ما كان عليه كان صلاحاً للملكة فامر به فقرره يحيى بن خالد ورتبه على ما كان عليه أيام بني أمية وجعل البغال في المراكز وكان لا يجهر عليه الا الخليفة أو صاحب الخبر ثم استمر على هذا في خلافة المأمون واتسع أمر البريد فيها حتى رتب لصاحب البريد اربعة آلاف من الهجن مع مؤنتها وآلاتها ليستخير بها عن أمور المملكة فكان يعلم أمور العالم في يوم واحد

ولما دخل هذا الخليفة بلاد الروم نزل على نهر البردون وكان الزمان حاراً فتمعد على هذا النهر ودلى رجله فيه وشرب من ماءه فاستعذبه واستبرده واستطابه وقال لمن كان معه مستقهما ما أطيب ما يشرب عليه هذا الماء فقال كل برأيه فقال هو أطيب ما يشرب عليه هذا الماء رطب ازيد فقالوا له يعيش أمير المؤمنين حتى يأتي العراق ويأكل من رطبها الا زادي فما استتموا كلامهم حتى أقبلت بغال البريد تحمل أشياء منها رطب ازيد فأتى للمأمون منها فأكل وشرب من ذلك الماء فاكثر فمجب الحاضرون لسعادته حيث لم يقم من مقامه حتى بلغ امنيته مع ما كان يظن من تعذرها فلم يقم المأمون حتى حمى حمى حارة كانت فيها منيته

ولما جاءت دولة بني بويه وعملوا على الخلافة وغلبوا عليها الخلفاء العباسيين قطعوا البريد ليخفوا على الخليفة ما يكون من أخبارهم وحركاتهم أحياناً قصدهم بغداد وكان الخليفة يأخذهم على بفتة وجاءت الملوك السلاجقة على هذا وكان بين ملوك الاسلام اذ ذاك اختلاف ذات بينهم وتنازعهم فلم يكن بينهم الا الرسل على الخيل والابل كل أرض بحسبها فلما أتت الدولة الزنكية أقام السلطان نور الدين الشهيد للبرد النجابة وأعد لها النجب الجيدة ودام هذا في جميع أزمان الدولة وفي أيام بني أيوب رحمهم الله الى آخر أيامهم

وسقوط أقدامهم وتبعها على ذلك أوائل الدولة التركية المصرية فبطل في
 أثناءها البريد حتى صار الملك الى الظاهر بيبرس رحمه الله واجتمع له ملك
 مصر والشام وحلب الى نهر الفرات وأراد تجهيز دولة الى دمشق فعين لها
 نائبا ووزيرا وقاضيا وكاتبا للانشا وكان الصاحب شرف الدين محمد عبد
 الوهاب هو كاتب الانشاء فلما مثل بين يديه ليودعه اوصاه بوصايا كثيرة
 أكدها مواصلته بالاخبار لا سيما ما يتجدد من اخبار التار والفرنج وقال له
 ان قدرت أن لا تبين لي ليلة الاعلى خبر ولا تصبحني الا على خبر فافعل فعرض
 له بما كان عليه البريد في الزمان الاول وايام الخلفاء وحرصه عليه فحسن موقعه منه
 وامر به ورتب عليه جمال الدين عبدالله الدوداري البريدي المعروف بابن السديد
 فكان جمال الدين في ذلك الوقت جناح الاسلام الذي لا يقص وترتبت في ايام
 نظارته مراكز البريد في الممالك الاسلامية ومنها في محروسة مصر ومركز
 قلعة الجبل الى نواحيها الخاصة بها وهي ثلاث جهات اولها الى جهة قوص ثم
 الى اسوان ثانيها من القلعة الى جهة الاسكندرية ثالثها الى جهة دمياط فالاولى
 من مركز القلعة الى الجزيرة ثم منها الى زاوية حسين والى منية القائد ثم منها
 الى ونا ثم منها الى بيا ثم منها الى دهروط ثم منها الى اقلوصنا ثم منها الى
 منية ابن خصيب التي يقال ان اخصيب أيام ولايته عمرها لابنه وسمها باسمه
 ثم من منية بن خصيب الى الاشمونين التي كانت احدى مدن الصعيد العظيمة
 وكان بها اذ ذلك مقر الولاية ثم منها الى ذروة الشريف نسبة الى الشريف
 حصن الدين بن ثعلب فانها كانت دار مقامه وبها دوره وقصوره وكان قد
 خرج ملك الصعيد وعجز منه ملوك مصر وأمن ايام العزيز ايبك ومن بعده فلم
 يظفر به ثم خدعه الظاهر بيبرس ومناه العوض بالاسكندرية فلما اناب اعلق

مطلب
 ترتيب مراكز
 البريد من قلعة
 مصر الى ولاياتها

به الظفر والناص وجهاز الى الاسكندرية ليملكها فشنق على بابها ثم من ذروة الشريف الى منفلوط وهي اجل خالص السلطان ثم منها الى اسيوط ثم منها الى طما ثم منها الى المراغة ثم منها الى بلسبوره ثم منها الى جرجا ثم منها الى البلينة ثم منها الى هو ويلها الكوم الاحمر وهما من خالص السلطان وعندهما ينقطع الريف في البر الغربي ويكون الرمل المتصل بدندره ويسمى خائق دندره ثم من هو المذكورة الى قوص ثم من قوص يرك البريد الهجن الى اسوان والى عيذاب ثم الى النوبة او الى سواكن على ما يكون

واما جهة اسكندرية فلما كز من القلعة اليها في طريقين فالوسطى تشق العامر الآهل وهي من مركز القلعة المحروسة الى قلوب ثم منها الى منوف ثم منها الى محلة المرحوم مدينة الغربية ثم منها الى النحريرية ثم منها الى الاسكندرية والطريق الاخرى وهي الآخذة من طريق البر وتسمى طريق الحاجز وهي من مركز القلعة الى الجيزة ثم منها الى جزيرة القط ثم منها الى وردان ثم منها الى الطرانة ثم منها الى زاوية مبارك ثم منها الى دمنهور ومدينة اعمال البحيرة ثم منها الى لوقين ثم منها الى الاسكندرية

واما طريق دمياط فن القلعة الى سرياقوس ثم منها الى بليس وهي آخر المراكز التي نخيل السلطان أي الخيل التي تشتري بمال السلطان ويقام لها السواس والعلوفات على طرف السلطان ثم مما يليها خيل البريد المقررة على عربان ذوى اقطاعات عليها خيول موظفة تحضر في هلال كل شهر في مراكز اصحاب النوبة بالخيل فاذا انسلخ الشهر جاء غيرهم ولهذا تسمى خيل الشهارة وعلى بريد الشهارة وال من قبل السلطان يستقبل في رأس كل شهر خيل اصحاب النوبة فيه ويدونها بالداغ السلطاني ثم من بليس الى السعيدية

وهي أول بريد الشهارة ثم منها الي آشمووم الرمان ثم منها الي دمياط فهذه
المرا كز الخاصة بالديار المصرية وكان ثم مرا كز آخذة من قلعة الجبل المحروسة
الي القرات بتديء من سرياقوس وبتجمع بيريدي دمياط وتفترق من السعيدية
السالفة الذكر وتتشعب في البلاد الشامية الي جهات مختلفة

وأما حمام الرسائل فان منشأه من بلاد الموصل وحافظ عليه الخلفاء
الفاطميون بمصر وبالغوا حتى أفردوا المرا كزه ديوانا وجراند بأنساب الحمام
وأول من اعتنى به من الملوك ونقله من الموصل هو الشهيد نور الدين
محمود بن زنكي رحمه الله سنة خمس وستين وخمسمائة حيث بنى الابراج على
الطريق بين المسلمين والفرنج وجعل فيها من يحفظها وفوقهم الحمام الهوادي
فاذا رأوا من العدو أحدا ارسلوا الطيور فأخذ الناس خبرهم وتجهزوا لهم فلم
يبلغ العدو منهم الغرض وكان هذا من ألطف الفكر وأكثره نفعا وهذا
معنى قول الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه اتخذ السلطان نور الدين
الشهيد الحمام الهوادي في سنة سبع وستين وخمسمائة وذلك لامتداد مملكته
واتساعها فانها من حد النوبة الي همدان فلذلك اتخذ في كل قلعة وحصن
الحمام التي تحمل الرسائل الي الآفاق في أسرع مدة وأيسر عدة انتهى
وتسمى حمام الرسائل حمام البطاقة أيضا ولعل تربية حمام البطاق في بلاد
الموصل التي بها جبل الجودي مستنبطة من بعث نوح الغراب ثم الحمامة
لاستعلام خبر الطوفان فقد أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس
قال استقرت السفينة على الجودي فبعث نوح الغراب ليأنيه بالخبر فذهب
فوقع على الجيف فأبطا عليه فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ولطخت رجليها
بالطين فعرف نوح أن الماء نضب أي نشف

« مطلق »
حمام الرسائل
وان منناه
بالموصل ونقل
نور الدين الشهيد
له لتربيته في
ممالكه

وقد كان بالديار المصرية تدريج الحمام بالوجه القلي بالرسائل فكان متصلا
من القاهرة الى قوص وأسوان وعيداب ومن القاهرة الي الاسكندرية ومن
القاهرة الي دمياط ومن القاهرة الي السويس من طريق الحاج ومن القاهرة
الي بليس متصلا بالشام وبالجملة فكانت مراكز الحمام في سائر البلاد الاسلامية
حتى قيل ان الحمام ملائكة الملوك

مطلب
مراكز الحمام
بالديار المصرية

وفي سنة احدى وسبعين وخمسةائة اعتنى الخليفة الناصر لدين الله بحمام
البطاقة اعتناء زائدا حتى صار يكتب بانساب الطير المحاضر انه من ولد الطير الفلاني
وقيل انه بيع بألف دينار وقد جرت العادة في مصر ان الحمامة لا تحمل البطاقة الا في
جناحها لا مور منها حفظها من المطر ولقوة الجناح والواجب انه اذا بطقت الحمامة من
مصر لا تطاق الا من أمكنة معلومة فاذا سرحت الي الاسكندرية لا تشرح الا من
منية عقبه بالجيزة والى الشرقية فمن مسجد التبين ظاهر القرافة والى دمياط
والذي استقر عليه قواعد الملك ان طائر البطاقة لا يلهو عنه الملك ولا يففل
ولا يمهل لحظة واحدة فنفته مهيات لا تستدرك اما من واصل واما من
هارب واما من متجدد في الثغور ولا يقلع البطاقة من الحمام الا السلطان
بيده من غير واسطة أحد فان كان يأكل لا يمهل حتى يفرغ أو نائما لا يمهل
حتى يستيقظ بل ينبه وينبغي ان يكتب البطاق البطاقة في ورق الطير
المعروف بذلك وتؤرخ بالساعة واليوم لا بالسنة ومما قيل في حمامة البطاقة
من الادب

مطلب
ما قيل في حمامة
البطاقة من
الادب نثرا
ونظما

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| لا بعد بين غدوها ورواحها | خضر نفوت الريح في طيرانها |
| كسير شهر تحت ريش جناحها | تأني بأخبار الغدو عشية |
| نفت الهداية منه في ارواحها | وكأنما الروح الامين بوجيه |

ومن انشاء القاضي الفاضل في وصفها سرحت لا تزال أجنحتها تحمل
من البطائق أجنحة وتجهز جيوش القاصد والاقلام أسلحه وتحمل من
الاخبار ما تحمله الضمائر وتطوى الارض اذا نشرت الجناح للطائر وتزوى
لها الارض حتى يرى ما سيبلغه ملك هذه الامة وتقرب منها السماء حتى
ترى ما لا يبلغه وهم ولا همه وتكون مراكب الاغراض والاجنحة قلوعا
ويركب البحر بحرا يصفق فيه هبوب الرياح موجا مرفوعا وتعلق الحاجات
على اعجازها ولا تعوق الارادات عن انجازها وقد أشار ابن الوردي في
اشارة الحماسة الى ما يفيد مزية حمام الرسائل مستوفيا لكل خاصة فيه وعلامة
حيث قال فينما الباز سكران بما بان له من البان واذا حمامة قد وقفت امامه
وقالت له كم تفتخر وأنت عظم نحر أنت من آلة اللعب والصيد وأنا من
آلة الجد والسكيد انا مع الطوق والخضاب من حملة الكتاب ومع حذري
من شرك الشرك وخوفي من فسخ الافك حملت الامانة التي أبت الجبال عن
حملها وامتثلت مرسوم ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فلما
أوصلت الحقوق أمنت العقوق وقوبلت بالبشار والخلوق ومما اعجب
العالمين اني مخضوب البنان ولي يمين أقول للملك دع الاهتمام لا تلعب بي
فأنا الحمام فهما حدث على البعد من أخصامك فأنا آيتك به قبل أن تقوم
من مقامك كتمت عن الناس سري وأبهمت بين الغناء والنوح أمرى

| | |
|--------------------|--------------------|
| رأوا خضابي وطوقي | فاستنكفوا من بكائي |
| ثم ادعوا ان زبي | مناسب للغناء |
| فقلت كفوا فعذري | بادبغير خفاء |
| فالخصب من فيض دمعي | والطوق عقد ولائي |

وقال بعضهم

فحبذا الطائر الميمون يطرقتنا
 فاققت على الهدهد المذكور اذ حملت
 تأتي بكل كتاب نحو صاحبه
 فما تمكن غير الشمس نظره
 منسوبة لرسالات الملوك فبالا
 اكرم بجيش سعيدى سعاده
 حمامتا الغار يوم الغار تحرسه
 وقوفه عند ذاك الباب شرفه
 ويوم فتح رسول الله مكة عن
 صفت تظلل من شمس كتيبته الخ
 فعند ما حظيت بالقرب أمنها
 فما يحل لذي صيد تناولها
 سمتملك المعالي غير ذى دنس
 وانظر لها كيف تأتي للخلائق من
 من المقام الى دار السلام ولم
 وربما ضل نحو الهند ماتقط
 فجاء في يومه في ارسابقة
 مناقب لرسول الله أيسرها
 فى الامر بالطائر الميمون تنبها
 كتب الملوك وصانها أعادها
 تصون نظره صونا وتخفيها
 ولا تجوز أن تلقيه من فيها
 نسوب تسمو ويدعوها مسميها
 مما يشكك فيها ذكر حاكها
 فيالها وقفة عزت مساعيا
 وللسعادة أوقات تواتيها
 بد الدخول اليها من بواديها
 ضراء مظهره فيه تواليها
 فشرفت بعطايا جل مهديها
 ولا ينال المني بالنار مصلها
 لا ترتضيه ولو جزت نواصيها
 آل الرسول لحب كامل فيها
 يمض النهار لعزم فى دواعيها
 حبات فلفلة واربد مبطيها
 حفظا لحق يد طابت أياديها
 لدى نبوته الغراء يكفيها

وأما مراكز هجن الثلج فكانت تعمر فقط فى أوان نقل الثلج من
 دمشق الى قلعة الجبل وهذه المصلحة متأخرة الانشاء عن مصلحة سفن

« مطلب »
مراكز هجن
الثلج في الممالك
المصرية وسفن
الثلج بها

الثلج فان الثلج كان يحمل في البحر خاصة الى مصر من الثغور الشامية الى
الى دمياط في البحر ثم يخرج الثلج في النيل الى ساحل بولاق فينقل منه
على البغال السلطانية ويحمل الى الشرا بجانة الشريفة ويخزن في صهرمج أعد
له ثم صار يحمل في البر والبحر وكانت مدة ترتيب جملة من حزيران الى
آخر تشرين الثاني وعدة نقلاته في البر احدى وسبعون نقلة متفاوتة مدة
ما بينها بل ربما زاد على ذلك وكان يجهز لكل نقلة بريدي يتدركه ويجهز
معه بالسلاح وكان المرتب لكل مركز ستة هجن خمسة للحمل وواحد
للحجان وكانت المراكز البريدية مرتبة في المسافات من مملكة الشام الى
مصر والكلفة على مال مصر

واما عدة المراكب المسفرة به في البحر فكانت في ايام الملك الظاهر ثلاثة
مراكب في السنة ثم أخذت بعد ذلك في الزيادة الى ان بلغت احد عشر مركبا
من مملكتي الشام وطرابلس ثم صارت من السبعة الى الثمانية واذا سفرت
المراكب من البلاد الشامية سفر معها من يتدركها مع الملاحين ولا يصل الثلج
متوفرا الا اذا أخذ من الثلج المجلد واحترز عليه من الهواء فانه اسرع اذابة
له من الماء ومنذ ترتب من الثلج ما يحمل برا على ظهور الهجن استقر منه خاص
المشروب لانه يصل أنظف وآمن عافية لاسيما وان المسافرين به ياخذون
الجشني منه بحضور أمير مجلس وناظر الشرا بجانة السلطانية وخزانها وكان
المنقول في البحر لسوى ذلك وكان للحاضرين بالثلج من الخلع والانعام رسوم
مستقرة وعوائد مستمرة

« مطلب »
مواضع المناور
بالممالك المصرية
لمعرفة الاخبار

واما المناور فكانت مواضع معدة لرفع النار في الليل والدخان في النهار
للاعلام بحركات التتار اذا قصدوا البلاد للدخول لحرب أو لا غارة وقد ارصد

في كل منور ما يلزم من المراقبين والنظارة لرؤية ما وراءهم واراءة ما أمامهم وكان
 لهم على ذلك جوامع مقرررة كانت لا تزال دارة وكانت المناور المذكورة على
 رؤس الجبال وفي الابنية العالية ومواضعها معروفة وكانت من أقصى ثنور الاسلام
 كالبيرة والرحبة الى ديوان السلطان بقلعة الجبل حتى ان المتجدد بكرة بالعراق
 كان يعلم به عشاء بمصر والمتجدد به عشاء كان يعلم به بكرة وكانت تأتي أخبار
 لسان التتار على الجناح والبريد وهذه المناور في الدولة السلطانية الاخيرة لها شبه
 بما صنعته في الاحقاب الخالية دلوك العجوز ملكة مصر التي تولت على مصر
 بعد اغراق فرعون واشرف اهل مصر فبنت جدارا احاطت به على جميع ارض
 مصر كلها من مزارع ومدائن وقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء واقامت
 القناطر والخلجان وجعلت في ذلك الجدار محارس ومساح على كل ثلاثة أميال
 محرس ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت على كل محرس
 رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم ان يحرسوا بالاجراس فاذا اتامت يخافونه
 ضرب بعضهم الى بعض الاجراس فيأتيهم الخبر من اي وجه كان في ساعة واحدة
 فينظروا في ذلك فنعت بذلك مصر ممن يطمع فيها ويمد عينه اليها وفرغت من
 بناء ذلك الجدار في ستة أشهر فكانت فكرتها في ذلك لا بأس بها في ذلك الوقت
 واما المحرقات فكان الاهتمام بها اول كل شيء وهي مواضع مما يلي بلاد
 سلطنة مصر والشام من حد الشرق داخل في تلك المملكة فكان يخشى من مجاورها
 من الاعداء مباغته الاطراف ومهاجمة الثغور كجهة بلاد الموصل وبلاد الاكراد
 فكان يجهز رجال لتحرق زرعها ونباتها حيث هي ارض مخصبة كانت تقوم
 بكفاية خيل المغيرين مرعى اذا قصدوا البلاد فكان في حرقها اضعافهم
 وافعاد حركتهم اذ كان من عادتهم ان لا يتكفوا غلوفة خيلهم بل يكلوها

« مطلب »
 ترتيب المحرقات
 للمراعي
 والمخصبات التي
 يأتي من جهتها
 العدو ومنها
 لا غارته على
 الممالك المصرية

الريمايمنت من الارض فاذا كانت مخصبة سلكوها أو مجدبة تجنبوها وكان ينفق في هذه المحرقات في كل سنة من خزينة دمشق جملة من الاموال ويجهز منها لذلك شجعان الرجال وكان شأنهم في الاحراق استصجاب الثعالب الوحشية والكلاب المستنفرة ثم يكمن المجهزون لذلك عند امناء النصاح وفي كهوف الجبال ويطون الاودية وتمضي الايام حتى يكون يوم ربح عاصف وهو اوه زعزع فتعلق النار موثقة في اذنان الثعالب والكلاب ثم تطلق الثعالب والكلاب في أثرها وقد جوعت فتجد الثعالب في الهرب والكلاب في الطلب فتحرق ما مرت به وتعلق الريح النار منه فيما جاوره ويضاف هذا الى ما كانت تلقيه الرجال بايديها في الليالي المظلمة وعشايا الايام المعتمة وكان يستثنى من ذلك ارض الجبال التي هي بلد البقية القادرية من ولد شيخ الاسلام عبد القادر الجيلي فكانت ذريته معظمة عند الاكابر والملوك لقديم سلفهم وصميم شرفهم ولما كان الاسلام وأهله من اسماهم بما تصل اليه القدرة ويبلغه الامكان

فمن هذا كله يفهم ان من تولى مصر من الملوك والولاة كان يجد فيها بقدر استطاعته من المنافع ما يظنه لازما لسعادتها فأول مسعد لمصر من دبر أمر النيل بالمقياس وصعد الى منبعه ومسيله ودبر وزن الماء والارض بمصر ورسم التعاليم وبنى القناطر واصلاح مجرى النيل من جبال الحبشة الى مصر ولا زالت المنافع تزايد ثم تتناقص على حسب صروف الدهور والمصور الى أن توازنت الاحوال في جميع الممالك والمسالك بحركة عمومية وأسباب بلغت درجة الاهمية ودواع دعوت الى أنه يجب على كل مملكة أن تضرب في الاجتهاد بسهم ونصيب والا أصابها سهم غيرها اذا قصرت في أن تجتهد وتصيب فعلي الملة العاقلة أن تتشبهت بأسباب الغني لتحظي في أيام ملكها العادل ببلوغ المنى

(راجع الفصل الاول من الباب الثاني والفصل الثاني من الباب الاول من هذا الكتاب)

فلا شك ان الغنى حلية تحلى بها اغنياء الانبياء كداود وسليمان ويوسف و ابراهيم وموسى وشعيب على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام وكثير من الصحابة والتابعين كانوا من الغنى في روضة غناء وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصف بالغنى بدليل قوله جل من قائل ووجدك عائلاً فأغنى فقد امتن الله سبحانه وتعالى على نبيه باغنائه عن فقر كما هو صريح الآية فهو غنى وان كان في كيفية الاغناء وجوه عند المفسرين فمنهم من قال ان الله تعالى اغناه بتربية ابي طالب ولما اختلت احوال ابي طالب اغناه بمال خديجة ولما اختل ذلك اغناه بمال ابي بكر ولما اختل ذلك أمره بالهجرة واغناه باعانة الانصار ثم أمره بالجهاد واغناه بالغنائم

« مطلب »
مدح الغنى وانه
صفة من صفاته
صلى الله عليه
وسلم

وروى انه عليه السلام دخل على خديجة وهو مغموم فقالت له مالك فقال الزمان زمان قحط فان انا بذلت المال ينفد مالك فاستحى منك وان انا لم ابذل اخاف الله فدعت خديجة قريشا وفيهم الصديق رضى الله عنه قال الصديق فأخرجت دنائير وصببتها حتى بلغت مبلغا لم يقع بصرى على من كان جالسا قد ابنى لكثرة المال ثم قالت اشهدوا ان هذا المال ماله ان شاء فرقه وان شاء أمسكه ومن المفسرين من قال اغناه بأصحابه كانوا يعبدون الله سرا حتى قال عمر حين أسلم أتعبد اللات جهوراً ونعبد الله سرا فقال عليه الصلاة والسلام حتى تكثر الاصحاب فقال حسبك الله وأنا فنزل قوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فأغناه الله بمال ابي بكر وبهية عمر ومنهم من قال في التفسير اغناك بالقناعة فصرت بحال

يستوى عندك الحجر والذهب لا تجد في قلبك سوى ربك فربك غنى عن
الاشياء لا بها وأنت بقناعتك استغنيت عن الاشياء وان الغنى الاعلى الغنى
عن الشيء لا به وهذا المعنى الاخير ما أشار اليه البوصيرى في قوله

وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم

وأكدت زهده فيها ضرورته ان الضرورة لاتعدو على العصم

أى طلبت الجبال العالية أن تصير ذهباً له صلى الله عليه وسلم فارتفع
عنها ارتفاعاً معنوياً أعلى وأرفع من ارتفاعها الحسي وذلك بالاعراض عنها
الاعراض السكلى وعدم الالتفات الى جهتها كما أمره ربه سبحانه وتعالى في
قوله جل من قائل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة
الدنيا أى لا تنظر نظراً طويلاً الى ما متعنا به المذكورين استحساناً للمنظور
اليه واعجاباً به كما فعل نظارة قارون حيث قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون
انه لدو حظ عظيم

ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع نهى الله سبحانه
وتعالى رسوله ومن المعلوم ان النهى له نهى لأئمة وقيل ان الذي نهى عنه
صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ولا تمدن عينيك ليس هو النظر بل هو
الاسف أي لا تأسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا لانك غنى عنها
بربك حيث هي غير ممدوحة والدنيا اذا كانت ممدوحة فانما يكون مدحها
باعتبار انها وصلة لدار القرار ولذلك قال بعضهم وأجاد

لا تتبع الدنيا وأيامها ذما وان دارت بك الدائرة

من شرف الدنيا ومن فضلها ان بها تستدرك الآخرة

فكيف يذم مطلق الغنى وهو وصف الله سبحانه وتعالى ولتبيده عليه

الصلاة والسلام فهو ممدوح شرعا فلا بأس أن يتشبه بالوصف به المملوك
والرعايا

وأقل مزايا غنى الحكومة المصرية انه لما قصرت بلادها عقب آفات
قسرية كموت المواشي وقلة المحصول وعز على الاهالي تحصيلها الا بالاثمان
الغالية من البلاد الاجنبية ولا يتيسر لكل انسان جلبها استجلبها الخديو
الاكرم بنفوذ يسار الحكومة بالاثمان اللائقة وصار التوسيع بذلك على
الاهالي فكان كما قيل

« مطلب »
ما نتج من ثروة
الحكومة
المصرية واسعاها
لالاهالي بهذه
الوسيلة في
الاحوال
الضرورية

فتى كسما الغيث والناس حوله اذا أجذبوا جادت عليهم سحائبه
ولقد أحسن من قال

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
فكم له من جدوى على الاوطان في قضاء أوطار وكما استمدت الرعايا
في هذه الاعصار استمداد الجدول من البحار مما تعجز العقول عن فهم
كنهه وعن حق أداء الشكر على الانعام به فقد أنجز الله لمصر ما قدره لها
من السعادة وأبرز في حيز الوجود ما كتبه لها من الحسنى وزيادة
واذا السعادة لاحظتكم عيونها نم فالخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي جبال واقتد بها الجوزاء فهي عنان

ومع ان كل قسم من أقسام الدنيا له كوكب من الممالك في أفقه مشرق
فمصرنا بأعلى منارها كوكب قسم افريقية وشمس افق المشرق فقد كسبت
في هذا العهد حلة المهابة والنباهة وخرج أهلها بصقال البراعة والبراعة عن لكمة
القصور والفهاهة واكتسبت الفنون والمنافع حتى صارت ترنو اليها الابصار
وتومي اليها الاصابع وتوفيق الله تعالى تمسك أهلها بالآية الشريفة التي

« مطلب »
ان مصر كوكب
المشرق

العمل بها من الفرض وهي يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم
 ومما أخرجنا لكم من الارض يعني من التجارة والزراعة فسياسة الحكومة ^{مطلب} السياسة وأقسامها
 الحالية الالتفات الى جذب النفوس الى هذه المنافع العمومية من أعجب
 التأثيرات العصرية وفي الحقيقة

لولا السياسة ما قامت لنا سبل وكان أضعفنا نهبا لأقوانا
 فدار انتظام العالم على السياسة وهي خمسة أقسام الاول السياسة النبوية
 والله يختص بها من يشاء من عباده كما قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته
 وهو الذي يهدي لا تباعهم من يشاء من فضله بسابق السعادة ولا معقب
 لحكمه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال سيدي محمد وفا

قد كنت أحسب ان وصلك يشتري بكرائم الاموال والاشباح
 وظننت جهلا ان حبك هين تفتى عليه نفائس الارواح
 حتى وجدتك تجتبي وتخص من أحييته بلطائف الامناح
 فجعلت في عشق الغرام اقامتي ولويت رأسي تحت طي جناحي
 الثاني السياسة الملوكية وهي حفظ الشريعة على الامة واحياء السنة والامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر

الثالث السياسة العامة وهي الرياسة على الجماعات كرياسة الامراء على البلدان
 أو على الجيوش وترتيب احوالهم على ما يجب من اصلاح الامور واتقان التدبير
 والنظر في الضبط والربط والحسبة

الرابع السياسة المنزلية وهي معرفة كل انسان حال نفسه وتدبير أمر
 بيته وما يتعلق به وقضاء حقوق اخوانه شرعا وفتوة وعرفا كما قال من يميل
 بطبعه الى حب المعروف

اني لاهوى انا كون لصاحبي غيضا وغوثا في النداء والباس
 واذا اكتسى ثوبا جميلا لم اقل ياليت هذا الثوب كان لباسي
 وهذه السياسة في الغالب لا يحسنها الا اشراف الناس كما قيل
 لعمر ك ما الاشراف في كل بلدة وان عظموا الا لفضل صنائع
 الخامس السياسة الذاتية وهي تفقد الانسان أفعاله واحواله واقواله
 واخلاقه وشهوته وزمها بزمام عقله فان المرء حكيم نفسه وبعضهم يسميها
 بالسياسة البدنية قال الشاعر

تعلمت فعل الخير من غير أهله وهذب نفسي فعلهم باختلافه
 أرى ما يسوء النفس من فعل جاهل فأخذ في تأديبها بخلافه
 وما أحرى من الملوك من يتمسك بهذه السياسات الخمسة لينزه بها وطنه
 عن النقائص ويحلي بها نفسه لان تفاضل الانفس انما هو بقدر تحصيلها من
 الفضائل التي يظهر بها التفاوت في القيم وذلك بمقدار ترفع الهمم والكيس
 من ينافس في تحصيل النفيس والانفس ليتوصل الى درجة السكمال فيما هو
 أصون لحفظ الناموس وأحرس

من يستطيع بلوغ أعلى رتبة ما باله يرضى بأدنى منزل
 ومن العار على كامل التمييز ان يطلب رتبة دون الرتبة القصوى وأن يقصر
 عن الوصول الى وصال سعدى وعلوى وأما قول الشاعر

والنفس راغبة اذا رغبتهها واذا ترد الى قليل تقنع
 فهو قول من يقنع بالدون ويرضى بصفقة المغبون وما أحسن ما قاله بعضهم
 ان الغني لشهاب كلما اعتكرت دجى الكروب جلا عنها حنادسها
 لا تنفع الخمسة الاسماء محذرة لديك الا اذا ما كنت سادسها

« مطلب »
 مدح حب المال
 وعدم الاقتناع
 بالدون

والمراد من الاسماء الخمسة أبوك وأخوك وحموك المرتجى نفهم ونجدتهم
 عند الشدائد وهنوك وهو كناية عن الشيء وفوك وهو الفهم والمراد الفصاحة
 والبلاغة وسادس الاسماء ذو مال وهو سيدها فذو المال اقرب لاكتساب
 المعالي لذويه ولوطنه وان يقلده قومه ويتبعوه في ذلك

تأهض القوم للمعالي لمارأوا نحوها نهوضي

فكل ما يتمناه المتعنى بلسان الاستعداد وشهادة الاستحسان والرشاد من
 المراتب الباهية والمناصب الزاهية والمقاصد السنية والموارد الهنية والعدة واجاه
 بلغ فيه رجاه فطمح نظر مصر الآن التبصر في تكميل وسائل التمدن والنصر من
 باب احسان العمل وقد قال تعالى انا الاناضيع اجر من احسن عملا وقال صلى الله
 عليه وسلم ان الله كتب الاحسان على كل شيء فباشرة الاسباب مظنة الانجاب
 ولذلك أوصى بعض الصالحاء بعض أرباب الفلاحة بقوله لا تدعي غرس أرضك
 وان سمعت بخروج الدجال فالاسباب لا تنكر (وقال) داود البصير بمناسبة
 ذكر الاسباب ان قيل اذا كان الطب حافظا للصحة دافعا للمرض فالواجب البقاء
 وعدم اختلال البنية خصوصا من نفس الطبيب ونحن نرى الحكماء فضلا عن

« مطلب »
 ان مطمح نظر
 مصر التمدن
 بالاعمال الراجحة

غيرهم يمرضون ويموتون فلا فائدة حينئذ في الطب قلنا ليس على الطبيب منع
 الموت والحرم ولا تبليغ الاجل المطول ولا حفظ الشباب لعدم قدرته على ضبط
 ما ليس اليه امره كتغيير الهواء ووروده في الاغذية من حيوان وغيره ومشقة
 الاحتراز في تعديل أمور الماء كل والشرب وغيرها وعدم امكان جلب
 الفصول على طبائنها الاصلية فقد يتقلب كل منها الى الآخر وانما عليه اصلاح
 ما امكن من دفع طار منافع وحفظ صحة الى الاجل المعلوم (فان قيل) موجبات
 الموت والحياة ولو ازمها اما ان تكون بتقدير الصانع ايجابا وسلبا كما هو الحق

« مطلب »
 ان تماطحي
 الاسباب لا ياتي
 التوكل ولا ينافر
 القضاء والقدر

أو باقتضاء طالع الوقت وعلى التقديرين ليس للطبيب قدرة على أحدهما فانتفت
 الحاجة إليه (قلنا) لو كان الامر كذلك لكان الاكل والشرب وسائر ما به
 القوام من هذا القبيل فكان يجب تركه لان المقدر من بقاء الاجل ان كان
 بدونها فلا فائدة في تعاطيها أو بها لزم ذلك والسكل باطل بل تقادير علق الامر
 عليها كما في محله فكذا الطب وبه جاءت السنة عن ارباب النواميس فقد قال صلى
 الله عليه وسلم تداووا فان الذي انزل الداء انزل الدواء وما من داء الا له
 دواء الى غير ذلك فقيل له ايدفع الدواء القدر فقال صلى الله عليه وسلم الدواء
 من القدر انتهى

ونتيجة هذه المسئلة ان مباشرة الاسباب من هذا القبيل والتشبهت
 بتصحيح الاعمال تطيب للنفس وتعليل والملوك في الظاهر حكام وفي الباطن
 حكماء يقال انه كان بين يدي الاسكندر كرة مثمثة من الذهب وضعها له
 الحكيم ارسطاطاليس على كل جهة منها كلمة سياسية تتعلق كل واحدة بالآخرى
 لتكون بين يديه يتلها في حركاته ويعمل بما فيها وهي هذه العالم بستان سياجه
 الدولة الدولة سلطان يحفظها السنة السنة شريمة يحوطها الملك الملك راع
 يعضده الجند الجند اعوان يكلفهم المال المال رزق تجمععه الرعية الرعية
 خدام يتبعدهم العدل العدل مألوف وبه صلاح العالم تحقيق لمن قلده الله امر
 عباده وبلاده ان يعطف عليهم ويعدل فيهم وينصف ضعيفهم من قوبهم
 ويساوي في الحق بين شريفهم ومشروفهم ويتدى أولا بالانصاف من
 نفسه وولده وأهله وخاصته فالناس على دين الملك كما قيل بمعنى انهم يتبعونه
 في أحواله وأفعاله ولذلك لما قدم يريد من الشام على عمر بن عبدالعزيز فقال
 له كيف تركت الشام قال تركت ظالمهم مقهورا ومظلومهم منصورا وغنيهم

• مطاب •
 الصورة المثمنة
 الشكل التي كانت
 عند اسكندر
 والمكتوب على
 اضلاعها من المائ
 السياسية الحكيمية

موفورا وفقيرهم محبوبورا (أى مسرورا) قال عمر الله أكبر لو كانت لا تتم
 خصلة من هذه الا يفقد عضو من أعضائى لكان ذلك يسيرا
 وبالجملة فالسمى فى أداء الحقوق الوطنية منحة الهية يمنحها الله سبحانه
 وتعالى من يصطفيه من خلقه فانها مرتبة جسيمة ونعمة وفيه عظيمة فيجب
 علينا ان نقيدها بشكر المولى سبحانه وتعالى على انعامه بها علينا ولقد كان
 السلف الصالح كالفضيل بن عياض والامام احمد بن حنبل وغيرهما يقولون
 لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها لولى الامر لان فى صلاحه صلاح
 للمسلمين أصلح الله حال ملكنا وسلطاننا وسائر الملوك والسلاطين آمين
 وهذا دعاء لا يرد لانه يزان به كل الورى والممالك
 تراه بلا شك أجيب لانه اذا ما دعونا أمنته الملائك
 وسيأتي بسط الكلام على سياسة ولاة الامور فى الخاتمة

(خاتمة)

وهي ان شاء الله تعالى حسنة فيما يجب للوطن الشريف على أبنائه من الامور المستحسنة
وفيهما أربعة فصول

وذلك لان أهل الوطن اربع طبقات فالطبقة الاولى ولاة الامور
والطبقة الثانية طبقة العلماء والقضاء وأمناء الدين والطبقة الثالثة الغزاة والطبقة
الرابعة أهل الزراعة والتجارة والصناعة فلماذا كانت الخاتمة مرتبة على أربعة فصول

الفصل الاول

(في ولاة الامور)

وظيفة ولاة الامور من أعظم واجبات الدين وأهم أمور المتوطنين فهم
قوام الدين والدنيا وعليهم في حركة الاعمال مدار البركة العليا وبدونهم يختل
نظام العالم لوجود المفسدين من بني آدم فلولا ولى الامر لما قدر العالم على
نشر علمه ولا الحاكم الشرعي والسياسي على تنفيذ حكمه ولا العابد على عبادته
ولا الصانع على صناعته ولا التاجر على تجارته ولولا هم لانقطعت السبل
وتعطلت الثغور وكثرت الفتن والشرور ولولا ردع الملوك لتغلبت الناس
وتهاجرت وطمع بعضهم في بعض واستولى الاقوياء على الضعفاء وتمكن
الاشرار من الاخير فيضطرون الى التشرد والتفرد وفي ذلك خراب البلاد
وفناء المباد فالملك كالروح والرعية كالجسد ولا قوام للجسد الا بروحه ولكن

من لطف الله تعالى بعباده أنه أجرى عادته في كل زمان ان ينصب في الارض
من ينصف المظلوم من الظالم ويردع أهل الفساد عن المظالم ويصنع للرعية
جميع المصالح ويقابل كل أحد بما يستحقه من صالح وطالح

« مطلب »
احتياج الانتظام
العمرائي الى
قوتين قوة حاكمة
وقوة محكومة

فقد استبان من هذا احتياج الانتظام العمرائي الى قوتين عظيمتين
احدهما القوة الحاكمة الجالبة للمصالح الدارثة للمفاسد وثانيهما القوة
المحكومة وهي القوة الاهلية المحرزة لكامل الحرية المتمتعة بالمنافع العمومية
فيما يحتاج اليه الانسان في معاشه ووجود كسبه وتحصيل سعادته دنيا واخرى
فالقوة الحاكمة العمومية وما يتفرع عليها تسمى أيضا بالحكومة وبالملكية
هي أمر مركزي تنبعث منه ثلاثة أشعة قوية تسمى أركان الحكومة وقواها

« مطلب »
اركان الحكومة
وقواها

فالقوة الاولى قوة تقنين القوانين وتنظيمها وترجيح ما يجري عليه العمل
من أحكام الشريعة أو السياسة الشرعية الثانية قوة القضاء وفصل الحكم
الثالثة قوة التنفيذ للأحكام بعد حكم القضاة بها فهذه القوى الثلاثة ترجع الى
قوة واحدة وهي القوة الملوكية المشروطة بالقوانين لان القوة القضائية انما
هي في نفس الامر راجعة للملك لان القضاة نواب ولي الامر على المحاكم وما ذنون
منه فهو الذي يقاد القضاة بالولايات القضائية وحكام المجالس أي قضاتهم بالأحكام
الشرعية أو السياسية الشرعية وينتخب لكل ولاية قضائية أو مجلس من يرى
فيه الاهلية لذلك على موجب أصول المملكة المرعية فالقضاء في الحقيقة من
حقوق ولاية الامور والقضاة خلفاؤه في مباشرته ولذلك كانت أحكام القضاة
التي على طبق الشرع لا تنقض لاعتبار اذن ولي الامر بها ضمنا من حيث
فصل الحكم فرجعت هذه القوة الى الملك وكذلك قوة تنفيذ الأحكام بعد
قطع الحكم فيها فانها حق خاص بولي الامر من أول وهلة لا يشاركه فيه

غيره كما انه هو الذي ينسب اليه تقنين القوانين حيث يتوقف على أوامره تنظيمها وترتيبها واجراء العمل بموجبها فقد انحصرت فيه القوي الثلاثة التي هي أركان القوة الحاكمة

ثم ان الاصول والاحكام التي بها ادارة المملكة تسمى فن السياسة الملكية وتسمى فن الادارة وتسمى أيضا علم تدير المملكة ونحو ذلك والبحث في هذا العلم ودوران الالسن فيه والتحدث به والمنادمة عليه في المجالس والمحافل والخوض فيه في الغازيات كل ذلك يسمى بوليتيقة أي سياسة وينسب اليه فيقال بوليتيقي أي سياري فالبوليتيقة هي كل ما يتعلق بالدولة وأحكامها وعلائقها وروابطها فقد جرت العادة في البلاد المتقدمة بتعليم الصبيان القرآن الشريف في البلاد الاسلامية وكتب الاديان في غيرها قبل تعليم الصنائع وهذا لا بأس به في حد ذاته ومع ذلك فبادئ العلوم الملكية السياسية التي هي قوة حاكمة عمومية وفروعها مهمة في الممالك والقري بالنسبة لابناء الاهالي مع ان تعليمها أيضا لهم مما يناسب المصلحة العمومية فما المانع من ان يكون في كل دائرة بلدية معلم يقرأ للصبيان بعد تمام تعليم القرآن الشريف والعقائد ومبادئ العربية مبادئ الامور السياسية والادارية ويوقفهم على نتائجها وهو فهم اسرار المنافع العمومية التي تعود على الجمعية وعلى سائر الرعية من حسن الادارة والسياسة والرعايا في مقابلة ما تعطيه الرعية من الاموال والرجال للحكومة ويفيدهم أسباب ايجاب الحكومة على الاهالي ان تخدم وطنها بنفسها خدمة شخصية في العسكرية واسباب الزام الاهالي بدفع حصة مخصصة من أموالهم بوصف خراج أو ويركو أو عوائد أو نحو ذلك من جبايات الحكومة القائمة في الدول

« مطلب »
علم تدير المملكة

« مطلب »
ان البوليتيقة
هي العلم بالسياسة
واحوال الناس

« مطلب »
استصانة تعليم
ادارة الحكومة
لابناء الاهالي
في صغر سنهم

الاسلامية مقام الزكاة المعطلة وكذلك ليعرف الاهالي أسباب ايجاب
الحكومة عليهم ان يتنازلوا عن شيء من أملاكهم وعقاراتهم عند الاقتضاء
واحتمياج الحكومة لذلك للمصلحة العمومية كتوسيع الطرق وما أشبه ذلك
من العمليات التنظيمية فاذا ارتكز في أذهان الصبيان من زمن شبوبيتهم
أصول هذه السياسات الشرعية وفروعها وفهموا الاسباب والمسببات سهل
عليهم عند بلوغ الرشد والوصول الى كمال الرجولية اجراء مفعولها وهل هذا
التعليم الا يقاف أهل الوطن على معرفة حقوقهم وواجباتهم بالنسبة لاملاكهم
وأموالهم ومنافعهم ومآلهم وما عليهم محافظة على حقوقهم ودفعاً للتعدي عليها
فاللائق ان يكون بكل ناحية معلم لمبادئ الادارة ومنافع الجمعية العمومية في
مقابلة ما تدفعه الجمعية للحكومة فان هذا التعليم مع تقديمه للشخص المتعلم له
تأثير معنوي في تهذيب الاخلاق ومنه تفهم الاهالي ان مصالحهم الخصوصية
الشخصية لا تتم ولا تتجز الا بتحقيق المصلحة العمومية التي هي مصلحة
الحكومة وهي مصلحة الوطن فتدعن نفوسهم بأن الفوائد الخصوصية
ليست في حد ذاتها مضمونة الحصول الا في ضمن الفوائد العمومية المذكورة
وأيضاً مما يقتضي لياقة تعليم مبادئ الادارة بالنواحي كون قانون الحكومة
لا يمنع من جواز استخدام أحد من الاهالي لاستخدامه في الملكية لا سيما
منصب المشيخة البلدية كما سيأتي ذكره يستدعي سبق معرفة بأصولها والا
ترتب على استخدام الجاهل بها من السقانة ما لا يخفى وإنما العلم بالتعلم لا سيما
أيضاً مع تجديد جمعيات الانتخاب ومجالس النواب
وكان المانع لتعلم البوليتيكة والسياسة في الازمان السابقة ما تشبث
به رؤساء الحكومات من قولهم ان السياسة من أسرار الحكومة الملكية

مطلب
ان استخدام
الانسان في
الحكومة
يستدعي سبق
معرفة بأصول
وظائفه

لا ينبغي علمها الا لرؤساء الدولة ونظار الدواوين مع كون لفظ البوليتيكة كان
 معروفا أيضا بمعنى آخر وهو الحيلة والخداع والتدبير مما لا يابق الا بالملكة
 الجائرة وفي هذه الايام جميع الاحكام الملكية مؤسسة على العدل والامانة
 وخصوص النية المتقوم منها الحق وهو ابيض ابلج لا ينبغي الا على الاخلاص
 في القول والعمل وحسن العلاقات بين الراعي والرعية مما يغرس المحبة
 والموودة في قلب الملك ورعاياه بسبب اتباعه الاصول المربوطة وسيره على
 السنن القويم حسب احكام المملكة المشروطة وهي غير مكتومة ومن
 المعام ان الملك الذي يحب رعاياه يحب تقدمهم في المناصب الملكية
 للاستعانة بأرائهم التي هي في حقه ضرورية فهو أحق باصطفاء رجاله منه
 باصطفاء امواله لانه مع استبداده بالنهي والامر وسدو المقام وجلالة القدر
 لا يكتفي بالوحدة ولا يستغنى عن الكثرة فثله كمثل المسافر في الطريق
 البعيد يجب ان تكون عنايته بفرسه المجنوب كعنايته بفرسه المراكوب ومن
 احب المقاصد والنتائج سهل الوسائل والمقدمات وأيضا من البديهي ان
 للانسان حقوقا وعليه واجبات فطلبه لحقوقه وتأديته لواجباته على الوجه
 الاكمل يقتضيان معرفة الحقوق والواجبات ومعرفة ما يتوفقه على فهمهما
 وفهمهما عبارة عن معرفة قوانين الحكومة التي هي السياسة فالذي لا يريد
 خدمة الحكومة هو أيضا مثل المستخدم فيها لمعرفة قوانينها

« مطلب »
 سبب كتمان
 الامور السياسية
 عن العموم
 وجعلها من
 اسرار الدولة
 في الازمان
 السابقة

وقد تجدد في مديريات مصر في هذا العهد الاخير مبادي ما اشرنا
 اليه وهو صدور الاوامر الخديوية بجلب من يرغب من ابناء العمدة ووجوه
 الناس الى دواوين المديريات ليعلموا على تعليم الاحكام والادارة لتوظيفهم
 فيما بعد في الوظائف الادارية ونعمهم كمال النفع للحكومة قال الشاعر

« مطلب »
 صدور الاوامر
 الخديوية بقيد
 ابناء وجوه
 الناس بوظيفة
 معاونين ليعلموا
 على الاحكام

وكاذب الصبح يبدو قبل صادقه وأول الغيث قطر ثم ينهمل

(وقال آخر)

رب قليل غدا كثيرا كم مطر بدؤه مطير

ثم ان الحكومة التي عبرنا عنها فيما سبق بالقوة الحاكمة هي من مقولة النسب والاضافات تقتضى حاكما ومحكوما يعنى ملكا ورعية فلا يفهم الملك الابالرعية ولا تفهم الرعية الا بالملك كالبوة والبنوة فلهذا وجب ان نبين كلا منهما مع ما يتعلق به وبتدريء بولاية الامور فنقول

ولي الامر هو رئيس أمة وصاحب النفوذ الاول في دولته وحاكم متصرف بالاصول المرعية في مملكته ولا توجد رعية في مملكة منتظمة بدون راع والا ضعفت واختلت وشقى اهلها لعدم من يسعى في اسعادهم بتحسين شؤونهم وقد تأسست الممالك لحفظ حقوق الرعايا بالتسوية في الاحكام والجرية وصيانة النفس والمال والعرض على موجب احكام شرعية وأصول مضبوطة مرعية فالملك يتقلد الحكومة لسياسة رعاياه على موجب القوانين

ولما كانت السياسة جسيمة لا يقوم بها واحد اختص الملك بمعالى الاحكام وكلياتها وخلع بعض نفوذه في جزئيات الاحكام على المحاكم والمجالس وجعل لهم لوائح وقوانين خصوصيه ترشد افعالهم ولا يتعدونها قال بعضهم ليست في الدنيا جمعية منتظمة ولا مملكة معتدلة الاحكام الا وتكون القوة فيها بالاصول العدلية فالاصول العادلة نصون ناموس الدولة عن اللامة ولهذا كان جميع ما امضاه الملك السالف من الاحكام واجرى مقتضاه بالفعل والتنجز لا يسوغ لمن جاء بعده ان يخذشه ويبطل احكامه التي جرى مقتضاها وهذه القاعدة جارية في سائر الممالك فخرمة الاصول الملكية بصونها عن نقص ما جرياتها راجعة في الحقيقة

« مطلب »
اختصاص الملك
بمعالي الاحكام
وكلياتها
وتفويضه
جزئياتها لوكلائه

لحفظ حرمة الملك فان بت الحكم في عهد الملك أثر نتائج أفكاره أو ثمره أو أمره
ونواهيته وتصديقه عليه فهو منسوب الى المنصب الملوكي فلا يسوغ نقضه وقد
كان للمنصب الملوكي في أول الامر في أكثر الممالك انتخابيا بالسواد الاعظم واجماع
الامة ولكن لما ترتب على أصل الانتخاب ما لا يحصى من المفاسد والفتن والحروب
والاختلافات اقتضت قاعدة كون درء المفاسد مقدما على جلب المصالح اختيار
التوارث في الابناء وولاية العهد على حسب أصول كل مملكة بما تقرر عندها
فكان العمل بهذه الرسوم الملوكية ضامنا لحسن انتظام الممالك

ثم ان للملوك في ممالكهم حقوقا تسمى بالزايا وعليهم واجبات في حق الرعايا
فن مزايا الملك انه خليفة الله في ارضه وان حسابه على ربه فليس عليه في فعله
مسؤولية لاحد من رعاياه وانما يذكر للحكم والحكمة من طرف أرباب الشرعيات
أو السياسات برفق ولين لا يخطاره بما عسى أن يكون قد غفل عنه مع حسن
الظن به لقوله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة فقلنا لمن يارسول الله قال لله
ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وايضا للانسان في نفسه محكمة تجري
الاحكام على صاحبها وهي الذمة التي هي النفس الواهمة أو المطمئنة فهي قاض
لا يقبل الرشوة فاذا فعل الملك كغيره مالا يوافق لامته عاقبته نفسه لان نور
الحق يسطع في القلب واذا فعل الملك مالا ينبغي فعله لا تطمئن نفسه الى ذلك
ولا يركن قلبه اليه ولا يفرح به واما فعل الخير فتطمئن اليه النفس ويركن
اليه القلب وينشرح له الصدر

• مطالب •
خصائص الملوك
فيما يجب لهم
وعليهم

وبيان ذلك ان القلب مبدأ الحركات البدنية والارادات النفسانية فان
صدرت عنه ارادة صالحة تحرك البدن حركة صالحة وان صدرت عنه ارادة
فاسدة تحرك البدن حركة فاسدة فالقلب كالملك والاعضاء كالرعية ولذلك

• مطالب •
كون الذمة
محكمة قضائية
تثيب صاحبها
وتعاقبه على الخير
والشر

قال أهل السنة والجماعة ان العقل في القلب وله شعاع متصل بالدماع
فالقلب يطمئن للعمل الصالح طمأنينة تبشره بأمن العاقبة فصاحب هذا
العمل قضى له قاضي الذمة بأنه محق في عمله بخلاف العمل السيء فإنه يورث
القلب تنديما وحسرة ويكسبه ملامة تنذره بسوء العاقبة فصاحب هذا العمل
السيء قضى عليه قاضي الذمة بأنه آثم مبطل في عمله ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم لو ابصت بن معبد لما أتاه في وفد جئت تسأل عن البر البر ما اطمانت
اليه النفس واطمان اليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر
فاستفتت نفسك وإن أفنوك الناس وأفنوك وسبب ذلك أيضا ان الله سبحانه
وتعالى فطر عباده على معرفة الحق والسكون اليه وقبوله وركن في الطباع محبته
ومن ثم ورد حديث كل مولود يولد على اصل الفطرة قال ابو هريرة اقرؤا
ان شتم فطرة الله التي فطر الناس عليها وهذا يؤيد قول بعضهم ان عمل القلب ان
كان خيرا أو شرا كصدى الصوت في الجبل يعود على القلب برنة الخير
أو الشر وهو معنى قولهم كاد المرتاب أن يقول خذني

فدمة الملوك كدمة غيرهم متأثر بالانبساط من الخير والانقباض من
الشر فالذمة حكم عدل تفر غالبا من الظلم والجور فهي عنوان الخوف من الله
تعالى في كونها تحمل الملوك على العدل ومما يحملهم على العدل أيضا ومحاسبهم
محاسبة معنوية الرأي العمومي أي رأي عموم اهل ممالكهم أو ممالك غيرهم
من جاورهم من الممالك فإن الملوك يستحيون من اللوم العمومي فالرأي العمومي
سلطان قاهر على قلوب الملوك والا كابر لا يتساهل في حكمه ولا يهزل في
قضائه فويل لمن نفرت منه القلوب واشتهر بين العموم بما يفضحه من العيوب
ومما يحاسب الملوك أيضا على العدل والاحسان التاريخ أي حكاية وقائعهم

« مطلب »
كون الرأي
العمومي بحمل
ولادة الامور
على العدل
والاحسان

لمن بعدهم من ذراريهم وخلفهم من الاجيال الآتية فان المؤرخ يذكر
 للامة اخبار ملوكها فينتقل من العين الى الاثر ومن البيان الى الخبر فيبث
 محاسن الملوك ومثالبهم لاعتقابهم ليعتبروا فداب الملك العاقل أن يتبصر في
 العواقب وأن يستحضر في دائم أوقاته وفي حركاته وسكناته ان الله سبحانه
 وتعالى اختاره لرعاية الرعية وجعله ملكا عليهم لا مالكا لهم وراعيهم يعني
 ضامنا لحسن غذائهم حسا ومعنى لا آكل لهم وانه تعالى خصه بمزايا جليلة
 اولها انه خليفة الله في أرضه على عباده وقد أمر الجميع بالعدل والاحسان
 وما بعده حيث قال جل من قائل ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية
 فأمرية العدل أول واجبات ولاة الامور وهو وضع الاشياء في مواضعها
 واعطاء كل ذي حق حقه والمساواة في الانصاف بميزان القوانين وأفضل
 الازمنة أزمنة أئمة العدل قال تعالى وأقسطوا ان الله يحب المقسطين وقال
 صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العدل وقال بعض الحكماء اذا نطق لسان
 العدل في دار الامارة فهو بشرى لها بالعز وعلى السعادة امارة فتدير الملوك
 أمر العباد والبلاد بالعدل ارفع لذكركم وأعلى لقدركم (وسأل) الاسكندر
 حكما أهل بابل هل الشجاعة عندكم أبلغ أو العدل فقالوا اذا استعملنا العدل
 استغنينا عن الشجاعة فالى العدل انتهت الرياسة الكاملة والمملكة الفاضلة
 ومن مزايا ولاة الامور أيضا ان النفوذ الموكي بيدهم خاصة لا يشاركون فيه
 مشارك وهذه المزية العظمى تعود على الرعية بالفوائد الجسيمة حيث ان
 اجراء المصالح العمومية بهذه المنابة ينتهي بالسرعة لكونه منوطا بارادة
 واحدة بخلاف ما اذا نيط بارادات متعددة بيد كثيرين فانه يكون بطيئا
 وهذا النفوذ الموكي القضائي غير النفوذ الاجرائي الذي هو مباشرة العمل

« مطلب »
 ان نفوذ ولاة
 الامور يعود
 على الرعية
 بالفوائد الجسيمة

وهو من خصائص الوزراء ونظار الدواوين وغيرهم فالنفوذ الملوكي هو الترتيب والامر بالنفوذ الاجرائي لمن يجريه فهو حق محترم لا مسؤولية فيه على الملك ولا يكون لغيره فكيف وهو رئيس المملكة وأمير الجيوش البرية والبحرية وقائد الماول وعليه مدار الامور المدنية والعسكرية الداخلية والخارجية وهو الذي يقبل المناصب العمومية ان يستحق باصدار أوامره فيها ويرتب الوظائف وينظم اللوائح المبينة لطرق اجراء الاصول والقوانين ويأمر بتنفيذ الاحكام الصادرة من ديوانه ومحاميه ومجالسه وله الرياسة على امان دين مملكته وله الحق في ان يمنح المناصب والالقب العلية وأن يعطي عنوان الشرف وينشأه

واذا أمر المجالس بتنظيم لوائح فانها لا يجري مفعولها ولا يعتد بها الا اذا صدق على نفس اللوائح وعلى ترتيب اجزاء على من خالفها وترتيب اجزاء على مخالفة القوانين هو ما يسمى تقرير القوانين وترسيخها فانها بدون ترتيب اجزاء ليس على مخالفتها لوم

وأما وظائف المجالس اخصوية ومجالس النواب فليس من خصائصهما الا المذاكرات والمداولات وعمل القرارات على ما تستقر عليه الآراء الاغلبية وتقديم ذلك لولي الامر وكذلك من خصوصيات ولي الامر نشر القوانين واجراء مفعولها من يوم نشرها ومن المزايا الملوكية ما يسمى حق الصفح عن الجانين وهو أجل المزايا اللائقة بالمنصب الملوكي وهو ان له الحق في الصفح عن العقوبة المترتبة على الجاني الذي جنائته من قبيل وخفاق الانسان ضميما أو تخفيف جزاء هذه الجناية فان العظيم يعفو عن الذنب العظيم وكذلك له ان يسامح من جزاء المذنب بالصغائر وان يقبل توبة من يتوب

• مطلب •
وظائف المجالس

• مطلب •
كون ذاب
المنصب الملوكي
الصفح عن الجاني
أو تخفيف
العقوبة عنه

وهذه المزية الجائلة لا ثقة بما ينبغي ان يكون عايه الملك من الرأفة والرحمة
والحلم فان الحلم يجب ان يكون من الاوصاف الذاتية للملوك وليس لهذا
الحلم المطلوب حد محدود ولا قيد مخصوص بل على اطلاقه وعمومه في حقه
ومفوض فيه أمره اليه وانما ضابطه ان يكون لرعيته بمنزلة الوالد في الشفقة
على أولاده وان حدث في الرعية حادث فليتداركه بلطفه وتديبره لئلا يتسع
الخرق على الراقع فان أصابهم خلل في أمر المعيشة من الطعام والشراب
والكسوة والدواب أو في الذهب والفضة فانه يوسع عليهم ويلم الشعث
الحادث بهم كما فعل السلطان الغازي محمود بن سبكتكين سلطان غزنة فانه
لما اجذبت رعيته وكان له طعام فقال بعض وزرائه ينبغي ان يعطي لهم ثمن
عدل فقال لا بل نوسع لهم ونصدق به عليهم فانهم رعيتنا لا ينبغي ان نأخذ
منهم شيئا ولا يستحسن منا ان نكون في الرخاء ورعيتنا في الشدة والغلاء ثم
أمر حتى أبيض عليهم فان ضاقت البلدة بالرعية وشق عليهم المقام في ازدحامهم
فليزد في البلد فان لم يمكن فلينقل من البلد جانبا من الاهالي الى بلد آخر فهذا
هو الملك الحليم العادل

• مطلب •
تعريف الحلم
بالنسبة للملوك

ويجوز له ان يبذل حمله الى مالا نهاية فلا يليق الاستفسار منه عن
الاسباب الحاملة له على الصفح عن الجاني في حالة ما اذا صفح عنه ولا عن
عدم الصفح في حالة ما اذا لم يصفح وانما اللائق في حقه في حالتي العفو
والعقاب ان لا يتجاوز في ذلك الحد حفظا لتاموس الشريعة وصونا للحدود
الله من التعطيل ومحافظة على ابقاء قوة السياسة الشرعية الضامنة للامن العام
ومنعا للتجري وتعدي الناس بعضهم على بعض ولهذا لما صدر من بعض
الملوك الصفح عن بعض الجانين وحضر الجاني امام القاضي ليصدر له الامر

• مطلب •
كون صفح الملك
عن الجاني يعفو
المقوبة ولا
يعفو الذنب

بالصفح عنه حكم أمر الملك قال له القاضي لقد صدر أمر الملك بالعفو عن
ذنبك فاذهب سريعا فقد ارتفع عنك العقاب وبقي عليك الوزر (وقال)
قاض آخر لانسان آخر قتل شخصا بالسهم وحكمت عليه المحكمة بقوة
القتل تخففها الملك باستبدال القتل بالليان اذهب الي الليان لتزعج أهله فقد
قدم عليهم معتدا أنهم قبيح الفعال ليصاحبهم فلا شك أنهم ينفرون منك
كل النفور

«مطلب»
كون صفح الملك
لا يكون في
حقوق العباد

وفي الممالك المدفقة في الاحكام العدية لا يصفح الملك عن الجاني في
الغالب الا في ذنب الخوض في الناموس الملوكي او في الصغائر الخاصة
بالسياسة الملوكية ولا يتجاوز الملك عن التمدي في شيء بالنسبة لحقوق العباد
المبنية على المشاحة فلا يمنع حدود الله ولا يصفح عن القاتل لشخص له ورثة
أبدا لان الديه أو القود حقهم ومع صفح الملك عن الجاني فلا يبطل تحقيق
الدعوى المقامة في شان الجناية فان حقوق الملك انما هي تخفيف عقاب المذنب
نظرا للنفوذ الملوكي والناموس السلطاني المبني على الشفقة والرحمة فليس من
المصلحة عفو عن الذنب قبل ظهوره ولا اظهار ذلك للمحاكم قبل التحقيق
لان ذلك يفضي الى ستر الحق وله في حقوق الحكومة اذا حصلت فتنة عمومية
وخمدت نارها وظهر رؤساء الفتنة وبان المنفردون ان يخبر المجالس المحكمية
المقامة فيها قضاياهم بأنه قد عفا عن الجنح السياسية وكذلك اذا حصل اتهام
للمستخدمين في الاموال الميرية باختلاس او اهمال وكان عليهم تحقيق
أو محاسبة أن يسامحهم مما اتهموا به ويحلى سبيلهم

«مطلب»
في ان صفو الملوك
مطلوب لكونهم
أولى بالتخلق
بأخلاق الرحمن

وبالجملة فحق العفو من الملوك الذين هم خلفاء الله في ارضه على عبادته مبني على
وجوب التخلق بأخلاق الرحمن أي الاتصاف بصفاته كالأفة والرحمة والحلم وفي

الحديث الشريف الراجحون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من
 في السماء وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى ان كنتم تريدون رحمتي
 فارحموا عبادي وقيل في هذا المعنى

ان كنت لا ترحم المسكين ان عدما ولا الفقير اذا يشكو لك العدما

فكيف ترجو من الرحمن رحمة وانما يرحم الرحمن من رحما

(وقال اخر)

ابغ للناس من الخبير كما تبغى لنفسك

وارحم الناس جميعا انهم أبناء جنسك

وأما الرعية فهم طبقات متكاثرة فيذبني للملك ان يحسن تربية رعيته على

اختلافهم ويهذب اخلاقهم بالآداب الحسنة وان يحمل أرباب الزراعة والتجارة

والعمارة على تأدية حرفهم جميع حقوقها وينهاهم عن استنفاد الذهب والفضة فيما

لا يحل كالواواني والاطواق واللجم والمناطق لئلا يضيق عليهم أمر المعاش

بمعنى انهم لا يستعملون النقدين في الاشياء المستغنية عنهما فان المولك المتقدمين

كانوا لا يفعلون ذلك هم ولا رعاياهم فكثرت في ايامهم النقود والخيرات وينبني

ان يشوق المحترفة بالعطايا والمسكافات وشمول النظر والمساحات حتى يتسابقون

الى تكثير مصنوعاتهم وهكذا كل طبقة

وبسط الكلام على عموم الرعية ان يقال ان لهم حقوقا في المملكة تسمى

بالحقوق المدنية يعني حقوق أهالي المملكة الواحدة بعضهم على بعض وتسمى

بالحقوق الخصوصية الشخصية في مقابلة الحقوق العمومية وهي عبارة عن

الاحكام التي تدور عليها المعاملات في الحكومة وهذه الحقوق في كتب الفقه

عبارة عن المعاملات والانكحة والفرائض والوصايا والحدود والجنايات

« مطلب »
 الكلام على
 الرعية وما يفعله
 الملك لاصلاحهم

« مطلب »
 حقوق الرعية
 المسماة بالحقوق
 المدنية اي حقوق
 اهالي المملكة
 الواحدة بعضهم
 على بعض

والدعاوي والبيئات والافضية فالحقوق المدنية المذكورة هي حقوق أهل
ال عمران بعضهم على بعض لحفظ أملاكهم واموالهم ومنافعهم وتفوسهم
واعراضهم ومالهم وما عليهم محافظة ومدافعة ويتفرع من حقوق المملوكة
العمومية أي السياسة والادارة الملكية ومن الحقوق المدنية الشخصية فرع
آخر من الحقوق يسمى بحقوق الدوائر البلدية يعني حقوق النواحي والشيخوخة
البلدية فهذه الحقوق تتعلق بالامتيازات الخصوصية لكل ناحية

ثم ان الدائرة البلدية والناحية والشيخوخة الفاظ مترادفة في عرف الادارة
على معنى واحد فحقوق الدوائر البلدية الامتيازية هي استقلال النواحي
بالتصرفات الرشدية يعني استقلال كل ناحية بتحسين نظامها من حيث
خصائصها البلدية وحال اهلها واستبدالها بحفظ مصالحها الخاصة بها تحت
ظل الحكومة وهي مجموع قرية أو حارة أو أكثر صارت ناحية لما فيها
من الروابط والعلاقات الخصوصية التي استدعتها المنافع العمومية فهي جزء
من المملوكة الكمية امتازت من اجزاء مملكتها بالمزايا الخصوصية البلدية
كاختصاصها باسواق دورية ومواسم سنوية وعوائد محلية وعمائر خيرية
ثم ان تكون النواحي سابق الوجود على تكون الحكومات واقدم منها
في التجمعات التأسيسية فالنواحي أصل الممالك فقد كانت النواحي مشيخات
صغيرة مستقلة منفرد بعضها عن بعض على قرية أو أكثر أو على بندراومدينة
بوصف دائرة بلدية وكان الحامل لاهلها على الاجتماع والاتحاد اقتضاء الحاجة
الانسانية للتأنس والتعيش والتحفظ حيث أحسوا باحتياجهم الى ادارة داخلية
لدائرهم فاحتاجت تلك الادارة الى عمل ومحافظة وحسن تدير وملاحظة
فاستدعي الحال الى رئيس يقوم بادارة تلك الدائرة ويسوس امرها ويقوم

« مطلب »
حقوق الدوائر
البلدية التي هي
فرع من المصلحة

« مطلب »
سبق تكون
الدوائر البلدية
على تكون
الحكومات
والممالك

أودها فاختار أهل هذه الدائرة لهذه الوظيفة اعقل العشيرة وانورهم بصيرة
وكانوا في مبدأ الامر يختارون بالرغبة والطوع لمثل ذلك شيخا من شيوخ
الاهالي الطاعنين في السن ممن أفادتهم كثرة التجارب المعلومات القوية
والهيبة والوقار ويجمعونه كبير الناحية ومن المعلوم ان من طعن في السن
يطلق عليه اسم الشيخ فذلك قيل لهذا الشيخ شيخ البلد أو شيخ الناحية
أو شيخ الحارة وقيل للبلد وللناحية وللحارة مشيخة فاستمر الحال على هذه
التسمية حتى انتظمت النواحي في الحكومات وانخرطت في سلك الممالك
وصارت أجزاء لكل أو جزئيات لسكيات وبقي اسم الشيخ دالا على كبير
القوم أيا ما كان عمره

« مطالب »
سبب تلقب
رئيس الناحية
بشيخ البلد

ثم بتداول الازمان وترتيب البلدان وانضمام عدة أقاليم أو مدن تحت
رياسة واحدة نظمت النواحي تنظيما رسميا تابعا لانقسام البلاد الى ممالك
والمالك الى ايالات والايالات الى كور أو مديريات والمديريات الى أقسام
والاقسام الى أخطاط والاختاط الى نواحي ودوائر بلدية أو الى مدن
والمدن الى اجزاء وسمى شيخ المملكة سلطانا أو ملكا أو رئيس جمهورية
وسمى حاكم الايالة واليا أو أميرا وحاكم المدينة محافظا أو مأمورا وحاكم
المديرية مديرا وهكذا وحاكم البلد شيخ البلد أو عمدة وهكذا على حسب
عرف كل بلاد واختلفت الاسماء باختلاف عرف الاقاليم والنواحي والمسميات
متحدة

فقد تأسست كلية الحكومة على عمد نواحيها ومعاونيهم فبهم أعضاء
بجسد الحكومة وجميع الخدمات المحلية محالة على عهدتهم واعتماديتهم حتى
ان القوانين قد ترتبت في الحكومة بحسب دوائرها البلدية واقتضاء مواقعها

المحلية من المزايا الخصوصية

وفي الازمان السالفة قبل تقدم الجمعية في البلاد الاروبية وقبل أخذها من التمدن بالحظ الاوفر كان أكثر أهالي حكوماتها ملتزمين وأمراء كبار مستقلين يملك الدوائر البلدية والاراضي الزراعية يملك الواحد منهم القسم بتمامه ويستبد فيه برأيه وتنفيذ أحكامه ويدفع خراجا مقررًا للرئيس الحكومة الكبيرة فكان هؤلاء الملتزمون والأمراء مستبدين بما تحت أيديهم من المدن والقرى والبلاد ومستعبدين لما فيها من الفلاحين والأهالي والعباد وفي مقابلة ذلك يدفعون الخراج المقرر المعلوم لولاية الإمبراطور بشرط اتباع القوانين المعلومة والاصول والرسوم فكانت النواحي تابعة لهؤلاء الأساتيد الملتزمين التابعين تبعية ضعيفة لملاكهم مع مبارزتهم لهم بالمشاحنات في كل وقت مثل ما كان جاريا بالديار المصرية في عهد المماليك

فلما دعت الحروب الصليبية والغزوات الافرنجية في البلاد الشرقية الاسلامية الى سفر رؤساء الجيوش بأنفسهم الى هذه الحروب وكانوا هم أرباب الالتزام واقتضى الحال أن يأخذوا من التزاماتهم ما قدروا عليه من الاموال والنفوس لحرب الاسلام وكانوا أرباب حمية قوية وغير دينية وطالت أزمنة الغزو والقتال للتغلب على القدس الشريف العزيز المنال مع كثرة الانفاق لطول الشقاق وتبصرهم في ادخال محاسن التمدن الشرقية في بلادهم الغربية وتعلمهم من الاسلام ما حسن بلادهم وانفاقهم النفقات الجسيمة في الحصول على ذلك كله مددا مديدة فتضعف بهذا من جهة المعاش حالهم وضاعت في الازمان المختلفة أموالهم ورجالهم وعمتهم لضرورة الحروب الفاقة وعجزوا عن الاطاقة واضطروا الى بيع الاراضي والرجال فاشترى منهم أهل

« مطلب »
تحكيروا التزمين
في اور. ما سينا
على الاراضي
والفلاحين

« مطلب »
ما نتج في اوربا
من الحروب
الصليبية لاخذ
القدس الشريف
وغیره من بلاد
الاسلام

النواحي أملاكهم وأنفسهم بالاموال ومنهم من اشترى الامتياز بحق تنصيب شيخ من الناحية للمحاماة عن الحقوق الاهلية فتمتعوا من ذلك الوقت بالمزايا الاهلية والحقوق المدنية وتملكوا الاملاك وخرجوا من رتبة التبعية وصاروا على تداول الايام يزدادون في القوة بقدر ضعف الملتزمين وفتقدم للنخوة فتواجهت عند الجميع الحرية وصارت ممالك أوروبا بالتمدن حقيقة وحرية

وقد ترتب على اعتناق اعناق الدوائر البلدية وتحرير رقاب النواحي في البلاد الاروباوية كما في غيرها من البلاد المتعدنة فاندتان مهمتان (احدهما) تمتع أهالي النواحي بثمرات الاكتساب وتحصيل المنافع وتحسين أحوال أهاليها بالثروة والغنى والاخذ في التمدن والتقدم في العمران (وثانيتهما) قوة الحكومة وتمكين الدولة حيث صارت جميع النواحي بالمملكة تابعة لها مباشرة بدون توسط الملتزمين والامراء والاسايد والكبراء لان النظام العمومي في الدولة انما يتم بوحدة الحكومة واستبدالها بالتصرفات الملكية ورفض مذهب السيادة الارضية وطرح مشعب الالتزامات البلدية ظهريا ونبذ طرق تعدد الاحكام المختلفة مكانا قصيا فالمملكة المتوحدة يضرها كثرة الاحكام المتعددة

ثم لم تزل النواحي تأخذ في التمكن من التصرفات الرشدية والتقدم في محافظات حقوق الدوائر البلدية بعناية الحكومة الكلية حتى صارت قوية متينة محررة مصونة لان قوة الاجزاء مستلزمة لقوة الكل فتمتع جميع الاهالي اذ ذلك بثمرات مهارتهم الصناعية وآثار براعتهم الزراعية ومن المعلوم ان الشريعة الشريفة من صدر الاسلام ناطقة بما هو أقوى من ذلك

وأقوم والسيرة العمرية صادقة فيما هو أتم من ذلك كله وأنظم والاسلام
سوى بين الجميع في العدل والانصاف وقد عم به التمدن في سائر الاقطار
والاطراف واعترف له بذلك جميع أمم الدنيا كمال الاعتراف فلا يضيره
ولا يضره سفاهة بعض حكام سلفوا حيث خالفوا أحكامه المرضية في أيامهم
فلا يقاس على تلك الايام وذلك لحكومة المعاليك في مصر وتحميلهم لاهلها
ثقل الاصر فهذه قضية شخصية لا تنقض العموم بدليل زوالها في أجل مسمى
ووقت معلوم

« مطلب »
كون الاحكام
الاسلامية مقتضية
تسوية جميع الناس
في العدل
والانصاف

فقد وفق المولى تبارك وتعالى المرحوم محمد على صاحب المساعي المشكوره
وكذلك من بعده من ورثائه على قدر حاله وامكانه لاسيما حفيده خديو مصر
العاقل فقد شرع في تأسيس الدوائر البلدية المحررة وبني ذلك على قواعد ثابتة
مقررة فالآن بعناية هذا العزيز الجليل وحسن رعايته الظاهرة كالشمس فلا
يقام عليها دليل تفوز مصر بنجح الآمال وترقى الى درجة الكمال

« مطلب »
ترتيب عمد
الدوائر
والمشورات البلدية

ثم ان ترتيب عمد الدوائر البلدية التي هي النواحي وترتيب معاوينهم ومأمورهم
ومعاوني الضبطية انما هو بحسب جسامه كل ناحية واتساع دائرتها وثروة أهلها
حتى ان الناحية الجسيمة يترتب فيها ايضا مشورات بلدية رشدية للاتحاد مع العمدة
ومساعدته في الامور المهمة فالمدار في ادارة الناحية وضبطها على العمدة وهو
كثير الوظائف ومنوط بامور جمة منها تنظيم جرائد الانساب وهو تسجيل
المولودين والمتزوجين والمفقودين على الرسوم المربوطة وهو من أهم أمور
المملكة في حفظ الاموال والنفوس والقرايات ينبنى عليه ابواب كثيرة من
الفقه والسياسة فالعمدة من ذوي الادارة البلدية والضبطية الحاكمة الان
الادارة البلدية التي هي اصل وظيفته الاصلية تحت رياسة المديرية ولما تفرعت

وظائفه وتشعبت خصائصه كان شيخ الناحية بالنسبة لها كدير صغير وولى
على دائرتها فهي كاليتيم وهو كالكفيل النصير فمن خصائصه مباشرة املاك
دائرة الناحية وعقاراتها وايراداتها وتقنين مصاريفها بما تقتضيه المصلحة والغبطة
وتسديد ما عليها من اموال الميري ومن الديون

ومن خصائصه ايضا ترتيب الاشغال العمومية واجراء العملية اللزومية
على طرف الدائرة البلدية اذا كانت هي الملزومة بالمصاريف ومن خصائصه ايضا
مباشرة ادارة عمائر المحال الخيرية التابعة للناحية اذا كان مصاريفها على دائرة الناحية
او كانت المصاريف على الحكومة وكانت المحال الخيرية معدة لمنافع الدائرة البلدية
كلاسبتاليات والمكاتب ومن خصائصه ايضا التشبث بكافة الوسائل التي تجلب
الراحة والامنية وحسن الانتظام لاهالى البلدة وكذلك الاعتناء بتهديب الاخلاق
والتأديب والتربية للاهالى وتعويلهم على الاستقامة وعدم ارتكاب ما فيه
سقامة ومن مامورياته ايضا توزيع ما يخص دائرة الناحية في ضمن عموم المديرية
من الاموال والعوائد وتوزيعها على اشخاص الناحية بحسب ميسرة كل منهم
بالاتحاد مع شورى الناحية لعدم المغدورية وكذلك يجب تحصيل الاموال
والعوائد بحسب التوزيع وتوريدها الى خزينة القسم أو الى خزينة المديرية
حسب الاصول المقررة وعليه أيضا الملاحظة للاشغال العمومية والعمليات
والمحافظة على أملاك الحكومة والبحث عن اصلاح المساجد والمعابد والمشاهد
والقرايات والاضرحة والمكاتب والمدارس والآثار القديمة وكل ما هو في
الناحية من أمثال ذلك

« مطلب »
خصائص شيخ
الدائرة البلدية

« مطلب »
الترخيص لشيخ
الناحية باجراء
ما هو من خصائصه
بدون استئذان
من هو فوقه من
الحكام الا في
امور جسيمة

وبالجملة فعمدة البلد أو الناحية مرخص له بدون استئذان من ديوان القسم
أو المديرية أن يجرى من بادية رأيه جميع ما هو من خصائصه ووظائفه

وحدوده ماعدا بعض أشياء جسيمة يحتاج فيها للاستئذان من الرئيس الذي هو أعلى منه وهو المدير بالنسبة للإدارة البلدية ونائب الملك في المحاكم بالنسبة للضبطية الحامة فمما يحتاج فيه العمدة للاستئذان شراء عقارات أو أراضي للناحية أو بيع مثل ذلك من الناحية أو ضرب عوائد على الأهالي غير المقنن فوق العادة لمصروف الناحية لاحتياجاتها وكافتراض أموال على طرف الناحية للوازنها وكتجديد اشغال ومنافع وعمارات وسكك وكالتجارة في أموال الناحية المتوفرة في صندوقها بعد المصرف وكالتداعي في قضايا تخص الناحية أو قبول التخاصم والتداعي مع احد ادعي على دائرة الناحية بشيء فكل هذا على العمدة أن يستأذن فيه من محل الاقتضاء وما عدا ذلك من حقوق الناحية هو من

« مطلب »
ما يجب أن
يكون عليه شيخ
البلد من
المعلومات

دائرة تصرفه وحدوده فيجب على العمدة بحسب الامكان ان يباشرها بنفسه فهو المحامي عن الناحية حماة الولى لليتيم والكفيل للمكفول وللحكومة العليا تولية من يفتش احوال الدائرة البلدية كالناظر الحسي

« مطلب »
كون الملك
ينتخب للولايات
المهمة من ارباب
المعارف السياسية
من فيهم الكفاءة
اللازمة
والمعلومات لكافية

فيجب على كل عمدة أن يكون له المام بالاحكام الشرعية والقوانين الوضعية وممارسته للبحكام الملكية فان جهله لهذه الاحكام يحط بمقامه ويترى به بين أقرانه واقوامه ولهذا اعتنى المؤلفون في سائر الدول والملل في تأليف كتب السياسة على سائر الفنون وجعلوها في طاقة الحكام واذا كان هذا وصف شيخ البلد وانه يترى به جهل شريعة البلد واحكامها السياسية والشرعية فما بالك بمن هو اعلى منه من الموظفين كوكلاء المملكة ووزرائها ونوابها وحجابه فالملك العاقل المدبر لا ينتخب للوظائف المهمة الا من يكون جامعاً لخصال الخير حسن الخلق والخلق يجمع بين البشاشة والوقار والحلم والهيبه والعفة والنزاهة وعزة النفس وسداد الرأي وحسن

التدبير وسرعة الفهم والعلم بالامور السياسية والقوانين الملكية والاحوال
 الديوانية والوقوف على احوال المسالك والممالك وما بينهما من العلاقات
 والروابط والعهود والضوابط وان يكون معروفا بالصدق والوفاء متبحرا في
 انواع العلوم السياسية له خبرة بكتابة الانشاء والمحاسبات ذكي الفطنة سريع
 الجواب كثير الصواب متيقظا في تدبير الدولة المعادلة معمرا للجهات والنواحي
 والاعمال مثمرا لاصناف الاموال وتحصيل الغلال مقتصدا في وجوه صرفها
 ونفقاتها (قالت) الحكماء يجب أن يكون الوزير مثل المرأة التي لها وجهان
 ينظر بوجه منها الى الله تعالى وبالأخر الى الرعية انتهى ومثل الوزير في
 ذلك سائر رؤساء المملكة فانهم جميعا كالراعي الذي استؤجر لحفظ الاغنام
 فاذا حفظوها استحقوا الاجرة وان ضيعوها أخذوا بالغرامة وحبسوا في
 سجن الملامة وخسروا الدنيا والآخرة ويقال لهم يارعاة السوء اكرم
 السمين وضيعتم الهزيل فحق منكم الانتقام بخلاف الوزراء الذين يعلمون أن
 الشريعة معيار المملكة والسياسة ميزان السلطنة فيزنون الرعايا كانفسهم
 بميزان الشريعة والسياسة فهؤلاء يفوزون بسلامة الدنيا والآخرة لما
 حفظوه من الوزن بقسطاس العدل في صيانة النفس والمال والعرض فبالعدل
 قامت السموات والارض

وبالجملة فعلى ولى الامر ان يجتهد حتى يرضى عنه جميع رعيته وان
 ينزل نفسه منزلتهم وكل ما يحبه لنفسه يحبه لهم وعليهم الطاعة الكاملة له
 لقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فقد قرن تعالى
 طاعة ولاة الامر بطاعة نفسه ورسوله فهذه عظمة جميلة لولاية الامر ومنزلة
 جليلة تبلغ النهاية في رفعة القدر فاذا ظهر لولي الامر عدو لزمهم معاونة الملك

عليه فاذا استقرضهم أقرضوه واذا استعان بهم أعانوه وان عدل فيهم مدحوه
وان ثقل عليهم شيء من أحكامه صبروا الى ان يفتح الله لهم باب هدايته
للخير وارشاد دولته للعدل وزوال الضير ويسألون الله تعالى ان يرزقه
بطانة أهل حكمة وشجاعة وعفة وعدالة

فالملك المرزوق بموظفين متصفين بهذه الخصال المحمودة هو مسعود
الرعية فهو الذي يتجمل به الزمان ويرضى عنه الرحمن واهتمام الملك وموظفيه
بمصالح الرعية لا يمنع من سعيهم أيضا في اصلاح انفسهم بقدر الامكان
لان من لم يصلح نفسه عمر عليه اصلاح غيره وكيف يعرف رشد غيره
من لا يعرف رشد نفسه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الفصل الثاني

(في طبقة العلماء والتضادة وأمناء الدين)

والمراد بهم هنا ما يشمل علماء الحقيقة وعلماء الشريعة وعلماء الحكمة
والامور النافعة التي عليها نظام الدنيا والدين فأما علماء الحقيقة أهل الزهد
والورع وقليل ما هم فهم أصحاب الاخلاص في الدين وعن محبة الدنيا تراحم
متباعدين وأما العلماء وهم ورثة الانبياء وحملة الشريعة فدرجتهم من أمة النبي
صلى الله عليه وسلم مثل درجة انبياء بني اسرائيل وكرامتهم عظيمة ولحومهم
مسمومة من شمهها مرض ومن أكلها سقم فمن عظمهم فقد عظم الله ورسوله
وأعطى درجة العلم حقها وهو فضل الله يؤتيه من يشاء (قال) صلى الله عليه
وسلم لولا العلماء لهلكت أمتي اللهم احفظ العلماء واعف عن الجاهل وارحم

الناس فيجب على الدولة ان تحترم علماء الشريعة وتكرمهم وتثيبهم على تعليمها
 والمحافضة عليها بل عليها أيضا ان تتحرى ادخال السرور عليهم واستمالة قلوبهم
 والتعطف عليهم وان تتقرب اليهم بالصلوات وان تتحف اولادهم بالتجائف
 رفقابهم وتلطيفا لهم وان تحملهم على الاشتغال بالعلم والمراد بعلماء الشريعة
 العارفون بالاحكام الشرعية والعقائد الدينية اصولا وفروعا يعني الاحكام
 المتعلقة بالعمل عبادات ومعاملات ويلحق بهم اهل العلوم الآلية العقلية التي
 يتوقف عليها فهم العلوم الشرعية لان الوسائل تشرف بشرف المقاصد وينبغي
 زيادة الاجلال والتبجيل لاهل التفسير والحديث وهم العلماء المنتدبون لعلوم
 القرآن وتفاسيره ورواية الحديث باسانيده وعلوم الترغيب والترهيب وتبجيل
 علماء الحقيقة الذين انجلي عن قلوبهم الخبث وقاذورات الدنيا وارتفع عنها
 الغطاء والرين حتى اتضحت لهم حلية الحق عيانا وانتظمت شمائلهم في سمات
 الصالحين الذين بذكرهم تنزل الرحمات من رب العالمين فمثل هؤلاء ينبغي
 الاتحاد بهم لاستفادة الخير منهم فن كان جليسه صاحب علم أو صلاح
 استفاد منه خيرا لانه قلما يخلو مجلسه عن مسألة وعظ أو نصح

أحب الصالحين ولست منهم لعلي ان أنال بهم شفاعه
 وأكره من بضاعته المعاصي وان كنا سواء في البضاعه

(وقيل)

لى سادة من عزم أقدامهم فوق الجباه
 ان لم أكن منهم في من حهم عزوجاه

فجالسة الصالحين فائدة عائدة بالخير العميم على مجالسهم وفي الحديث
 بحشر المرء مع من أحب وقال صلى الله عليه وسلم العالم والمعلم شريكان في الخير

كذلك ويحترم ويكرم العلماء المشتغلون بجملة علوم شريفة ينتفع بها ويحتاج اليها
 في الدولة والوطن كعلم الطب والهندسة والرياضات والفلسكيات والطبيعات
 والجغرافيا والتاريخ وعلوم الادارة والاقتصاد في المصاريف والفنون
 العسكرية وكل ما كان له مدخل في فن او صناعة فان أهله يجب ان يكرامهم
 من أهل الدولة والوطن وكذلك يجب اسداء المعروف واصطناعه لارباب
 المعارف الادبية والفصاحة العربية فقد ذكر ابن رشيق في العمدة ان اعرابيا
 وقف لعلی رضی الله عنه فقال ان لی اليك حاجة رفعتها الى الله قبل ان ارفعها
 اليك فان انت قضيتها حمدت الله وشكرتك وان انت لم تقضها حمدت الله
 وعزرتك فقال خطها في الارض نخط اني فقير فدفعت اليه حلة فلما تسلمها أنشد
 كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن التاحللا
 ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداء السهل والجبالا
 لا ترهد الدهر في عرف بدأت به فكل عبيد سيجزى بالذي فعلا
 فامر له بخمسين ديناراً وقال الحلة لفاقتك والخسوز لادبك سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنزلوا الناس منازلهم

وقد نص المؤرخون على انه لم يك في الدنيا في قديم الزمان اعظم دولة
 ولا اشمخ مملكة ولا ادوم أياما وذكرنا من دولة مصر والفرس واليونان
 وسبب ذلك تعظيمهم للعلوم والحكمة وتمكين من يشتغل بذلك ورعاية
 جانبه حتى كان اكثر ملوكهم علماء وحكاماء فن تمام رونق المملكة اشتغالها على
 أئمة في هذه العلوم بأسرها فما اضيع دولة قل علماءها وحكامؤها وفسدت
 مزارعها وكسدت منافعها ولم تجدم من يحييها ولا من يحيي بتحيات العلوم معالمها
 ونواحيها ولكن الحمد لله الذي من على مصر بخلافة الخلفاء على الاطلاق

حيث جعلوا فيها شمس العلوم ساطعة الاشرار ثم من عليها بدولة آل
عثمان فحفظت بالنسبة اليها ما بقي فيها من مكارم الاخلاق مع المحافظة على القوانين
الشرعية لاسيما وان من نتيجة تسلطهم عليها تشريف ذي النفس الزكية
والمناقب السنية جنتمكان المرحوم محمد علي الذي أبقى بحسن صنيعه ذكره مدي
الايام وآل أمر الملكة حفيدة الرفيع المقام

انما المجد ما بنى والد الصدق وأحيا فعاله المولود

فقد جدد دروس العلوم بعد اندراسها واوجدت بعد العدم الرؤساء
العلماء والفضلاء نتيجة قياسها لقصد انتشار العلم والزيادة في الفضائل فأتى من
ذلك بما لم تستطعه الاوائل غير انه حفظه الله وأبقاه ولوانه أعلى منار الوطن
ورقاه لم يستطع الى الآن ان يعمم أنوار هذه المعارف المتنوعة بالجامع الازهر
الانور ولم يجذب طلابه الى تكميل عقولهم بالعلوم الحكيمة التي كبير نفعها
في الوطن ليس ينكر نعم ان لهم اليد البيضاء في اتقان الاحكام الشرعية العملية
والاعتقادية وما يجب من العلوم الآلية كعلوم العربية الاثني عشر وكلمنطق
والوضع وآداب البحث والمقولات وعلم الاصول المعتبر ومثل هذا فليعمل
العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون غير ان هذا وحده لا يفي للوطن
بفضاء الوطن والسكامل يقبل الكمال كما هو متعارف عند أهل النظر

ومدار سلوك جادة الرشاد والاصابة منوط بدولي الامر بهذه العصابة
التي ينبغي ان تضيف الى ما يجب عليها من نشر السنة الشريفة ورفع اعلام
الشريعة المنيفة معرفة سائر المعارف البشرية المدنية التي لها مدخل في تقديم الوطنية
من كل ما يحمي على تعلمه وتعليمه علماء الامة المحمدية فانه بانضمامه الى علوم
الشريعة والاحكام يكون من الاعمار الباقية على الدوام ويقتدي بهم في اتباعه

• مطلب •
ان ينبغي للعلماء
الشرعيين ان
يتشبهوا ايضا
بمعرفة المعارف
البشرية كالعلوم
الحكومية العالية

الخاص والعام حتى اذا دخلوا في امور الدولة يحسن كل منهم في ابداء المحاسن
 المدنية قوله فان سلوك طريق العلم النافع من حيث هو مستقيم ومنهجه
 الابهيح هو القويم يكون بالنسبة للعلماء سلوكه اقوم وتلقيه من أفواههم أتم
 وأنظم لا سيما وان هذه العلوم الحكيمة العملية التي يظهر الآن انها أجنبية
 هي علوم اسلامية نقلها الأجانب الى لغاتهم من الكتب العربية ولم تزل
 كتبها الى الآن في خزائن ملوك الاسلام كالذخيرة بل لا زال يتشبهت
 بقراءتها ودراستها من أهل اوروبا حكماء الازمنة الاخيرة فان من اطلع على
 سند شيخ الجامع الازهر الشيخ أحمد الدمهوري الذي كانت مشيخته قبل
 شيخ الاسلام الشيخ أحمد العروسي الكبير جد شيخ شيوخ الجامع الازهر
 الآن السيد المصطفوي العلم الشهير رأى انه قد أحاط من دوائر هذه العلوم
 بكثير وان له فيها المؤلفات الجملة وأن تلقى الي أيامه كان عند أهل الجامع
 الازهر من الامور المهمة فانه يقول فيه بعد سرد ما تلقاه من العلوم الشرعية
 وآلاتها معقولا ومنقولا أخذت عن استاذنا الشيخ المعمر الشيخ علي الزعترى
 خاتمة العارفين بعلم الحساب واستخراج المجهولات وبما وقف عليها كالفرائض
 والميقات وسيلة ابن الهائم ومعونته كلاهما في الحساب والمقنع لابن الهائم
 ومنظومة الياسيني في الجبر والمقابلة ودقائق الحقائق في حساب الدرج
 والدقائق لسبط المارديني في علم حساب الازياج ورسالتين احدهما على
 ربع المقنطرات والأخرى على ربع المجيب كلاهما للشيخ عبد الله المارديني
 جد السبط ونتيجة الشيخ اللادقي المحسوبة لعرض مصر والمنحرفات لسبط
 المارديني في علم وضع المزاويل وبعض اللمعة في التقويم وأخذت
 عن سيدي احمد القرافي الحكيمة بدار الشفاء بالقراءة عليه كتاب

الموجز واللمحة العفيفية في اسباب الامراض وعلاماتها بشرح
 الامشاطي وبعضا من قانون ابن سينا وبعضا من كامل الصناعة وبعضا من
 منظومة ابن سينا الكبرى والجميع في الطب وقرأت على أستاذنا الشيخ
 عبد الفتاح الدمياطي كتاب لقط الجواهر في معرفة الحدود والدوائر اسبط
 المارديني في الهيئة السماوية ورسالة ابن الشاط في علم الاسطرلاب ورسالة
 قسطاس لوقا في العمل بالكرة وكيفية أخذ الوقت منها والدر لابن المجدى
 في علم الزيج وقرأت على أستاذنا الشيخ سلامة الفيومي اشكال التأسيس في
 الهندسة وبعضا من الجفميين في علم الهيئة وبعضا من رفع الاشكال عن مساحة
 الاشكال في علم المساحة وقرأت على شيخنا الشيخ عبد الجواد المرحومي جملة
 كتب منها رسالة في علم الارتماطيق للشيخ سلطان المزاحي وقرأت على الشيخ
 محمد الشهير بالسجيمي منظومة الحكيم درمقاش المشتملة على علم التكسير
 وعلم الاوافق وعلم الاستنطاقات وعلم التكعيب ورسالة أخرى في رسم ربع
 المقنطرات والمنحرفات لسبط المارديني وعلم المزاويل ومنظومة في علم الاعمال
 الرصدية وروضة العلوم وبهجة المنطوق والمفهوم لمحمد بن ساعد الانصاري
 وهي كتاب يشتمل على سبعة وسبعين علما اولها علم الحرف وآخرها علم
 الطلاسم ورسالة للاسرائيلى ورسالة للسيد الطحان كلاهما في علم الطالع
 ورسالة للخازن في علم المواليد أعني الممالك الطبيعية وهي الحيوانات والنباتات
 والمعادن وأخذت عن شيخنا الشيخ حسام الدين الهندي شرح الهداية في
 علم الحكمة و متن الجفميين في علم الهيئة بمراجعة قاضي زاده ومطالعة السيد
 عليه وأخذت عن سيدي احمد الشرفي شيخ المغاربة بالجامع الازهر كتاب
 اللمعة في تقويم الكواكب السبعة

ولما ذكر ما تلقاه من هذه العلوم أعقبه بما طالعه بنفسه بدون الاخذ
 عن شيخ فقال طاعت كتاب احياء القواد بمعرفة خواص الاعداد في علم الارتماطيق
 في نحو كراسين وكتاب عين الحياه في علم استنباط المياه في نحو كراسين
 ورسالة في الكلام اليسير في علاج البواسير في نحو كراسين ورسالة
 التصريح بخلاصة القول الصريح في علم التشريح في نحو كراسين ومنها كتاب
 تحاف البرية بمعرفة الامور الضرورية في علم الطب في نحو خمسة كراسين
 ومنها رسالة القول الاقرب في علاج لسع العقرب في نحو كراسين ومنها
 منهج السلوك في نصيحة الملوك في نحو عشرة كراسين ومنها كتاب بلوغ
 الارب في أسماء سلاطين العجم والعرب معنونا باسم السلطان مصطفى خان
 ابن السلطان احمد خان المولود في رابع عشر شهر صفر سنة تسع وعشرين
 ومائة والف يوم الاربعاء اول النهار في الساعة الاولى بعد الشمس الجالس
 على سرير الملك في سابع عشر شهر صفر الخير سنة احدى وسبعين ومائة
 والف يوم الاحد قبل الشمس انتهى كلامه ملخصا بتصرف فانظر الى هذا
 الامام الذي كان شيخ مشايخ الجامع الازهر وكان له في العلوم الطبية والرياضية
 وعلم الهيئة الحظ الاوفر مما تلقاه عن أشياخه الاعلام فضلا عن كون أشياخه
 كانوا أزهريه ولم يفهم الوقوف على حقائق هذه العلوم النافعة في الوطنية
 وفضل العلامة الجبرتي المتوفى في أثناء القرن في هذه العلوم وفي فن التاريخ
 أمر معلوم وكذلك العلامة الشيخ عثمان الورداني الفلكي وكان للمرحوم
 العلامة الشيخ حسن العطار شيخ الازهر أيضا مشاركة في كثير من هذه
 العلوم حتى في العلوم الجغرافية فقد وجدت بخطه هوامش جلية على كتاب
 تقويم البلدان لاسماعيل أبي الفداء سلطان حماه المشهور أيضا بالملك المؤيد

وللشيخ المذكور هوامش أيضا وجدتها بأكثر التواريخ وعلى طبقات
 الاطباء وغيرها وكان يطلع دائما على الكتب العربية من تواريخ وغيرها وكان
 له ولوع شديد بسائر المعارف البشرية مع غاية الديانة والصيانة وله بعض تأليف
 في الطب وغيره زيادة عن تأليفه المشهورة فلو تشبث من الآن فصاعد
 انجباء أهل العلم الازهرين بالعلوم العصرية التي جدها الخديو الاكرم
 بمصر بانفاقه عليها أوفر أموال مملكته لفاضوا بدرجة الكمال وانتظموا في
 سلك الاقدمين من فحول الرجال وربما يتعللون بالاحتياج الى مساعدة
 الحكومة والحال ان الحكومة انما تساعد من يلوح عليه علامات الرغبة
 والغيرة والاجتهاد فعمل كل من الطرفين متوقف على عمل الآخر فترجع
 المسئلة دورية والجواب عنها ان الحكومة قد ساعدت بتسهيل الوسائط
 والوسائل ليقتنم فرصة ذلك كل طالب وسائل وكل من سار الى الدرب وصل
 وانما تكون المكافأة على تمام العمل فهذا ما يتعلق بطبقة العلماء وقد ذكرنا
 ما يتعلق بالعلم في الفصل الاول من الباب الاول من هذا الكتاب مبسوطا
 بما فيه الكفاية

ومن أجلاء طبقة العلماء القضاء فرتبة القضاء قد جعل الله اليها منتهى
 القضايا وانها التظلمات والشكايا ولا يكون صاحبها الا من العلماء الذين هم
 ورثة الانبياء فالقاضي متولى الاحكام الشرعية لهذه الرتبة كما ورث عن

« مطلب »
 منصب القضاء
 وجلالة قدره

النبي صلى الله عليه وسلم علمه ورث عنه بهذه الوظيفة الشريفة حكمه
 ومما ينبغي ذكره هنا بالمناسبة ان من منن الله سبحانه وتعالى على عائلتنا بطهطا
 أن اجتمع فيها مع منصب نقابة الاشراف التي هي لم تزل في بيتنا الى الآن
 منصب قضاء الولاية في كثير من نسلنا

« مطلب »
 اجتماع منصب
 القضاء مع نقابة
 الاشراف في
 عائلة مؤلف
 الكتاب ومن
 تولى من عائلته
 قضاء مصر
 وذكر نسبه

ان لله علينا نعماء يعجز العبد عن العد لها
فله الحمد على نعمائه وله الشكر على الحمد لها

وكنيت أسمع من أسلافنا أن من ذرية جدنا أبي القاسم الطهطائي من تقلد بمحروسة
مصر بولايات شريفة وحظي عند ملوكها بالمراتب المنيفة حتى وقفت الآن على كتاب
يسمى ذيل رفع الاصر في قضاة مصر للحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن
عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي صاحب الضوء
اللامع ترجم فيه لاثنين من اقرابنا تواليا قضاء مصر بالتعاقب ولما كان هذا
الكتاب مرتبا على حروف المعجم ترجم للخلف منهما قبل السلف فقال هذا
المؤلف مانصه عمر بن أبي بكر بن محمد بن حريز ويديعي محرز بن أبي القاسم
بن عبد العزيز بن يوسف ابن رافع بن جندي بن سلطان بن محمد أحمد بن حجون
ابن أحمد بن محمد بن جعفر بن اسماعيل بن جعفر الزكي بن محمد المأمون بن علي
الحارث بن الحسين بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين
بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القاضي سراج الدين بن الشيخ مجد الدين
الحسيني المغربي الاصل الطهطائي المنفلوطي المصري السالك الشهير بابن حريز
بضم المهملة وآخره زاي وهو أخو القاضي حسام الدين محمد الآتي والحسام
هو الذي أملى على هذا النسب بعد أن أثبتته ثم أوقفني عليه صاحب الترجمة في
جزء فيه ترجمة جده الاعلى الشيخ أبي القاسم المذكور بالكرامات والاحوال
السنية وكون الشيخ عبد الرحيم القناني ابن عم جده وتقدمه في الزمان واز من جملة
من لقيه السراج البلقيني وانه مات في مستهل سنة اثنتين وستين وسبعمائة عن
نحو تسعين سنة ودفن بزوايته التي أنشأها بطهطا وقبره هناك ظاهر يزار
انتهى أنجب أبو القاسم هذا عدة اولاد كانت لهم جلالة وهيبة وكلمة نافذة

« مطلب »
تقليد القاضي
عمر سراج الدين
المنفلوطي
الطهطائي قضاء
مصر ونسب جده
أبي القاسم
الطهطائي

منهم نور الدين ابو الحسن على الضرب المرمى وجد والد صاحب الترجمة الزين
 أبو المعالي حريز الموصوف من بعض من لقيه في سنة ثمان وسبعين بالشيخ
 الامام المحدث المرمى وكان مولد صاحب الترجمة في سنة تسع عشرة بمنفلوط
 ونشأ بها حفظ القرآن والرسالة والملمحة وجود القرآن على الشهاب الطهطاني
 وقرأ الفقه على الزينين عبادة وطاهر والشهاب السخاوي وعليه قرأ في
 العربية والفرائض ولازمه وانفع به وأخذ في علم الكلام عن ابي عبد الله
 اليشكري المغربي وسمع الحديث عن النجم بن عبد الوارث فمن دونه ومن سمع
 عليه الشيخ أحمد محمد بن يونس المغربي نزيل مكة حين اثبات هذه الترجمة واجاز
 له العلم البلقيني وناب عنه وكذا عن غيره من الشافعية بعده وعن الوالي
 السنباطي المالكي وحج في سنة أربع وستين وتعماني ادارة الدوايب
 والمعاصر (أي معاصر قصب السكر) ونحوها كاخيه

ولما استقر اخوه في قضاء المالكية صار يكتب على الفتوى وعرف
 بالديانة والامانة والتصلب في امر دينه ومزيد اليبس وحسن المعاملة وصدق
 اللهجة والوفاء بالعهد وذكر باستحضار فروع الذهب فصار الى رياسة وجلالة
 فلما مات أخوه استقر في قضاء المالكية بعده في شعبان سنة ثلاث وسبعين
 وأعرض عن بعض وظائف كانت مع أخيه كتدريس الشيخونية فاستقر
 فيها المحيوي بن تقي وتدریس جامع طولون أيضا فاستقر فيه التوري بن
 التنيسي ثم رجع اليه بعد وفاته وقام بالمنصب مقاما حسنا متحريرا فيه جهده
 وشكرت سيرته فيه وصمم في قضايا وبرز في مواطن جبن فيها غيره كل
 ذلك مع اشتغال فكره بما التزمه من ديون أخيه وكثرة التعرض له بسببها
 من الدوادار الكبير وكذا الثاني مرة بعد أخري وآل الامر في بعضها

الى أن أمر السلطان بالترسيم عليه وأقام بطبقة الزمان بضعة عشر يوماً وعد ذلك في النوازل ثم أطلق وبعد ذلك أسهب الى السلطان في شيء من تلمات ما أشير اليه يقتضى تغير خاطره منه فبادر يوم الاثنين سادس صفر سنة سبع وسبعين الى التصريح بعزله وتقرير الشيخ برهان الدين اللقاني وجاءه الشرفى الانصارى مبشراً بذلك وتأم السراج لهذا الامر كثيراً وظن انه بسبق سعى من البرهان والظاهر خلافه وكذا تألم له أحبابه هذا بعد أن كان في أول هذا الشهر وقت التهئة بالغ في المشى فيما رأى انه الحق مما هو موافق لغرض السلطان في قتل شاه سوار الذي شرحت خبره في غير هذا المحل وجهر بذلك جهراً زائداً عن رفقته وانه لا تقبل توبته بل يضم اليه في القتل كل جماعته ولم يعجب السلطان فيما قبل الجهر بذلك بل كان يحب اخفاء الامر فيه والله يحسن العاقبة ثم ترجم لآخيه فقال

مطلب
تقليد القاضي
محمد بن ابى بكر
حسام الدين
المنفلوطي
الطهطاني قضاء
مصر

محمد بن أبى بكر بن محمد بن حريرى وبقى نسبه مضى فى أخيه عمر القاضى
حسام الدين أبو عبد الله الحسينى المزرى الاصل الطهطاني المنفلوطى المصرى
المالكي عرف بابن حريرى ولد فى العشر الاخير من شهر رمضان سنة أربع
وثمانمائة بمنفلوط وانتقل منها وهو صغير مع أبيه الى القاهرة فقرأ القرآن بها
على الشريف جمال الدين بن الامام الحسينى وتلاه برواية أبى عمرو من طريق
الدورى على الجمال يوسف المنفلوطى أحد تلامذة جده الاعلى أبى القاسم
المذكور بالامامة فى القراآت وغيرها كما ساف فى أخيه عمر ثم على الشهاب
ابن البابا والشهاب الهيشمى وتلاه بعد ذلك وهو كبير فى مجاورته بمكة بالسبع
افرادا وجمعا على الشيخ محمد السكيلاذى أحد أصحاب الشمس بن الجزرى
ابتداً عليه فى عاشر المحرم سنة ثمان وأربعين وختم فى رابع ذى الحجة منها

وحفظ قبل ذلك العمدة والشاطبية والرسالة والالافية وعرضها على الجمال
 الاقفسي والبدر الدماميني والشمس البساطي وابن عمه القاضي جمال الدين
 والشمس بن عماد والولي العراقي والعز بن جماعة والجلال البلقيني والشمس
 والمجد البرماويين وشيخنا والتلواني وآخرين وتفقه على الزين عبادة قرأ عليه
 الرسالة مرتين وصل في الثانية الى الوصايا وربع العبادات فقط من ابن
 الحاجب والرسالة فتمط على الشمس النماري المغربي نزيل الصرغتمشية وكذا
 أخذ عن الشمس البساطي وغيرهم وسمع على الولي العراقي بعض الصحيح
 وعلى الزين بن عياش بمكة صحيح مسلم والسنن لابن داود وعلى البدر حسين
 الاهدل بقراءة الشفاء وبقراءة القاضي فتح الدين بن سويد الموطأ وعلى
 الشرف أبي الفتح المراغي بقراءة ابن سويد أيضا الشفاء كل ذلك في مجاورته
 الماضية بعينها وكان حج قبل ذلك في سنة اثنتين وعشرين وولى قضاء
 منفلوط عن شيخنا فمن بعده وأورد شيخنا في حوادث سنة اثنتين وأربعين
 ان القاضي بهاء الدين الاخنائي حكم بحضرة مستنبيه بقتل بخشيبي الاربلي
 حدا لكونه لعن أجداد صاحب الترجمة بعد ان قال له أنا شريف وجدى
 الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واتصل ذلك بقاضي
 الاسكندرية فأعذر ثم ضربت عنقه

ولازم القاضي حسام الدين المطالعة في كتب الفقه والتفسير والحديث
 والتاريخ والادب حتى صار يستحضر جملة مستكثرة من ذلك كله ويذاكر
 بها مذاكرة جيدة مع سرعة الادراك والفصاحة والبشاشة والحياء والشهامة
 والبذل لسائليه وغيرهم والقيام مع من يقصده في مهماته واقتناء الكتب
 النفيسة والتبسطة في أنواع المسا كل ونحوها والقيام بما يصلح معيشته من

زرع الفلال والقصب وطبخ السكر وغير ذلك وحمد الناس معاملته في صدق
 اللهجة والسماح وحسن الوفاء حتى رغب ذوو الاموال في معاملاته ومن
 كان يتردد اليه من مشايخنا لمزيد احسانه واكرامه السيد النسابة وربما
 سمع الحسام عليه بعض النساء الكبير بل استكتبه ليسمعه بتمامه فما تسر
 والزين البوتيجي وكان يحكي من كرامات بعض سلف الحسام شياً كثيراً ولم
 يزل دأبه ما حكيناه الي ان مات القاضي ولي الدين السنباطي في ليلة الجمعة
 تاسع شهر رجب سنة احدى وستين وثمانس من يصالح لقضاء المالكية
 ويستقر لمن بعده فيه وتناول لذلك غير واحد فافتضى رأى الجمالى ناظر
 الخاص استقراره به ولما علمه فيه من رياسته وشهامته وراسل كلام من القاضي
 الشافعي ابن البلقيني والقاضي الحنفي ابن الديرى في الثناء عليه عند السلطان
 واستحقاقه له ففعلا واستقر في يوم الاحد ثانى عشر الشهر المذكور وركب
 في أهبة وخفر وفرح الناس به لاسيما رفقته من بقية المذاهب لما وقر عندهم
 من حشمته ومحاسنه الجملة وحينئذ باشره بعفة ونزاهة وشهامة مفرطة وقيام
 باعباء جماعة مذهبه والانعام عليهم بأنواع من الاكرام فاجتمع شملهم
 بوجوده وبلغ كلهم فيما يؤمله غاية مقصوده ومنعهم من تعاطي الاخذ على
 الاحكام وأكد على من لم يثق به منهم في ذلك التأكيد التام حتى بالايان
 ونحوها ولزم الاختصاص به من أعيانهم البدر بن المخلطة وقرأ عنده في
 المدارك للقاضي عياض وفي الجواهر لابن شاس وغيرها واستناب في
 بعض الاوقات في تدريسه أعيان المذهب قصد البرهم في المنصورية الشيخ
 يحيى العلمى وفي الناصرية الشيخ نور الدين السهورى وفي الصالحية الشيخ
 نور الدين الوراق وتزاحم عليه الفضلاء من سائر أرباب المذاهب ومن

تردد اليه الشهاب بن صالح أحد نوادر أئمة الادب وسمعت حينئذ قاضي
 المذهب الحنبلي وناهيك بذلك من مثله يقول ان الشهاب لا ينهض
 ان يغرب عليه في فنه اشارة الي ملاءته وتقدمه في جودة محاضراته وكذا كان
 الشهاب بن أسد شيخ القراء في زمنه ممن يتردد اليه وقد صحبته قبل استقراره
 في المنصب وساعدني في بعض القضايا وكان يجاني وسمع من لفظي بعض
 تصانيفي بحضرة الامام الزين البوتيجي وتفضل هو بسؤالي في الاذن له
 بالاجازة وكتب القاضي خطه بما يشهد لهذا

ولما استقر التمس مني اسنادي بالبخاري ونحوه فخرجت له جزءاً فيه
 أسانيد كثيرة من الكتب الحديثية والعلوية فسر بذلك ورغب الي في
 تبويض ما علم انني جمعته من طبقات المالكية والمرور عليه عنده فمات عنه
 بعض الشواغل وكذا رغب في قراءتي الجامع للترمذي عنده في رمضان
 ففعلت وحرص على المداومة على ذلك فثقلت على الحركة بسبب ذلك خصوصاً
 في شهر الصوم فبادر صاحبنا الشمس بن الفالائي لذلك وانتهز الفرصة فلم
 يزل يقرأ عنده حتى مات واقتصر في آخره الامر عليه بعد أن كان يقرأ عنده
 الثلاثة فأكثر وينعم على القراء بالخلع والجوائز وغير ذلك في الضحايا وغيرها
 بل ويصرف على جميع من يحضر عنده يوم الختم دراهم متفاوتة على قدر
 منازلهم ولما مات يحيى العجيسي استقر في تدريس الشيخونية ثم لمسامات
 ولده استقر في تدريس جامع طولون وباشر التدريس فيهما وكذا درس
 بالمؤيدية نيابة عن ولد صاحبه البدر بن المخلاة بعد وفاة والده وفي سابع المحرم
 سنة ثلاث وستين لبس خلع الاستمرار

ولم يزل علي جلالته وعلو مكانته في جميع ما أشرت اليه حتى حصل بينه

وبين العلاء بن الاهناسي الوزير ما يقتضى الاستيحاش فقام في معاونة الشرف
 يحيى بن صنيعة أحد الكتاب حتى استقر عوضه في الوزارة في ربيع الآخر
 سنة ست وستين بعد ان رسم بالقبض على ابن الاهناسي وهو بالوجه القبلي
 في الصعيد ولزم من ذلك قيامه معه خوفا من حصول خلل يعود اللوم عليه
 بسببه حتى يقال انه تكلف في تلك الحادثة نحو ثلاثين الف دينار فتزايدت
 ديونه بسبب ذلك وطمع فيه أرباب الدولة وأدي ذلك الى انحطاط جانبه
 وهو مع ذلك لا ينفك عن التجمل جهده و اظهار الجلد والصبر لمن يحيى
 عنده الى ان كاد الامر يتفام فلفظ الله به ومات في ليلة الاثنين مستهل
 شعبان سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة بمنزله بمصر وصلى عليه من الغد بجامع عمرو
 تقدم للصلاة عليه أخوه السراج عمر الماضي ودفن بتربة جده من قبل امه الشيخ
 محمد الهلالي العريان بجوار تربة الشيخ أبي العباس الجرار من القرافة الكبرى عند
 اولاده واستقر أخوه في المنصب بعده ولم يتعرض لوظيفة الشيخونية وجامع
 طولون كما سلف وقد قتل بسيف الشرع جماعة من المفسدين منهم حمزة بن غيث
 بن نصير أحد مشايخ العريان أبوه بالعربية ومنصور بن صفي الاستادار وما خلا عن
 عتب في بعضهم جريا على عادة الناس في اختلاف أغراضهم وكان منفجما على قتل
 سعد الدين بن بكير القبطي فكفه عنه بعض الخنا بلة العز الكناني كما سلف في ترجمته
 وفي تاج العروس شرح القاموس للسيد مرتضى في صحيفة ٢٥ من
 الجزء الرابع مانصه والشريف أبو المعالي حرير كزير ويدعي ايضا محرز بن
 الشريف أبي القاسم الحسيني الطهطاني التلمساني تقدم في القراءات كايه
 وروى وحدث وكذا ولده الامام المحدث شمس الدين محمد وحفيده القاضي
 مجد الدين ابو بكر بن محمد بن حرير تولى القضاء بمنفلوط وحسنت سيرته وولده

قاضي القضاة أبو عبد الله حسام الدين محمد حدث عن أبي زرعة العراقي واخوه
سراج الدين عمر توفي سنة ٨٩٢ هـ ومما اكبر بيت بالصعيد يقال لهم المحارزة والحريز يون
وقول السخاوي في ترجمة الاول في حق جده انجب اولادا وذكروا
منهم اثنين واقول ان الثالث منهما يسمى يحيى وعائلتنا بطهطا الموجودة
الآن هم من ذرية يحيى المذكور وينتهي نسبنا اليه حيث ان المرحوم والدي
السيد بدوي بن علي بن محمد بن علي بن حريز بن أبي القاسم الصغير بن جلال
الدين وليس عندي الآن بمصر السلسلة الموصلة الى سيدي أبي القاسم

احييت أروى صحاح در عن حسن جاء عن مسدد

سلسلة أطلقت بياني لكن رقي بها مقيد

ومن جهة الام فوالدتي فاطمة بنت المرحوم الشيخ احمد الفرغلي
الانصاري ابن المرحوم الشيخ عبد العزيز الانصاري ابن المرحوم القاضي أبي
الحسن الانصاري ابن المرحوم العلامة القاضي محمد الانصاري ينتمي نسبهم
الى الامام العالم القطب الرباني سيدي رفاعة بن عبد السلام الانصاري المشهور
بالخطيب المكتوب على ضريحه

اقصد رفاعة كلما كرب يضيق سبيله

وانزل بساحته وقل حاشا يضام نزيله

وعلى كل حال فما أحسن قول من قال

يزداد في مسمعي تكرار زكركم طيبا ويحسن في عيني مكرره

ويتفرع عن عائلتنا التي بطهطا عائلة شريف ابيار المشهورة فانها نزلت
بابيار في القرن الحادي عشر وعلم بيت مجد مؤثر كاصولهم واما اولاد سيدي
حريز فهم اشراف اسيوط وفيهم النسابة الى الآن ولعل هذا هو

« مطلب »

الاشراف

المتفرعة من ذرية

سيدي أبي القاسم

بطهطا وان منهم

اشراف ابيار

والقاسم بلوچه

البحري وغير ذلك

معنى قول النسابة عبد الواحد بن ابراهيم الحسيني الهاشمي في نبذة
 الانساب عند ذكر الاشراف بعد ان ذكر بني الحسن وانهم في جرجان
 اشرف منشاة النيدة قال وفي أسبوط طائفة من اولاد جعفر الصادق بن محمد
 الباقر بن علي الحسين بن علي عليهما السلام يعرفون باولاد الشريف قاسم انتهى
 ومن اولاد حرير اشرف منفلوط وفيهم النقابة والقضاء الى الآن
 ومنهم فرع العالم الفاضل السيد حسنين حرير الغمراوي احد فضلاء الجامع الازهر
 ومدرس الجامع العالي بالقلمة العامرة ومنهم فرع منتشر في بلاد اناطلي

واما اولاد سيدي علي نور الدين البصير المدفون بجزيرة شندويل
 بعمالة جرجان وله مشهد زار فيهم اشرف جزيرة شندويل ومنهم جماعة بقرية
 مطاي بالاقاليم الوسطى ومنهم اشرف عربان بالوجه البحري مشهورون
 بالقواسم منهم العالم الفاضل الشيخ اسمعيل رأس نقباء الطريقة المحمدية
 الدمرداشية حالا وفيهم من قول العلامة السخاوي ان القاضي حسام الدين
 جده لامة الشيخ محمد الهلالي العرياني ومع ذلك فيسدي ابو القاسم استاذ هذا
 الشيخ المذكور حيث يوجد في مناقبه ان الشيخ محمد الهلالي العرياني ابلسه
 طاقته كما اشرت لذلك في قصيدة جامعة لمناقبه منها قولي

طاقية العرياني قد البستها رمزا لسر خلافة آنتها
 كم صنت طهطا من اذى وحرستها كم من يد بيضاء منك غرستها

ثم راتها لبنيك أضحت مكسبا

« مطلب »
 تحديد مادة
 لطيف باشا ناظر
 ديوان البحرية
 سابقا مع سيدي
 اني القاسم
 الطمطاني

وقد جدد الامير الكبير والمفرد العلم الشهير لطيف باشا ناظر عموم
 البحرية سابقا جامع سيدي اني القاسم بطهطا وناق في بنائه بالبناء العجيب الذي
 صرف فيه جريل الاموال من ضمن ما جدد بطهطا من البار كالحمام النفيس

المبنى على شكل حمام الرحوم مطلوش باشا بالاسكندرية مما به صارت طهطا
 بهية جزاه الله خير الجزاء واحسن له الحال والمآل وفي هذا القدر مقنع وان
 كان مجال الكلام أوسع وقد كان كل من القاضى حسام الدين والقاضى
 سراج الدين ابني حريز بلفظ التصغير بحاء مضمومة ثم راء مهملة ثم زاي
 معجمة خلافا لما وجد من الرسم في طبع حسن المحاضرة في ذكر قضاء
 المسالكية بأن حسام ابن جرير وصحته ابن حريز بالحاء والراء والزاي وكان
 توليتهما القضاء في زمن ملوك الجراكسة وكان منصب القضاء في ذلك العهد
 وما قبله يتعدد بمصر بتعدد المذاهب الاربعة حتي منصب قضاء العسكرية
 فكان تارة يضاف الى القاضي الحنفي وتارة يضاف الى القاضي الشافعي وتارة
 ينفرد به قاضي حنفي وما ذاك الا لان قاضي العسكر انما ينتفع به في الجهاد
 ووقت خروج العسكر وتقع وصايا من الامراء وشهادات بينهم ولا يوجد
 في العسكر الجالسين في المراكز أحد ويحتاج الى اثبات ذلك عند القاضي
 الشافعي فلا يسمع شهادة العسكر فيتعطل اثبات ذلك فتبطل
 وصاياهم وشهاداتهم فلهذا السبب ولى الملك الظاهر بيبرس القاضي الحنفي
 لما اتفق له في الجهاد مثل ذلك وامتنع القاضي الشافعي في ذلك الوقت من
 سماع شهادتهم ثم تداول الايام ودخول أكثر الممالك الاسلامية في قبضة
 الدولة العثمانية المقلد جمهور حكاهم لابي حنيفة النعمان انتهى الامر أن صار
 حصر القضاء على مذهب امامهم الذي هو أول من دون الفقه وجمعه وتقدم
 وسبق من العلماء من تبعه واختص بكثير من الفروع التي تلام ولادة الامور
 وأعظمها عدم اشتراط أمور كثيرة في المراسم السلطانية والمسحة في اشتراط
 المعدلة وان كانت في الغالب لا يخلو منها من قضت له بالتولية الارادة

« معاذ »
 سبب تخصيص
 القضاء على مذهب
 ابي حنيفة النعمان
 بعد ان كان تعدد
 القضاة بتعدد
 المذاهب الاربعة
 في سالف الزمان

الضمدانية فيجوز تقليد الامام غير القرشي المناصب والاعمال وأصله قصة معاوية فان الصحابة تقلدوا منه الولايات واستدل الشافعية بقوله صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش فهذا كان مذهب أبي حنيفة أوفق للملوك وأصلح

ومن الفروع أن من له أرض خراجية عجز عن زراعتها وأداء خراجها فلامام على مذهب أبي حنيفة أن يؤجرها من غيره وبأخذ من أجرتها الخراج سواء رضى صاحبها بذلك أم لم يرض * ومنها أن من عزره ولى الامر لاستحقاقه التعزير فأتى أثناء تعزيره فلا ضمان عند أبي حنيفة على ولى الامر وهذه المسئلة موافقة لولاية الامور ولولاها لفسد أمرهم * ومنها أن من أحيأ أرضاً وانا باذن ولى الامر ملكها وان كان بغير اذنه لم يملكها عند أبي حنيفة * ومنها اذا احتاج ولى الامر الى تقوية الجيش له ان يأخذ من أرباب الاموال ما يكفيه من غير رضام على مذهب أبي حنيفة فقيهه مساعدة لولاية الامور على شروعاتهم حتى لو اضطرت الحكومة الى تولية قاض غير حنفى وجب تقليده لمذهب أبي حنيفة لاجل الولاية واجراء الاحكام عليه

مطلب *
اتقضاء الاحوال
والمالقات
العصرية تنقيح
الافقية والاحكام
الشرعية بما وافق
مزاج العصر
بدون شذوذ

ثم ان الحالة الراهنة اقتضت أن تكون الافضية والاحكام على وفق معاملات العصر بما حدث فيها من المتفرعات الكثيرة المتنوعة بدتوع الاخذ والاعطاء من أمم الانام وقد تقدم بعض ما يتعلق بذلك فى الفصل الرابع من الباب الثانى ومن المعلوم ان بحر الشريعة الفراء على تفرع مشارعه لم ينادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وأحيأها بالسقى والري ومصداق ذلك قوله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شيء فلا ريب

في انقياد شمم كل عرين بها صاغرا بدوام النفوذ ولم تخرج الاحكام
السياسية عن المذاهب الشرعية لاعلى سبيل التهاون ولا على سبيل الشذوذ
بل سارت على مشاعب المذاهب لمجاراة ما جريات النوازل والنوائب وما
شرع مذهب السيف الانصرة مذاهب الشرع لانها اصل وجميع مذاهب
السياسات عنها بمنزلة الفرع فاختلف مذاهب الائمة رحمة وجواز تقليد اى
واحد منهم والرجوع الى اجتهاد الآخريين للحاجة نعمة ومما يستأنس به في
الاقضية والاحكام مهذه الازمان ما أفتى به وقد سئل عنه العلامة الشيخ محمد
الشافعي الشهير بالصبان وقد عثرت بهذه الفتوى الجليلة وهي جديدة بان
يجعلها من يريد التقليد للحاجة دليلا

مطلب
صحة تقليد غير
الاربع العاجزة
واذا العلامة
الصار في شأن
ذلك مع بعض
ملحوظات

ونص السؤال ما قولكم دام فضلكم في الانتقال في بعض المسائل الى
غير المذهب الذى عليه الشخص هل يجوز ولو كان متبوعه في هذا البعض
مفضولا وهل يجوز العمل بالقول الضعيف في خاصة النفس وهل يجوز تقليد
غير الائمة الاربعة أفيدوا الجواب

ونص الجواب بخطه مشمولا باسمه وختمه محفوظا عندى برسمه ووسمه
الحمد لله وحده

قال الزركشى في البحر المحيط في تقليد المفضول مذاهب أحدها امتناعه
ونقل عن احمد وابن سريج ثانيها هو الاصح واختاره ابن الحاجب وغيره
الجواز ثالثها يجوز لمن يعتقد فاضلا أو مساويا وقال في موضع آخر لو التزم
العامي مذهبا معيننا واعتقد رجحانه من حيث الاجماع فهل يجوز أن يخالف
امامه في بعض المسائل وياخذ بقول مجتهد آخر فيه خلاف والاصح الجواز
كما في الرافعي ثم قال وقسم بعضهم الملتزم لمذهب اذا اراد تقليد غيره الى احوال

الى ان قال الثانية ان يقصد بتقليده الرخصة فيما هو محتاح اليه حاجة لحقته أو ضرورة
 أرهقته فيجوز الى ان قال السادسة ان تجمع من ذلك حقيقة مركبة ممتنعة
 بالاجماع فيمتنع كما اذا افتصد ومس الذكر وصلى (أى لان ذلك يعد تليفا
 فى مسألة واحدة) ثم ذكر الخلاف فى جواز التقليد بعد العمل والخلاف فى
 جواز تتبع الرخص ورجح المنع وحكى الجواز عن بعض مشايخ الشافعية ثم
 قال لا يذنى اطلاق القول بالجواز لكل أحد بل يرجع الى حال المستفتى
 وقصده كما وقع لابن القاسم مع ولده اذ حث فى يمين بالمشى الى الكعبة
 فاستفتى أباه فقال له أفتيك فيها بمذهب الليث كفارة يمين وان عدت أفتيك
 بمذهب مالك يعنى الوفاء ويجوز عمل الشخص بالقول الضعيف فى حق نفسه
 خاصة اذا دعت اليه حاجة ولم يلزم تتبع الرخص ولا تركيب حقيقة أجمع على
 بطلانها وانما المنوع ان يفتى به أو يحكم وفي البحر المحيط أيضا مجتهد الصحابة
 اذا لم يجعل قوله حجة فى جواز تقليده فى هذه الاعصار خلاف ذهب امام الحرمين
 وغيره الى ان العامى لا يقلده وبه جزم ابن الصلاح وزاد انه لا يقلد التابعين أيضا ولا
 غير من لم يدون مذهبه لعدم الوقوف على حقيقة مذاهبهم فانما نقل عنهم فتاوى
 مجردة فلعل لها مكملا أو مقيدا أو مخصوصا لو انضبط كلام قائله لظهر فقلدهم على غير
 ثقة وعلى هذا فينحصر التقليد فى من دون مذهبه كالاربعة والاوزاعي وسفيان
 واسحق وداود على خلاف فى داود وذهب غيرهم الى ان الصحابة يقلدون وهذا هو
 الصحيح ان علم دلياه وقد قال الشيخ عز الدين فى فتاويه اذا صح عن بعض الصحابة
 مذهب فى حكم جاز تقليده والا فلا انتهى وبالجمله فلا يختص التقليد بالاربعة على كلا
 القولين والله أعلم كتبه الفقير محمد الصبان الشافعى

موضع الختم

مرتبجى الغفران محمد الصبان

وقوله وسفيان لعله اراد به أبا عبد الله سفيان بن سعد الثوري نسبة
الى ثور بن عبد مناف وقبل الى ثور همدان الكوفي مات بالبصرة في شعبان
ودفن بها لاحدى وستين ومائة ولم يزل مقلدوه الى القرن السادس ومن
الناس من يعد من أصحاب المذاهب سفيان بن عيينه فيدخل تحت كاف
التمثيل كما يدخل أيضا اسحق بن راهوية ومحمد بن جرير الطبري وقوله
وداود على خلاف فيه لعله نظر الى قول اسم الحرميين ان المحققين لا يقيدون
للظاهرية وزنا وان خلافهم لا يعتبر ولكن قال العلامة اللقاني في شرح
الجوهرة عند قوله وما لك وسائر الائمة الى آخره حمل ابن السبكي قول امام
الحرميين على ابن حزم وأمثاله قال السبكي وأما داود فعاذ الله أن يقول امام
الحرميين أو غيره ان خلافه لا يعتبر فلقد كان جبلا من جبال العلم والدين وله
من سداد النظر وسعة العلم ونور البصيرة والاحاطة بقول الصحابة والنايين
والقدرة على الاستنباط ما يعظم وقعه وقد دونت كتبه وكثرت أتباعه وذكره
الشيخ أبو اسحق الشيرازي في طبقاته من الائمة المتبوعين في الفروع وقد
كان مشهورا في زمن الشيخ وبعده بكثير لا سيما في بلاد فارس شيراز وما
والاها الى ناحية العراق وفي بلاد المغرب انتهى على ان ابن حزم المحمول
عليه عدم اعتبار المذهب نسب اليه بعضهم الشيخ الاكبر محيي الدين بن
العربي وانه من مقلديه حكاه العلامة الامير في حاشيته على شرح الملوي
للسمرقندية عند التكلم على البسملة ثم قال وجدت في ديوان محيي الدين
ما يدل على اجتهاده وهو قوله

نسبوني الى ابن حزم واني لست ممن يقول قال ابن حزم
لا ولا قال غيره فمقالى قال نص الكتاب ذلك عالمي

أو يقول الرسول أو أجمع الخ
 ق على ما أقول ذلك حكيم
 وأما الاوزاعي وهو أبو عمر وعبد الرحمن بن عمر وابن
 محمد الاوزاعي امام أهل الشام روى عنه الثوري وأخذ عنه عبد الله
 بن المبارك وجماعة كثيرة ولد بعلبك ثم نقلته أمه الى بيروت ودفن
 بقرية على باب بيروت يقال لهاحتوس في قبلة المسجد ولا يعرف
 قبره بها الا الخواص من الناس وأما أهل القرية فيقولون ههنا رجل صالح
 ينزل عليه النور وأما ذكر العلامة الصبان فقلا عن الزركشي استفاء ولد ابن
 القاسم وافاء أبيه له على مذهب الامام الليث فيدل على جواز الافتاء بغير
 المذاهب الاربعة كجواز العمل في حق نفسه فيئذ قول السبكي يجوز تقليد
 غير الأئمة الاربعة في العمل في حق نفسه لا في الافتاء والحكم كما قاله ابن
 الصلاح فعليه ليس على اطلاقه وأما ذكر العلامة الصبان أصحية تقليد
 الصحابة فيما علم دليله وصح عنهم فظاهر لان جميعهم رضي الله عنهم لا يتطرق
 الي آرائهم تجرح اذ كلهم عدول لان الله عز وجل ورسوله زكيا وعادلان
 فذهب كل منهم صحيح راجع ومما يدل على ان التشديد والتخفيف في
 الاحكام قد يختلف باختلاف الازمان والايام ما قاله العلامة السيوطي في
 كتاب الانصاف في تمييز الاوقاف انك اذا تأملت فتاوى النووي وابن
 الصلاح وجدتهما يشددان في الاوقاف غاية التشديد واذا تأملت فتاوى
 السبكي والبلقيني وسائر المتأخرين وجدتهم يرخصون ويسهلون وليس ذلك
 منهم مخالفة للنووي بل كل كلام بحسب الواقع في زمنه انتهى وقد أتى مثل ذلك
 نادرة عصره خير الدين باشا التونسي وذكر في كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال
 الممالك ما لم يسبق به غيره ونصح أهالي الاوطان في سائر الممالك الاسلامية بما لا

ينكر لدين الاسلام من النفع خيره فانه حمل هموم اوطانه واخوانه المسلمين
عملا بحديث من لم يحمل هم المسلمين فليس منهم ومن لم يهتم بامر المسلمين
فليس منهم * وكان عمر بن الخطاب اذا نزل بالمسلمين بلاء لا يضحك قط
حتى يرتفع ذلك البلاء وكذلك عمر بن عبد العزيز وسفيان الثوري وغيرهم
فتنظيم كتاب الاحكام الشرعية بمناسبة تفرع النوازل في هذه الايام باكمل
نظام مما تنتظم به الاحكام القضائية في اوطاننا ويكون عمدة للقضاة
والحكام

« مطلب »
حديث من لم يحمل
هم المسلمين فليس
منهم

وعلى ولى الامر اذا اراد ان يولى القضاء لاحد على مذهبه ان يطالب
أعيان ذلك المذهب ويسأل كل واحد بانفراده سرا عن رجل يصلح للقضاء
يكون كاملا فى العقل والدين وان اجتمع مع هذين الوصفين الكمال فى
الفضيلة فهو أجود والا فالمتوسط فى الفضيلة مع كمال هذين الوصفين أولى
فاذا اتفقوا أو أكثرهم على تعيين شخص صرفهم عن مجلسه ثم سأل عن هذا
الشخص الذى عين من غير أهل مذهبه سرا فان اتى عليه بانه اكل أهل مذهبه
فى العقل والدين استخار الله تعالى وولاه وان اتى على غيره أكثر منه جمع أعيان
ذلك المذهب فى مجلسه وأهل المذهب الآخر وذکر لهم ذلك الشخص الذى عين
أولا وهذا الشخص الآخر وطلب منهم ان يتفقوا على الارجح منهما فان اتفقوا أو
أكثرهم على أحد الشخصين ولاه ولا يعتمد الترجيح الا على الدين الأعقل ولا
يعتبر بكثرة الفضيلة مع قلة الدين والعقل فيكون الضابط لولى الامر حينئذ فى هذا
الباب اعتبار الدين الأعقل وان لم يكن له فضيلة تامة فان المتدين تمنه ديانته عن
ان يقع فيما لا يجوز وان يحكم فى شىء لا يعرفه ولا كذلك الأعم اذا كان
متهاونا فى الدين فانه يخشى منه وهكذا أصحاب أبي حنيفة نصوا أنه اذا

« مطلب »
انتخاب القضاة

اجتمع الأدين والأعلم قدم الأدين وإنما وجب الفحص عن أهلية القاضي وقت الولاية وانه يكون أدين أهل مذهبه وأعلمهم لقوله عليه السلام من قلد انسانا عملا وفي رعيته من هو أولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين فملى ولاية المسلمين أن لا يخرجوا عن هذا الامر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى أيضا يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون

• مطلب •
آداب القاضي
ووصاياه

ثم ان القاضي متى تقلد منصب القضا وحصل على توليته التوافق والرضا فقد أصبح بيده زمام الاحكام وفصل القضاء الذي عساه أن يعرض على غيره من الحكام وما منهم الا من ينقد نقد الصيرفي ويفذ حكمه نفاذ المشرفي فليترو في أحكامه قبل امضائها وفي المحاكمات اليه قبل فصل قضائها وليراجع الامر مرة بعد مرة حتى يزول عنه الالباس ويعاود فيه بعد التأمل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجماع والقياس وما أشكل عليه بهد ذلك فليجبل مظلمه بالاستخاره وليحل مشكله بالاستشارة ولاير نقصا عليه اذا استشار فقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالشورى ومر من أول السلف من جعلها بينه وبين خطا الاجتهاد سورا فقد يسبح للمرء ما أعيأ غيره وقد أكثر فيه الدأب وبتفطن الصغير لما لم يفتن اليه الكبير كما فطن ابن عمر للنخلة ما منعه أن يتكلم الا صغر سنه ولزومه مع من هو أكبر منه للادب ثم اذا وضع له الحق قضي به لمستحقه وأسجل له به وأشهد على نفسه بثبوت حقه وحكم له به حكما يسره يوم القيامة أن يراه واذا كتب له به تذكر اذا بلى وأبقى الدهر ما كتبت يداه وليسو بين الخصوم حتى في تقسيم النظر وليجعل كل عمله على الحق فيما أباح وما خطر وليجد النظر في امر

الشهود حتى لا يدخل عليه زيف وليتحرر في استئداء الشهادات فرب قاض
 ذبح بغير سكين وقال قتل بغير سيف ولا يقبل منهم الامن عرف بالعدالة
 وألف منه أن يرى أو أمر النفس أشد العدى له وغير هؤلاء ممن لم تجر
 له بالشهادة عادة ولا تصدى للارتزاق بسحبها ومات وهو حي على الشهادة
 فليقبل منهم من لا يكون في قبول مثله ملامة فرب عدل بين منطقة وسيف
 وغير عدل في فرجية وعمامة ولينفت على ما يصدر من العقود التي يؤسس
 أكثرها على شفا جرف هار ويوقع في مثل السفاح الا أن الحدود تدرأ
 بالشبهات ويبقى العار وشهود القيمة الذين يقطع بقولهم في حق كل مستحق
 ومال كل يتيم ويقلد شهاداتهم أمر كل عظيم فلا يعول منهم الا على كل رب
 مال عارف ولا يخفى عليه القيم ولا يخاف معه خطأ الحدث وقد صقل التجريم مرآة
 فهمه على طول تقدم وليتأني في ذلك كله اناة لا تقضى باضاعة الحق ولا الى المطاولة
 التي تفضي الى حرمان من استحق وليهد لرمسه ولا يتعلل بأن القاضي أسير
 الشهود وهو كذلك وانما يسمى بخلاص نفسه والوكلاء هم البلاء المبرم والشياطين
 والمسولون لمن يوكولون له بالباطل ليقتضي لهم به انما يقطع لهم قطعة من جهنم
 فليكيف بمهاتنه وساوس افكارهم ومساوى تجارهم ولا يدع لمجنى أحد منهم
 ثمرة ممنوعة ولا يد اعتداء تمتد الا مناوله الي عنقه والامقطوبة وليطهر بابه
 من دنس الرسل الذين يمشون على غير الطريق واذا رأى واحد منهم درها
 ود لو حصل في يده ووقع في نار الحريق وغير هذا مما لا يحتاج به مثله أن
 يوصي ولا أن يحصى عليه منه افراد عمله وهو لا يحصى وعليه أن ينظر في أمور
 أوقاف مذهبه نظر العموم ليعمرها بجميل نظره فرب نظرة أنفع من مواقع
 النجوم

ومما يشمله بالنظر وينم فيه الفكر أمر دعاوى بيت المال المعمور
ومحاكماته التي فيها حق كل فرد فرد من الجمهور فليحتم زى قضايها غاية الاحتراز
وليعمل بما يقتضيه لها الحق من الصيانة والاحتراز^(١) وايتثبت في قضايها أموال
الايتام الذين حذر الله من اكل مالهم بالمعروف لا بالشبهات وقدمات آباءهم ومنهم
صغار لا يهتدون الى غير ائدي للرضاع ومنهم حمل في بطون الامهات فليأمر
للمتحدثين لهم بالاحسان اليهم وليمرفهم بأهم سيجزون في بنهم بمثل ما
يعاون معهم اذا ماتوا وتركوا ما في يديهم وليحذر منهم من لا ولد له وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعفا خافوا عليهم وليقص عليهم في مثل
ذلك أبناء من سلف تذكيرا وليتل عليهم قوله تعالى ان الذين يأكلون
أموال اليتامي ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سميرا فهذه وصية
قاضي العمل المستقل

و مطلب
آداب قاضي
العسكر المستقل

فاذا كان قاضي العسكر منفردا فليكن مستحضرا لهذه المسائل وليعلم ان
العسكر المنصور هم في موطن الحرب أهل الشهادة وفيهم من يكون جرحه
تعديلا لهم وزيادة فليقبل منهم من لا يخفى عليه سيما القبول ولا يرد منهم
من لا يضره ان رده هو وهو عند الله مقبول وليجعل له مستقرا معروفا
في العسكر يقصد فيه اذا نصبت الخيام وموضعا يمشى فيه ليقضى فيه وهو
سائر وأشهر ما كان على يمين الاعلام وليلزم ذلك طرلسفره وفي مدة المقام
وليأخذ معه كتابا تكتب للناس والا فمن أين وجد مركز شهود ويسجل
لذوي الحق بحقه والا فما انسد باب الجحود وتقوى الله هي التي بها ينصر
الجنود ومالم تكن أعلى ما يكون على اعلام الحرب والا فما الحاجة الي نشر

(١) قوله الاحتراز اي الوضع في الحرز اه مؤلفه

البنود ثم انه من حيث يجب على ولى الامر الكشف عن احوال الولاية الدواوين
 في كل وقت ومحاسبتهم فيما يلزم بواسطة كشف من عقل الناس واكثرهم
 امانة وعفة فالقضاة ونوابهم داخلون في هذه الزمرة ولو انه سبق اشتراط
 شروط في ولاية القاضي اذا توفرت يحصل الامن من وقوع شئ منه مما
 يخل بمنصب القضاء الا انه غير معصوم من حب المال الذي يكون الطمع
 فيه طبعا فلماذا وجب التثبت في ذلك بالتفتيش فقد يحدث اليبس وتحالف
 الشهادة الغيب

• طلب •
 التفتيش عن
 احوال القضاة
 من طرف ولى
 الامر كفتيش
 غيرهم من الولاية

فكل يسلى النفس عند خلوه بزهد ولكن لا تصح العزائم
 فيذنب لولى الامر ان يتخذ عليهم باحثا في السر يكون ثقة دينا عفيفا
 أميناً قليل الكلام لا يتفطن له من مثلهم ولا يدري به انه مطلع عليهم بحيث
 يطالع ولى الامر بأحوالهم في السر ساعة بساعة ويكون ولى الامر في
 العلية معظماً للقضاة لا يظهر منه انه يتكشف عن احوالهم أبداً لحفظ
 ناموسهم الرفيع وشرف منصبهم المنيع فاذا صح عنده انه وقع من أحد
 جريمة فان كانت من أخذ رشوة أرسل الى القاضي وطلبه اليه سرا وسأله
 عن الواقعة فان اعترف بذنبه أخذ الرشوة التي التمسها من الناس وردها على
 صاحبها وأدب الذي بذلها في السر من غير أن يظهر تأديبه عماذا وعزل
 القاضي وكشف عليه فان وجدته التمس من الناس مالا أو اكتسبه باقتضاء
 أخذه لبيت المال كالهديّة ونحوها وان لم يعترف القاضي وظهر لولى الامر
 من قرائن الاحوال أو من صدق الناقل اليه ذلك عن القاضي عزل القاضي
 ولا يظهر بأى سبب عزله

وان كانت الجريمة من غير أخذ الرشا ولم يكن من هذا القبيل وانما

كان بسبب قوة نفسه وتحامله في الحكومات وهوى النفس يجب على ولي الامر عزله والاستبدال به ولا يفرض كثرة نلمه ولا ديانتته في الظاهر فان التحامل من القاضى من أصعب الامور ومما يوجب عزله ولا يلتفت الى انتصاره لحكمه بعد أن يعرف ولي الامر منه الهوى والغرض والتحامل وله أن يعززه بسبب ذلك اذا تحقق جوره كي يتأدب به غيره وان كانت الجريمة بسبب ارتكاب بعض المعاصي من شراب وغيره سأل ولي الامر عن هذا الامر من الثقات فان صح عنده ذلك عززه سرأ ورفعه ولا يشهر ذنبه بين الناس وان جمع القاضى مالا من الحكومات أخذته ولي الامر ووضعه في بيت المال

وان كان هذا القاضى نائبا وقد قيل عنه شيء مما ذكرنا كشف عن حال مستخلفه فان تبين عند ولي الامر أنه كان يعلم به ويستتر عليه عزله أيضا وان كان لا يعلم واشتبه فيه فهو بالخيار ان شاء عزله وان شاء تركه واذا صح عند ولي الامر أن القاضى جمع مالا بعد تولية القضاء وقد كان فقيرا قبل التولية ينبغي أن يفحص عن ذلك الجمع فان كان من متعلقات المنصب كما يأخذ بعض القضاة بدون حق من قضاة النيابات أو من ديوان الايتام أو الصدقات أو الاوقاف فان ولي الامر يأخذ منه ولا يترك في يده منه شيأ ويضعه في بيت المال وان عرف أنه من مال الايتام أو الاوقاف رده على من أخذ منه وان كان من غير منسقات المنصب بأن يكون تجر أو ورت أو استفضل من معلوم مدارسه وكسبه فهو له وان كان للقاضى حاشية وأولاد يتعرضون الى أموال الناس وقطع مصانعتهم كما كان وقع في زمن الملك الناصر بن قلاوون بمصر من القاضى الشافعى والحنفى وعزلها بسبب أولادها فان ولي

الامر يجب عليه عزله ان كان ذلك بعامة وأخذ ما حصله أولاده وحاشيته
بجاه المنصب ويضعه في بيت المال ويؤدبهم ولا تأخذه رافة علمهم ولا يقبل
في القاضي ولا في أولاده المذكورين شفاعاة أحد فان ذنبهم كبير وفسادهم
متعد

وقد أسلفنا ان شرط الباحث الكاشف عن أحوال القضاة وغيرهم
الأمانة والعفة والوثوق فهذه الوسيلة يقبل ولي الامر قوله في القاضي
بخلاف ما اذا كان المخبر لولاية الامور من السعاة المشائين بالقيمة المتخلفين
بالاخلاق الذميمة فلا ينبغي أن يقام لقولهم في حق القضاة وزن ولا قيمة
ان نصف الناس أعداء لمن ولي الاحكام هذا ان عدل

« مطلب »
سمي دلوية المغي
بان اخته القاضي
الخلنجي عند
المأمون

كما يحكى عن الخنجي القاضي عبد الله بن محمد بن أخت علوية المغي
وكان هذا القاضي قد تقلد القضاء للامين العباسي وكان خاله علوية عدوا له
فجرت له قضية في بغداد فاستعفى عن القضاء وسأل أن يولى بعض الكور
البعيدة فتولى قضاء دمشق وحمص فلما تولى المأمون الخلافة غناه يوما
علوية بشعر للخلنجي وهو

برئت من الاسلام ان كان ذا الذي أتاك به الواشون عني كما قالوا
ولكنهم لما رأوك غريبة بهجري توأصوا بالقيمة واحتالوا
فقد صرت اذنا للوشاة سميمة ينالون من عرضي فلو شئت ما نالوا

فقال له المأمون من يقول هذا الشعر قال قاضي دمشق فأمر المأمون
بأخضاره فأشخص وجلس المأمون للشرب وأحضر علوية ودعا بالقاضي
فقال له أنشدني قولك برئت من الاسلام الايات فقال يا أمير المؤمنين
هذه ايات قلبها منذ أربعين سنة وأنا صبي والذي اكرمك بالخلافة وورثك

ميراث النبوة ما قلت شعرا منذ اكثر من عشرين سنة الا في زهد
 أو عتاب صديق فقل له اجلس فجلس وناوله قدح نبيذ كان في يده فأعول
 وبكى وأخذ القدح من يده وقال والله يا أمير المؤمنين ما غيرت الماء بشيء
 قط مما يختلف في تحليه فقال لملك تريد نبيذ التمر أو الزبيب فقال لا والله
 يا أمير المؤمنين لا أعرف شيئا من ذلك فأخذ المأمون القدح من يده وقال
 اما والله لو شربت شيئا من هذا لضربت عنقك واقد ظننت انك صادق في
 قولك كله ولكن لا يتولى القضاء رجل بدأ في قوله بالبراءة من الاسلام
 انصرف الى منزلك وأمر علوية فغير هذه الكلمة وجعل مكانها حرمت مكاني
 منك فكان ما جرى للمأمون عفا الله عنه مع هذا القاضي المسكين هو
 للمهود من حلم هذا الخليفة ومكارم اخلافه وكان غير هذا الفعل أولى به
 وبرياسته ولكن الخليفة صان منصب القضاء ووقره وأجله فعفا الله عنه وأما
 هذا القاضي الخنجي رحمه الله فقد اختلج في خاطره من الوشاة ما أضربه
 عند محبوبته وعند الخليفة وهذا من كهانة الشعرو مما يتفق وقوعه للشاعر بعد
 مدة مديدة وأما علوية فأعله الله ولا أعلى له كعبا فلقد أضرب ابن أخته وعطله
 من حلى القضاء وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله المثلث فقيل
 يا رسول الله وما المثلث قال الذي يسعى بصاحبه الى سلطان فيهلك نفسه
 وصاحبه وسلطاناه

قال الواثق يوما لابن ابي داود قد سمي بك عندي قوم قال فما قلت لهم
 يا أمير المؤمنين قال ما قال صاحب عزة
 وسمى الى بعيب عزة نسوة جعل الاله خدودهن نعالها
 ورفع بعض السعاة الى الخليفة السفاح قصة بسعايا على بعض عماله

مطلب
 عدم قبول وشي
 الوشاة وبجيبه ٣٢٢

فوقع فيها هذه نصيحة لم يرد بها ما عند الله فنحن لا نقبل قول من آثرنا على
الله * ومما انفق في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون انه حضر
في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة تاج الدين كاتب المفتاح الى الامير علاء الدين
مغلطاي الجمالي لما كان وزيراً وذكّر عنده اناسا بكل قبيح والنزم فيهم جملة
من الذهب اذا صودروا واخذت منهم وظائفهم فدخل الجمالي الى السلطان
وحكي له ما قاله الكاتب فقال احضره لي فلما استحضره سمع كلامه وقال
له هل لك علم بأحد في القاهرة يعرف شيئاً من هذه الاحوال فقال نعم جماعة
وعدم فقال للوزير خذ هذا عندك واحتفظ به وأحسن اليه واذا حضر اليك
كل هؤلاء الذين ذكرهم عرفني بهم فخرجوا من عنده وذكر له الكاتب جماعة
وهو يحضرهم الى ان لم يبق منهم احد ودخل الجمالي الى السلطان وعرفه بهم
فقال اخرج الآن في هذه الساعة وجهر الجميع ولا تدع احداً منهم في القاهرة
فان هؤلاء مناحيس يرافعون الناس ففاهم اجمعين

وقال رجل للمهدي عندي لك نصيحة يا امير المؤمنين فقال لمن هي النا
أم لعامة المسلمين ام لنفسك قال لك يا امير المؤمنين قل ليس الساعي بأعظم
عورة ولا أقبح حالا من قابل سماعته ولا نخلو من أن تكون
حاسد نعمة فلا نشفي غيظك او عدوا فلا نعاقب لك عدوك ثم أقبل
على الناس فقال لا ينصح لنا ناصح الا بما فيه رضى الله تعالى وللمسلمين
فيه صلاح فانما لنا الابدان وليس لنا القلوب ومن استتر لم نكشف له
ومن نادانا طلبنا توبته ومن أخطأ أفلنا عثرته اني أرى التاديب
بالصفح أبلغ منه بالمقوبة والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعالجة
والقلوب لا تبقى لوال لا ينطف اذا استمطف ولا يعفو اذا

قدر ولا يغفر اذا ظفر ولا يرحم اذا استرحم انتهى
 وقد كان بعض الامراء رحمه الله تعالى اذا جاءه أحد ورافع كتابه
 والمباشرين الذين في بابه قال هؤلاء قد أخذوا وشبعوا لا تغيروهم فان الذي
 يجي بعدهم يكون جوعانا ونقل نحو ذلك أيضا عن المرحوم محمد علي وما أطف
 قول البهاء زهير رحمه الله تعالى وارقه في عدم سماع قول الوشاة

حيبي ما هذا الجفأ الذي أري وأين التقاضى بيننا والتعطف
 لك اليوم أمر لا يسئك يريني فما وجهك الوجه الذي كنت اعرف
 نعم نقل الواشون عني باطلا وملمت كما قالوا فزادوا وأسرفوا
 كأنك قد صدقت في حديثهم وحاشاك من هذا نخلقك اشرف
 وقد كان قبل الناس في الناس قبلنا فكذب يعقوب وسرق يوسف
 بعيشك قل لي ما الذي قد صنعته فانك تدري ما أقول وتنصف
 فان كان قولا صح اني قلته فللقول تأويل وللقول مصرف
 وهب انه قول من الله منزل فقد بدل التوراة قوم وحرّفوا
 وها انا والواشي وانت جميعنا يكون لنا يوم عظيم وموقف

« مطلب »
 رؤساء اهل
 الكتاب

« مطلب »
 آداب بطريك
 القبط

ولا بأس بتعقيب هذا الفصل بالتتمة مما ينبغي ذكره في رؤساء اجبار
 هل الذمة ليكون فيه أوفر سهم واوفي قسط لرؤساء العبرانيين والبطارقة فاما
 بطريق اليعاقبة فهو اكبر اهل ملته والحاكم عليهم ما امتد في
 بدته واليه مرجعهم في التحريم والتحليل وفي الحكم بينهم بما
 نزل في التوراة ولم ينسخ في الانجيل وشرعته مبنية على المسامحة
 الاحتمال والصبر على الاذى وعدم الاكتراث والاحتفال وهو مؤدب لنفسه
 الاول بهذه الآداب وفي المدخل الي شريعته قسيم الباب أي (بابا رومه)

وانهما سواء في الاتباع ومتساويان فانه لا يزيد مصراع على مصراع فدأبه
 التخلق من الاخلاق بكل جميل وان لا يستكثر من متاع الدنيا فانه قليل فليقدم
 المصالحه بين المتحاكين اليه قبل الفصل البت فان الصالح كما يقال سيد الاحكام وهو
 قاعدة دينه المسيحي ولم يخالف فيه المحمدية الغراء دين الاسلام وابتدأ بصدور
 اخوانه من الغل ولا يقنع بما ينظفه ماء المعمودية من الاجسام وهو رأس جماعته
 والكل له تبع فلا يتخذ له تجارة مربحة أو يقتطع بها مال عيسوي يقربه فانه ما يكون
 قد قربه الى المذبح وانما ذبحه وكذلك الديارات وكل عمر والقلالي فيتعين
 عليه ان يتفقد فيها كل أمر ويجتهد في اجراء امورها على ما فيه رفع الشبهات
 علما انهم انما اعزلوا فيها للتعبد فلا يدعها تتخذ منزهاة وانهم انما احدثوا
 هذه الرهبانية للتقلل في هذه الدنيا والتعفف عن الشهوات وحبسوا فيها انفسهم
 حتى ان أكثرهم اذا دخل اليها لا يعود يبقى مع المطوقين من الجماعات
 فليحذرهم من جعلها مصيدة للمال بل خلوة منزهة عن الحرام مرصدة على
 الحلال لا يأوى اليها من الغرباء القادمين عليه من يريب ولا يكتم عن
 الحكومة مشكل أمر ورد عليه من بعيد أو قريب وليتجنب مالهه فيما يخص
 المذاهب من طرف الاجانب ينوب وليتوق ما يأتيه من تلقاء الحبشة حتى اذا
 قدر فلا يشم انفس الجنوب فمادة سودد السودان وان كثرت مقصرة فان
 الله تعالى جعل آية الليل مظلمة وآية النهار مبصره والتقوى مأور بها أهل
 كل ملة وكل موافق ومخالف في القبلة فليكن عمله بها على وجه صحيح وفي
 الكنايه ما يفنى عن التصريح وبالتقوى رضا الله ورسوله وبها أمر المسيح
 وأما رئيس اليهود فهو الضابط لطائفته على قلوبهم والمؤمن لسرهم الذي
 لو لم يؤمنوا فيه لا كلهم الذئب لذئبهم فعليه بضم جماعته ولم شملهم باستطاعته

* مطلب *
 آداب رئيس
 اليهود

والحكم فيهم على قواعد ملته وعوائدها تمتد في الحكم اذا وضع له بأداته وعقود
الانكحة وخواص ما يعتبر عندهم فيها على الاطلاق وما يفتقر فيها الى الرضا
من الجانبين في العقد والاطلاق وفيما اوجب عنده حكم دينه عليه التحريم
واوجب عليه الانقياد الى التحكيم وما نص فيه الاحبار التواتر من الاخبار
والتوجه تلقاء بيت المقدس الى جهة قبلتهم ومكان تعبد أهل ملتهم والعمل في
هذا كله بما شرعه موسى الكليم والوقوف معه اذا ثبت انه فعل ذلك النبي
الكريم واقامة حدود التوراة على ما أنزل الله من غير تحريف ولا تبديل
لكلمة بتأويل ولا تحريف واتباع ما أعطوا عليه العهد وشدوا عليه العقد
وأبقوا به ذمامهم ووقفوا به دماءهم وما كان يحكم به الانبياء
والربابيون ويسلم اليه الاسلاميون منهم ويعبر عنه العبرانيون كل هذا مع
الزام الرئيس لهم من حكم أمثالهم من أهل الذمة الذين أقروا في هذه الديار ووقاية
أنفسهم بالاتصاف بالخضوع والانكسار ومد رؤسهم بالاذعان الى ملة الاسلام
وحفظ شعار الذمة بتمام الانقياد والاستسلام وعدم التظاهر بما يقتضي المناقضة
وينهم معه المعارضة وعلى هذا الرئيس ترتيب طبقات أهل ملته من الاحبار
فيمن دونهم على قدر استحقاقهم وعلى ما لا يخرج عنه كلمة اتفاقهم وكذلك
الحديث في جميع كنائس اليهود المستمرة الى الآن المستقرة بأيديهم من
حين عقد عهد الذمة ثم ما تأكد بعده بطول الزمان وتقريرهم على ما سلف
عليه سلف هذه الامة وفي هذا كفاية وتقوي الله واطاعة الدولة الاسلامية
رأس الامور المهمة

قال الشيخ بدر الدين بن عبد الرحمن البرلسي المالكي في كتابه المسمى
بالقول المرتضي في أحكام القضا مسألة اختلف القرويون هل يجوز تمكن الختم

من طلب يهودي في سبته والزامه الحكم فيه أو يكره ذلك قال العلامة
 قاضي القضاة البساطي وعندي انه يمنع الا ان تتموم القرائن على ان المسلم
 اضطر الى ذلك ولم يقصد ضررا قال ولقد حكى لنا ان بعض الناس يتعیش
 بذلك فيذهب الى بعض القضاة ويدفع اليه ورقة ويطلب فيها يهوديا وربما
 كان معه ورقتان أو ثلاث من قضاة مختلفة واذا كان يوم السبت توجه الى
 اليهود ومعه رسول قد أطلعه على سره ويقول طلبتك الى الشرع فلا يسعه
 الا ان يصلحه علي الترك في ذلك اليوم انتهى كلام الشيخ بدر الدين ثم قال
 في محل آخر تغليظ اليمين يكون في المحل المعظم وهو الجامع للمسلمين ولا
 يقوم مقامه مسجد ويحلف غير المسلم حيث يعظم فيحلف اليهودي في البيعة
 ويحلف النصراني في الكنيسة والمجوسي في بيت النار انتهى وعند الامام
 الاعظم أبي حنيفة النعمان لا يحلفون في بيوت عبادتهم وانما يحلفون عند
 القاضي فمذاهب الامام مالك عالم المدينة معتقد ثم قال الشيخ بدر الدين
 ايضا في محل آخر قال الشيخ سراج الدين عمر الحنفي قارىء الهداية اذ اني دارا
 عالية بين دور المسلمين وجمل لها طاقات وشبايك تشرف على جيرانه هل يمكن من
 ذلك فاجاب بقوله أهل الذمة في المعاملات كالمسلمين وما جاز للمسلمين جاز لهم وانما
 يمنع الذي من تلبية بنائه اذا حصل ضرر لجاره من منع ضوء أو هواء هذا هو
 ظاهر المذهب انتهى وقال الامام النووي في التحفة ما نصه وللإمام أو نائبه
 الاستعانة بأهل الذمة والاستئمان على العدو بشرط ان تؤمن خيانتهم بان
 يعرف حسن رأيهم فينا ويشترط في جواز الاعانة بهم الاحتياج اليهم ولو
 نجو خدمة أو قتال لقلتنا ونفعل بالمستعان بهم الاصلح من افرادهم أو تفريقهم
 في الجيش انتهى ويحسن هنا ان نقول ما قاله هرقل ملك الروم حين أمر

« مطلب »

امرأة جليبة بن
 الابهيم من قبل
 قيصر الروم على
 من معه من عرب
 فدان الحرب عرب
 الاسلام بالشام

في جيشه بالشام جبلة بن الايهم الفسائي على من معه من العرب
ليحاربوا معه عرب الاسلام وجعل جبلة وقومه مقدمة لجيش الروم
وكانت جبلة قد أسلم ثم ارتد وانضم للروم ليخلص من حكم عمر رضى
الله تعالى عنه حيث أراد ان يسوى بينه وبين خصمه في القصاص في نظير
لطمه لطمها جبلة فقال هرقل حين صدر به في حرب الاسلام لا يقطع
الماس الا الماس يعني لا يغلب العرب الا العرب أى لا يغلب الجنس
الاجنسه

فلا شك في جواز مخالطة أهل الكتاب ومعاملتهم ومعاشرتهم وانما
المحظور الموالاة في الدين ومما يقرب ذلك حل الكتابة للمسلم وولاية العقد
له من وليها لقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أى
حل لكم مع جواز التسرى بالكتابات اللاتي وقعن في أسر الاسلام
بحرب لانه صلى الله عليه وسلم تسرى بصفية وريحانة قبل اسلامهما وممن
تزوج بالكتابات من الخلفاء الراشدين ذو النورين عثمان بن عفان رضى
الله تعالى عنه فانه تزوج بنصرانية كتابية لكن أسلمت بعد ذلك وحسن
اسلامها

وبالجملة فرخصة تدين أهل الكتاب بدينهم مؤسسة على العهود
الماخوذة عليهم عند الفتوح الاسلامي وكل مسلم يحفظ العهد لان العهد
في الحقيقة انما هو لله تعالى وفي العادة ان العهد يلتزمه من يعقده بالطوع
والاختيار فهذا يجب الوفاء به قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فن نكث فانما ينعكث
على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً وقد ذكر بعض

« مطلب »
مخالطة أهل
الكتاب
ومعاشرتهم

ما يتعلق بذلك في المقدمة عند التكلم على حرية الذمة التي تعتبر عند أهل
الاديان وفي الفصل الثالث الآتي بعد هذا ما يتعلق بوفاء اليهود فليراجع
(ومما يحكى) مما يناسب ذلك في الجملة ان البرنس جرجس بن جاكس
الثاني ملك الانكليز وولى عهده الذي هو بروستاني المذهب لما سافر الى
مملكة فرنسا للسياحة ذهب لزيارة فنلون القسيس الفرنسي صاحب
التأليف الكثيرة التي منها سياحة تلاك أوصاه بقوله اذا آل الملك اليك
أيها الامير لا تجبر رعيتك القاتوليكية على تغيير مذهبهم ولا تبديل عقائدهم
الدينية فانه لا سلطان يستطيع أن يتسلطن على القلب وينزع منه صفة الحرية
فقوة العنفوان الحسية والشوكة الجبرية الفاصلة لا تفيد برهانا قطعيا في
العقيدة ولا تكون حجة يطمئن اليها القلب فلا ينتج الاكراه على الدين الا
النفاق واظهار خلاف ما في الباطن انتهى

« مطلب »

ومن هذا يعلم ان الملوك اذا تعصبوا لدينهم وتدخلوا في قضايا الاديان وأرادوا
قلب عقائد رعاياهم المخالفين لهم فانما يحملون رباعام على النفاق ويستبدون
من يكرهونه على تبديل عقيدته وينزعون الحرية منه فلا يوافق الباطن
الظاهر فمحض تعصب الانسان لدينه لا ضرار غيره لا يعد الا مجرد حمية
وأما التثبيت بحماية الدين لتكون كلمة الله هي العليا فهو المحبوب المرغوب
ولذلك كان الجهاد الصحيح لقمع العدو انما يتحقق اذا كان القصد منه اعلاء
كلمة الله عز وجل واعزاز الدين ونصرة المسامين لا حيازة الغنيمة واسترقاق
العبيد واكتساب اسم الشجاعة وتحصيل الصيت وطلب الدنيا ففاعل ذلك
تاجر أو طالب وليس بمجاهد كما ستعرفه في الفصل الثالث

ان محض
التعصب في الدين
والاكراه عليه
لا ينتج الا النفاق
وان المدوح انما
هو التعصب
لاعلاء كلمة الله

الفصل الثالث

في طبقة الغزاة المجاهدين

قال صلى الله عليه وسلم ان أقرب الناس درجة من درجة النبوة أهل الجهاد وأهل العلم أما أهل العلم فقالوا ما قال الانبياء وأما أهل الجهاد فجاهدوا على ما جاءت به الانبياء (وسأل) رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الجهاد أفضل فان الرجل يقاتل حمية ويقاثل شجاعة ويقاثل رياء ويقاثل ابتغاء عرض الدنيا فاي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وهذا الحديث مرآة لكل غاز ومجاهد بحيث يكون جهاده لله عز وجل حتى يستحق الثواب أما من حارب للحمية أو لطلب الدنيا أو لسبب من هذه الاسباب فلا يكون غاز ياتم ان المحاربة لا تجوز الا في ستة مواضع الاول محاربة المشركين وأهل الحرب الثاني محاربة الملحدين لانهم شر الخلائق الثالث محاربة المرتدين الرابع محاربة البغاة الخامس محاربة قطاع الطريق السادس محاربة القتالين ليقص منهم

ومن شهامة الملك أن يتولى الحرب العظيم بنفسه وأن يتحفظ من لقاء العدو في بلاده لسلامة نفسه كما قيل

«مطلب»
كون تولى الملك
للحرب العظيم
بنفسه من شهامة

ان السلامة من سلمى وجارتها أن لا تمس على حال بواديتها
وينبغي أن يخوف الملك العدو بما يمكنه فربما رجع ويجهد في قمع
العدو بالحيلة والمكيدة فالحيلة أنفع وسيلة واذا حضره العدو أجزل العطاء
للعسكر ووفى بالواعد لهم لئلا تنكسر قلوبهم فهذا يبيعون ارواحهم لقتال
عدوهم لانهم حماة الوطن والدين

«مطلب»
تولى الملك
للحرب العظيم
بنفسه من شهامة

(قال) الحكماء الناس حازمان وعاجز فأحزم الحازمين من عرف
 الامر قبل وقوعه فاحترس منه والحازم بعده من اذا نزل به الامر تلقاه وعمل
 الحيلة حتى يخرج منه والعاجز من تردد بين ذلك لا ياتمر رشيداً ولا يطيع
 مرشداً حتى تفوته النجاة ويقال احتل تغنم وتفكر تسلم ويقال ترك التقدم
 أحسن من التندم (وأوصى) ملك قائد سريره فقال له كن كالتاجر السكيس
 ان وجد ربها اتجر والا حفظ رأس ماله ولا تطلب الغنيمة حتى تحمد
 السلامة وكن من احتيالك على عدوك أشد حذراً من احتيال عدوك عليك
 ويقال لا تنشب في حرب وان وثقت بقوتك حتى تعرف وجه الحرب منها فان
 النفس أقوى ما تكون اذا وجدت سبيل الحيلة مدبرة لها واختلس من تحاربه
 خلسة الذئب وطر منه طيران الغراب فان التحرز زمام الشجاعة والتهور عدو
 الشدة

ومما يجب مع التفكير على المحارب مشاوره العقلاء من النصحاء أولى
 التجارب فقد حكى ان قوماً من العرب أتوا شيخاً قد أربى على الثمانين وقارب
 التسعين فقالوا ان عدونا استاق سرحنا فأشر علينا بما ندرك به النار وننقى
 العار قال ان ضعف قوتي نسخ همتي ونقض ابرام عزيمتي ولكن شاؤروا
 الشجعاء من ذوى العزم والجنباء من أولى الحزم فان الجبان لا يألو برأيه ما وقي
 مهجكم والشجاع لا يألو ما يشيد ذكركم ثم خلصو من الرأيين نتيجة تبعد
 عنكم معرفة نقص الجبان وتهور الشجعان فاذا نجم الرأي على هذا كان أنفذ
 على عدوك من السهم الصائب والحسام القاضب وملاك التحيل في بلوغ
 الاماني رفض العجلة واستعمال التواني (قال) الحكماء اياك والعجلة فانها تكني
 ام الندامة لان صاحبها يقول قبل ان يعلم ويحيب قبل ان يفهم ويعزم قبل

• مطلب •
 انه يجب على
 المحارب مشاوره
 العلماء اولي
 التجارب

• مطلب •
 تعريف الشجاعة

أن يفكر ويقطع قبل أن يقدر ويمدح قبل أن يجرب ويذم قبل أن يختبر ولن
تصحب هذه الصفة أحدا الا صعب الندامة وجانب السلامة قال الشاعر

الصبر مفتاح ما يرجي وكل صعب به يهون
وربما نيل باصطبار ما قيل هيات لا يكون
فاصبر وان طالت الليالي فربما أمكن الحزون

وقال تعالى في نهى نبيه عن العجلة تعليما لامته ولا تعجل بالقرآن من
قبل أن يقضى اليك وحيه وقال بعض الحكماء تأن واحزم فاذا استوضحت
فاعزم فاذا اجتمع في الرجل الحزم والشجاعة فهو الذي يصالح لتدبير الجيوش
وشجاسة امر الحروب والناس رجل ونصف رجل ولا شيء فالرجل من اجتمع له
اصابة رأى وشجاعة ونصف الرجل هو الذي انفرد بأحد الوصفين دون
الآخر والذي لا شيء هو من عري من الوصفين

وقد وصف الله سبحانه وتعالى الغزاة المجاهدين الذين هم انصار الوطن والدين
بوصف في حقهم بالخصوص فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
كأنهم بنيان مرصوص وقد أعد الجنة لمن منهم ذاق بالشهادة طعم الخوف
بدليل قول صلى الله عليه وسلم ان الجنة تحت ظلال السيوف وحسبك
قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
يرزقون الآية ومدار فن الحرب الآن على تعليم الحركات العسكرية وحسن
الرأى والشجاعة وخيرها أوسطها قال صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقال
المتنبي

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان

ولربما طعن التي اقرانه بالرأى قبل تطاعن الاقران
ولو ان الشجاعة هي عماد الفضائل ومن فقد هالم تكمل فيه فضيلة
الا ان الراى مقدم عليها كما حكى ان الاسكندر حاصر قلعة سنة كاملة فلم
يفتحها فكتب اليه الحكماء لوجست سبعين سنة لانملك فتحها الا بالسيكيدة
للاعداء وان يكون بأسهم بينهم فبعث لبعضهم وخذعهم ثم بعث الي آخرين
بضد ذلك فتنازعوا وتحاربوا ثم سلموا القلعة

« مطلب »
تعريف الشجاعة

وعرف بعضهم الشجاعة بأنها غريزة يضعها الله فيمن يشاء من عباده
وقيل في تعريفها أيضا هي سعة الصدر بالاقدام على الامور المتلفة (وقه روى)
عن النبي صلي الله عليه وسلم ان الله يحب الشجاعة ولو في قتل حية * وقال
بعض أهل التجارب الرجال ثلاثة فارس وشجاع وبطل فالفارس الذي يشد
اذا شدوا قال عامر بن الطفيل

وانى وان كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتى عامر عن وراثته أبى الله أن أسمعو بأمر ولا أب
ويكنى بابى على وهو ابن أخى عامر بن مالك المعروف بملاعب الاسنة
أحد فرسان العرب المشهورين وكبارهم ومراد عامر بن الطفيل از قبيلة عامر
لم تجمله سيدا لاجل وراثته من أبيه السيادة بل لامر آخر ولح بعضهم لهذا
المعنى بقوله

يسود من يسود بغير ريب اذا الاسباب كان لها وجود
ألم تسمع أخى ما قال قيس لامر ما يسود من يسود
واما الشجاع فالداعي الى البراز والمجيب داعيه الى ذلك والبطل المحامى
لظهور القوم اذا ولوا والعرب تسمى ذلك كله شجاعة ويجعلون أول مراتب

الشجيمان الهمام سمي بذلك لاهتمامه وعزمه ثانيها المقدم سمي بذلك للاقدام وهو ضد الاججام ثالثها الباسل من البسالة وهي الجراءة والشدة رابعها البطل أي الذي يبطل فعل الاقران ويطفىء شجاعة الشجيمان خامسها الصنديد وهو الذي لا يقاومه مقاوم

وحكم الشجاعة ومظهرها وثمرتها الاقدام في موضع الاقدام والثبات في موضع الثبات والزوال في موضع الزوال وضد ذلك ينحل بالشجاعة وقالوا الحرب كالنار ان تداركت اولها خمد اضرامها وان استحك اضرامها صعب اخادها وهذا معنى قولهم ينبغي أن تغدى بالعدو قبل أن يتعشى بك (وزعم) بعضهم ان السخاء والكرم دليل الشجاعة وان كل سخي شجاع والصحيح ان ذلك أغلبي غير مطرد بل بنو آدم على أربعة أحوال فمنهم الجواد الشجاع يجود بماله ونفسه وهو أعلام مرتبة ومنهم البخيل الجبان وهو أذلهم وأكثرهم مذمة ومنهم الجواد الجبان يجود بماله ويضن بنفسه ومنهم الشجاع البخيل بضد ذلك والاخلاق مواهب من الله يهب منها ما يشاء لمن يشاء ويجبل خلقه على ما يريد وانما الاخلاق الفاضلة تلازم غالبا وكذا الاخلاق الدنيئة

(قال أنس) بن مالك رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله

مطلب
كونه صلى الله
عليه وسلم اشجع
الناس قلبا

عليه وسلم أجمل الناس وجها وأجود الناس كفا وأشجع الناس قلبا لقد فرغ أهل المدينة ليلة فانطلق الناس نائرين قبل الصوت فللقام رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت وسبر الخبر على فرس لابى طلحة عرى والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا (وقال) عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب

(وقال) الحكماء أصل الخير كله في ثبات القلب وهو الشجاعة وأعظم أهل الجند شجاعة واقوام جاشا من اذا انهزم أصحابه يلزم الساقطة ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه فن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كبابه فرسه حماه حتى يئس العدو منهم حتى قيل ان المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء النافلين ومن أكرم الكرم في الشجاعة الدفاع عن الحرم

ولقد اعترف الجميع لابي بكر الصديق رضى الله عنه بقوة الجاش والصبر في المواطن الكربة وكان عمر رضى الله عنه موسوما بالشدة والشجاعة كان يضع يده اليمنى على أذن فرسه اليسرى ويجمع بدنه ويثب على ظهرها كأنما خلق عليها

« مطلب »
الاعتراف من
الجميع شجاعة
الصحابه

وكان على رضى الله تعالى عنه شجاعا بطلا اذا ضرب لا يثنى وكذلك الزبير بن العوام معدود من شجعان الفرسان قالوا لم يكن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فارس أشجع من الزبير ولا راجل أشجع من الامام على كرم الله وجهه ومن الشجعان بنو قبيلة وهم الانصار قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع يريد أنهم يقاتلون ابتغاء مرضاة الله لا اعلاء كلمته لا للغنيمة ومن شجعان الانصار معاذ بن عفراء قطع كتفه يوم بدر فبقي معلقا بجذبه فلم يزل يقاتل جميع يومه وهو معاق حتى وجد ألمه فوضع رجله على يده وتمطأ حتى قطع الجلد ومن شجعان الصحابة خارجه بن حلافة والمقداد بن الاسود

ولما كتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وهو يحاصر مصر بطلب ثلاثة آلاف فارس ليعث اليه بها بعث اليه بهؤلاء الثلاثة

رضى الله عنهم ولم يكن في الجاهلية ولا في الاسلام أشجع من خالد بن
الوليد ولشجاعته سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله لم يهزم في
جاهلية ولا في اسلام ومات على فراشه وقيل لعبد الملك بن مروان من أشجع
الناس فقال العباس بن مرداس السلمي الذي يقول

أشد على الكتيبة لا أبالي أحتفى كان فيها أم سواها

وقيس بن الحطيم حيث يقول

واني في الحرب العوان موكل باقدام نفس لا أريد بقاءها

« مطلب »
من اشهر
بالشجاعة من
الابطال

ومن اشهر بالشجاعة أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي فارس بطل

شاعر نديم جامع لما تفرق في غيره حمل على فارس ووراءه رديف فطعنهما
فانظما في رعه وكان ذلك في بعض حروبه وفيه يقول بكر بن النطاح ويذكر
طعنته

واذا بدا لك قاسم يوم الوغي يختال خلت أمامه قنديلا

واذا تلذذ بالعمود ولينه خلت العمود بكفه منديلا

واذا تناول صخرة ليرضها عادت كتيبا في يديه مهيبلا

قالوا وينظم فارسين بطعنة يوم اللقاء ولا تراه كليبلا

لا تعجبوا لو كان مدقناته ميلا اذا نظم الفوارس ميلا

ومن كلام أبي دلف العجلي المذكور

ليس المروءة أن تبيت منما وتظل منعكفا على الاقداح

* ما للرجال وللتنم انما خلقوا ليوم كريمة وكفاح

وقد أرشد الله سبحانه وتعالى عباده المجاهدين بخمسة أشياء ما اجتمعت

في فئة قط الا نصرت وان قلت وكثر عددها وهي مجموعة في قوله تعالى

وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله
 مع الصابرين أحدها الثبات ثانيا كثيرة ذكره سبحانه وتعالى ثالثها الطاعة
 رابعها انفاق الكلمة خامسها الصبر فهذه الخمسة تبنى عليها قبة النصر ولما
 اجتمعت هذه القوى الخمس في الصحابة لم تقم لهم أمة من الامم حتى فتحوا
 الدنيا ودانت لهم البلاد والعباد ولما تفرقت فيمن بعدهم وضعفت آل
 أمرهم الى ما آل اليه

ولا بأس أن نذكر هنا من أخبار الشجمان ما حكاه الفضل بن يزيد
 ونقله صاحب المستطرف قال نزل علينا بنو تغلب في بعض السنين وكنت
 مشغوقا بأخبار العرب أن اسمها وأجمعها فيينا أنا أدور في بعض أحيائهم
 إذ أنا برأة واقفة في فناء خباثا وهي آخذة بيد غلام قلما رايت مثله في حسنه
 وجماله له ذؤابتان كالسبع المنظوم وهي تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن اليه
 الاسماع وترتاح له القلوب واكثر ما اسمع منها اي نبي وهو يتبسم في وجهها
 قد غلب عليه الحياء والحجل كأنه جارية بكر لا يرد جوابا فاستحسنت ما رايت
 واستحليت ما سمعت فدنوت منه وسلمت فرد علي السلام فوقفت انظر اليهما
 فقالت يا حضري ما حاجتك فقلت الاستكثار مما اسمع والاستماع بما ارى من
 هذا الغلام فقالت يا حضري ان شئت سقت اليك من خبره ما هو احسن من
 منظره فقلت قد شئت يرحمك الله فقالت حملته والرزق عسر والعيش نكد
 حملا خفيفا حتى مضت له تسعة أشهر وشاء الله عز وجل أن أضعه فوضعتة
 خلقا سويا فوربك ما هو الا أن صار ثالث أبويه حتى افضل الله عز وجل
 وأعطي وآتى من الرزق بما كفي وأغنى ثم أرضعته حولين كاملين فلما استتم
 الرضاع نقلته من خرق المهد الي فراش ابيه فربى كأنه شبل أسد أقيه برد الشاء

وحر الهجير حتى اذا مضت له خمس سنين أسلمته الى المؤدب فحفظه القرآن
 فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده فلما ان بلغ
 الحلم واشتد عظمه وكل خلقه حملته على عتاق الخيل ففرس وتمرس ولبس
 السلاح ومشى بين بوبات الحى الخيلاء فأخذ في قرى الضيف واطعام
 الطعام وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه فانفق ان نزلنا بمنهل
 من المناهل بين أحياء العرب نخرج فتيان الحى في طلب ثارهم وشاء الله تعالى
 ان أصابته وعكة شغفته عن الخروج حتى اذا أمن القوم ولم يبق في الحى
 غيره ونحن آمنون وادعون ما هو الا أن أدبر الليل وأسفر الصباح حتى طلعت
 علينا غرر الجياد وطلائع العدو فما هو الا هنيهة حتى احرزوا الاموال دون
 أهلها وهو يسألني عن الصوت وأنا أستر عنه الخبر اشفاقا عليه وضنا به حتى
 اذا علت الاصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره وثار كما يثور الاسد وأمر
 بأسراج فرسه ولبس لأمة حربيه وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم فطامن
 أدناهم منه فرمي به ولحق أبعدهم عنه فقتله فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه
 صبيا صغيرا لا مدد وراءه فحملوا عليه فأقبل يؤم البيوت ونحن ندعوا الله عز
 وجل له بالسلامة حتى اذا مدهم وراءه وأمتدوا في أثره عطف عليهم فترق
 شملهم وشتت جمعهم وقلل كثيرتهم ومزقهم كل ممزق ومرق كما يمرق السهم
 وناداهم خلوا عن المال فوالله لا رجعت الا به أو لا هلكن دونه فانصرفت
 اليه الاقران وتمايلت نحوه الفرسان وتميزت له التتيان وحملوا عليه وقد رفعوا
 اليه الاسنة وعطفوا عليه بالاعنة فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل من
 وراء الابل وجعل لا يحمل على ناحية الا حطما ولا كتيبة الا مرقها حتى لم
 يبق من القوم الا من نجابه فرسه ثم ساق المال وأقبل به فكبر القوم عند

رؤيته وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأينا قط يوماً كان أسمع صباحاً
واحسن رواحاً من ذلك اليوم ولقد سمعته يقول في وجوه فتيات الحى
هذه الايات

تأملن فعلى هل رأيتن مثله اذا حشرجت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كلاً حقه ونصيبه من السمهرى للذن والمرهف المضرب
أنا ابن أبى هند بن قيس بن مالك سليل المعالى والمكارم والسيب
أبى لى أن أعطي الظلامه مرهف وطرف قوى الظهر والجوف والجنب
وعزم صحيح لو ضربت بحده السجبال الرواسى لا نمططن الى الترب
وعرض نقي أتقى ان أعيبه وبيت شريف فى ذرى تغلب العلب
فان لم أقاتل دونكن وأحتمى لكن وأحميكن بالطن والضرب
فلا صدق اللاتى مشين الى ابى يهيننه بالفارس البطل الندب
هكذا فضائل شبان العرب فى الشجاعة ومكارم الاخلاق

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصالح تجلو الدجى والاخرى رجوم
كما ان شجاعة شيوخهم فى قوة آرائهم المؤسسة على التجارب كما حكى
قريباً عن الشيخ الذى قارب التسعين لما استشاره قوم من العرب فى شأن
عدوهم فأشار عليهم برأى سديد

ومن الشيوخ من يجمع بين فضيلة الشجاعة والرأى كعمرو بن معدى
كرب الزيدى فانه بعد ان عمر وضعف كان فى واقعة الفرس يحمل
على عدوه وذلك انه معدود من فرسان الجاهلية والاسلام فله فى حروب الجاهلية

« مطلب »
من جمع بين
فضيلتى الشجاعة
والرأى

مواقف مذكورة ومواطن مشهورة اسلم ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام وشهد
 حروب الفرس وكان له فيها افعال عظيمة واحوال جسيمة وكان امير المؤمنين
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رآه قال الحمد لله لذي خلقتنا وخلق عمرا
 (وروي) عنه رضي الله عنه انه سأل يوما فقال له يا عمرو أي السلاح افضل في
 الحرب قال فمن أيها تسأل قال ماتقول في السهام قال منها ما يخطى ويصيب
 قال فما تقول في الرمح قال اخوك وربما خانتك قال فما تقول في الترس قال هو
 الدائر وعليه تدور الدوائر قال فما تقول في السيف قال ذلك العدة عند الشدة
 (وقيل) انه نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه اني عابر على
 هذا الجسر فان اسرعت مقدار جزر الجزور وجدتموني وسبني بيدي أقاتل
 به تلقاء وجهي وقد عرفني القوم وانا قائم بينهم وان ابطأتم وجدتموني قتيلا
 بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقتل بعضهم لبعض يابني زبيد علام تدعون
 صاحبكم والله ما نظن انكم تدركونه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه
 وقد اخذ برجل فرس رجل من المعجم فأمسكها والفرس يضرب فرسه فلم
 تقدر أن تتحرك فلما رآنا ادركناه رمي الرجل نفسه وحلى فرسه فركبه عمرو
 وقال انا ابو ثور كدت والله تفقدوني فقال ابن فرسك فقال رمي بنشابة فعار
 وشب فصرعني

(ويروي) انه حمل يوم القادسية على رستم وهو الذي كان قدمه يزدرج دملك
 الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل
 فضرب عمرو والفيل فتقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج
 كان فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزمت المعجم وكان عمرو من
 الشعراء المعدودين وفيه يقول العباس بن مرداس

إذا مات عمرو قلت للخيل أو طئي زبيدا فقد أودى بنجدتها عمرو
وما أحسن قوله في وصف السيف ذلك العدة عند الشدة فقد كان له
سيف يسمى الصمصامة فكان يضرب به وبسيفه المثل اذ هو أشرف سيوف
العرب فيقال ما كل من يسطو بصمصامة عمرو ويقال له الصمصام قال نهشل
متمثلاً به

« مطلق »
مدح السيف وان
القصد منه في
بعض المواطن
آلات الحرب

أخ ما جد ما خاتني يوم مشهد كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه
وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص ولم يزل في آل سعيد حتى اشتراه
خالد بن عبد الله القسري بمال جزيل لهشام فلم يزل عند بني مروان حتى جد
الهادي العباسي في طلبه فاخذته قال صلى الله عليه وسلم الخير في السيف والخير
مع السيف والخير بالسيف قال السموءل

وما مات مناسيد حنف أنفه ولا ظل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبابة نفوسنا وليست على غير الظبابة تسيل

وقال ابن الرومي

لم أر شيئاً حاضراً نفعه للمراء كالدرهم والسيف
يقضى له الدرهم حاجاته والسيف يحميه من الحيف

وما أحسن قول الطغراني

وعادة السيف أن يزهي بجوهره وليس يعمل الا في يدي بطل
ولذلك لما انتصر بعض الامراء على أعدائه وأطلق اسراهم من عليهم
بسلاحهم فقال موقع جيشه يصف ذلك مننا عليهم من الاسلاب بالبيض
القواطع ليجمعوا حلها اساور في أيدي البيض ذوات البراقع وحلية السيف
لا يحسن الا بكف يكون به ضاربا له لاجالبا وادا عطل في مواقف الجهاد

فالاولى له أن يجعل عاطلا كما قال أبو العتاهية

فصنع ما كنت حليت به سيفك خلخالاً
فما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالاً

(ومدح) اعرابي قومه فقال قومي لبوث حرب وغيوث جذب ليس

لاسيافهم انماد غير الهام ولا رسل للمنايا غير السهام قال الشاعر

كأن سيوفه صيغت عقوداً تجول على الترائب والنحور
وسمر رماحه جعلت هموماً فما يخطرن الا في الضمير

وقال عبد الله بن طاهر

بيت ضجيعي السيف طورا وتارة
أخو ثقة أرضاه في الروع صاحباً
تعض بهامات الرجال مضاربه
وليس أخو العلياء الا فتى له
وفوق رضاه انى أنا صاحبه
بها كلف ما تستقر ركائبه

وقال ابن الرومي

كثبت لنا أيدي النزال صحائفها
أطراسها جثث الكماة وحبورها
عجما من الاعراب والافصاح
فالشكل فوق سطورها بصوارم
مما أسلنا من دم الارواح
والنقط فوق حروفها برماح

وقد تنازع الادباء في التفضيل بين السيف والقلم ففضل بعضهم السيف في قوله

السيف أصدق انباء من الكتب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في
في حده الحد بين الحد واللعب
متونهن جلاء الشك والريب

وأشار بعضهم الى تفضيل القلم على السيف بقوله

الكتب عقل شوارد الكلام
بالخط نظم كل منتشر
والخط خيط فرائد الحكم
منها وفصل كل منتظم

والسيف وهو بحيث تعرفه فرض عليه عبادة القلم
ولو أن بكل من السيف والقلم قوام الممالك إلا أن تقديم الثاني على
الاول أقرب لان بالاقلام تساس الاقاليم فالقلم أنفع من السيف وان كان السيف
أرفع منه قال الشاعر

لا يسلم الشرف المنيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم
فكيف وبه دوام المجد ونمام السعد فما ينقش بالذهب على سيوف بعض
العرب

ان أسيافنا القصار الدوامي صيرت مجدنا طويل الدوام
باقتحام الاهوال من وقت حام واقتسام الاموال من وقت سام
ثم ان التعبير في المواطن الحربية بالسيف القصد منه آلات الحرب
وعدته اذ هو في الازمان القديمة كان أشهرها والا فليس للاهوان والمدافع
في وقت الاهوال من دافع ولا مدافع فهي أولى من الرمي بالسهم والنبال
في قول من قال

نالوا بها من أعاديهم وان بعدوا ما لم ينالوا بحمد المشرفيات
فانها في العدو انكى والبلغ في الانتقام والبلية وأهلك للاخصام وأملك في قطع
المنازعات الحربية بين أمم البرية الا انه لم تزل الشهرة للمرهفات وايضا القوة
كانت في قديم الزمان الرمي بالنبال حيث فسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة
به حين مر على أناس رمون فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة
الرمي واراد بالقوة المذكورة في قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقوله تعالى ما استطعتم مشتعل
على كل ما هو في مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة فالآية الشريفة

جامعة لا بواب الحرب وهي الاصل في تدبير الحروب التي وضع الناس لها
 كتبوا فيها ترايب خاصة وتقنوا فيها تفننا عجيبا مع قوله تعالى ان الله
 يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ومن المعلوم أنه
 ليس ثم بناء مرصوص أتم ولا أنظم من تشكيل الشكل المربع المسمى بالقلعة
 في التعاليم الجديدة النظامية التي تجددت من منذ سنين عديدة في مصر الحميمة
 فهذه النظم الحديثة الاخيرة من أعظم ما تكون به ديار الاسلام جديرة
 والفضل في ادخالها لديار المصرية واقفاء الاقتداء بها وتأليفها في الديار
 الاسلامية للحضرة المحمدية العلية ثم قويت واتسعت دائرتها برياسة نجله الاكبر
 سمي الخليل ثم تشكلت أشكال متنوعة الى ان قويت شوكتها بالخدو الجليل
 عزيز مصر اسمعيل فانه فرع تبع الاصل الاصيل في كسب المجد الاثيل

وهل ينبت الخطى الا وشيجه وتقرس الا في منابتها النخل

فانه ربي للسجال رجال لهم في ميادين الحرب أعلى مجال

يلنى الرجال وغيره يلنى القرى شتان بين قري وبين رجال

فاق بكثرة ماله وجياده حتى يفرقها على الابطال

(وقال آخر)

وشرط الفلاحة غرس الثمار وشرط السياسة غرس الرجال

ولا بأس أن تذكر هنا عظة تمثيلية وصى بها الحكيم منصور تلميذه
 تليماك حين رياسته على بعض السريات اليونانية وان كانت الواقعة في حد
 ذاتها خيالية الا ان لها معنى من المعانى الصحيحة يجب أن يتسك به امراء
 الجنود في سفراتهم النجيجة فنقول قال منظور لتليماك اذهب الى أي خطر
 كان واقترح المخاوف والمهالك متى احتاج الامر لذلك فان المرء يتدنس

«مطلب»
 وصية حكيم
 لتلميذه الامير على
 السرية

عرضه اذا هاله الخوض في المارك ولم يقتسم الاخطار مع اربابها ولم يشارك
 ولم يقتحم معا مع الحرب والجدال فان هذا يلونه ازيد مما اذا منع من السفر
 لحضور الحرب والنزال ولا ينبغي لمن يقود الجيوش وله عليهم امره ان
 تكون شجاعته مترددة بل محققة لينفذ على الجميع نهيه وأمره فاذا كانت
 الرعية تحتاج لحفظ ملكها وبقائه فهي أحوج لان تجدد شهرته مترددة
 يخشى عليها من السقوط ومن شماته اعدائه ولا تنس أن الذي يحكم العساكر
 ويقودها في الكفاح لا بد أن يكون انموذج الجمع وشاكي السلاح
 وبشجاعته الجاسرة الباسله يحبي قلوب الجنود الفاضله فاياك ان تهاب الاخطار
 بل مت في ميدان الحرب وتقع الغبار فهذا خير من ان يرميك الناس
 بالجن ويصفوك بالذل والصفار وأما المداهنون الذين يصدونك عن التعرض
 للخطر عند الاقتضاء واللزوم فهم أول من يقول في حقك سرّاً انك ملوم
 ومذموم وانك ضعيف الفؤاد والجلش وجهدك جهد الأوباش ويفوقونك
 بسهام الملام متى وجدوا ان يسهل عليك الاحتجاب والاحجام والتأخر
 عن الافدام ولكن لا ينبغي لك ان تهض وقت الرخاء والسعه لتطلب
 الاخطار بدون منفعه فان الشجاعة ليست محودة العلقه والارتباط الا اذا
 كانت موزونة بقسطاس العقل وميزان الحزم والاحتياط والافهى بدون
 ذلك عبارة عن احتقار النفس النفيسه والمخاطرة بها بدون رأى ولا تدبير
 فهي اذن خسيسه فترجع الى الحمية الشهوانية والصفة الغضبية الحيوانية
 فلا تنتج نتيجة محققة مأمونة ولا تثمر ثمرة عن الهوان مصونه مع ان النفس
 جوهرة مكنونة فيجب ان تكون دماؤها محقونه فالانسان الذي لا يملك
 نفسه في وقت الاخطار هو انسان غضبي ورجل احمق لا شجاع باسل حايف

انتصار ولا هو معدود من فحول الرجال بل محتاج أن يخرج من مركز العقل ويدخل في زوايا الاختلال ليغلب الخوف بصولة الغضب وجولته ولا يقتدر على غاية لقوة قلبه وحضور عقله واستحضار فكرته فهو في هذه الحالة لا يكر ولا يفر ولا يقبل ولا يدبر وإنما يتعكر ويتكدر ولا يتذكر ولا يتفكر بل يختلط ولا يتدبر ويخسر حرية عقله وفكره مما لا يلزم لتنظيم حاله واغتنام تدمير عدوه وتدمير أمره وينسى خدمة الاوطان ومنفعة البلدان وهذا عين الهوان فاذا كان عند ذلك المجازف شجاعة النفر العسكري المجالد فليس عنده فطانة الرئيس الكامل ولا امارة الامير القائد بل ليس متصفافي الحقيقة بحقيقة شجاعة النفر الصحيحة ولا يسأله آحاد الجنود وأفراد العساكر الرجيحة لان النفر العسكري من واجباته ان يحافظ في المعركة على استحضار عقله والاعتدال والحلم حتي يكون ملازما للطاعة في جميع فعله فاي محارب تعرض للمجازفة في الحرب العوان كدر نظام العساكر واخذ بالتعليمات والحركة العسكرية في حومة الميدان وكان قدوة للمجازفة والمخاطرة والمثابرة والمكابرة وعرض الجيش تماما بفقده استحضار العقل الصائب للوقوع في مكابد الخطر والمصائب فكل من يؤثر مطامعه الفاسده ويقدم وسائله ومقاصده على مقتضيات العدل والمصلحة العامة يستحق الجزاء والعقاب لا المكافأة والثواب على رأى الخاصة والعامه فاحذر يا بني ان تطلب الفخار بدون صبر ولا تؤده بل أقرب الوسائل في الحصول عليه ان تنتظر اغتنامه بالفرصة لتستعبده فلا يكن سعيك اليه سعيًا خائبًا ولا ترم سهمك صوبه الاصابا فان الخصلة الحميدة في الانسان صاحب الكمال تحمد ما دامت مبنية على الرفق والاعتدال فهي معادية للزينة وحب الرياء والسمة وقصد التعمق في المطلوب

والوسعة فتى زادت الحاجة الداعية لاقتحام الاخطار ودعت الدواعي لاقتحام
 العقبات الكبار وجب أيضا الاستحصال على وسائل التبصر والاستبصار
 والحزم في الشجاعة لبلوغ الاوطار فتقوى الشجاعة بقوة الحاجة اليها ويجب
 توسيع دائرة البالي في الحصول عليها وبالجملة فنبه لان تسلك في امورك كلها
 مسلكا لا يجلب اليك غيرة الباقين ولا يوجب لك عداوة الاخرين فامدحهم
 فيما يستحقون عليه المدح وليكن مدحك مصحوبا بتمييز كل على قدر حاله
 لئلا يستحيل الى القدح ان تذكر حسنات ذوى الاحسان والحصول الملاح
 من خالص قلب مهمل بالفرح والانشراح تضرب صفحا عن سيئاتهم وترثي
 لحال فاعلمها وتأسف على وقوعه في الفعائل القباح ولا تحكم بشيء وتقضى به
 استقلالاً بحضور هؤلاء الرؤساء الافاضل الذين مارسوا الامور وجربوا
 الوقائع والنوازل فانك خلى عن ذلك ولست مثلم في سلوك هذه المسالك
 فاسمع قولهم مع الادب والاحترام وشاورهم في الامر نافع صحيح المرام
 واخضع لارباب المعارف والموارف وافزع اليهم وتضرع ليعلموك ما لم تعلمه
 من اللطائف ولا تستع من ان تعزو الى من تعلمت منهم جميع ما يصدر عنك
 من الامور الصائبة فانسب لهم واخضع اليهم محاسنه وأطايبه ولا تسمع أبدا من الهم
 يثبط همتك بالبعد عنهم واخذ الحذر منهم ليوقع المنافسة والعداوة والمناقشة والقساوة
 بينك وبين هؤلاء الرؤساء السادة وامراء القاده واذا تحدثت معهم فاعتمد عليهم
 كل الاعتماد واركن اليهم وثق بهم وسلم لهم القيادة ولا تشك فيهم ولا توسوس
 ولا تظنهم في الخطاب ليتمكن الحب ويتأسس واذا ظننت أو رأيت أن أحدا
 منهم حصل منه تقصير في حقك به عليه يعاب فعابه برفق واصف بيبك في
 العتاب واصدقه في الدعاوى والاسباب فان وجدت فيه اهلية لفهم مقصدك

الشريف بالانصاف والعود على نفسه بالاذعان والاعتراف فخذته بما يشرح
 صدره ويرفع قدره ويعلي ذكره فبهذا تأمل منه نوال ما تحتاج اليه واستكمال
 ما تطلبه لديه واما اذا رأته لاعقل له في موافقة رأيك الصائب فصبر نفسك
 على ما تجده عنده من التعسف فهو أحدي المصائب ولا تجزع وتجد الى ان
 ينتهي الحرب على أحسن حال فانه لا يلام عليك في التمسك بأداب الحرب
 على هذا المنوال ولكن احترس أيضا أن تقشى لبعض المتملقين والسماة
 والوشاة من المنافقين شكوي ما تظنه ظلما عن هؤلاء الرؤساء الموجودين
 في الوجقات والمواقع التي انت فيها معهم في الحروب والوقائع واقع انتهى
 وقد عمل بعض الملوك وصية لناظر الجيش قال فيها وليأخذ أمير هذا
 الديوان بكتيبته ويستحضر كل مسمى فيه اذا دعي باسمه وحليته وليقم قياما
 بغيرة لم يرض وليقدم من يحب تقديمه في العرض وليقف على معامل هذه
 المباشرة وجرائد جنودنا بما يحصى له من الاعلام ناشرة وليقتصد في كل
 محاسبه ويحررها على ما يجب أو ما قاربه أو ناسبه وليستنصح أمر كل ميت
 يأتي اليه من ديوان الموارث الحشرية ورقة وفاته أو يخبره مقدمه أو نقيه
 اذا مات معه في الاسفار عند موافاته وليحرر ما تضمنته الكشوف وتحقق
 ما يقابل به من اخراج كل حال على ما هو معروف حتي اذا سئل عن أمر
 كان لم يخف واذا كشف على شيء أظهر ما هو عليه حقيقته ولا ينكر هذا
 لاهل الكشف وليحرر في أمر كل مر به وما فيها من الجهات المقطعة وكل
 منشور يكتب ومثال عليه جمع للامر يترتب وما يثبت عنده وينزل في تعليقه
 ويرجع فيه الى تحقيقه وليعلم ان وراءه من ديوان الاستيفاء من يساوقه في
 تحرير كل اقطاع وفي كل زيادة واقطاع وفي كل ما ينسب اليه وان كان انما

« مطلب »
 وصية بعض الملوك
 لناظر جيشه

فعله بأمرنا المطاع ولتبتصر بمن وراءه ولتتوق اختلاف كل مبطل واقترائه
وليتحقق انه هو المشار اليه دون رفقته والموكل به النظر والمحقق به جملة جنودنا
المنصور من البدو والحضر واليه مدارج الامراء فيما ينزل وأمر كل جندي
لهم ممن فارق أو نزل وكذلك مساوقات الحساب ومن يأخذ بتاريخ المنشور
الشريف أو على السبابة ومن هو في العساكر المنصورة في الطليعة أو في
الساقة وطوائف العرب والتركمان والاكراد ومن عليهم تقدمه أو درك بلاد
مزمه أو غير ذلك مما لا يفوت احصاؤه القلم وأقصاه أو أدناه تحت كل
لواء ينشر أو علم فلا يزال لهذا كله مستحضرا وله على خاطره محضرا لتكون
لقتات نظرنا اليه دون رفقته في السؤال راجعه وحافظته الحاضرة غنية عن
التذكار والمراجعة وملاك الوصايا تقوى الله وهي من أخص أوصافه والجمع بين
العدل والاحسان وهما من نتائج اتصافه فليجعلها عمدة حكمه في القول
والعمل والله يجعله من أوليائه المتقين وقد جعل انتهى

ومما ينبغي ذكره ان امراء الجيوش هم نواب الامام في الجهاد فكما يجوز لهم قتال أهل
الحرب مقبلين ومدبرين ونصب المنجنقات والفرادات والقاء الحيات ورمي
النيران بجميع آلاتها وقطع اشجار العدو ولومثمة عند الاقتضات والضرورات
وقتل الشبان والشيوخ ومن يتعرض للطعن والضرب لا تصد قتل النساء
والصبيان فكذلك يجوز لهم بمقتضى رخصتهم أن يعقدوا عقود العهود
والامانات ويؤمنوا من القى السلاح مما شرع جلب المصلحة ودرء المفسدة
ومتى عقدوا العقود وعاهدوا اليهود فلا يجوز نكثها بوجه من الوجوه الا
ان ظهر لهم من العدو المتعاهدين معه خيانة مستورة وخوف مضررة فينبذ
العهد اليهم حتى يستووا في معرفة نقض العهد لقوله تعالى واما نخافن من

« مطلب »
كون امراء
الجيوش هم نواب
ولي الامر في
الجهاد وفي عقد
العقود والوفاء
بالعهد

قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء وكذلك اذا كان العهد مؤجلا بمدة فانقضت
 المدة فبانقضائها ينقض العهد وينبذ اذا كان الغرض عدم تجديده بل العزم
 على المحاربة والمقاتلة ولا يجوز نقضه في غير ما ذكر لان نقضه يجري مجرى
 القدر وخلف القول قال تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم
 شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدكم الى مدتهم ومضى جاز نقض
 العهد وجب اخبار المعاهدين بذلك ليكونوا على بصيرة لان النبي صلى الله
 عليه وسلم حين نقض العهد مع أهل مكة بعث مناديه وهو على رضى الله
 تعالى عنه في الموسم فنادي يوم النحر عند جرة العقبة بنقض الصلح فينبغي
 لكل أمير أن يتأدب بأدابه صلى الله عليه وسلم في حفظ العهود واجرائها
 على وجه معهود (يحكي) أن خالد بن الوليد لما حارب بني حنيفة بأرض
 اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب حتى صار الى حصن ابني حنيفة فخرج الى
 خالد رجل من الحصن فأسلم على يده ثم قال له ان في هذا الحصن ضعفة
 ونساء وصبية فأعطهم أمانا ليخرجوا اليك فليس فيهم درك فأخذ أمانا من
 خالد للجميع ثم أخرجهم فخرج فيهم رجال كأنهم الاسد فقال خالد لم أعطك
 هؤلاء أمانا وانما أعطيتك للضعيف قال الرجل فهم كلهم ضعيف لان الله عز
 وجل يقول وخلق الانسان ضعيفا فكتب في ذلك الى أبي بكر الصديق
 رضى الله عنه فاجاز الامان على خالد وما قاله الرجل الاسلمى لخالد بعد من
 باب دفع المكروه بقول صادق في حد ذاته كما يحكي ان رجلا مر برسول
 الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل هجرته الى المدينة فقال يا محمد أغنى فان
 خلفي من يطلب دى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امض لوجهك
 لأصد الطلب عنك ثم قام عليه السلام وجلس بعد نفوذ الرجل فاذا قوم

يَعَادُونَ بِالسِّيُوفِ فَمَا لَوْ يَا مُحَمَّدُ هَلْ مَرَبِكَ رَجُلٌ هَارِبٌ مِنْ صِفْتِهِ كَذَا وَكَذَا
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَا مِنْذُ جَلَسْتَ فَلَا فَصْدَقَهُ الْقَوْمُ وَأَنْصَرَفُوا فِي غَيْرِ ذَلِكَ
الطَّرِيقِ

(وقال) بعض المؤرخين لما غزا أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه مدينة
دمشق في عهد أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وكان قد نازل هذه
المدينة من جهة باب الجابية ونازلها خالد من جهة الباب الشرقي ونازلها عمرو
ابن العاص من جهة باب ثوما ونازلها يزيد بن أبي سفيان من جهة الباب
الصغير وحاصروها قريبا من سبعين يوما وكان خالد بن الوليد رضى الله تعالى
عنه مصمما على أخذها بأى وجه كان صلحا أو عنوة وكان عساكر الروم
بدمشق قد أيقنوا أن حصارها على هذه الحالة لا بد أن يعقبه الفتح
الاسلامي وانه لا مفر لهم من وقوعهم في اسر المسلمين وكان محافظ دمشق
الامير ثوما صهر القيصر هرقل فدبر حيلة عسى يكون بها نجاة نفسه وجنده
من الوقوع في أيدي المسلمين فخرج بجنده من المدينة عدة خرجات عساه
ان يدافع جيوش المسلمين عن المدينة وينتصر عليهم وكان يعتمد على انه
سيصله امدادات من القيصر نخب رجائه وانهمزم في جميع خرجاته ثم لما
أيس من النصر والامداد القريب وجزم بانه واشك بالوقوع في قبضة
الاسلام شرع في التماس المسالمة بمقد الصالح مع أبي عبيدة رضى الله
تعالى عنه

« مطلب »
وفاء أبي عبيدة
عامر بن الجراح
بهدية للروم عند
فتح دمشق

وكان قد بلغه موت الخليفة أبي بكر رضى الله تعالى عنه واستخلاف
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما وكان أبو عبيدة هينا لنا
صاحب رأفة ورحمة على عباد الله غير متعصب ولا مشدد على أهل الكتاب

بدوز حق وكان شريف النفس عالي الهمة يميل الى العدل والحلم وكان قد
 اشتهر عند الروم بحسن الشئائل ومكارم الاخلاق وصدق المقال فلما التمس
 أهل دمشق الصلح من هذا الامير وفاتحوه في شأن ذلك صالحهم على ان
 يؤمنهم على نفوسهم ورخص لمن لم يسلم اذا أراد أن يخرج من دياره خرج
 منها بجانب من أمواله اشترط عليهم ان يبلغوا ما منهم بعد مضي ثلاثة أيام
 بلياليها من زمن جلائهم يجدون فيها السير كما يشاؤون ولا يقفوا أثرهم أحد من
 جيش الاسلام الا بعد مضيها فعلى هذا الصلح سلموا له مفاتيح المدينة فلما
 دخل فيها بجنده ووصل فيها الى ميدان عام في وسطها رأى في هذا الميدان
 جند خالد بن الوليد فكانوا نقبوها وأخذوها عنوة من الابواب المسامطة
 للباب الذي دخل منه أبو عبيدة عقب الصلح فكانت عساكر خالد بوصف
 كونهم فتحوها عنوة يقتلون من يجدونه في ممرهم فنهائم عن ذلك بالتي هي
 أحسن وأمرهم بتقوى الله والرفق بعباده وأخبر الامير خالد بن الوليد بما
 صالحهم عليه لان خالد رضي الله تعالى عنه كان بمنزلة عظيمة عند أمير
 المؤمنين وكان قد أتاه كتاب من عمر رضي الله تعالى عنه بتقليده امارة جيشه
 فأقر خالد ما صالح عليه أبو عبيدة ووعد برفع السلاح عنهم وان لا يقفوا
 أثرهم الا بعد مضي الثلاثة الايام المتفق عليها وانجز حرما وعد فاقتنى أثرهم
 بعد مضيها ثم جد السير فأدركهم وبدد شملهم وسلبهم ما عندهم واغتنم منهم
 ما اغتنم ثم عاد سالما غانما الى دمشق وبعث أبو عبيدة بالفتح الى أمير المؤمنين
 عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنها فمدحه المؤرخون بوفائه بنفسه وبتوسطه
 الى خالد بن الوليد وجملة على ذلك

قال بعض من وقف على هذه الواقعة من مؤلفي أوربا لو كانت اوصاف

هذه الصحابي الجليل الذي كان أمير الجيش الإسلامي في ذلك الجيل مجتمة
 في أمراء الجنود بالاجيال الجديدة المشهورة بالتمدنات المتنوعة والتقدمات
 العديدة لافادتهم غاية المجد والشرف ونفت عنهم مثالب الجور والسرف
 فأجل أمراء جيوش الدول العظيمة التمدن في عهدنا هذا لم تبلغ درجة ذلك
 الامير الخطير الذي هو من بين الفاتحين عديم النظير فكل منقبة من مناقب
 عدله وحلمه ووفائه تحجب أكبر رؤساء كل جيش من جيوش الدول المتأخرة
 وتزدري بأمرائه انتهى وهذا من قبيل * ومليحة شهدت لها ضراتها * ومع ذلك
 فنقول ان تمدن اخلائنا الراشدين والصحابة والتابعين وتابعيهم هو تمدن حقيقي
 مكتسب من انوار النبوة واتباع هدى من لا ينطق عن الهوى مع سلامة
 طبع أبي عبيدة عامر بن الجراح الذي قال في حقه عليه الصلاة والسلام لكل
 أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح وقد كانت شففته على
 نصاري الروم بدمشق واجبة لانها نتيجة المصالحة والمعاهدة والافكان
 لا يخشى في الله لومة لائم فهكذا مكارم أخلاق الصحابة فمن أراد أن يقتدي
 بهم فهو من أهل السداد والاصابة وما أسعد من يتزده من أول شبيبته عن
 الجهالات ويتمسك بناموس المروءة والشريعة ويخالف أهواء النفس اللوامة
 ويخالف معالي الامور المؤسسة على مافي الكتاب العزيز من الايات البيئات
 فلا أحق ممن تجرد عن الشفقة والرحمة وأفضى به الجهل الى ارتكاب
 الامور المحرمة فكأنما هو تربي في الجبال ورضع ألبان الوحوش والوعال
 كما يحكي عن نية غدر من مغربي مسلم بأسير من نصارى الاسبانيول منقاد
 لقضاء الله عليه بالاسر ومستسلم وذلك ان أكثر عرب المغاربة المتوطنين
 ببلاد افريقية أصلهم من عرب الاندلس الذين اجلاهم الاسبانيول

* مطلب *
 ذم التجرد عند
 الشفقة والرحمة
 بعد القول في حق
 الاسري

من ديارهم بعد تغلبهم عليها وكانوا بقايا من نجا من القتل فكانت العداوة باقية
بين القريتين

وكان اغلب المغاربة يعتقدون حل التقرب الى الله تعالى بقتل النصارى
لمخالفة الدين لاسيما اذا كانوا من نصارى الاسبانيول المعتدين وكان من قواد
المغاربة الذين يغيرون على بلاد الاسبانيول الساحلية أمير يقال له على بن جرمي
من قواد ملوك افريقية فانتصر مرة في حربه مع الاسبانيول نصرة عظيمة
وقتل واسر وشحن سفينته من أسراهم حتى أرسى على سواحل افريقية وانزلهم
الى البر فحضر اليه شخص من حمقى العرب متمثلا بين يديه وجعل يقبل قدميه
وقال له يا أيها الأمير لقد أسعدك الله تعالى بالظفر والتأييد ووفقك جلب عدد
كثير من النصارى الاسارى فهم لجنابك العالى من قبيل الارقاء والبيدوطالما
انتهزت القرصة في سفك دماهم وسي رجاهم ونسأهم وفي طاقتك ان
تقتل منهم ما تشاء من العدد الكثير والجهم الغفير فلا شك أن مثلك من أهل
الجنة حيث وفقه الله تعالى الى الحصول على هذه المنة وأما أنا فلم أحظ في
عمرى بهذه الفضيلة ولا تيسرت لى هذه النعمة الجزيلة فأناشدك الله الاتفضلت
على من احسانك وجميل فضلك وامتنانك باحد هؤلاء الاسرى اعداء الدين
لا تقرب به الى طاعة رب العالمين فأظهر له الأمير حسن الاجابه وانه لبي
تعوته لينال الاجر والاثابه وأفهمه أنه يرسل اليه هذا الشاب طويل النجاد
في الغابة وأمره ان ينتظره فيها هذه الساعة ليفتك به سرا بدون اشائه ثم
أمر الاسير بالسير وأطلعه على خبيثة هذا الاحمق وحذره منه وأنذره حتى
يعمل لنفسه في الذب عنها أحسن التدبير فاقتمح الاسير الغابة شاكي السلاح
مصمما على المفاضلة والكفاح فلما رآه خصمه على أهبة بهذه الحالة لم يجد من

الهروب بدا فنجنا بنفسه ولا محالة ورجع الى الامير يرجف فؤاده وقد فاته مراده فقال له الامير بصوت جهوري بغاية من الحماس يسمعه كل من حضر من الناس يا أيها الشقي الاحمق والعدو الازرق كيف عشت بين أظهر مؤمني البرية ولم تعلم حرمة قتل النفس البرية وهل محض اختلاف الاديان يبيح التعدي بقتل الانسان ابتغاء مرضاة الشيطان وكيف نظن أن بتصميمك على هذه النية ترضي الله سبحانه وتعالى أو نبيه وهل من المروءة والسماحة قتل من ألقى سلاحه أما تعلم أن قتل النفس بغير حق من أعظم الآثام عند الله فنجبل المغربي بالخرزي والنجبل يطلب الغفران من الله عز وجل واستحسن جميع الحاضرين ما دبره الامير فما أحسن العدل المرفوق بحسن التدبير لا سيما من قائد خطير (ويحكى) ان عمرو بن معدي كرب مر بحبي من أحياء العرب فرأى فرسا مشدودا ورمحاً ركوزاً ورجلاً في وهدة يقضى حاجته فقال له عمرو خذ حذرك فاني قاتلك فقال له من أنت قال أبو ثور عمرو بن معدي كرب قال وأنا أبو الحرب ولكن ما أنصفتي أنت على ظهر فرسك وأنا في موضعي فاعطني عهداً أن لا تقاتلني حتى أركب فرسي وأخذ حذري فعاهده على ذلك فخرج من الموضع الذي كان فيه وجلس محتبياً بسيفه فقال له عمرو وما هذا الجلوس قال ما أنا براكب فرسي ولا أنا مقاتلك فانكشت العهد فأنت أعلم بما يليق بالناس فتركه عمرو ومضى وقال هذا أجبن من رأيت فانظر الى حفظ اليهود فهو وان كان واجب الوفاء به في حد ذاته الا أن أحق الناس به الامراء والجنود وفي هذا القدر كفاية فيما يتعلق بالطبقة الثالثة التي هي طبقة الغزاة

« مطلب »
وقاه عمرو بن
معدي كرب
بالعهد

الفصل الرابع

(في طبقة أهل الزراعة والتجارة والحرف والصنائع)

قد أسلفنا الكلام على هؤلاء بالبيان الشافي في عدة مواطن لاسيما في
 الباب الثاني من هذا الكتاب فلا فائدة في الاعادة وانما نقول هنا انه
 ينبغي لابناء الوطن ان يؤدوا ما يجب عليهم من الحقوق لوطنهم ايا ما كانت
 طبقتهم لاتحادهم في وصف الاهلية وان يتعاونوا على ما فيه صلاح مملكتهم
 وجمعيتهم السياسية وان يبذل المستطيع ما عنده في اصلاح حالها وما لها حتى
 يصدق عليه انه ممن أحيانا نخوة الملة وأنعمش قوة الدولة فيشكره وطنه الذي
 هو مصره ويحمده زمنه الذي هو عصره فيكون مخلص الذكر في دفاتر أخبار
 الذين اشتهروا في سلسلة الاعصار وان يتصف كل عضو من أعضاء الجمعية
 الاهلية بالامانة التي هي أشرف الخصال التي يحتاج اليها في المعاملات وقد
 كانت هذه الفضيلة قديما في الديار المصرية على غاية من التمسك بها ولو عند
 عرب البادية * ومن غريب ما يحكى في ذلك ما أخبر به الشيخ عبد الرازق
 القفطي انه جاء اليه الشريف الاحمر ومعه بدوي فقال لعبد الرازق اشتهي أن
 تقرضنا دينارين وتركب معنا لله تعالى قال فدفعت لهما دينارين وركبت معها
 فسقنا في الحاجر ساعة فقلت للشريف ما تقول لي ايش أنت تطلب بنا فقال
 هذا البدوي كان أودع ناسا من العرب سخلة في الحجاز من احدى عشرة
 سنة وهو يطلب وديعته قال فقلت له ضيمت على دينارين وأنعبتنا فقال لي
 الدينار الواحد معي والآخر اشتريت به هذا الحمار فان وجدنا شيئا والاردنا
 لك مالك فسرنا الى أبيات عرب هناك فجلسنا بعيدا وتقدم الاعرابي ونادى يا أبا

فلان فكلمه انسان فقال من تكون أو قال من تريد فقال الله تعالى يعلم أني كنت أودعت لك بوادي الصفراء في الحجاز في السنة الفلانية سبخلة قال فجاء الرجل الذي كلمه ونحى القرمزية عن رأس البدوي ونظر الى شجرة في رأسه وقال والله أنت هو وأبو فلان مات وأنا أخوه اقمه حتى تروح ابنا فقعدنا حتى راحت الابل عليهم فعزل البدوي منها تسع نوق وقال * الله تعالى يعلم أن السبخلة ولدت وولد اولادها فبعناها واشترينا تلك الناقة فولدت وتولدت فالذي كان منها ذكورا بعناه وأبقينا الاناث وأخرجنا عنك الزكاة وأخرج صرة زرقاء مربوطة بخيط من شعر فقال هذا من ثمن الذكور ففتحناها فوجدنا فيها أما قال تسعة عشر دينارا أو قال اثنين وثلاثين دينارا غاب عنى أيهما قال لطول المدة فقال الاعرابي أما هذا الذهب نخنوه ولا حاجة لي به وتكفيني النياق فقلنا والله ما نأخذ الا الدينارين فاخذناهما ورجعنا انتهى فانظر الى قيمة قدر الامانة عند عرب البادية المؤمنين والتعفف من المتوسطين وسماحة الاعرابي الذي أراد أن يترك الذهب لهم فلا يدري أي الفرق الثلاثة أكرم وأعظم مروءة فلي العاقل أن يتمسك بكل فضيلة يتمدح بها وتبيض بها صحيفته دنيا وأخري من كل ما يجرز المنافع العمومية دنيوية أو دينية مما يكون به لاهل ملته تمام النظام وتعود منفعة عاجلا أو آجلا على قوة دولة الاسلام

« مطلب »
 العماثر الخيرية
 التي اجرتها والددة
 الخرسولي النعمة
 وما اجراه جناب
 خليل اغا المفقور
 في نعماتها من
 المدرسة والتكية
 المهمة

وقد اسلفنا في الفصل الاول من الباب الاول في بيان المنافع العمومية ما يتعلق بفعل الصدقات الجارية وان من جعلها بناء العماثر الخيرية وان كثيرا من الامراء تشبهوا بذلك ونقول الآن ان من جملة من اجتهد في فعل الخير الجارى على الدوام ما فعلته صاحب الدولة والعصمة والددة الخديو الاكرم ولي

النعمة فإن بناءها المسجد المنير للقطب الشهير ولى الله تعالى الشيخ صالح أبو
 حديد هو من أعظم الخيرات لا سيما ما أجرته عليه من الاوقاف الداره
 والوظائف البارِه ومثل ذلك شروع حضرتها السنية في بناء مسجد القطب
 الرفاعي الجاري فيه العمل الآن أمام السلطان حسن فانه أيضا صار توسيعه
 بما لا مزيد عليه من الدور المتخذة له بالشراء وتطيب خواطر أربابها مع الجد
 والاجتهاد في العمارة التي يظهر أنها تصير ضخمة جدا وتنافس جامع السلطان
 حسن المواجه لها مع ما سيرصد عليها من الاوقاف الجزيلة مما ارادت
 حضرتها العلية تحصيله ومن المعلوم أن حضرتها المشار اليها من جزيل الخيرات
 ما لا يحصى ومن جميل المبرات ما لا يستقصى والرافة الكاملة الكافلة بالتعطف
 على كل فقير والتلطف بجزير كل كبير وتوزيع الصدقات على الجم الغفير فهي
 سارة مصرها وأين منهاز بيده في عصرها

وقد سبق في الفصل الاول من الباب الاول ذكر ما فعله من الخير
 العميم وحسن الصنيع الجسيم حضرة خليل أغا باشا أغاوات الجهة السامية
 المشار اليها من المدرسة والتكية ابتغاء مرضاة الله تعالى مما ازداد به وجه مصر
 ضياء وتلاؤء * هكذا هكذا والا فلا لا * وكنافد ذكرنا في الفصل المذكور
 ما انشاه من الخيرات الامير الجليل والشريف النبيل سعادة راتب باشا
 بالجامع الازهر ثم بلغنا فيما بعد انه أنشأ مسجدا جليلا بالاسكندرية ومدرسة
 جاية عمومية بالاسكندرية أيضا وأرصد لذلك مافيه الكفاية لدوامه وأرصد
 جرايات لها وقع كبير على الاضرحة والمشاهد والمقارى بالمحروسة وأحيا
 تكية للنساء العجائز الفقراء مرصدة على احدى وعشرين مرأة كان انشاهها
 المرحوم عبد الرحمن كتنخدا ثم دثرت وبلغنا ان حضرة الباشا المشار اليه مصمم

مطلب *
 خيرات سعادة
 راتب باشا

على تجديدها رستان للفقراء والضعفاء ووقف الامير المذكور من اراضيهِ وعتقاره على
 خيراتهِ ما يقوم بها على كثرتها وأنه أوقف باقى اراضيهِ وعتقارته على ذرية
 وشرط انها تؤل من بعدهم الى محال خيراتهِ توسيعاً لها زيادة هكذا يكون
 الكرم الواسع من الاشراف أهل الديانة والصيانة والعفاف اطال الله بقاءه
 ومن الاسواء حفظه ورقاه وكثير من الامراء والاعيان ممن لا تعلم حقيقة
 أوقافهم الخيرية الا اجمالاً تصد لفعل الخيرات على قدر حاله وبذل فيها جزءاً
 عظيماً من ماله فالحمد لله الذي وفق كثيراً من الامراء والاهالى المصريين
 رجالاً ونساءً بالمحروسة او بالاقليم على التثبث باسباب الخير العميم والناس
 كما يقال على دين ملوكهم وهو أدب قديم ومع أن هذه الخيرات تعد نوعاً
 من المنافع العمومية الا ان هناك خيرات أعم منها نفعاً وأتم وقعاً كالشركات
 السلمية الشرعية وجمعية الاقتراضات للرعية فانها افعة كل النفع لفك المضايقات
 عن ارباب الاحتياجات من أهل الصناعة والزراعة لدخلتهم والقيام عند الاقتضاء
 بقضاء حاجتهم فان هضم الشركات السلمية والجمعيات الاقتراضية من أهم
 الامور ومفرجة على الجمهور وبها تتقدم التجارة والزراعة وترقى الدولة والملة في
 المساليه واللوازم الاهلية الى أوج الفخار ودرج الاعتبار كما بينا ذلك في الفصل
 الاول من الباب الاول

مطلب
 تمام المرغوب
 وختام المطلوب
 لكمال المنافع
 العمومية من
 تشكيل شركات
 مرهية

فله من بيض من الاهالى صحائف اعماله النافعة وجعل أنوار فعاله على
 على آفاق وطنه مشرقة ساطعة وأما من بخل بذلك فقد خلا عن فضائل النفع
 العام وسود سطور صحائف اعماله بمداد الآثم واخجل عصره الموجود فيه
 حيث غدره وخانه بدون أن يوافيه أو يضافيه بل كدر رائق نفعه وزلال
 صيافيه وهذا القدر من المكروه كافيه فعلي ولي الامر العادل ان يرشد

بافعاله السنية رعيته الى سبيل الرشاد السنية وأن يعينهم على ذلك بالحصول على كمال الحرية متى وجدان رعيته بتلك الحرية حريه حتى يحب الناس أوطانهم ويديعوا شكرهم لمن حسن حالهم وأصلح شأنهم

مطلب
فك العهد وتأسيس
الدوائر البلدية
لراحة الرعية
المصرية

فالحمد لله الذي وفق خديوى مصر الاكرم لفعل ذلك بفك عهد المتعمدين للبلاد وتأسيس نظمات الدوائر البلدية المبني على تحرير رقاب اهالى النواحي من شبه الاستعباد فان هذا الاحالة قوام الانصاف والعدالة فان من ملك احرار طائعين كان خيرا ممن ملك عبيدا مروعين ولا شك ان قلوب الرعية هي خزائن ملكها فما أودعه فيها فهو مستودع في انحاء مسالكها ولا يكون الملك عظيم القدر الا باهال دونه عظموه ولا تقوى قوته الا برجال أطاعوه ولا تشرف منزلته الا بعوام اتضعوا له بالازعان واتبعوه فعليه ان يمنحهم وسائل التعزيز والتكبير وأن يمنع عنهم رذائل التصغير والتحقير فرب صغير ترفع عن دناءة الهمة وتفرغ لجلال التديرو على الملك أن يعامل احرار الناس بعض المودة والعامه بالرغبة والرهبه وان يسوس السفلة بالمخالفة الصريحة وان يحسن سياسة جيع رعاياه نبي اختلاف أنواعهم لاجتناب الاسباب التي تبث قلوبهم على معصيته ليقود ابدانهم الى طاعته فهذا يستقيم أمره الى الى مدته (وسأل) رجل بعض حكماء بنى أمية ما كان سبب زوال نعمتكم فقال قد قلت ماسمع واذا سمعت فافهم ان شغلنا بلذتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا وأمضوا أمورنا دوننا أخفوا علمها عنا وظلمت رعيتنا ففسدت نياتهم لنا ويأسوا من انصافنا فتمنوا الراحة لغيرنا وخربت معايشهم فخربت بيوت أموالنا وتأخر عطاء جندنا فزال طاعتهم لنا واستدعاهم مخالفوا فمناظروا علي امرنا فطلبنا أعداؤنا

فجزنا عنهم لقلة أنصارنا وكان أول زوال ملكنا استتار الاخبار عنا انتهى
 وقال المنصور يوما ما كان احوجني أن يكون علي بابي اربعة نفر لا يكون
 علي بابي أعف منهم قيل يا أمير المؤمنين ومن هم قال هم اركان الملك لا يصلح
 الملك الا بهم كما ان السرير لا يصلح الا بأربع قوائم ان نقصت قائمة واحدة
 وهي أما أحدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم والآخر صاحب شرطة
 ينصف الضعيف من القوى والثالث صاحب خراج يستقضى لى ولا يظلم
 الرعية فاني غني عن ظلمها ثم عض علي أصبعه السبابة يقول في كل مرة آه آه
 قيل من هو يا أمير المؤمنين قال صاحب يريد يكتب بخبر هؤلاء علي الصحة
 انتهى

ومما من الله سبحانه وتعالى علي الديار المصرية ان خديويها الاكرم
 يحسن انتخاب وكلائه وينقدم بعين البصر والبصيرة وانه بترتيبه لراحة الرعية
 الدوائر البلدية وتنظيمه المجالس المحكمية وحسن تربيته لابناء الرعية وتقليدهم
 بالمناصب الادارية تتحوز مصر التي هي منبع كل خير وفضل ومحط رحال
 كل شرق وغرب وبعده وقرب علي الفضائل العليا ويصدق عليها اسمها القديم
 وانها أم الدنيا

ومن أمعن النظر في حسن تقسيمها في مطبة السياسة وأمعن الفكر في

نظام تقويمها في رتبة الرياسة وجددها الآن علي حالة أحسن تقسيما وتقويما
 مما كانت عليه في أيام ان كانت كرسى الملك ودار الخلافة في تلك الازمان
 كما يفهم من ذكر تخطيطها في تلك الايام لبعض العلماء الاعلام حيث يقول
 لمصر وجهان قبلي وبحري فالقبلي هو أجلهما قدرا وأطولهما مدى واكثرهما جدي
 وهو الجزيرة وهي أقربها الي القاهرة غربي النيل ويقع قبالة القبلي منها بلاد طفيح شرقي

« مطلب »
 ان تقسم مصر
 الآن ان تقسم من
 تقسيماتها القديمة

النيل في بر القاهرة تصاقب بركة الحبش وبساتين الوزر ثم يلي الجزيرة
 مقبلا في برها بلاد البهنسا تصاقب البهنسا من غربها بلاد الفيوم
 وبينهما منقطع رمل والفيوم هو الذي بحره دائما مستمر ويتقسم به
 الماء في مقاسم ولا يعرفون قسمة الماء الا بالقصبات ثم يلي البهنسا
 مقبلا الاشمونين وفيها الطحاوية ثم يليها بلاد منفلوط ثم يليها بلاد أسيوط
 ثم يليها بلاد أخميم شرقي النيل ويقابل دمنها البرابي المشهورة في البلاد
 المضروب بها المثل على الالسنه وهي وان كانت شرقي النيل فكل بلادها
 ومزارعها غربي النيل ثم يليها بلاد قوص وقوص أيضا شرقي النيل وهناك
 جل العمارة وموضع الحرث والزرع وفي غربي النيل قبالتها البلاد المعروفة
 بغرب قولا وهي من مضافات قوص وبلادها ثم أسوان وهي من عمل
 قوص وواليها نائب عن واليها ويخرج مما بين قوص وأسوان الى صحراء
 عيذاب حتى ينتهي الى عيذاب وهي قرية حاضرة البحر ومنها يمتدى الى جدة
 ويكون بها جند من قوص وواليها وان كان من قبل السلطان فانه نائب لوالى
 قوص ووالى قوص أعظم ولاية مصر وأجلهم فهذه جملة الوجه القبلي وفيه
 الصعيدان الادنى والأعلى والادنى كل ما سفلى عن الاشمونين الى القاهرة
 والأعلى كل ما علا عن الاشمونين الى أسوان وغالب زرعه ورفعه وجلب
 قوته وحلب ضرعه غربي النيل وما يوجد شرقي النيل قليل وهو
 تبع لامتبوع فاما الوجه البحري فهو كل ما سفلى عن الجزيرة الى حيث مصب
 النيل في البحر الشامي بدمياط ورشيد وهو أعرض من الوجه القبلي وبه
 الاسكندرية وهي مدينة مصر العظمى فاما ما وقع منه شرقي النيل في بر
 القاهرة المتصل بها فأقربها منه الضواحي وهي القرى التي أمرها بيد والى

القاهرة ثم قليوب ثم الشرقية ومدينتها بليس وأما ما وقع غربى أحد مرمى
 النيل الفرقتين فى هذا الوجه فأقربها الى الجزيرة جزيرة بنى نصر ثم منف
 وكلاهما عمل واحد والاسم منف وهى كانت مدينة مصر العظمى زمن فرعون
 موسى ثم ابيار وهى من عمل منف أيضاً ثم يليها بلاد الغربية ومدينتها محلة
 المرحوم وهى عمل جليل متسع يضاهاى قوص ثم يليه أشموم وتعرف بأشموم
 الرمان لكثرة وجود الرمان بها وهى بلاد الدقهلية والمرتاحية ثم يليها دمياط
 حماها الله وهى أحد الثغور والضالة المستنقذة بعد طول الدهور واليها أحد
 مصبى النيل ثم ما هو غربى الفرقة الثانية من النيل فأقربه الى الجزيرة بلاد
 البحيرة ومدينتها دمنهور وهذه البلاد تشتمل على بلاد مقفرة وطوائف من
 العرب وبها بركة النظرون التى لا يعلم فى الدنيا أن يستغل من بقعة صغيرة
 نظير ما يستغل منها فانها نحو مائة فدان تغل نحو مائة الف دينار ثم يلي بلاد
 البحيرة مدينة الاسكندرية ثمر الاسلام المقتر وحى الملك المحضر حرسها
 الله تعالى وهى مدينة لا يتسع لها عمل ولا يكثر لها قري فهذه جملة الوجه
 البحرى ثم لم يبق ما تنبه عليه الاقطيا وهى قرية فى الرمل جعلت لاختذ
 الموجبات وحفظ الطرقات وأمرها مهم ومنها يطالع بكل وارد وصادر واما
 الواحات فجارية فى اقطاع امرأهم يولون عليها كل مقطع فى اقطاعه ومغلها
 كأنه مصالحة لعدم التمكن من استغلاله أسوة بقية ديار مصر لوقوعه منطقاً
 فى الرمال النائية والقفار النازحه وهذه جملة نطق القاهرة المحيطة بمصر سفلاً
 وعلوا انتهى والظاهر ان فى عصر هذا المؤرخ كانت قصبات الصعيد الاعلى
 قوصا واخميم ولم تكن جرجا من القصبات المشهورة شهرة غيرها وانها
 صارت فيما بعد متصرفية وقد أنزل الى ناحيتها السلطان الظاهر برقوق

بعد واقعة بدر بن سلام هناك هواراة الصعيد في نحو سنة اثنتين وثمانين
 وسبعمائه وكانت خرابا ليعمر وها فأقطع هذه الناحية لاسماعيل بن مازن
 منهم وأقام بها حتى قتله على بن غريب فولى بعده عمر بن عبد العزيز الهواري
 حتى مات فولى بعده ابنه المعروف بأبي الشوشه ونخم أمره وكثرت أمواله
 فانه أكثر من زراعة النواحي وأقام دواليب السكر واعتصاره حتى مات
 فتولى بعده أخوه يوسف بن عمر وهكذا وهؤلاء الهواراة أصل ديارهم من
 عمل سرت بالمغرب الى طرابلس قدم منهم طوائف الى أرض مصر ونزلوا
 بلاد البحيرة وملكوها من قبل السلطان ونزل منهم هواراة بالصعيد كما
 ذكرنا ونزلوا جهة جرجا التي نابت فيما بعد عن قوص وعن اخميم وصارت
 ولاية في التقسيم فتقاسم مصر الآن أكثر تنوعا وأعظم استقصاء وتبعها
 وان لم تصل فيما يخص العلم والاملاء درجة ذلك الزمن البعيد الذي يعلم كثرة
 علمائه وفضلائه لمن طالع مثلا الطالع السعيد في نجباء الصعيد الا ان المعارف
 الآن سائرة بسيرة مستجدة في نظريات العلوم والفنون الصناعية التي هي
 جديرة بأن تسمى بالحكمة العملية والطرق المعاشية ومع هذا فلم يزل
 التشبث بالعلوم الشرعية والادبية ومعرفة اللغات الاجنبية والوقوف على
 معارف كل مملكة ومدينة مما يكسب الديار المصرية المنافع الضرورية ومحاسن
 الزينة فهذا طرز جديد في التعلم والتعليم وبحث مفيد يضم حديث المعارف
 الحالية الى القديم فهو من بدائع التنظيم واذا أخذ حقه من حسن التدبير
 والاقتصاد فيه استحق مرتبة التعظيم ولا ينبغي لابناء الزمان أن يعتقدوا أن
 زمن الخلف مجرد عن فضائل السلف وانه لا ينصالح الزمان اذ صار عرضة
 للتلف فهذا من قبيل البهتان فالفساد لا اعتقاد ذلك لافساد الزمان كما قال الشاعر

• مطلب •
 اصل الهواراة
 ونوطهم بالصعيد

• مطلب •
 انه ليس كل
 مبتدع مذموم
 وان المبتدع النافع
 يقع موقع
 الاستحسان

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
 ونهجو في الزمان بغير عيب ولو نطق الزمان بنا هجانا
 وانما حصول مثل هذه الاوهام السوفسطائية ناشىء من فهم كلام
 العلماء الرسخين على خلاف المعنى المقصود منه وأخذه على ظاهره فاذا حفظ
 الانسان من جوهره التوحيد قول الناظم

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف
 أخذه على ظاهره في أمر الدين والدنيا والمعاد والمعاش والترقي في الرفاهية
 والزينة مع أنه خاص بالامور الدينية واتباع الاحكام الشرعية من الحلال
 والحرام دون المباح كما أوضحه بعد قوله

وكل هدي للنبي قد رجح فما أبيع افعل ودع ما لم يبيع
 فيا ليت من تمسك بتلك الافهام وتنسك بمضامين تلك الاوهام
 استمسك بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ومما
 أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وبقوله تعالى هو
 الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه
 النشور فليس كل مبتدع مذموم بل أكثره مستحسن على الخصوص
 والعموم فان الله سبحانه وتعالى جرت عادته بطى الاشياء في خزائن
 الاسرار ليتشبت النوع البشرى بعقله وفكره ويخرجها من حيز الخفاء الى
 حيز الظهور حتى تبلغ مبلغ الانتشار والاشتهار

اذا حار وهمك في معنيين وأعيك حيث الهدى واليقين
 نخالف هواك فان الهوى يقود النفوس الى ما هيئ
 فمخترعات هذه الاعصر المتلقاة عند الرعايا والملوك بالقبول كاهن من أشرف

ثمرات العقول يربها على التعاقب الآخر عن الاول ويبرزها في قالب أكمل
 من السابق وافضل فهي نفع صرف لرفاهية العباد وعمارة البلاد ومن ذا الذي
 يخطي صواب رأي هذه الاستمدادات المعنية على المهمات المماشية بطرقها النافعة
 وأنوارها الساطعة التي لظلام الارحاء دافعه وبسط الكلام على المخترعات
 كغيرها من المحسنات البديعات مبسوطة في أقوم المسالك في معرفة أحوال
 الممالك لحكيم السياسة خير الدين باشا وعمل من طب لمن حب يورث القلب
 انتعاشا مربع لبعضهم

بدور لهم مغرب بقلي وان أغربوا فوجدى بهم مغرب
 عن الحال ما أصنع

لكل هوى منهي * وحي اذا ما انتهى * أسلو وأهل النهي
 على حسنهم أجمعوا

فا اشار به في كتابه من الاشارات القولية جله في مصرنا من قبيل
 الدلالات الوضعيه ودلالة الفعل في الاصول أقوى من دلالة القول فما أجدر
 ما تجدد الآن في مصرنا من حسن التنظيم المستحق من أهل الوطن كمال
 التبجيل والتعظيم مما به عظم قدر الوطن وشرفت منزلته ومجدت نخامته حيث
 استأثر بالفوائد الجمه وأي همه مما لا يحصل الامن البررة المشفقين ومن
 أبناء الوطن الصادقين ممن روض نفسه لخدمة الوطن الحقيقية من الراعي
 والرعية وقد خرجوا من درجة التصغير والتحقير الى درجة الترفع والكبير
 بصرف الهمة في حسن التدبير لتنمية المنافع الوطنيه الحسية والمعنوية

ومما ينبغى للعاقل أن ينوه بذكره ولا يخرج العارف من مرآة بصيرته
 وفكره ان ملوك الاسلام على كثرتهم وان كان يجب عليهم جميعا ان يكونوا

على قلب رجل واحد في تقديم ابهة الاسلام وان يهتموا بتأييد الاوطان المحمدية
 بالعلوم النافعة والمنافع العمومية لترقى الديار الاسلامية درجة الكمال العلية الا
 ان الاولى بالمسارعة في ذلك لسهولة سلوك اقوم المسالك الدولة العلية العثمانية
 واخذ يومية الجلييلة المصرية فان حصل منهما براعة المخلص وحسن المقطع على
 شاكلة براعة الاستهلال على وجه ابداع بلغت شهامة الاوطان الاسلامية
 بالنسبة الى قوة الدولة ونخوة الملة المحل الارفع

فاما تشبث الدولة المحروسة العلية بذلك الآزفنى عن البيان وغير محتاج الي برهان
 اذا مارحاء الخير دارت على الورى فانك منها قطبها وعمودها

واما خديونا الجليل فلا زال ينجز ما وعد به عند الولاية ويجدد عند
 انتهاز الفرص ما يستطيعه بكما الى العناية فكانت الفرصة ناجية بقولها
 مولاي هذا الملك قد نلته برغم مخلوق من الخالق
 والدهر منقاد لما شئتة وذا اوان الموعد الصادق

هل مثله وامق ان قدر يرمقها بصحيح النظر والى ما ندعو ينجبها ولكن
 ملء عين حبيبها فلا يزال لسانه يلهج بمعنى قول القائل

انا لنا مل ما كانت اوائنا من قبل تأمله ان ساعد القدر
 ولسان حال النصر الحقيقى ينشد لنيل اكرم مرام وأعظم مقصد
 من جعل الحق له ناصرا ايده الله على نصرته

وهاتف السعادة يحثه على كمال نيل المجادة وكسب السعادة بقوله
 وكن فاعلا مثل فعل الزمان فان الزمان فعولن فعول
 ولسان الاعتراف يثبت على سبيل الاجمال ما فعله لوطنه من المحاسن والجمال بانشاده
 لقد نبتت في مصر منك منافع كما نبتت في الراحتين الاصابع

ولا عجب لمن توفيق العزيز رفيقه ان يستمد منه القطر المصري جميع ما يعجبه من
الكلمات ويروقه كما قال بعضهم في هذا المعنى

قد أطلع الله لنا كوكبا أضواء شرق الارض والمغربا

صاحب سعدي يقتضى سعده سعادة الوالد اذ انجبا

والاصل ان طاب يرى غرسه أنبت فرعا مشعراً طيباً

مع هبة خص بها الله من أصبح للنعمة مستوجباً

قدم قرير العين حتى ترى خلفك من أولاده موكباً

ولما كانت حسنات ولي النعم تكاثر النجوم عددا والانفاس مدداً

هتف لسان الجميع عن خالص الود الشاكر على حسن الصنيع بالدعاء له

يبسط الاكف الى المولى السميع فقالوا اللهم أدم علينا احسانه العديد وبجر

انعامه المديد حتى لا يزال يقول طالب رفته واحسانه هل من مزيد

وهذا آخر ما يسر الله جمعه جمع سلامه مما يلوح عليه من القبول أبهى

علامه وهو جدير باسم مناهج الاباب المصرية في مباحج الآداب المصرية

واذا انتهيت الى السلا مة في مداك فلا تجاوز

ان السفين متي يصل بر السلامة فهو فائز

حسب الفتى أمنا اذا في سيره جاب المفاوز

وهل السلامة للرئد س سوى مصادقة الجلاوز

والحمد لله ولي النعمة والصلاة والسلام على من هديت به الامة وعلى

آله واصحابه الذين تلالأت أنوارهم وأضاءت في آفاق المعالي أبقارهم وتفتحت

للسعادة بصائرهم وأبصارهم صلاة وسلاماً دائماً الى يوم الدين والحمد لله رب

العالمين

* (تتمت في دور الطبع) *

وفيها بيان خطة الكتاب والاسباب الباعثة على احيائه مع ذكر رسالة لفضرة الكاتب القدير صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبدالكريم سايمان رئيس تفتيش المحاكم الشرعية بنظارة الحفانية

الحمد لله محيي الأمم والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم - (وبعد) فقد علم كل ناطق بالضاد ما لفضرة المؤلف رحمه الله من الايادي الطولى في العلوم لا سيما العلوم العصرية والاجتماعية فانه استولى بجده واجتهاده على جعلها وتفصيلها وورد منها لها ظمناً فلم يصدر عنها إلا وهو مرتوب بالطف من ماء الحياة وأرق من نسمة الأرواح . عرف الشرقيون كغيرهم ذلك الرجل الذى أبرزته الارادة الالهية الى الوجود بعد فتره اندرست فيها معالم أمثاله فما زال يحى من العلوم الرفات ويدرك منها ما فات وما هو آت حتى برز على من سبقه ورفع في دولة الادب والمعارف رايته - عرف العالم جميعه من هو ذلك الامير الجليل رفاعة بك رافع وكيف كانت حياته الادبية والسياسية وانه الرجل الذى ألقى بالبلاد الغربية عصى التسيار أعواماً طويلاً وقف فيها على أسباب التقدم واسرار الارتقاء ثم عاد ومصباح الغرب باحدى يديه ومفتاح الشرق باليد الأخرى . عاد الى الديار المصرية فعاد لها المجد للؤمل والسعد الاول وغرد في روضة المدارس طائرهما الأيمن فبذل جل عنايته لغرس ثمار الفنون اليانعة في عقول النابتة المصرية ولم يغادر علماء من علوم العرب والافرنج الا وقد بلغ فيه المدى وسلك في اظهاره لآبناء وطنه طرائق قددا أضف الى ذلك انه كان له عناية عظيمة بنفس التاريخ العام

وبوجه خاص بتاريخ مصر الذي هو في الحقيقة تاريخ الدنيا باجمعها لانها
 مورد الوافدين من جميع الانحاء ومحط رحال الملوك والامراء فألف
 فيه كتباً جمة منها كتابه المسمى بانوار توفيق الجليل في اخبار مصر
 وتوثيق بني اسمعيل وكتابه قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر
 ورحلته البارسية الشهيرة وغير ذلك مما لا تحصى فوائده ولا تستقصى فرائده
 ومن أبهى محاسنه الجامعة وأبهج مصنفاته العصرية النافعة تأليف هذا
 الكتاب المسمى مناهج الالباب المصرية في مباحج الآداب العصرية فانه
 جمع فيه ما يتعلق بمصر في مدينتها وسياستها الداخلية والخارجية وما كانت
 عليه من الفنون والصنائع واختراع وسائل المنافع مع ما يضاف لذلك من
 مناسبات فائقة واستطرادات شائقة كما انه كشف القناع عما وصلت اليه مصر
 من السعادة والرقى في عهد المغفور له الامير محمد علي باشا ومن تولى بعده
 وأفاض في البحث عن حالتها الاجتماعية والسياسية مع بيان الاسباب التي
 ساعدت على انتشار التمدن وبيان ما أحدثه المصريون من الآراء والتعديلات
 في قوانين البلاد وذكر الاسباب الموصلة الى السعادة والرفاهية وقد رتبته على
 مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة فالمقدمة في ذكر تمدن الوطن والباب الاول
 في بيان المنافع العمومية والثاني في تقسيم المنافع العمومية الى ثلاث مراتب
 والثالث في تطبيق اقسام المنافع العمومية في الازمان الاولى والرابع في التشبث بعود
 المنافع العمومية الى مصر في عهد جنته كان محمد علي باشا والخامس في الاعمال المستحسنة
 والاصلاحات المصرية والخاتمة فيما يجب للوطن على ابناؤه من الامور الجليلة وفضلا
 عن ذلك فقد اشتمل على كثير من ملح الخطب والرسائل الثرية ولطائف
 القصائد الشعرية التي تمتاز بطباع الادباء رقة وتسترق خواطر الفضلاء

تقدير
قافية

فقد

علوم

علمها

الحياة

لذي

فا

على

هو

سية

فيها

ديه

ثل

ايته

لوم

طنه

عام

بلاغة ورفعة وبالجمله فهو وان كان الى التاريخ أقرب وبه اشبه ولكنه تجاذب
 أطراف الفنون وأخذ بيد القارىء الى طريق الادب وتليده وقريبه وبعيده
 فينما يخيل للقارىء انه بين مواقع الصفاح ووقائع الحرب والكفاح اذ يترآي
 له انه بين محاضرات الآداب ومسامرات الخلان والاحباب

ومن أشرف مزاياه التي قلما توجد في غيره انه لا يقتصر على حكاية الوقائع
 التاريخية بل تراه يمهّد للقارىء سبل استخراج النتائج من الحوادث ويقدم
 له المقدمات التي تساعد على اعمال الفكرة ورقية القرينة كما انه قد تضمن
 كثيرا من الايات القرآنية والاحاديث الشريفه النبوية التي استدعاها الحال
 وكما اوردها شيئا يحتاج الى ايضاح شرحه بعبارة تأخذ بالجامع وتنفذ الى اعماق
 القلوب قبل وصولها الى المسامع

كان هذا الكتاب عزيز المنال ينسده طالبه فلا يجده ويستشرف لرؤيته
 الاديب استشراف العاشق الوطان الى الوصال والصائم الى شهر الافطار الى أن
 قبض الله له حضرة الحسيب الذيب واللوزعي الفاضل الاريب سلاله الاخير
 ووارث الشرف كابر عن كابر السيد محمد رفاعة حفيد المؤلف فوجه همته لطبعه
 على نفقته احياء لذكرى جده وتعميما لنفعه بين ابناء وطنه وقد شجعه على ذلك
 حضرة القاضي الفاضل والعلامة الكامل حفني بك ناصف وكيل محكمة طنطا
 الاهلية حيث وردت من حضرة رسالة يقول فيها انه رأى هذا الكتاب اثناء
 سياحته الاورباوية في مكتبة أئيناويتني اعادة طبعه بالديار المصرية حتى لا تحرم
 مصر من مشاهدة آثار رجالها الساهرين على رقيها وسعادتها . ومما يعد من حسن
 الاتفاق ورود هذه الرسالة الى حضرة وهو يأخذ لطبع الكتاب اهبة
 ويعد له عدته فكان ذلك من اتفاق الخواطر ومطابقة الضمائر للضمائر

ومع ذلك فلم تقف همته عند انجاز طبع هذا الاثر بل عزم حضرته على احياء باقي
الكتب التي ترجمها جده عن الفرنسية الى العربية كرواية تليماك الشهيرة
وترجمة ملطبرون وترجمة منتسكو وغير ذلك مما سيكون له شأن كبير في عالم
التأليف ويقابل لدي الجمهور بالثناء والاعجاب

وقد جاء لحضرة السيد محمد رفاعه جملة رسائل عديدة من أعظم الرجال
وارباب الاقلام وكلها تعرب عن السرور والابتهاج بظهور هذا الكتاب الى عالم
الطباعة بعد أن كان كنزا محبواً في بطون الكتبخانات فمن ذلك رسالة
لحضرة الأستاذ الكبير والعلامة النحير صاحب الفضيلة الشيخ عبد الكريم
سليمان رئيس تفتيش المحاكم الشرعية وهذا نصها
ولدي المحترم الفاضل محمد بك رفاعه حفظه الله

سمعت يا ولدي عنك انك شرعت في طبع كتاب جدك الارفع رفاعه
بك (مناهج الالباب) وقد سرني هذا النبأ من أوجه
أولها وأولها بالاعتبار منفعة ذوي الالباب من طلاب الآداب
ونخب الكتاب ومريدي الدخول من هذه الابواب
وثانيها احياء ذكرى ذلك الجد الرفيع وبقاء اسمه العالي على
المقام عظيم الاحترام

وقد أذكرني صنيعكم هذا ما كنت أتمناه دائماً من احياء الكتابيين
الجليلين الذين ترجمهما عن الفرنسية الى العربية ذلك الجد الجليل
فاجعل كتابي هذا غير قاصر على تفريظ عمك الجديد المفيد ومدته
الى ايجاد ذينك السفيرين (هما ترجمة ملطبرون وترجمة منتسكيو)
ولقد رويت عن عمك الاعز رحمه الله أن والده الاكرم أكرم الله

مشواه ترجمهما وأن نسختها موجودة وأسمعي ما بقيت حافظه الى الآن
 مما يبرهن على انه طيب ثراه ترجمهما وهو

وملطبرون يشهدوه وهو حبر ومتسكو يقول ولا يمارى

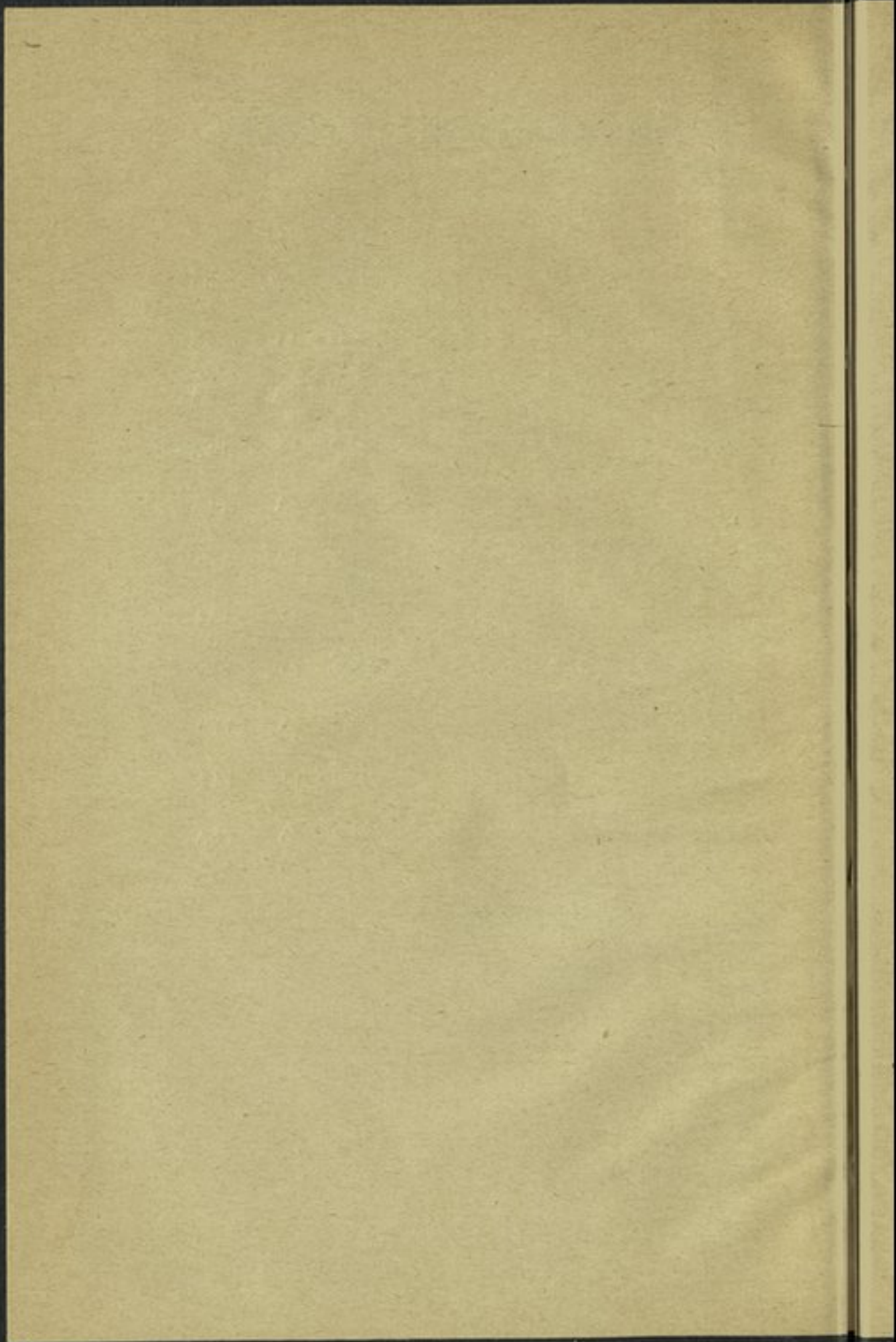
أما مثوبتك على ما شرعت فيه وعلى ما كلفتك بالعمل لا يجاده فاطلبها
 من وهاب التوفيق لعباده العاملين ولا تجعل منها كل ما تنفقه من المصاريف
 على ابراز هذه المنافع الى الوجود فانك ان طلبت ذلك من هذا البلد في هذه
 الأحيان وقفت في وسط الميدان والأولى بمثلك أن لا يشرع ثم يرجع
 فان من حظك اعلاء ذكر جدك وهو مالا يستغز معه بالمال
 وفقك الله خيرا الاعمال في الحال والمآل امين ما

يوم الجمعة ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ (عبد الكريم سليمان)

ونحن نرف البشرية الى الجمهور بوجود اصول هذين الكتابين في
 خزانه كتب المؤلف وتعويل حضرة حفيده الاكرم على طبعهما اجابة لطلب
 فضيلة الاستاذ وجبا في تعميم النفع لآبناء العصر نرجو الله ان يتوج مسعاها بالنجاح
 ويجعله مقرونا بالخير والاسعاد

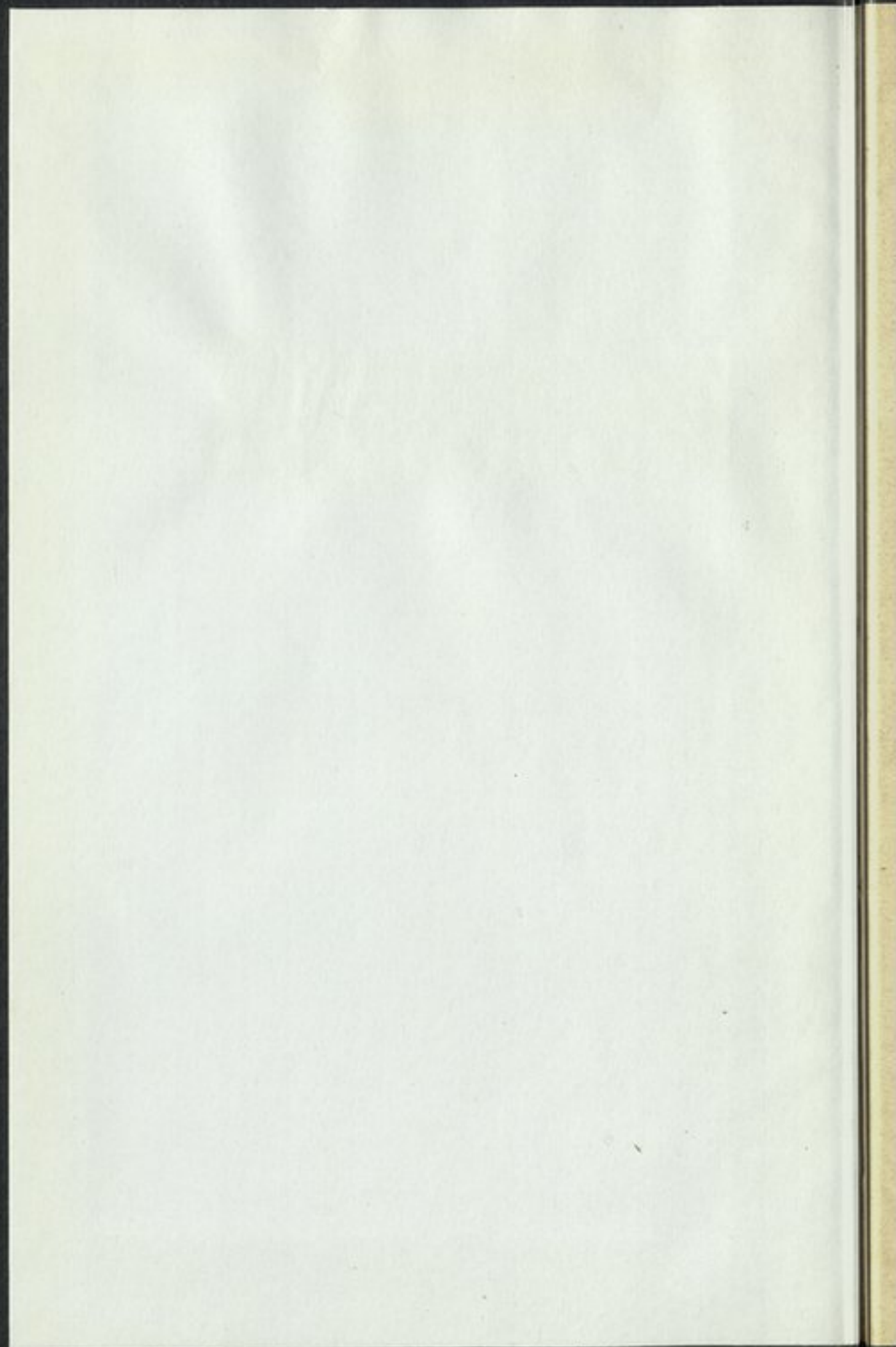
هذا وقد وافق تمام طبعه أوائل شهر شعبان المعظم سنة ١٣٣٠ هجرية
 على يد مصححه الفقير الى مولاه الغني محمود سيد كشك الطهطاوي الازهري
 أحسن الله خاتمته وبلغه في دار الآخرة أمنيته وذلك بمطبعة شركة الرغائب
 المصرية العامرة التي بشارع المنجلة بمصر القاهرة وصلى الله على سيدنا محمد
 النبي الانبي وعلي آلهم وصحبه وسلم والحمد لله ظاهرا وباطنا أولا وآخرا ما

محمود سيد كشك الطهطاوي



بيان الخطأ الواقع في الكتاب

| صواب | خطأ | س | ص |
|---------|---------|----|-----|
| فهو | فهوا | ٣ | ٥١ |
| عويصة | عوصة | ١١ | ٥٦ |
| لوالد | للولد | ١٦ | ٥٩ |
| هذا | هكذا | ١٤ | ١١٨ |
| لتمحو | لتمحوا | ٩ | ١١٩ |
| تداركها | تدراكها | ١٨ | ١٣٠ |
| اعادة | اعاة | ١٠ | ١٩٤ |
| ثلاثة | ثلثائة | ٢٠ | ٢١٧ |
| كل | اكل | ٩ | ٢٣١ |
| المنافع | النافع | ١١ | ٢٤٤ |
| وصلت | صلت | ٨ | ٢٤٨ |



A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00470078

